

تراجم مغربية من مصادر شرقية

جمعتها ورتبها وقدم لها وعلق عليها
الدكتور محمد بن شريف
عضو أكاديمية المملكة المغربية

تراجم مغربية من مصادر شرقية

جمعتها ورتبها وقدم لها وعلق عليها
الدكتور محمد بن شريف
عضو أكاديمية المملكة المغربية



الطبعة الأولى 1417/1996
© جميع الحقوق محفوظة للمؤلف

تقديم^(*)

أود التذكير في البداية بأن عددا كبيرا من تراجم أعلام المغرب — وأعلام الغرب الإسلامي عامة — يوجد في المصادر المشرقية، ولاسيما كتب الطبقات، سواء منها العامة أم الخاصة. وقد ظهر هذا بوضوح بعد أن نشر معظم هذه الطبقات، ولهذا أكتفي بالإشارة إلى بعضها على سبيل المثال، فمن كتب الطبقات المشرقية العامة: «وفيات الأعيان» لابن خلكان، و«ذيوها المتعددة»، مثل «وفات الوفيات» لابن شاكر الكتبي، و«الوافي بالوفيات» لخليل بن أيّك الصفدي و«المستوفى بعد الوافي» لابن تغري بردي، و«المقفى» للمقرئزي وغيرها.

ومن كتب الطبقات العامة أيضا «سير أعلام النبلاء» للحافظ الذهبي و«العبر في خبر من غبر» له أيضا، و«شذرات الذهب» لابن العماد الحنبلي وغيرها.

وأما كتب الطبقات الخاصة فمنها ما هو خاص بأهل علم من العلوم مثل «إنباه الرواة على أنباء النحاة» للقفطي و«إخبار العلماء بأخبار الحكماء» له أيضا، و«عيون الأنباء في طبقات الأطباء» لابن أبي أصيبعة و«غاية النهاية في طبقات القراء» لابن الجزري، وغيرها كثير، ومنها ما هو خاص بأهل قرن من القرون مثل «الدّرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة» لابن حجر العسقلاني، و«الضوء اللّامع في أعيان القرن التاسع» للسخاوي وغيرهما كثير أيضا، ومنها ما هو خاص بغير ذلك. وقد فصل الكلام في هذا من القدماء السخاوي في كتابه «التوبيخ لمن ذم التاريخ» وغيره.

وفي جميع هذه الطبقات المشرقية نجد أعلاما مغربية بنسب متفاوتة فهم يعدون بالمئات في «الوافي بالوفيات» للصفدي، وهم دون ذلك في كتب الطبقات الأخرى. وأظن أن تجريد التراجم المغربية واستخراجها من كتب الطبقات المشرقية عمل مطلوب، لأن من شأنه أن يقربها إلى الباحثين ويرزها أمام أنظارهم، وأقول — على سبيل المثال — إنه لا يخطر ببال الدارس أن يبحث عن ترجمة المولى إدريس

(*) أصل هذا التقديم مقالة منشورة في مجلة أكاديمية المملكة المغربية.

الأزهر في «معجم الشعراء» للمرزباني⁽¹⁾، وهي موجودة فيه، أو يلتمس شعر أبي الخطار أمير الأندلس في حماسة البُحتري وحماسة ابن الشجري، وهو موجود فيهما⁽²⁾. على حين أن الاهتداء إلى مثل هذا يكون سهلاً لو جُرِّدَتْ هذه التراجم وُجِّمَتْ في معجم أو معاجم خاصة بها.

وأعود بعد هذا التذكير إلى كتاب ابن الشعار الذي استخرجت منه ومن غيره هذه التراجم المغربية فأقول إن هذا الكتاب يسمى في بعض المصادر «عقود الجُمان في شعراء هذا الزمان»، وهذا هو العنوان الموجود في غلاف النسخة الخطية الوحيدة، وبهذا العنوان ذكر في «وفيات الأعيان» و«الوافي بالوفيات»⁽³⁾، وذهب ناشر الكتاب الدكتور سيزكين إلى أنه عنوان غير صحيح وأن الصواب هو ما ورد في مقدمة المؤلف إذ يقول : «وقد سُمِّت هذا الكتاب بقلائد الجُمان في فرائد شعراء هذا الزمان، أعني بذلك زماني، ومن أدركه من الشعراء عياني»⁽⁴⁾. ويذكر ابن الشعار أنه ألفه بعد انتهائه من كتابه «تحفة الوزراء» الذي ذيل به «معجم الشعراء» للمرزباني، ولما كان «الذيل» يشتمل على شعراء من قرون متعددة فقد بدا له أن يخصص «القلائد» لشعراء زمانه، وهو النصف الأول من القرن السابع الهجري، وخرج في عشرة أجزاء مرتبة على حروف المعجم، وقد ضاع منها الثاني والثامن أما الأجزاء الباقية فتحتوي على ما يقرب من ألف ترجمة، يقع بعضها في بعض الحالات في 80 صفحة، ولا يتعدى نصيب بعضها أحياناً صفحة واحدة، وتطول التراجم أو تقصر بحسب ما تيسر لابن الشعار من أخبار وأشعار لأصحابها، وهي أخبار وأشعار «التقطها من الشِّفاه وتلقفها من الأفواه» كما يقول⁽⁵⁾، ومعنى هذا أنه اعتمد كثيراً على الرواية الشفوية وهو ما نجده في معظم التراجم، ويقول ابن الشعار إنه اقتفى في تأليف كتابه أثر من تقدمه في هذا الشأن واقتدى بهم كالثعالبي في «يتيمة الدهر» والباخرزي في «دُمية القصر» والخطيري في «زينة الدهر»

(1) الوافي بالوفيات 8 : 314.

(2) الحماسة الشجرية 1 : 9.

(3) وفيات الأعيان 6 : 65، 138، 7 : 38، 93، 236، والوافي بالوفيات 1 : 54.

(4) قلائد الجمان 1 : 4.

(5) نفسه.

والأصفهاني في «خريدة القصر» وغيرهم من مؤلفي معاجم الشعراء حسب العصور.

أما عدد التراجم المغربية — بالمدلول الجغرافي الواسع لكلمة المغرب — وهو مدلول القرن السابع الهجري، فيبلغ أزيد من 60 ترجمة فيها الطوال وفيها القصار، ومنها المعروف الذي يوجد في مصادر أخرى، ومنها ما لا يوجد إلا في هذه العقود أو القلائد، وهي جميعا غنية بالأخبار المفيدة والأشعار الجديدة، والمترجمون كلهم من أهل القرن السابع الهجري وكلهم لهم أشعار، وهذا هو شرط المؤلف، وهنا نتذكر أن لابن سعيد الأندلسي كتابا خصصه لبعض شعراء المائة السابعة من المغاربة والمشاركة⁽⁶⁾، ولكنه صغير الحجم. وربما كان كتاب «الإشادة» للعزفي كذلك وهو مفقود⁽⁷⁾.

والمترجمون عند ابن الشعر ينتمون إلى مدن مغربية وأندلسية متعددة فمنهم السبتي والمراكشي والسلاوي والفاسي والقصري والآسفي والقيرواني والوهراني والبجائي والقسنطيني والزواوي والتلمساني والقرطبي والإشبيلي والغرناطي والبلنسي والمالقي والجياي والشريشي والبيغي والمريي والميورقي والبجاني، وفي هؤلاء المترجمين يهودي من أهل طليطلة، والقاسم المشترك كما يقال بينهم هو الشعر، وابن الشعر يروي أشعار بعضهم عنهم مباشرة ويروي أشعار آخرين عن مغاربة رويها عن أصحابها في بلاد المغرب قبل أن يرحلوا. وينص ابن الشعر دائما على مكان اللقاء والرواية، فهو دمشق تارة وحلب تارة أخرى ودينيسر مرة وإربل مرات، وبغداد حيناً والموصل حيناً آخر.

فقد ولد مؤلف الكتاب أبو البركات المبارك بن أحمد المعروف بابن الشعر في الموصل سنة 593هـ وتنقل بين المدن المذكورة إلى أن توفي بحلب سنة 654هـ⁽⁸⁾.

(6) هو الفصون اليانعة، في محاسن شعراء المائة السابعة، وهو مطبوع.

(7) كتاب الإشادة، بذكر المشتهرين من المتأخرين بالإجادة ألفه أبو القاسم عبد الرحمن العزفي برسم الوزير أبي عبد الله ابن الحكيم وقد نقل المقرئ شذرات منه في كتابه أزهار الرياض.

(8) انظر ترجمة ابن الشعر في معجم ابن الفوطي 5 ترجمة 485 وتاريخ إربل، ترجمة رقم 292 وانظر حاشية محقق هذا الكتاب (2 : 597-599).

لعلنا نعجب اليوم حين نرى عددا لا بأس به من أعلام الأندلس والمغرب ينتهي بهم المطاف إلى مدن نائية ويلقون عصا الترحال بهذه المدن المذكورة وغيرها في ذلكم الزمن الذي كان السفر فيه مغامرة كبرى، ولكن الشرق كانت له دائما جاذبيته، ولهذا كان مقصد المغاربة في كل العصور، ومن المعروف أن الأسباب التي كانت تدعوهم إلى الرحلة متعددة، منها ما هو ديني، ومنها ما هو علمي، ومنها ما هو تجاري، ومنها ما هو سِفاري، ومنها ما هو سياسي، ونذكر بخصوص هذا السبب الأخير أن القرن السابع الهجري كان مليئا بالأحداث الداعية إلى الهجرة سواء في الأندلس أم في المغرب، ففي الأندلس كانت تُذر السقوط بادية للعيان، وساءت الأحوال في أواخر دولة الموحدين، وقد حمل هذا أعلاما كثيرين على الهجرة إلى المشرق، وأظن أن ارتحال ابن اليسع وابن الأشيري وعبد الواحد التيمي المراكشي وغيرهم من المؤرخين الجغرافيين كان لأسباب سياسية. ولعل مما كان يشجع سفر بعض طلبة العلم إلى المشرق ما كان يتناهى إلى أسماعهم عن المدارس المعدة لسكنى العلماء والجامكيات المخصصة لنفقاتهم، وهذا يذكر في بعض التراجم التي بين أيدينا، فالحاجة كانت أيضا من بواعث الترحال، وكما يقول الشاعر :

يقيم الرجال الأغنياء بأرضهم وترمي النوى بالمقترين المراميا
وبعض هؤلاء المغتربين كانوا يحصلون على مراتب سامية ودرجات عالية لدى الناس وعند الولاة نظرا لعلمهم وكفائتهم وأمانتهم، ومعظمهم كانوا يقومون بالإقراء والتدريس والتأليف، ومنهم من عين على رئاسة المدارس والخانقاهات والبيمارستانات المنتشرة يومئذ في مصر والشام والعراق⁽⁹⁾. ويمكن القول بأن القرنين السادس والسابع الهجريين عرفا انتشارا واسعا لعلماء بلاد المغرب في المشرق، وقد بلغ هؤلاء إلى ما وراء النهر ووصلوا إلى الهند والصين وسبقوا ابن بطوطة إلى دخول تلك الأراضي النائية⁽¹⁰⁾. ومن الغريب أن أخبار التتر الخيفة

(9) من أشهر الأمثلة في هذا ولاية الحافظ أبي الخطاب ابن دحية وأخيه الحافظ أبي عمرو على دار الحديث الكاملية في القاهرة.

(10) نذكر من هؤلاء أبا الحسن سعد الخير بن محمد الأنصاري البلنسي الذي ركب البحار وقاسى المشاق ودخل الصين واشتهر بالبلنسي الصيني وبهذا كان توقيعه وقد سكن أصبهان مدة =

لم تكن تصرفهم عن وجهتهم، وقد سمي ابن الشعار بعض الذين قتلهم التتر⁽¹¹⁾، ويبدو أن من أسباب اقتحامهم تلك المخاطر الوصول إلى مواطن المدوّنين الأولين للحديث كبُخارى وقزوين ونسّا ونيسابور وترمذ وغيرها.

ويمكن القول أيضا — بالاعتماد على استقرار تراجم ابن الشعار وغيره — أن هؤلاء العلماء كان لهم أثر كبير في الحركة العلمية بالشرق لاسيما خلال القرن السابع الهجري، فابن الشعار يذكر في تراجم بعضهم أنهم حملوا معهم مؤلفات مغربية ونشروها هناك وأقرأوها، ومنها الجزولية المعروفة في النحو وألفية ابن مُعط الزواوي في النحو أيضا والشاطبية في القراءات⁽¹²⁾، وفي هذا القرن ألف ابن مالك الجيّاني في دمشق الألفية التي غطت على ألفية ابن مُعط تلميذ أبي موسى الجزولي، وسيأتي بعد هؤلاء أبو حيّان الغرناطي فيملأ الشرق نحوا ولغة وتفسيرا.

ويمكن أن نعرف مبلغ التأثير الذي كان لهؤلاء الأعلام إذا ذكرنا أن من بينهم ابن عربي الحاتمي وابن دحية وغيرهما من أمثالهما. فالفتح بن موسى بن حمّاد الذي شاهده ابن الشعار بإربل وهو من القصر الكبير — كابن رُشيد صاحب الوثريّات⁽¹³⁾ — تولى التدريس بالمدرسة النظامية على الفرق الأربع ثم فوض إليه أمر ديوانها، وكان يتقن علوماً كثيرة، وقال ابن الشعار إنه نظم «المفصل» للزنجشري و«الإشارات» لابن سينا وغير ذلك، وقد أورد بعض شعره وخطبه وهو نموذج لغيره⁽¹⁴⁾.

وقد وقعت الإشارة في بعض الكتابات إلى أن شعر المغاربة لم ينتشر في المشرق، وهذا غير صحيح، فإننا عندما نستقرئ معاجم الأعلام ومعاجم الشعر المشرقية

= وتزوج بها وولدت له بنته فاطمة وهي محدثة معروفة ثم انتهى به المطاف إلى بغداد حيث توفي سنة 541هـ، راجع التكملة رقم 2011 والذيل والتكملة 4 : 16-18. ونفع الطيب 2 : 632.

(11) في ترجمة أبي عبد الله الزهري الاشبيلي الآتية أنه استوطن بروجرد وتأهل بها وأقام هناك إلى أن دخل التتر فقتلوه في جملة من قتلوا سنة 617هـ، وفي ترجمة عبد الرحمن بن سعيد العنسي أنه قتل ببخارى حين دخلها التتر.

(12) انظر ص 105، 160 من هذا المجموع.

(13) انظر ترجمة ابن رشيد هذا في الذيل والتكملة 8 : 274-280.

(14) انظر ترجمته في هذا المجموع ص 105.

بدءاً من «يتيمة الدهر» وما تلاها، نجد أن أشعار الأندلسيين والمغاربة أيضاً رُويت وحُفظت وأثّرت تأثيراً ملحوظاً في البيئات الشعرية المشرقية خلال القرن السابع في مصر وغيرها، وهذا شيء قرره النقاد والباحث، ومنهم إحسان عباس في «تاريخ النقد العربي»⁽¹⁵⁾. وأذكر على سبيل المثال أن ابن الشعار قرّر أن ابن سناء المُلْك «عاش رجلًا مغربياً كان يتعاطى الموشح المغربي والأزجال فوقه على أسرارهما وباحته فيهما وكثر حتى انقده له في عملهما ما زاد على المغاربة حسنا واتقاناً»⁽¹⁶⁾. وقد روي عن أحد المترجمين وهو أبو الروح التاكرني شيء كثير من أشعار الأندلسيين والمغاربة⁽¹⁷⁾ وجمع بعض هؤلاء للمشاركة مختارات من ذلك في مواضيع مختلفة⁽¹⁸⁾.

ذكر ابن الشعار في ترجمة محمد بن علي البلنسي أنه لقيه بمدينة إربل وقال إنه كانت «على ذهنه قطعة صالحة من أشعار الأندلسيين». ومن تصانيفه «كتاب الروض المطور، في أوصاف الخمور، وما يتعلق بها من الشذور»⁽¹⁹⁾ ويبدو أنه خاص بأشعار الأندلسيين في هذا الموضوع.

أما أشعار المغاربة والأندلسيين الواردة في معجم ابن الشعار فإنها لو جمعت لكان منها ديوان ضخمة، وهي أشعار تتسم في جملتها بسلامة التعبير ولطافة المعاني.

وثمة طابع طبع جل شعر الأندلسيين والمغاربة الذين أقاموا في المشرق، وهو الحنين والشكوى، وقد سئل أحدهم — وهو أبو الحسن علي بن أحمد الإشبيلي المعروف بالقسطار — عن شوقه للأهل كيف هو؟ فقال:

يا سائلي كيف شوقي الأهل والوطنا هيّجت والله لي ما كان قد سكنا
كيف اشتياق غريب الدار منقطع عشرين عاماً يُقاسي غربة وضنا

(15) انظر ص 532، 578.

(16) انظر ص 181 وما بعدها من هذا المجموع.

(17) انظرها من ص 181 إلى ص 187 في هذا المجموع.

(18) ص 62 من هذا المجموع.

(19) ص 122 من هذا المجموع.

شَوْقِي إِلَيْهِمْ شَدِيدٌ لَا أَنْفِصَامَ لَهُ وَالْقَلْبُ ذُو حُرْقٍ مُذْ فَارَقَ السَّكْنََا (20)

ويبدو أن هذا الاشبيلي الذي ترك سكناً له في إشبيلية قد تزوج، ولعله طلق بعد أن ولد له، فهو يقول حين ذهب بابنه كرها إلى جدته وكان يقول له :
دعني عندك اليوم وغدا ابعثني إليهم :

لَهْفِي عَلَى الْوَلَدِ الْعَزِيزِ وَقَدْ غَدَا
وَيَقُولُ يَا مَوْلَايَ : تُسَلِّمُنِي إِلَى
مَوْلَايَ دَعْنِي عِنْدَكُمْ مُتَّعِماً
مَوْلَايَ كَيْفَ تُسَرُّ وَابْنُكَ مُوثِقٌ
فَأَجَبْتُهُ وَالْدَّمْعُ مُنْهَلٌ عَلَى
نَفْسِي فِدَاؤُكَ مِنْ أَذَى جُرْعَتِهِ
كَرَّهَا يُفَارِقُنِي إِلَى يَتِّ الْعَدَى
مَنْ لَيْسَ يَرْحَمُنِي وَيُورِدُنِي الرَّدَى
يَوْمِي، وَيَنْتَقِمُونَ مِنِّي هُمْ غَدَا
فِي أَسْرٍ بَاغِيَةً، عَلَيْهِ تَمَرْدَا
نَحْدٌ نَحِيلٌ أَصْفَرُ : نَفْسِي الْفِدَا
طِفْلاً فَسَاعَدَكَ آلِلَهُ وَأُسْعَدَا (21)

ومن أشعارهم في التغرّب قصيدة لأبي الوليد يونس بن موسى السلاوي يقول فيها :

تَغْرُبُ وَمَشِيبٌ نَازِلٌ وَأَسَى بَرَّحٌ وَفَقْدٌ حَبِيبٌ غَيْرَ مَرْدُودٍ (22)

وقد ألف أحدهم وهو أبو موسى عيسى بن سليمان المألقي كتاباً في الموضوع سماه : «كتاب الحنين إلى الأحباب والأوطان، الغالب على النفس هواه والهوى سلطان» (23). وفي وصف هذا الكتاب يقول :

هَذَا كِتَابُ قِصِّي الدَّارِ مُمْتَحِنٍ
صَبٌّ مَشُوقٍ بَرَّاهُ الْبَيْنُ فَاضْطَرَمَتْ
تَصْنِيفُ مَنْ قَرَحَتْ بِالْدَّمْعِ مُقْلَتُهُ
كَذَاكَ كُلُّ غَرِيبٍ الدَّارِ مُتَزَرِّحٍ
طَالَ الثَّوَاءُ بِأَرْضِ الشَّامِ وَاسْتَفِي
بِفُرْقَةِ الْأَهْلِ وَالْأَخْدَانِ وَالْوَطَنِ
أَحْشَاؤُهُ فَعَدَا وَالْهَمُّ فِي شَطَنِ
وَنَحْدٍ فِي الْخَدِّ سَيْلُ الْعَارِضِ الْهَتَنِ
مَا إِنْ لَهُ حَيْثُمَا قَدْ حَلَّ مِنْ سَكَنِ
مَاذَا مُنِيتُ بِهِ مِنْ غَدَرَةِ الزَّمَنِ

(20) ص 60 من هذا المجموع.

(21) ص 61 من هذا المجموع.

(22) ص 167 من هذا المجموع.

(23) ص 97 من هذا المجموع.

فَاللَّهُ يَجْبُرُ ثُكْلِي ثُمَّ يَجْمَعُنِي قَبْلَ أَلَمَاتِ بَمَنْ أَهْوَى بِلَا مَحْنٍ (24)

وذكر ابن الشعار أنه جعل هذا الكتاب في عشرين بابا. والباب الأول منها هو باب في ذم الغربة والاعتراب، وبيان كون الغريب أذل من التراب، وقد أورد له أشعارا في الاشتياق إلى شتل (25) وهو اسم ضيعة من ضياع مالقة كان بها أهله وولده. ومن أطرف ما له قوله في كلمة : غربة.

مَنْ لَمْ تَنْلُهُ غُرْبَةً أَمِنَ الرَّدى فَهَوَّ الْقَنَاةُ وَتِلْكَ حَدُّ سِنَانٍ
وَحُرُوفُهَا مِنْ كُلِّ بُوسٍ رُكِبَتْ لِتَعْمَمَ مَنْ تَغْشَاهُ بِالأَشْجَانِ
فَالْغَيْنُ مِنْ غَمٍّ وَغَيْنٍ دَائِمٍ وَالرَّاءُ مِنْ رُزْءٍ عَلَى الْأَوْطَانِ
وَالْبَاءُ مِنْ بَرْحٍ وَيَيْنٍ أَوْ بَلَى وَالْهَاءُ مِنْ هَمٍّ وَهُلْكَ دَانَ (26)

وهذا شاعر طنجي — من المغاربة الذين أقاموا بإربل — يقول متشوقا إلى بلده :

يا طَنْجَةَ جَمَعْتَ رِيماً وَغَزَلَانَا تُرَاكِ جَامِعَةً شَمْلِي كَمَا كَانَا
لَعْنُ أَنَا عِشْتُ حَتَّى تَرْتَوِي مُقْلِي مِمَّنْ أُحِبُّ بِهَا أَهْلًا وَجِيرَانَا
لَأَشْكُرَنَّ إِلَهَ الْعَرْشِ خَالِقَنَا وَأَقْطَعُ الدَّهْرَ تَسْبِيحاً وَقُرْآنَا (27)

وعلى ذكر إربل أقول إن معظم المترجمين عند ابن الشعار استقروا بهذه المدينة التي وصفها أحدهم وهو الفتح بن موسى بن حماد من مواليد القصر الكبير، وسماها جنة الدنيا، قال :

يا إِرْبِلُ مَا أَنْتِ إِلَّا جَنَّةٌ خُصِّتْ بِأَكْرَمِ جِيرَةٍ وَقَرَارٍ
لَوْ لَمْ تَكُونِي جَنَّةَ الدُّنْيَا لَمَا كَانَ السَّرَاطُ إِلَيْكَ يَتُّ النَّارِ
سُلْطَانُهَا الْمَلِكُ الْمُعْظَمُ قَدْرُهُ فِي قَلْبِ كُلِّ مُعْظَمٍ جَبَّارٍ

(24) ص 100 من هذا المجموع.

(25) ضبطت في الأصل ثلاث مرّات بضم الشين وفتح التاء مع تشديدها وفتح اللام ولم أجد لها ذكرا أو رسما فيما وقفت عليه من مصادر وخرائط ولعلها هي Sudella.

(26) ص 99 من هذا المجموع.

(27) ص 177 من هذا المجموع.

يَكْفِيهِ عِنْدَ اللَّهِ وَهِيَ عَظِيمَةٌ تَعْظِيمُ مَوْلِدِ أَحْمَدَ الْمُخْتَارِ (28)

وقد اجتذبت هذه المدينة التي لا تبعد كثيرا عن الموصل عددا من المغاربة الذين لقوا قبولا عند أهلها وحُظوة لدى سلطانها، ومن ذلك ما ذكره ابن الشعار أن أبا زكرياء يحيى الخُشني ورد إربل بعد سنة 619 هـ وعقد بها مجالس للوعظ وكان له من العامة قبول عظيم، وقد أمر العامة أن يطلبوا من السلطان أن يقيم عندهم فأجابهم إلى ذلك.

وذكر ابن المستوفي معاصر ابن الشعار وصاحبه في كتابه «تاريخ إربل» أن سلطانها كوكبري استخلص لنفسه مغربيا وبقي معه إلى أن توفي ودفن بإربل (29). ونذكر هنا أن المنصور الموحدى وفد عليه قوم من هؤلاء الأتراك فخصص لهم جامكيات كما يقول صاحب «المعجب» وولاهم على ولايات في الأندلس (30).

لقد ترجم ابن خلكان للملك كوكبري — ومعناه الذئب الأزرق — وأطنب في محاسن سيرته وذكر غرائب من أعماله في الخير والإحسان. فقد كان يفرق كل يوم قناطر مقنطرة من الخبز على المحتاجين ويوزع كذلك كساوى حسب الفصول ومعها صلوات من الدنانير وَبَنَى خَانَقَاهَاتٍ لِلزُّمَنِ وَالْعَمِيَانِ وَدَوْرًا لِلأَرَامِلِ وَدَوْرًا لِلأَيْتَامِ وَدَوْرًا لِلْقَطَاءِ رَتَبَ بِهَا الْمَرَضِعَ وَبَنَى بِيْمَارِسْتَانًا عَجِيْبًا وَخَانَقَاهَيْنِ لِلصُّوْفِيَةِ وَوَقَفَ عَلَيْهِمَا أَوْقَافًا كَثِيرَةً أَيْضًا. وأما احتفاله بالمولد الذي أشار إليه شاعرنا القصري «فإن الوصف يقصر عن الإحاطة به» كما يقول ابن

(28) ص 105 من هذا المجموع، وراجع ما قيل في مدح إربل وهجائها في معجم البلدان لياقوت، وبيت النار الوارد ذكره في الأبيات هو اسم قرية كبيرة من قرى إربل من جهة الموصل، وفي إربل يقول بعضهم هاجيا :

إِرْبِلُ دَارُ الْفِسْقِ حَقًّا فَلَا يَعْتَمِدُ الْعَاقِلُ تَعْرِيزَهَا
لَوْ لَمْ تَكُنْ دَارَ فُسُوقٍ لَمَا أَصْبَحَ بَيْتُ النَّارِ دِهْلِيزَهَا
انظر معجم البلدان.

(29) ص 177 من هذا المجموع.

(30) المعجب : 365-368.

خلكان⁽³¹⁾، وقد أطنب في وصفه. ولهذا السلطان ألف ابن دحية كتابه في المولد النبوي⁽³²⁾، ومن المعروف أن العزفيين بسبته قاموا هم أيضا فيما يقرب من هذا التاريخ بالاحتفال بالمولد النبوي⁽³³⁾.

ولعل في هذا كله ما يفسر لنا سبب إقبال المغاربة على إربل في عهد سلطانها العجيب، وقديما قال الشاعر :

يسقط الطير حيث ينتثر الحب — وتغشى منازل الكرماء
وقد خالف ياقوت الحموي ابن خلكان في نظرتة إلى سلطان إربل. فقد وصف هذه المدينة في وقته وصفا مطولا، ومما جاء في وصفه قوله : «وقصدها الغرباء وقطنها كثير منهم حتى صارت مصرا كبيرا من الأمصار». وقال في السلطان كوكبري : «وطباع هذا الأمير مختلفة متضادة فإنه كثير الظلم عسوف بالرعية راغب في أخذ الأموال من غير وجهها، وهو مع ذلك مفضل على الفقراء كثير الصدقات على الغرباء، يسير الأموال الجمة الوافرة يفتك بها الأسارى من أيدي الكفار»⁽³⁴⁾.

وأعود بعد هذا إلى تراجم هؤلاء المغاربة والأندلسيين فأقول إنها تنقسم إلى قسمين : قسم رحل إلى المشرق وأقام به وقسم آخر لم يرحل إلى المشرق ولكن أخبره وأشعاره رويت هنالك بواسطة أولئك الراحلين ومن هؤلاء على سبيل المثال الأمير أبو الربيع سليمان الموحد.

كما أن بعض هؤلاء المترجمين موجود في مصادر أخرى وبعضهم الآخر لا يوجد في أي مصدر آخر، وسأتي بنماذج محدودة، فمن النوع الثاني ترجمة لولد أبي جعفر أحمد بن عطية. ومن المعروف أن هذا الكاتب نكب في عهد عبد المؤمن وأعدم هو وأخوه عقيل وكان لهذا ثلاث وعشرون سنة ولأخيه أبي جعفر ست وثلاثون،

(31) وفيات الأعيان 4 : 117.

(32) ص 76 من هذا المجموع.

(33) البيان المغرب : 446 وأزهار الرياض 2 : 375 والدر المنظم، في مولد النبي المعظم (مخطوط).

(34) معجم البلدان (مادة إربل).

ومن جملة ما توسل به إلى عبد المؤمن في استعطافه المشهور أطفاله الذين يقول
فيهم :

وَصَبِيَّةٌ كَفَرَاخِ الْوُرْقِ مِنْ صَغِيرٍ لَمْ يَأْلُفُوا النَّوْحَ فِي قَرْعٍ وَلَا فَنٍّ (35)

ولم يتحدث أحد ممن ترجم لابن عطية عن مصير هؤلاء الصبية. وكان الظن
أن بني عطية انقضوا بموت الكاتبين المذكورين لولا أن ابن الشعار دوّن لنا ترجمة
مفيدة تدل على استمرار هذا البيت، وقد نقلها عن ابن حمويه السفير الذي له
فضل كبير في تعريف المشاركة بأدب المغاربة، قال ابن الشعار :

«أبو القاسم بن أبي جعفر ابن عطية الوزير الكاتب. حدثني شيخ الشيوخ
ابن حمويه (36) قال :

أبو القاسم هذا كان كاتباً للشيخ أبي محمد عبد الواحد بن عمر (37)، وكان
أحد أشياخ الموحدين وأركان دولتهم. رأته — يعني أبا القاسم — بمراكش وهو
يتولى أكثر أموره، إليه الترسل والإنشاء في كتابة رقاعه ودرجه، وولاية نفقات
دخله وخرجه، وهو المستولي على أمره، والمستودع لسره، وله كتابة حسنة،
ورسائل وجيزة، وأشعار يسيرة، وكان من ذوي المروءات، ومن المسارعين إلى
إغاثة الملهوف وقضاء الحاجات، وكان والده أبو جعفر وزير آل عبد المؤمن نهض
بأعباء الدولة في مبادئها، وإحكام قواعدها ومبانيها، وله الكتب البليغة في الجمع
والتأليف والاحتجاج للدولة المستقلة، والادحاض للدولة الماضية، والمبالغات في
الترغيب والترهيب، والاقتدار التام في حسن التدبير وعلى التباعد والتقريب.

وأما وَلَدُهُ هذا فهو متوسط في فنه، موافق طبقة سنه، وكانت بيني وبينه

(35) البيان المغرب — قسم الموحدين — : 60.

(36) انظر في ابن حمويه هذا نفح الطيب 3 : 99 وما بعدها.

(37) هو أبو محمد عبد الواحد بن أبي حفص عمر إيتي الذي ولاه الخليفة محمد الناصر على
إفريقية ثم ولّاه بعد ذلك ولده أبو زكرياء مؤسس الدولة الحفصية، وقد ورد ذكر أبي محمد
عبد الواحد في المصادر التاريخية كالمعجب والبيان المغرب وتاريخ الدولتين والعبر وغيرها
وترجم له التيفاشي في كتابه الدرّة الفائدة، في محاسن الأفارقة وهو مفقود الآن. ويبدو أن
استكتاب أبي محمد عبد الواحد المذكور ولد ابن عطية كان لماثة قديمة، فمن المعروف أن
أبا جعفر ابن عطية كتب أول الأمر عن أبي حفص عمر إيتي.

بمراكش مجاورة ومزاورة». ثم قال : «وأنشدني يوما لنفسه وقد جرت مفاوضة في اختيار العزلة والخمول وإيثار الانزواء فقال :

تُنَازِعُنِي النَّفْسُ أَعْلَى الْأُمُورِ وَلَيْسَ مِنَ الْعَجْزِ لَأَنْشَطُ
وَلَكِنْ بِمَقْدَارِ قُرْبِ الْمَكَانِ تَكُونُ سَلَامَةً مَنْ يَسْقُطُ»⁽³⁸⁾

فهذه ترجمة اشتملت على جملة فوائد تتعلق بابن عطية وولده، وهي تدل على أن المخزن أو الدولة لا تفرط في أبناء خدامها مهما يكن أمر آبائهم. ويدلنا شعر ولد ابن عطية على أن نكبة والده عالقة بذهنه، ولذلك كان يؤثر الخمول على الطموح. وهذه ترجمة كاتب آخر من كتاب الموحدين لا توجد في مكان آخر، وقد رواها ابن الشعار عن ابن حمويه أيضا قال :

«أبو الحسن علي بن أحمد بن فشتال الكاتب الفاضل الأديب أخبرني شيخ الشيوخ قال : «أظنه من أهل الأندلس، رأيته بمراكش وكان متعطلا عن العمل، حاليا بفضائله وإن كان في العطل، وله رسائل حسنة وألفاظ بديعة معتبرة، وكان يميل في رسائله وشعره إلى طريقة أهل المشرق»⁽³⁹⁾، وحصل من عندي كثيرا من ترسل القاضي الفاضل والعماد الكاتب وغيرهما رحمه الله، وكتب إلي بإحسان تجدد لي من السيد أبي يوسف يعقوب ابن عبد المؤمن، وهو تملك بستان بناحية أغمات»⁽⁴⁰⁾. ثم أثبت المذكور له هذين البيتين، ولعله يشير فيهما إلى إناعام الخليفة :

رَأَيْتُ بِعَيْنِي الْيَوْمَ فِي صُحُفِ الْمُنَى لِمَجْدِكَ مَا تُعْطَى مِنَ الْحِظِّ فِي غَدٍ
فَصُرْتُ أُمْنِي النَّفْسَ تَجْدِيدَ مَا عَفَا مِنْ الْعِزِّ لِي فِي عِزِّكَ أَلْمُتَجَدِّدِ»⁽⁴¹⁾

ونحن لا نعرف عن هذا الكاتب إلا ما ورد هنا نقلا عن ابن حمويه الذي زار المغرب رسولا من مخدميه صلاح الدين في عهد المنصور وبقي في المغرب فترة مكنته من تدوين رحلة ذكر فيها جملة من علماء الأندلس والمغرب لقيهم

(38) راجع ص 111 من هذا المجموع، وفي البيت الثاني إشارة إلى مثل مولد.

(39) في هذا إشارة إلى وجود طريقتين في النثر والشعر إحداهما مشرقية والأخرى مغربية.

(40) هذا يدل على عادة ملوكية مغربية وهي الإناعام على بعض السفراء ونحوهم بمثل ما ذكر هنا.

(41) راجع ص 58 من هذا المجموع.

في هذه الرحلة، وقد وقف المقرّي على هذه الرحلة ونقل عنها في «نفع الطيّب» فوائد متعددة⁽⁴²⁾، ومن جملتها فائدة تتعلّق بالكاتب المذكور أيضاً، وهي قوله : «وحدثني الشيخ أبو الحسن ابن فشتال الكاتب وقد أنشدته :
 أُوحِشْتَنِي وَلَوْ أَطْلَعْتَ عَلَى الَّذِي لَكَ فِي ضَمِيرِي لَمْ تَكُنْ لِي مُوحِشًا
 فقال : أنشدت هذا البيت في مجلس السيد أبي الحسن⁽⁴³⁾ فقال لي ولمن حضر، هل تعرفون لهذا البيت ثانياً ؟ فما فينا من عرفه، فأنشدنا :
 أُتْرَى رُشِيَتْ عَلَى أَطْرَاحِ مَوْدَتِي وَلَقَدْ عَهْدَتِكَ لَيْسَ تَثْنِيكَ الرُّشَا
 أُوحِشْتَنِي...»⁽⁴⁴⁾.

ويدل هذا الكلام على عدة أمور منها تقرير الفرق بين طريقة أهل المغرب وطريقة أهل المشرق في الترسل، ومنها عادة ملوك المغرب في إقطاع السفراء وتمليكهم أملاكاً مبالغاً في الإكرام، ومنها أخيراً المستوى الثقافي الرفيع لبعض السادة الموحدين كأبي الحسن المذكور وأبي الربيع وغيرهما. ويستفاد من النص الأخير أن الكاتب ابن فشتال كان في خدمة السيد أبي الحسن، ومن المعروف أن هذا كان والياً على تلمسان. أما ما ظنه ابن حمويه من أندلسية ابن فشتال فعلة ليس كذلك لأننا لم نجد له ذكراً في كتب التراجم الأندلسية ولأن فشتال اسم مغربي، وهو قريب من فشتالة التي ينسب إليها الفشتاليون⁽⁴⁵⁾.

ومن هؤلاء الذين انفرد بهم ابن الشعار شاعر من سلا اسمه يونس ابن موسى الأنصاري السلاوي، كان شاعراً نحويّاً فاضلاً وقد قذفته النوى إلى حَلَب فانتجع بشعره أمراء الشام، وقد أورد ابن الشعار بعض مدائحه فيهم، ويبدو أنه صارت

(42) نفع الطيب 3 : 101-111.

(43) هو السيد أبو الحسن علي بن أبي حفص عمر بن عبد المومن، له ذكر في المصادر التاريخية كالمعجب والبيان المغرب وروض القرطاس وغيرها، وخصّه ابن سعيد بترجمة لطيفة ختم بها الفصون الياضة وبدأها بقوله : «وقفت على ترجمته في معجم الشقندي ومعجم والدي ورحلة ابن حموية»، الفصون الياضة : 150-154.

(44) انظر نفع الطيب 3 : 109.

(45) منهم عبد العزيز الفشتالي وغيره من الأدباء والفقهاء الذين ينتسبون إلى قبيلة فشتالة.

له مكانة عندهم أو أنه كان فضوليا، ويبدو هذا مما رواه ابن الشعار، فقال رواية عن بعضهم :

«أنشدني أبو الوليد يونس بن موسى الأنصاري السلاوي لنفسه لما رجع الملك الظاهر غياث الدين غازي بن يوسف من محاصرة دمشق إلى حلب خائبا، وكان معه ابن الحصين الوزير، وابن أخته أبو المؤيد محمد بن الحسين الطغرائي، والقاضي بهاء الدين أبو المحاسن يوسف بن رافع بن تميم الموصلية ويعرفه الفقهاء بالأحمر، وكان الوزير ابن الحصين أجهر العينين :

قُلْ لِلْمَلِكِ الظَّاهِرِ اسْتَبْصِرْ ذُهَيْتَ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ تَشْعُرِ
بِالْأَجْهَرِ الْمَطْرُودِ مِنْ وَاسِطِ وَالْأَحْوَلِ الْمَشْوُومِ وَالْأَحْمَرِ
ثَلَاثَةً لَوْ بَرَزُوا دَفْعَةً لِلشَّمْسِ أَوْ لِلْبَدْرِ لَمْ تَظْهَرِ
لَوْ تَوَلَّى وَاحِدٌ مِنْهُمْ تَذِيرَ ذِي الْقَرْنَيْنِ لَمْ يُنْصَرَ»⁽⁴⁶⁾

وأما التراجم التي نجدتها في مصادر أخرى فإنها عند ابن الشعار متميزة ببعض الزيادات والإضافات التي لا توجد عند غيره، فمن ذلك ترجمته لابن عربي الحاتمي فقد اعتمد فيها على ما سمعه منه، سواء من أخباره أم من أشعاره، ولست متحققا الآن من استفادة الدارسين منها، ومن الجديد فيها أن الشيخ الأكبر — كما يُدعى — بدأ حياته جنديا، يقول ابن الشعار :

«وكان أهله أجنادا في خدمة المستولين على البلاد وبقي مدة جنديا ثم رجع عن الجندية في سنة ثمانية وخمسمائة، وحدثني من لفظه قال : كان سبب انتقالي عن الجندية ونبذي لها وسلوكي هذه الطريقة وميلي إليها أنني خرجت صحبة مخدومي الأمير أبي بكر بن يوسف بن عبد المؤمن بن علي⁽⁴⁷⁾ بقرطبة قاصدين المسجد الجامع، فنظرته في ركوع وسجود وخشوع كثير الابتهاال إلى الله عز وجل، فخطر في خاطري أن قلت في نفسي إذا كان هذا ملك البلاد خاضعا

(46) راجع ص 168 من هذا المجموع، وذو القرنين هنا هو الاسكندر المقدوني المشهور بفتوحاته وانتصاراته.

(47) لعلَّ السيد أبو يحيى الذي كان في التاريخ المذكور واليا على قرطبة، انظر بعض أخباره في البيان المغرب والمعجب.

متذللًا يصنع هذا بين يدي الله تعالى عز وجل فما الدنيا بشيء، ففارقته من ذلك اليوم وما عدت رأيته أبدا ثم لزمته هذه الطريقة»⁽⁴⁸⁾.

وهذا الخبر لا نجده في مصدر آخر، فقد اقتصر ابن عبد الملك في ترجمته — وهي من أوفى الترجمات — على القول بأنه «كتب بالأندلس عن بعض الأمراء، ثم تخلى عن ذلك زهدا فيه ورغبة عنه». وتفصيل هذا الجمل هو ما ورد عند ابن الشعار، وفي ترجمة أبي موسى الجزولي عند ابن الشعار نقف على أنه كان يقرض الشعر، ونجد له عنده ثمانية أبيات من نظمه أو شعره وهي :

أَقُولُ قَوْلًا مَا لَهُ مُنْكَرُ	إِلَّا أَمْرُ أَحْمَقٍ مُسْتَكْبِرُ
إِنَّ أَبَا الْعَبَّاسِ مِمَّنْ بِهِ	يُسْتَنْزَلُ الرِّزْقُ وَيُسْتَمْطَرُ
بَقِيَّةٌ مِنْ سَلَفٍ صَالِحٍ	كَانَ كَمَا كَانُوا فَمَا يَكْدُرُ
كُنْتُ لَعْمَرِي إِنْ جَرَى ذِكْرُهُ	أَظُنُّهُ مِنْ بَعْضِ مَنْ يُذَكَّرُ
وَالْيَوْمَ لَا أَرْتَابُ فِي فَضْلِهِ	صَدَقَ عِنْدِي الْخَبَرُ الْمَحْبَرُ
جَالَسْتُ مِنْهُ الشَّمْسَ فِي قَدْرِهِ	وَأُبْحُرًا فِي الْعِلْمِ لَا تُعْبَرُ
هَمَّ بَنُو الدُّنْيَا بِمَا نَالَهُ	فِي الْعِلْمِ وَالتَّقْوَى فَلَمْ يَقْدِرُوا
أَبْصَرَ مَا لَمْ يُبْصِرُوا بَعْدَمَا	شَارَكَهُمْ فِي كُلِّ مَا أَبْصَرُوا ⁽⁴⁹⁾

وهذه القطعة تكشف لنا عن رأي عالم من علماء الشريعة في عالم من علماء الحقيقة هنا هو القنجايري الصوفي المعروف الذي كان أشبه ما يكون بوزير الأوقاف في عهد المنصور، وهو الذي ذكر صاحب «المعجب» أنه أخبره — وهما بحجر الكعبة — أن المنصور لم يكن يقول بعصمة المهدي بن تومرت⁽⁵⁰⁾، ولأبي العباس هذا ترجمة مطولة في «الذيل والتكملة» وغيره⁽⁵¹⁾، وهو جد الأمراء العزفيين أولاد أبي القاسم من جهة الأم⁽⁵²⁾، فإذا أضفنا إلى هذه الأبيات الثمانية

(48) راجع ص 128 من هذا المجموع.

(49) راجع ص 103 من هذا المجموع.

(50) المعجب : 291.

(51) الذيل والتكملة 1 : 58.

(52) نفسه.

أبياتاً أخرى رواها له مشرقى آخر هو ابن خلّكان وهي هذه :
لَسْتُ لِلنَّحْوِ جِئْتُكُمْ لَا وَلَا فِيهِ أَرْغَبُ
حَلٌّ زَيْدًا لِشَأْنِهِ أَيْنَ مَا شَاءَ يَذْهَبُ
أَنَا مَا لِي وَلِإِمْرِيءٍ أَبَدَ الدَّهْرِ يَضْرِبُ⁽⁵³⁾

جاز لنا أن نزعّم أن الذي قال هاتين القطعتين لأبد أنه قال غيرهما، وما ذلك منه بغريب، فهو متمرّسٌ بتدريس الشعر وتفسيره، فقد شرح «بانت سعاد»⁽⁵⁴⁾، واختصر شرح ابن جنيّ على شعر المتنبي⁽⁵⁵⁾.

وفي ترجمة ابن دحية عند ابن الشعار أيضاً نجد إضافات كثيرة من أخباره وآثاره الشعرية والنثرية، فقد أطنب في وصف رحلته في خراسان وزياراته لإربل واتصاله بملكها كوكبري وتأليفه له «كتاب التنوير، في مولد السراج المنير»، وقد انفرد ابن الشعار برواية كلام طويل قبيح لأبي الروح التاكرني في ابن دحية لا يمكن ذكره، وهو يرجع إلى أثر المعاصرة، ويدل على المنافسات والمنافرات التي كانت تقع بين أولئك المغاربة في ديار الغربية، وقد أوصى أحدهم آخر بوصية أشار إليها بقوله :

وَأَوْصَانِي الرَّضِيِّ وَصَاةَ نُصْحٍ وَكَانَ مُهَذَّباً شَهْماً أَيّاً
بِأَنْ لَا تُحْسِنَ ظَنّاً بِشَخْصٍ وَلَا تُصَحِّبَ حَيَّاكَ مَغْرِبِيّاً⁽⁵⁶⁾

والرّضيّ المذكور هو رضي الدين الشاطبي المعروف.

ومن الإضافات التي نجدها في ترجمة أبي الربيع سليمان الموحد قسيمة لا توجد في الديوان المطبوع وهي قصيدة في مدح السيد أبي عمران الموحد⁽⁵⁷⁾ :

(53) وفيات الأعيان 3 : 490-491.

(54) نشره المستعرب الفرنسي روني باسيه عام 1910.

(55) وفيات الأعيان 3 : 489.

(56) درة الحجال 2 : 253.

(57) هو السيد أبو عمران زكرياء بن عبد المومن كان «من أولاد الخلفاء النجباء الطلبة الأدباء والخطباء الشعراء» ولي على تلمسان مدة واستخلفه أخوه على مراکش لما توجه إلى الجهاد في الأندلس سنة 566هـ وقد توفي في زمن الطاعون الذي نزل بمدينة مراکش سنة 571هـ، راجع البيان المغرب : 117، 126، 136.

لِقَاؤِكَ صَيَّرَ الْآيَّامَ عِيدَا
وَقَدْ مَسَّ النَّسِيمُ لَهَا مُلَاءً
وَزَانَ مِنَ الظَّلَامِ عُرُوسَ زَنْجٍ
فَقَالَ الْعَاقِلُونَ : أَلَمْ مُوسَى
وَكُلُّهُمْ أَثَارَ قَطَاةٍ صِدْقٍ
تَعَطَّرَ ثَرْبُ مَسْرَاهُ فَدَاسَتْ
وَهَمَّتْ أَنْ تَخِرَّ لَهُ الدَّرَارِي
وَلَوْ حُذِثَ مَطَايَاهُ ذُرُوراً
تُحْيِي مِنْ أَبِي عِمْرَانَ بَذْراً
تَأْتَتْ أَلْفَضَائِلُ فِيهِ لَمَّا
وَرَامَتْ أَنْ تَزِيدَ فِيهِ حُسْنًا
يُفْنِدُ مَنْ يَرُومُ لَهُ لِحَاقاً
وَمَا عَدِمَتْ بِهِ الْآيَّامُ شَيْئاً
لَعَلَّ مُصَيَّرَ الدُّنْيَا جَنَاناً

وَأُنْشَأَ حُسْنَهَا خُلُقاً جَدِيدَا
تَمَاسَّتِ أَلْمُنَى فِيهَا قُدُودَا
تَحَلَّتْ مِنْ كَوَاكِبِهِ عُقُودَا
وَقَالَ الْجَاهِلُ : الْعِيدُ اسْتُعِيدَا
يُقِيمُ بِهَا لِدَعْوَاهُ شُهُودَا
بِهِ الْفُرْسَانُ مِسْكَاً لَا صَعِيدَا
فَتَلْقَاهُ رُكُوعاً أَوْ سُجُودَا
وَأَرْضَاهُ حَدُونَاهُ خُذُودَا
يُلْقِي فِي مَطَالِعِهِ السُّعُودَا
أَتَاخَ اللَّهُ مِنْهُ لَهَا الْوُجُودَا
فَلَمْ يَدْعِ الْكَمَالَ لَهَا مَزِيدَا
وَيُعْذِرُ مَنْ يَبِيتُ بِهِ مَسُودَا
نُسْرُ بِهِ سِوَى الْأَيَّامِ يَبِيدَا
بِهِ يَقْضِي لَهُ فِيهَا الْخُلُودَا (58)

ومن التراجم التي انفرد فيها ابن الشعار بإضافات في الأخبار وزيادات في الأشعار ترجمة ناهض الوادي آشي، قال :

«ناهض بن إدريس الوادي آشي، ينسب إلى وادي آش من أعمال غرناطة، كان شاعر قُطْرِهِ، وأشعر من ذكر في عصره، يقول في قصر أبي يحيى :

أَلَا حَبْدَا الْقَصْرِ الَّذِي أَرْتَفَعَتْ بِهِ
هُوَ الْمَصْنَعُ الْأَعْلَى الَّذِي أَنْفَ الثَّرَى
فَأَرْكَبَ مَتْنِ النَّهْرِ عِزّاً وَرِفْعَةً
فَلَا زَالَ مَعْمُورَ الْجَنَابِ، وَبَابُهُ

عَلَى الْمَاءِ مِنْ تَحْتِ الْحِجَارَةِ أَقْوَاسُ
وَرَفَعَهُ عَنْ لُثْمِهِ الْمَجْدُ وَالْبَاسُ
وَفِي مَوْضِعِ الْأَقْدَامِ لَا يُوجَدُ الرَّاسُ
يَعَصُّ وَصَافِي أَفْقِهِ الدَّهْرُ أَغْرَاسُ» (59)

(58) راجع ص 34، 192 من هذا المجموع.

(59) راجع ص 143 من هذا المجموع، وقد وردت الأبيات أيضا في نفح الطيب 1 : 470 نقلا عن ابن سعيد قال : «ومن أبدع القصور خارج قرطبة قصر السيد أبي يحيى بن أبي يعقوب بن عبد المومن، وهو على متن النهر الأعظم تحمله أقواس، وقيل للسيد : كيف تأتقت

فهذه الترجمة وهذه القطعة تغنيان ترجمته القصيرة والوحيدة في «المغرب» لابن سعيد⁽⁶⁰⁾، وفيها قطعة من شعره غير هذه، ولا يخفى ما فيها من فائدة تاريخية وأثرية.

ومن التراجم التي لم ترد إلا عند ابن الشعار وابن المستوفى فيما يظهر ترجمة اليهودي الطليطلي يهودا الحريزي، ولا أظن أنها توجد في مصدر آخر، ونظراً لما تشتمل عليه من أخبار وأشعار فسأنقلها فيما يلي :

«يحيى بن سليمان بن شؤول أبو زكرياء الحريزي اليهودي من أهل طليطلة، كان شاعراً قوي القريحة غزير المادة، له شعر كثير في المدح والهجاء، وكان رديء اللسان خبيث الطوية، ما مدح أحداً إلا وعاد هجاءً، وصنف مصنفات باللسان العبري كثيرة منها «كتاب المقامات»، ومقامة سماها «الروضة الأنيقة» باللسان العربي، وكان ذا قدرة في الشعر، وكان يعمل قصائد أنصاف أبياتها الأول بالعبري والأنصاف الأواخر بالعربي، وكان قد طاف البلدان وجال في أقطارها ثم سكن بآخرة حَلَبَ، ولم يزل بها إلى أن مات ليلة الأربعاء لليلة بقيت من ذي القعدة سنة اثنتين وعشرين وستمائة ذكره صاحب الوزير أبو البركات المستوفى رحمة الله تعالى، وقال ورد إربل في العشر من محرم من سنة سبع عشرة وستمائة، وحدثني أن اسمه بالعبرانية يهودا وإنما نقله إلى العربية وكان طويلاً أشيب ثظاً (أي كوسجاً)، سألته عن مولده فقال عمري إلى هذه السنة خمس وخمسون سنة فانظر متى يكون مولدي، ثم حسب معي فأخطأ في تنزيله. وكان يسكن بين ظهрани الفرنج، وكلامه مغربي قريب عهد بالخروج من بلده، تراه كأنه يعتريه سهو، وكنت أخبرت بوروده، وأثنى عليه رجل من اليهود، وأنشدني قال أنشدني الحريزي لنفسه في التاريخ المتقدم ذكره :

= في بيان هذا القصر مع انحرافك عن أهل قرطبة فقال : علمت أنهم لا يذكرون واليا بعد عزله ولا له عندهم قدر لما بقي في رؤوسهم من الخلافة المروانية فأحببت أن يبقى لي في بلادهم أثر أذكر به على رغمهم» قال ابن سعيد أيضاً : «واخبرني والذي أن ناهض بن إدريس شاعر وادي آش في عصره أنشده لنفسه في هذا القصر» ثم أورد الأبيات المذكورة، وقد نزل يعقوب المنصور في هذا القصر عند حلوله بقرطبة سنة 586هـ، البيان المغرب — قسم الموحد — : 203.

أَمَّا إِنَّهُ لَوَلَا مُحَجَّجَةُ الْخِذْرِ
لَمَا فَضَحَتْ أُنْدَى الْمَدَامِعِ مِنْ سِرِّي»⁽⁶⁰⁾

وهي قصيدة في المدح تتألف من 21 بيتا، وقد أورد له بعدها 9 أبيات في مدح الملك الأشرف الأيوبي :

بِسُيُوفِ عَزَمَتِكَ الْقَضَاءُ يَصُورُ وَمَضَاءُ بَأْسِكَ فِي يَدَيْهِ نُصُورُ

وختم ترجمته بإيراد قصيدة من 27 بيتا في المدح أيضا مطلعها :

أَرْضٌ سَمَتْ غِيطَانُهَا أَغْصَانُهَا وَزَهَتْ عَلَى كُثْبَانِهَا قُضْبَانُهَا

ولما وصل أبو البركات إلى قول الحريري في القصيدة الأولى :

لَثَمْتُ بِهَا هَيْفَاءَ رِيْمِيَّةَ الطَّلَى مُدَامِيَّةَ آلَلَمَى حَبَائِيَّةَ الثَّغْرِ

قال : قال أبو البركات هذا منقول من قول المعتمد محمد بن عباد ملك الأندلس :

وَكَمْ لَيْلَةٍ قَدْ بَتُّ أَنْعَمُ جُنَحَهَا بِمُخْصِبَةِ الْأُرْدَافِ طَيِّبَةِ النَّشْرِ⁽⁶¹⁾

ويدل هذا التعليق على أمرين :

أولهما أن هذا اليهودي الطليطلي كان متشعبا بأشعار الأندلسيين.

وثانيهما أن هذه الأشعار بلغت درجة من الشهرة في المشرق بحيث يكتشف أخذها أو نقلها حسب تعبير أبي البركات. ولا أريد أن أطيل هنا بتحليل ما ورد في هذه التراجم لأني أقصد إلى إيراد النماذج.

ويمكن القول باختصار إن تراجم ابن الشعار هذه وكذلك التراجم التي ألحقها بها تخدم موضوعين كبيرين :

أولهما موضوع التواصل الأدبي بين المغرب والمشرق، وثانيهما موضوع قنوات

(60) انظر ص 148 من هذا المجموع.

(61) البيت من قصيدة المعتمد التي أولها :

أَلَا حَيَّ أَوْطَانِي بِشِلْبٍ، أَبَا بَكْرٍ وَسَلُّهُنَّ هَلْ عَهْدُ الْوِصَالِ كَمَا أَذْرِي
انظرها في قلائد العقيان وغيرها.

هذا التواصل، وأشير هنا على سبيل المثال إلى عمل رائد في هذا المجال قام به الشيخ المرحوم رضا الشيباني من خلال الخريدة للعماد الأصفهاني⁽⁶²⁾.

لقد أضفت إلى هذه التراجم المستخرجة من قلائد الجمان لابن الشعار تراجم مأخوذة من تاريخ إربل لابن المستوفي⁽⁶³⁾ وأخرى من بغية الطلب لابن العديم⁽⁶⁴⁾ ومجموعة رابعة مقتطفة من مسالك الأبصار للعمري⁽⁶⁵⁾، وجلّها تراجم جديدة أو فيها شيء جديد وهي في عمومها نماذج من التراجم المغربية التي تشتمل عليها المصادر المشرقية المتعددة، وإني أرجو أن أكون بهذا العمل المتواضع قد قربت هذه التراجم إلى القراء المغاربة الذين لا يقرأون الخطوط المشرقية التي طبع بها كتاب ابن الشعار وكتاب ابن العديم وكتاب مسالك الأبصار، والحمد لله أولاً وأخيراً.

(62) انظر دراسته : أدب المغاربة والأندلسيين في أصوله المصرية.

(63) اسم هذا التاريخ نباهة البلد الخامل، بمن ورده من الأمثال، ومؤلفه هو شرف الدين أبو البركات المبارك بن أحمد الإربلي المعروف بابن المستوفي (564-637هـ)، انظر ترجمته في وفيات الأعيان 4 : 147-152 وقد طبع الموجود من هذا التاريخ في العراق بتحقيق وتعليق سامي ابن السيد خماس الصقار.

(64) هو الكمال عمر بن هبة الله بن أبي جرادة الحلبي المعروف بابن العديم (586-666هـ)، انظر ترجمته في فوات الوفيات 2 : 200-203 ومعجم الأدباء : 2068-2091 وبغية الطلب نشرها بالتصوير فؤاد سزكين ثم أخرجها بعد ذلك سهيل زكار ولكني كنت نقلت التراجم من النشرة المصورة.

(65) هو شهاب الدين أحمد بن يحيى المعروف بابن فضل الله العمري (700-749) وكتابه مسالك الأبصار طبع كاملاً بالتصوير في 27 سفرًا ضمن المنشورات المصورة التي يصدرها فؤاد سزكين.

تراجم مغربيّة

من قلائد العقيان لابن السّغار

1 — إبراهيم بن يعقوب

أبو إسحاق الكائمي⁽¹⁾ الأديب النحوي الشاعر الأسود؛ وكان اسم بلد بنواحي غانة⁽²⁾، وهي دار ملك السودان الذين بجنوب المغرب⁽³⁾. أخبرني شيخ الشيوخ عبد الله بن عمر الجويني الدمشقي⁽⁴⁾ بها رحمه الله تعالى، قال : رأيته وقد قدم إلى مراكش في أيام السيد⁽⁵⁾ أبي يوسف يعقوب بن عبد المؤمن، ومدح كبراء الدولة واختلط بساداتهم، وارتزق وانتفع بجاهاتهم⁽⁶⁾، وكانت العجمة في لسانه، لكنه يُعرب عن شعر فصيح، ولفظ صحيح، ووزن مستقيم، ومعنى قويم، وكان يحفظ الجمل⁽⁷⁾ في النحو وكثيراً من أشعار العرب. قال : وذكر لي أنه اشتغل في بلد غانة، وتخرج بها، مع أنها بلد كُفر وجَهل، وقد تردد إلي كثيراً، وذاكرني، وجالسني إلا أنني لم أجِد في تعاليقي حين ألّفتُ هذا المجموع سوى هذا القدر الذي علّقته. فمنه قوله يمدح أبا إسحاق إبراهيم بن يعقوب⁽⁸⁾، وكان قد انقطع إليه ولأزمه، وحسده قوم من أصحابه على ذلك :

- (1) انظر دراستنا حول إبراهيم الكائمي، وهي من منشورات معهد الدراسات الافريقية بالرباط سنة 1991.
- (2) تعبير غير دقيق، وكان اسم مملكة مشهورة.
- (3) يقصد أن غانة هي عاصمة المملكة المعروفة بهذا الاسم.
- (4) ترجمته في مرآة الزمان : 748-749 وذيّل الروضتين 174 وشذرات الذهب 5 : 214 وانظر أخبار وفادته على المغرب في عهد الموحدين في نفح الطيب 3 : 99 وما بعدها.
- (5) كانت كلمة السيد في زمن الموحدين لا تطلق إلا عليهم ولكن كان حقه هنا أن يقول : الخليفة.
- (6) جمع جاهة، يقال جاه وجاهة.
- (7) كتاب الجمل للزجاجي مطبوع بتحقيق ابن أبي شنب وقد عني الأندلسيون والمغاربة بدراسته ولهم عليه شروح متعدّدة.
- (8) انظر التعريف بهذا الأمير الموحي في معلمة المغرب 1 : 94-95.

ما بَعْدَ بابِ أَبِي إِسْحَاقَ مَنَزَلَةً
 — يَسْمُو إِلَيْهَا فَتَى مِثْلِي — وَلَا شَرَفُ
 أَبْعَدَ مَا بَرَكَتْ عَنِّي بِسَاحَتِهِ
 وَصِرْتُ مِنْ بَحْرِهِ اللَّجِّي أَعْتَرِفُ
 هَمَّوا بِصُرْفِي وَقَدْ أَصْبَحْتُ مَعْرِفَةً
 فَكَيْفَ ذَلِكَ وَأَسْمِي لَيْسَ يَنْصَرِفُ ؟

يَعْنِي إِبْرَاهِيمُ⁽⁹⁾. وَقَوْلُهُ يَخَاطِبُهُ عَلَى عَادَتِهِمْ فِي الْمُخَاطَبَةِ بِلَفْظِ الْجَمْعِ⁽¹⁰⁾،
 وَيَذْكُرُ السَّوَادَ، وَأَنْشَدَهُ لِنَفْسِهِ :

سَمِعْتُ بِأَنْ تُهْدَى الطَّرَائِفُ نَحْوَكُمْ فَسُقْتُ وَلِيداً شَاعِراً، وَهُوَ أَعْجَمُ
 وَأَنَّ الْجِيَادَ الشُّقْرَ أَسْبَقُ خَيْلَكُمْ فَهَآكَ طِمِراً سَابِقاً، وَهُوَ أَذْهَمُ
 وَلَهُ يَتَغَزَّلُ وَيَذْكُرُ زَوْجَتَهُ الَّتِي زَوَّجَهَا لَهُ بَعْضُ السَّادَةِ :

غَيْرِي عَلَيْكَ يَا زَهْرَاءُ يَصْطَبِرُ لَأَنَّ صَبْرِي عَلَى ذَاكَ الْهَوَى صَبْرُ
 لَوْنِي بِلَوْنِكَ مُزْدَانٌ إِذَا اجْتَمَعَا كَمَا يَزِينُ سَوَادَ الْمُقَلَّةِ الْحَوْرُ
 وَإِنْ شَكَّكَتِ فِقَيْسِي قَيْسَ تَجْرِيَةِ فِي آخِثِبَارِكِ مَا يُنْسَى بِهِ الْخَبْرُ
 وَلَا يَسُوكِ مِنَ الْأَغْمَادِ حَالِكُهَا إِنْ كَانَ كَامِنَهَا الصَّمْصَامَةُ الذَّكْرُ

وَقَالَ : وَأَنْشَدَنِي لَهُ مُحَمَّدُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنُ خَمِيسٍ⁽¹¹⁾ :
 وَقَائِلُ : لِمَ لَا تَهْجُو ؟ فَقُلْتُ لَهُ : لَأَنْتِي لَا أَرَى مَنْ خَافَ مِنْ هَاجِي
 فَلَيْسَ ذَمُّ كِرَامِ النَّاسِ مِنْ شَيْمِي وَلَيْسَ ذَمُّ لِقَامِ النَّاسِ مِنْهَا جِي
 قَالَ : وَأَنْشَدَنِي [خِلَالَ] مُذَاكِرَةٍ [قَالَ] : لَمَّا دَخَلْتُ إِلَى السَّيِّدِ يَعْقُوبَ بْنِ
 أَبِي يَعْقُوبَ، أَنْشَدْتُ :
 أَزَالُ حِجَابَهُ عَنِّي وَعَيْنِي تَرَاهُ مِنَ الْمَهَابَةِ فِي حِجَابِ

(9) هو ممنوع من الصرف للعلمية والعجمة.

(10) انظر ما كتبه في هذا الموضوع في كتابنا : أبو المطرف ابن عميرة : 82-183.

(11) في الأعلام أكثر من واحد يعرف بابن خميس ولم أجد بينهم من ينطبق عليه الاسم.

وَقَرَّبَنِي تَفَضُّلُهُ، وَلَكِنْ بَعُدْتُ مَهَابَةً عِنْدَ اقْتِرَابِي⁽¹²⁾
وَأُنْشَدَنِي شَيْخُ الشُّيُوخِ، قَالَ : أُنْشَدَنِي الْكَانِمِي لِنَفْسِهِ مِنْ أَيْيَاتِ فِي السَّوَادِ :
بِكُلِّ لَوْنٍ يَنَالُ الْمَرْءُ سُودَدَهُ مَهْمَا تَجَرَّدَ مِنْ أَخْلَاقِهِ السُّودِ
(1 : 38-41)

2 - أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ الْوَاحِدِ

ابْنُ أَبِي الْأَصْبَغِ الْكَاتِبِ أَبُو الْعَبَّاسِ الْمَرَاكِشِيُّ اللَّخْمِيُّ الْمَعْرُوفُ بِابْنِ
الشَّرِيشِيِّ⁽¹³⁾، عَالِمٌ مُتَقَنَّ بَارِعٌ أَخَذَ فِي كُلِّ جَنْسٍ مِنَ الْعُلُومِ، كَالْفِقْهِ وَالْحَدِيثِ
وَالْأَدَبِ وَالتَّفْسِيرِ وَالطَّبِّ وَالْمَنْطِقِ وَالنُّجُومِ وَالْهَنْدَسَةِ وَالْأُصُولَيْنِ⁽¹⁴⁾ وَالْخِلَافِ،
وَلَمْ يَرِ مِثْلُهُ فِي تَفَنُّنِهِ وَكَمَالِ فَضَائِلِهِ.

خَرَجَ عَنْ وَطَنِهِ، وَنَزَلَ الدِّيَارَ الْمِصْرِيَّةَ، وَهُوَ بِهَا مُقِيمٌ يُقْرَأُ الْعُلُومُ.
أُنْشَدَنِي أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى الْمَغْرِبِيُّ الْفَقِيهَ الْقُسْطَنْطِينِي^(14م)، قَالَ :
أُنْشَدَنِي أَبُو الْعَبَّاسِ ابْنُ الشَّرِيشِيِّ لِنَفْسِهِ، وَزَعَمَ أَنَّهُ عَمِلَهَا بَدِيعَةً :
يُكَلِّفُنِي كِتْمَانَ أَمْرِ صَبَابَتِي وَفِي مُقَلَّتِي عُتْوَانَهَا وَدَلِيلُهَا
وَيَخْشَى عَلَيْهَا إِنْ شَهَرْتُ بِحُبِّهَا مَقَالَةَ أَهْلِ الْحَيِّ : إِنِّي خَلِيلُهَا
فَتَهْجُرْنِي وَالْهَجْرُ لَأَشْكُ قَاتِلِي وَإِنْ مِتُّ قَالُوا : إِنَّ هَذَا قَتِيلُهَا
وَقَالُوا : أَمَا تَشْفِي فَوَادَكَ مِنْ جَوَى وَرَوْحَكَ مِنْ بَلَوَى يُذِيبُ غَلِيلُهَا
وَأَنْتَ - كَمَا قَدْ قِيلَ - فِي الطَّبِّ أَوْحَدُ تُبَاشِرُ أَدْوَاءَ الْوَرَى وَتُزِيلُهَا
فَقُلْتُ لَهُمْ : إِنَّ الصَّبَابَةَ حُكْمُهَا - مَعَ السُّقْمِ - أَنْ لَا يَسْتَفِيقَ عَلَيْهَا

(12) ورد هذان البيتان في مصادر متعددة من بينها كتاب الاستقصا.

(13) لم أقف على ترجمته في مصدر آخر.

(14) كذا في الأصل، والمفهوم أنهما أصول الفقه وأصول الكلام.

(14م) ستأتي ترجمته في هذا المجموع (ص 125).

وَعِنْدِي إِذَا حَدَّثْتُ نَفْسِي سَلَوَةً غَرَامٌ يُنَافِيهَا وَشَوْقٌ يُحِيلُهَا
وَبَايَعْتُهَا طَوْعاً، فَلَسْتُ أُقِيلُهَا وَلَوْ أَنَّهَا جَارَتْ وَلَا أُسْتَقِيلُهَا

وقال :

يَا غَائِباً يَنْغِي بِذَاكَ تَمْنُعاً هَيْهَاتَ ! شَخْصُكَ فِي الْفُؤَادِ مُقِيمٌ
سِرٌّ حَيْثُ شِئْتَ تَكْفَلْتُ بِكَ لَوْعَةً طَيْرُ الْفُؤَادِ بِهَا عَلَيْكَ يَحُومُ

وقوله من أبيات :

عُمْرُكَ يَا ذَا النُّهَى قَصِيرٌ فَأَعْلَمُ وَإِنْ طَالَ أَوْ تَمَادَا
يَزِيدُ نَقْصاً إِنْ زِدْتَ يَوْماً وَأَنْتَ تَفْنَى بِأَنْ تُزَادَا

(1 : 206-208)

3 — أَحْمَدُ بْنُ مَسْعُودِ بْنِ مُحَمَّدٍ

أبو العباس القرطبي الخزرجي⁽¹⁵⁾. كان إماماً فقيهاً شافِعياً مدرّساً متفناً في علوم كثيرة، وله اليد البيضاء في علم الحساب والفرائض والحديث وتفسير القرآن والقراءات والكلام والأصول مع معرفته باللغة والنحو والعروض وضروب الأدب.

وصنع أرجوزة في الطب نحو ثمان مئة بيت، وصنف كتاباً آخر في الأصول نحو ثمان مئة مجلدات سماه : (تقريب المطالب والقوانين، في أصول الدين) وله كتاب في النحو، وكتاب سماه (الأخبار، في علم الأخبار)، نزل دُنَيْسِر⁽¹⁶⁾ وسكنها، وانتفع به أهلها، واستفادوا منه إلى أن توفي بها سنة إحدى وست مئة.

(15) له ترجمة في بغية الطلب لابن العديم 3 : 130 ونفع الطيب 2 : 614-615.

(16) قال ياقوت : دنيسر بضم أوله، بلدة عظيمة مشهورة من نواحي الجزيرة قرب ماردن، بينهما فرسخان. وقال ابن خلكان في الوفيات (5 : 147) : «ودنيسر : بضم الدال المهملة وفتح النون وسكون الياء المثناة من تحتها وفتح السين المهملة وبعدها راء. وهي مدينة بالجزيرة الفراتية بين نصيبين ورأس عين، تطرقها التجار من جميع الجهات وهي مجمع الطرقات، ولهذا قيل لها دنيسر، وهو لفظ مركّب عجمي، وأصله دنياسر، ومعناه رأس الدنيا».

أُنشِدْنِي أَبُو الْعَبَّاسِ لِنَفْسِهِ مِنْ أَيْيَاتٍ :
 وَقَعَ الْمَلَامُ مَوَاقِعَ الْأَشْوَاقِ فَأَصَابَ فِيكَ مَقَاتِلَ الْعُشَاقِ
 ذَكَرَ فَذَيْتِكَ يَا عَذُولَ مُعَاتِباً إِنَّ التَّذَكُّرَ رَاحَةُ الْمُشْتَاقِ

وَمِنْهَا :

جَارَتْ عَلَيْهِ الرَّاحُ، وَهُوَ مُحَادِثِي فَكَبَا، وَأَطْرَافَ الْحَدِيثِ بَوَاقِي

وَمِنْ مَدِيحِهَا :

مَا جَادَ حِرْصاً أَنْ يُقَالَ هُوَ الْجَوَا دُ، وَلَا تَوَقَّفَ خَشْيَةً الْأُمْلَاقِ
 لَكِنَّهُ يُعْطِي وَيَمْنَعُ عَالِماً بِمَوَاقِعِ الْإِمْسَاكِ وَالْإِطْلَاقِ

وَقَالَ أَيْضاً :

أَرَى نَفَحَاتِ الرُّوضِ جَاءَتْ بِرِيَّاكُمْ لَعَلَّ نَسِيمَ الرِّيحِ مَرَّ بِمَعْنَاكُمْ
 إِذَا مَا شِمَمْنَاهَا طَرِبْنَا كَأَنَّهَا نَشَاوَى فَعَلَلْنَا الْقُلُوبَ بِذِكْرَاكُمْ
 يُذَكِّرُنِي عَرَفُ الصَّبَا زَمَنَ الصَّبَا فَأَرْتَاحُ لِلذِّكْرِى ارْتِيَاجِي لِلْقِيَاكُمْ
 أَلَا ضَوَّعُوا ذَيْلَ النَّسِيمِ بِنَشْرِكُمْ وَحَيُّوا لِتُحْيُوا فِي الْهَوَى بَعْضَ قَتْلَاكُمْ
 وَإِلَّا أَتَذْنُوا لِي فِي الْكَرَى عَلَ طَيْفَكُمْ يَزُورُ، فَحَقُّ أَنْ تُعِينُوا مُعْنَاكُمْ
 تَمَثَّلْتُمْ فِي كُلِّ شَيْءٍ لِنَاطِرِي فَحَيْثُ التَّفَتْنَا أَوْ نَظَرْنَا رَأَيْنَاكُمْ
 وَكُنْتُ أُمْنِي النَّفْسَ قَبْلَ فِرَاقِكُمْ تَصْبِرُهَا عَنْكُمْ إِلَى حِينٍ لُقْيَاكُمْ
 وَلَمْ أُدِرْ أَنَّ الصَّبْرَ عَنْكُمْ يَخُونُنِي وَأَنَّ مَنِي آلَامِ أَنْ أَتَمَّنَّاكُمْ

قَالَ أَبُو الْفَتْحِ مَسْعُودُ النَّقَّاشُ (17) : أُنشِدْنِي أَحْمَدُ بْنُ مَسْعُودٍ لِنَفْسِهِ فِي يَوْمِ

الْخَمِيسِ الْحَادِي عَشَرَ مِنْ رَبِيعِ الْآخِرِ سَنَةِ سِتِّ مِئَةِ بِظَاهِرِ حَلَبَ :
 أَعَانِقُهُ غُصْنًا وَالْثُمَّةُ بَدْرًا وَأَرْشُفُ وَهْنًا مِنْ لَمَى فِيهِ خَمْرًا
 وَأَهْصِرُ مِنْهُ حِينَ تُثْبِتُهُ نَشْوَةٌ تَهَادَثَ بِهِ تَيْهًا وَمَاسَتْ بِهِ سُكْرًا
 كَتِمْتَالِ نُورٍ فِي ظَلَامٍ ذَوَائِبِ إِذَا مَا تَوَارَتْ شَمْسُهُ أَطْلَعَ الْبَدْرَا

(17) هو أبو الفتح مسعود بن أبي الفضل، يعرف بالنقاش الحلبي ويلقب بالتاج، انظر ترجمته في بغية الطلب 10 : 294.

وَمِنْهَا :

وَنَمَتْ بِنَا فِي اللَّيْلِ أَنْوَارُ وَجْهِهِ فَمَدَّ عَلَيْنَا مِنْ ذَوَائِبِهِ سِئْرًا
وَقَالَ مِنْ أَيْتَاتٍ :

رَاضٍ بِحُكْمِ هَوَاكَ وَاجِدُ فَعَلَامَ أَنْتَ عَلَيَّ وَاجِدُ
مَا كَانَ لِي ذَنْبٌ سِوَى أَنِّي سَهَرْتُ وَأَنْتَ رَاقِدُ

أُنْشَدَنِي أَبُو الْحَسَنِ عَلِيُّ بْنُ يَوْسُفَ بْنِ مُحَمَّدَ بْنِ الصَّفَّارِ الْمَارْدِيَنِي
الشَّاعِرُ (18)، قَالَ : أُنْشَدَنِي أَبُو الْعَبَّاسِ الْخَزَرَجِيُّ لِنَفْسِهِ :

وَفِي الْوَجَنَاتِ مَا فِي الرُّوضِ لَكِنْ لِرَوْثِقِ زَهْرَهَا مَعْنَى عَجِيبُ
وَأَعْجَبُ مَا التَّعَجَّبُ مِنْهُ أَنِّي أَرَى الْبُسْتَانَ يَحْمِلُهُ قَضِيبُ

وَأُنْشَدَنِي، قَالَ أُنْشَدَنِي أَبُو الْعَبَّاسِ لِنَفْسِهِ :

يَا ظَبْيَ سِنْجَارٍ (19) أَمَا تُرْثِي لِمَنْ قَدْ صَارَ مِنْ أَجْلِكَ فِي كَفِّ الْأَجَلِ
قَدْ كَانَ مَشْغُولًا بِدَرَسِ عِلْمِهِ فَالْيَوْمَ لَا عِلْمَ بَقَى وَلَا عَمَلُ

(1 : 208-211)

4 - أَحْمَدُ بْنُ يَوْسُفَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ

أَبْنُ مَرْوَانَ بْنِ عَبْدِ الْجَبَّارِ أَبُو الْعَبَّاسِ اللَّحْمِيُّ الْفَرِيَّانِي، يُنْسَبُ إِلَى فُرْيَانَةَ (20)
مَوْضِعٍ مِنْ نَوَاحِي الْقَيْرَوَانِ. أُنْشَدَنِي أَبُو مُحَمَّدَ عَبْدِ اللَّهِ وَلَدَهُ (21)، قَالَ : أُنْشَدَنِي
وَالِدِي لِنَفْسِهِ :

(18) من شعراء وكتاب عصره، انظر ترجمته وشعره مع الاحالة على مصادر ترجمته في الوافي
بالوفيات 22 : 347-351.

(19) مدينة مشهورة من نواحي الجزيرة، انظر ما قيل فيها من شعر ومن نسب إليها في معجم
البلدان.

(20) جاء في معجم البلدان : «فُرْيَانَةُ : بضم أوله وتشديد ثانيه وكسره ثم ياء مثناة من تحت،
وبعد الألف نون : قرية كبيرة من نواحي إفريقية قرب صفاقس».

(21) توجد ترجمة لمن اسمه أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن الفرياني وهو إشبيلي في الوافي بالوفيات =

أَمَّا رَجَاءُ فَاسْمٌ لَا يُبَاحُ بِهِ مَا أَقْسَمَ النَّاسُ بِالْآيَاتِ وَالصُّحُفِ
فَنُقْطَةُ الْجِيمِ مِنْ فَوْقِ أَحَقُّ بِهَا وَالرَّاءُ تُنْقَلُ بَيْنَ الْحَاءِ وَالْأَلِفِ (22)
(1 : 292-293)

5 - أَحْمَدُ بْنُ يَوْسُفَ

ابن مُحَمَّد بن عَبْد الْوَهَّاب الْقَيْسِي أَبُو مُحَمَّد الْجَبَّانِي (23)، كَانَ فِيهِ فَضْلٌ
وَأَدَبٌ، وَلَهُ شِعْرٌ حَسَنٌ، أَنْشَدَنِي الصَّاحِبُ أَبُو الْبَرَكَاتِ الْمُسْتَوْفِي رَضِيَ اللَّهُ
عَنْهُ، قَالَ : أَنْشَدَنِي مُحَمَّد بن أَحْمَد بن يَوْسُفَ، أَنْشَدَنِي وَالِدِي لِنَفْسِهِ :
الْأَحْبَابَ قَلْبِي وَالْمَزَارُ بَعِيدُ لَمَنْ يَشْتَكِي مِمَّا يَجْنُ عَمِيدُ
كَفَى حَزَنًا أَنِّي عَلَى النَّأْيِ عَنْكُمْ فَرِيدٌ عَلَى كَرِهِ الْجَلِيسِ وَحِيدُ
وَقُلْتُمْ بَأْنِي قَدْ تَسَلَّيْتُ عَنْكُمْ وَكَيْفَ وَوُدِّي لَا يَزَالُ يَزِيدُ
وَيَأْلَفُ قَلْبِي غَيْرُكُمْ، وَهَوَاكُمُ عَلَيْهِ رَقِيبٌ لَا يَزَالُ عَتِيدُ
فَمَا زِلْتُمْ مَذْ شَطَطِ الدَّارِ بَيْنَنَا يُمَثِّلُكُمْ شَوْقٌ لَدَيَّ شَدِيدُ
نَأَيْتُمْ فَبَانَ الصَّبْرُ مِنْذُ نَأَيْتُمْ وَعِنْدِي عَلَى مَا أَدْعِيهِ شُهُودُ
سَقَامٌ بِجِسْمِي لَا يَزَالُ يَشْفُهُ وَعَيْنٌ كَمَا شَاءَ السُّهَادُ تَجُودُ
ظَمِئْتُ لِلْقِيَاكُمْ فَهَاجَ تَشَوُّقِي غَلِيلٌ، وَلَكِنْ لَا يُبَاحُ وَرُودُ
(1 : 293)

= 17 : 248 كما توجد ترجمة أخرى لشاعر آخر يتوافق معه في الاسم والأب والنسب وهو
الذي يقول فيه التجاني في رحلته (83) : «ومن شعراء صفاقس أيضا ثم من الفريانيين
ورؤسائها عبد الله بن عبد الرحمن بن علي الفرياني ممن تقدم عصرنا قليلا، مولده بمالقة من
بلاد الأندلس وأبوه هو المنتقل إليها من صفاقس، له رحلة أبعد النجعة فيها شرقا وغربا».
(22) من الواضح أن البيتين في هجاء شخص اسمه رجاء، وهما كقول بعضهم فيمن اسمه رجاء
أيضا (معجم الأدباء : 284) :

أَمَّا رَجَاءُ فَأَرْجَا مَا أَمَرْتُ بِهِ فَكَيْفَ إِنْ كُنْتُ لَمْ تَأْمُرْهُ بِأَمْرٍ
بَادِرٌ بِجُودِكَ مَهْمَا كُنْتُ مُقْتَدِرًا فَلَيْسَ فِي كُلِّ حَالٍ أَنْتَ مُقْتَدِرٌ
(23) لم أقف له على ترجمة في مصدر آخر.

6 — سُلَيْمَانُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ

أَبْنُ عَبْدِ الْمُؤْمِنِ بْنِ عَلِيٍّ : الْأَمِيرُ السَّيِّدُ الْفَاضِلُ أَبُو الرَّبِيعِ⁽²⁴⁾، وَجَدَّهُ الْمُسْتَوَلِيُّ عَلَى بِلَادِ الْمَغْرِبِ⁽²⁵⁾، تُوُفِّيَ سَنَةَ تِسْعٍ وَسِتِّ مِئَةٍ. حَدَّثَنِي شَيْخُ الشُّيُوخِ أَبُو حَمُوءَ بِمَدِينَةِ دِمَشْقَ سَنَةَ أَرْبَعِينَ وَسِتِّ مِئَةٍ، قَالَ : لَمَّا وَرَدْتُ إِلَى مَرَاكُشَ كَانَ الْأَمِيرُ أَبُو الرَّبِيعِ فِي تِلْكَ الْمُدَّةِ يَلِي مَدِينَةَ سِجِلْمَاسَةَ⁽²⁶⁾ وَأَعْمَالَهَا، وَاجْتَمَعَتْ بِهِ حِينَ قَدِمَ إِلَى مَرَاكُشَ بَعْدَ وَفَاةِ السَّيِّدِ أَبِي يَوْسُفَ يَعْقُوبَ بْنِ يَوْسُفَ لِمُبَايَعَةِ وَلَدِهِ مُحَمَّدٍ، وَزُرْتُهُ فِي دَارِهِ لِعِلْمِهِ وَفَضْلِهِ، فَرَأَيْتُ شَيْخًا بَهِيَّ الْمَنْظَرِ، حَسَنَ الْمَخْبَرِ، فَصِيحَ الْعِبَارَةِ بِاللُّغَتَيْنِ، مَتَمَكِّنًا مِنَ الْبَرَاةِ وَالْبَلَاغَتَيْنِ.

بَلَغَنِي أَنَّهُ كَانَ يُمْلِي عَلَى كَاتِبِهِ الرِّسَائِلَ الصَّنِيعَةَ بِغَيْرِ تَوَقُّفٍ، وَإِذَا عَرَضَ لَهُ أَمْرٌ يَحْتَاجُ إِلَى الْخَطَابَةِ اخْتَرَعَهُ بِلَا تَكَلُّفٍ، وَكَذَلِكَ يَفْعَلُ فِي اللُّغَةِ الْبَرْبَرِيَّةِ، إِلَّا أَنِّي لَمْ أَسْمَعْهُ يَتَكَلَّمُ إِلَّا بِالْعَرَبِيَّةِ. فَمِنْ كَلَامِهِ قَوْلُهُ فِي جَوَابِ رِسَالَةٍ إِلَى مَلِكِ السُّودَانِ بِغَانَةِ وَأَعْمَالِهَا يُنْكِرُ عَلَيْهِ تَعْوِيقَ تِجَارٍ وَرَدُوا عَلَيْهِ مِنَ الْمَغْرِبِ، قَالَ لِكَاتِبِهِ : أَجِبْهُ عَنْ كِتَابِهِ، وَاكْتُبْ إِلَيْهِ فِي أَثْنَائِهِ : «نَحْنُ نَتَجَاوَرُ بِالْإِحْسَانِ، وَإِنْ تَخَالَفْنَا فِي الْأَدْيَانِ، وَتَنَفَّقَ عَلَى السَّيْرِ الْمَرْضِيَّةِ، وَنَتَأَلَّفَ عَلَى الرُّفُقِ بِالرَّعِيَّةِ، وَمَعْلُومٌ أَنَّ الْعَدْلَ مِنْ لَوَازِمِ الْمُلُوكِ فِي حُكْمِ السِّيَاسَةِ الْفَاضِلَةِ، وَالْجَوْرُ لَا يُعَانِيهِ إِلَّا النَّفُوسُ الشَّرِيرَةُ الْجَاهِلَةُ، وَقَدْ بَلَغْنَا اخْتِبَاسُ مَسَاكِينِ التُّجَّارِ، وَمَنْعُهُمْ مِنَ التَّصَرُّفِ فِي مَا هُمْ بِصَدَدِهِ، وَتَرَدُّدُ الْجَلَابَةِ إِلَى الْبِلَادِ مُفِيدٌ لِسُكَّانِهَا وَمُعِينٌ عَلَى التَّمَكُّنِ مِنْ اسْتِيطَانِهَا، وَلَوْ شِئْنَا لَخْتَبَسْنَا فِي جِهَاتِنَا مِنْ أَهْلِ تِلْكَ النَّاحِيَةِ لَكِنَّا

(24) كَانَ هَذَا الْأَمِيرُ الشَّاعِرُ مَوْضُوعَ رِسَالَةِ الزَّمِيلِ الدُّكْتُورِ عَبَّاسِ الْجَرَارِيِّ، وَعَنْوَانُهَا : الْأَمِيرُ الشَّاعِرُ أَبُو الرَّبِيعِ سُلَيْمَانُ الْمُوَحَّدِيُّ، وَقَدْ طُبِعَتْ مَرَّتَيْنِ، وَلَمْ تَكُنْ تَرْجُمَةُ ابْنِ الشَّعَّارِ مَعْرُوفَةً وَقَدْ، وَانْظُرْ كَذَلِكَ دِيْوَانَ الْأَمِيرِ أَبِي الرَّبِيعِ، وَهُوَ مَطْبُوعٌ وَدَرَّاسْتَنَا حَوْلَ ابْنِ عَبْدِ رَبِّهِ الْحَفِيدِ كَاتِبِ هَذَا الْأَمِيرِ.

(25) يَقْصِدُ عَبْدَ الْمُؤْمِنِ بْنِ عَلِيٍّ.

(25م) كَانَتْ وِلَايَةُ سِجِلْمَاسَةَ مِنْ أَهَمِّ الْوِلَايَاتِ فِي عَهْدِ الْمُوَحَّدِينَ.

(26) الْمَقْصُودُ بِاللُّغَتَيْنِ هُنَا الْعَرَبِيَّةُ وَالْبَرْبَرِيَّةُ.

لَا نَسْتَصْنِبُ فِعْلَهُ، وَلَا يَنْبَغِي لَنَا أَنْ نَنْهَى عَنْ خُلُقٍ وَنَأْتِي مِثْلَهُ وَالسَّلَامُ»⁽²⁷⁾.
 وَوَقَعَ إِلَى عَامِلٍ لَهُ كَثُرَتِ الشَّكَاوِي مِنْهُ : «قَدْ كَثُرَتْ فِيكَ الْآقْوَالُ، وَإِغْضَائِي
 عَنْكَ رَجَاءٌ أَنْ تَتَّقِظَ فَتَنْصَلِحَ الْحَالَ، وَفِي مُبَادَرَتِي إِلَى ظُهُورِ الْإِنْكَارِ عَلَيْكَ
 نِسْبَةٌ إِلَى سُوءِ الْإِخْتِيَارِ، [وَعَدَمِ الْإِخْتِبَارِ]⁽²⁸⁾ فَاحْذَرْ فَإِنَّكَ عَلَى جُرْفٍ هَارٍ».
 وَمِنْ شِعْرِهِ الْمَشْهُورِ قَصِيدَةٌ يَمْدَحُ فِيهَا السَّيِّدَ يَعْقُوبَ بْنَ يُوسُفَ، وَهُوَ ابْنُ عَمِّهِ
 وَوَلِيِّ نِعْمَتِهِ :

هَبَّتْ بِنَصْرِكُمْ الرِّيحُ الْأَرْبَعُ	وَجَرَتْ بِسَعْدِكُمْ التُّجُومُ الطَّلَعُ
فَأَمَدَكَ الرَّحْمَنُ بِالْفَتْحِ الَّذِي	مَلَأَ الْبَسِيطَةَ نُورُهُ الْمُتَشَعِّشُ
لِمَ لَا ؟ وَأَنْتَ بَذَلْتَ فِي مَرْضَاتِهِ	نَفْسًا تُفْذِيهَا الْخَلَائِقُ أَجْمَعُ
وَمَضَيْتَ فِي نَصْرِ آلِهِ مُصَمِّمًا	بِعَزِيمَةٍ كَالسَّيْفِ بَلْ هِيَ أَقْطَعُ
لِلَّهِ جَيْشُكَ، وَالصَّوَارِمُ تُنْتَضَى	وَالْخَيْلُ تَجْرِي وَالْأَسِنَّةُ تَلْمَعُ
مِنْ كُلِّ مَنْ تَقْوَى إِلَهُ سِلَاحُهُ	مَا إِنَّ لَهُ غَيْرَ التَّوَكُّلِ مَفْزَعُ
لَا يُسَلِّمُونَ إِلَى النَّوَازِلِ جَارَهُمْ	يَوْمًا إِذَا أَضْحَى الْجَوَارُ يُضَيِّعُ

يَقُولُ فِيهَا وَيَصِفُ انْهِزَامَ الْعَدُوِّ :
 إِنَّ ظَنًّا أَنْ فِرَارَهُ مُنْجٍ لَهُ
 أَيْنَ الْمَفَرُّ وَلَا فِرَارَ لِهَارِبِ
 أَخْلِيفَةُ اللَّهِ الرَّضِي هُنَيْتُهُ
 فَلَقَدْ كَسَوْتَ الدِّينَ عِزًّا شَامِخًا
 هَيْهَاتَ سِرُّ اللَّهِ أَوْدَعَ فِيكُمْ
 لَكُمْ الْهُدَى لَا يَدَّعِيهِ سِوَاكُمْ
 إِنَّ قِيلَ : مَنْ خَيْرُ الْخَلَائِقِ كُلِّهَا ؟
 إِنَّ كُنْتَ تَتْلُو السَّابِقِينَ فَأَنْمَا

فَبَجْهَلِهِ قَدْ ظَنَّ مَا لَا يَنْفَعُ
 وَالْأَرْضُ تُنْشَرُ فِي يَدَيْكَ وَتُجْمَعُ
 فَتَحْ يَمَدُّ بِمَا سِوَاهُ وَيُشْفَعُ
 وَلَيْسَتْ مِنْهُ أَنْتَ مَا لَا يُخْلَعُ
 وَاللَّهُ يُعْطِي مَنْ يَشَاءُ وَيَمْنَعُ
 وَمَنْ ادَّعَاهُ يَقُولُ مَا لَا يَسْمَعُ
 فَإِلَيْكَ يَا يَعْقُوبُ ثُومِي الْأَصْبَعُ
 أَنْتَ الْمُقَدَّمُ وَالْخَلَائِقُ تُبْعُ

(27) نقل هذا الكلام المقرئ في نفع الطيب 3 : 105 .

(28) من نفع الطيب 3 : 105 .

خُذَهَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مَدِيحَةً
فَالْمَدْحُ مِنِّي فِي عِلَاكَ طَبِيعَةً
وَاسْلَمْ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ لَأُمَّةٍ
وَعَلَيْكَ يَا عَلَمَ الْهُدَاةِ تَحِيَّةٌ
مِنْ قَلْبِ صَدِّقٍ لَمْ يَشْبَهُ تَصْنَعُ
وَالْمَدْحُ مِنْ غَيْرِي إِلَيْكَ تَطْبَعُ
أَنْتَ الْمَلَاذُ لَهَا وَأَنْتَ الْمَفْزَعُ
يَفْنَى الزَّمَانُ وَعَرَفُهَا يَتَضَوَّعُ⁽²⁹⁾

وَأُنْشَدَنِي أَبُو مُحَمَّدٍ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ يُوسُفَ الْفَرِيَّانِي⁽³⁰⁾، قَالَ :
أُنْشَدَنِي عَبْدُ الرَّحْمَنِ ابْنُ مُحَمَّدٍ الْجَزُولِيُّ^(30م)، قَالَ : أُنْشَدَنِي السَّيِّدُ أَبُو الرَّبِيعِ
لِنَفْسِهِ فِي مَدْحِ أَبِي عِمْرَانَ مُوسَى⁽³⁰⁾ :

لِقَاؤُكَ صَيَّرَ الْأَيَّامَ عِيدًا
وَقَدْ هَشَّ النَّسِيمُ لَهَا مُلَاءً
وَزَفَّ مِنَ الظَّلَامِ عُرُوسَ زَنْجٍ
فَقَالَ الْعَاقِلُونَ أَلَمْ مُوسَى
وَكُلُّهُمْ أَثَارَ قَطَاةٍ صِدْقٍ
تَعَطَّرَ ثَرْبُ مَسْرَاهُ فَدَاسَتْ
وَهَمَّتْ أَنْ تَخِرَّ لَهُ الدَّرَارِي
وَلَوْ حَذِثَ مَطَايَاهُ خُدُودًا
نُحِّيَ مِنْ أَبِي عِمْرَانَ بَذْرًا
تَأْتَتْ الْفَضَائِلُ فِيهِ لَمَّا
وَرَامَتْ أَنْ تَزِيدَ فِيهِ حُسْنًا
يُفْنَدُ مَنْ يَرُومُ بِهِ لِحَاقًا
وَمَا عَدِمَتْ بِهِ الْأَيَّامُ شَيْئًا
وَأُنْشَأَ حُسْنَهَا خَلْقًا جَدِيدًا
تَمَاسَّتِ الْمُنَى فِيهَا قُدُودًا
تَحَلَّتْ مِنْ كَوَاكِبِهِ عُقُودًا
وَقَالَ الْجَاهِلُ: الْعِيدُ اسْتُعِيدَا
يُقِيمُ بِهَا لَدَعْوَاهُ شُهُودًا
بِهِ الْفَرَسَانُ مِسْكَاً لَا صَعِيدَا
فَتَلَقَّاهُ رُكُوعاً أَوْ سُجُودًا
وَأَرْضَاهُ حَذُوءَاهُ الْخُدُودَا
مُلْقَى فِي مَطَالِيعِ السُّعُودَا
أَتَاخَ اللَّهُ مِنْهُ لَهَا الْوُجُودَا
فَلَمْ يَدْعِ الْكَمَالَ لَهَا مَزِيدَا
وَيُعْذِرُ مَنْ يَبِيتُ لَهُ مَسُودَا
تُسَرُّ بِهِ سِوَى الْأَيَّامِ يَبِيدَا

(29) القصيدة مما ينسب إليه وهي في الديوان : 20-22، ونفح الطيب 3 : 106 وقد قيلت في تهنئة الخليفة يعقوب المنصور بفتح قفصة سنة 583.

(30) هو ولد المعروف به أنفا، راجع ص 30.

(30م) لم أقف على ترجمة له.

(30) راجع الحاشية رقم 57 في التقديم.

لَعَلَّ مُصِيرَ الدُّنْيَا جِنَاناً بِهِ يَقْضِي لَهُ فِيهَا الْخُلُودَا(31)
وله :

يا سَائِلِي مَا لِي أَرَاكَ ضَعِيلاً
وَأَرَى فُؤَادَكَ مِثْلَ بَرْقٍ خَافِقٍ
هَذِي شَمَائِلُ مَنْ جَفَاهُ حَبِيبُهُ
أَيُّ وَالْعَلِيمِ بِمَا تُكِنُّ جَوَانِحِي
وَزُرِ الدِّيَارَ إِذَا وَصَلْتَ مُسَلِّماً
وَاقِرِ السَّلَامِ عَلَى الْوَفِّ(32) وَقُلْ لَهَا
قَتَلْتُهُ أَسْهَمُ لَحْظِكَ الْجَانِي فَمَا
قَالَتْ: فَسِرْ نَحْوَ الْحَبِيبِ، وَقُلْ لَهُ:
إِنِّي أَظُنُّكَ بِالْهَوَى مَشْغُولاً
وَأَرَى دُمُوعَكَ قَدْ جَرَيْنَ سُبُولاً
أَتُرِيدُ أَنْ أَمْضِيَ إِلَيْهِ رَسُولاً؟
فَاذْهَبْ — هُدَيْتَ إِلَى الرَّشَادِ سَبِيلًا
وَانْدُبْ بِهَا قَلْبِي الصَّدِيعَ طَوِيلًا
بَتَلَطُّفٍ أَخِي — فُدَيْتَ — قَتِيلًا
أَبْقَيْنَ فِيهِ سَوَى السَّقَامِ دَخِيلًا
بِي مِثْلُ مَا بِكَ فَاطْرَحْ مَا قِيلَا(33)
(3 : 75-79)

7 — سَهْلُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ أَيُّوبَ

ابن مالك أبو الحسن الأزدي العرناطي الأندلسي(34). كان من العلماء
المتفنين في عصره، الأفاضل، إماماً في البلاغة والخطابة، والشعر والكتابة، قادراً
على إنشاء الكلام نظماً ونثراً، فقيهاً مألوكي المذهب، عارفاً بأصول الدين،
وأصول الفقه مقدماً في علم الأدب والعربية، مبرزاً في علم المنطق والجدل.
أنشدني أبو الوليد إسماعيل بن عبد الله بن إسماعيل بن أحمد البلوي القضاعي
البياسي(35) في العشر الآخرة من جمادى الأولى بحلب سنة أربع وثلاثين

(31) لا توجد هذه القصيدة في ديوان أبي الربيع.

(32) ورد هذا الاسم في الديوان أكثر من مرة.

(33) انظر القصيدة بتمامها في الديوان : 58.

(34) انظر ترجمته مع الإحالة على مصادرها في الذيل والتكملة 4 : 101-124 وفي ترجمة ابن
الشعار هنا فوائد جديدة.

(35) سيأتي ذكره في ص 54.

وَسِتِّ مِئَةٍ، قَالَ : أَنُشَدَنِي أَبُو الْحَسَنِ سَهْلُ بْنُ مَالِكٍ الْغُرْنَاطِيُّ لِنَفْسِهِ فِي سَنَةِ
تِسْعٍ وَسِتِّ مِئَةٍ وَقَدْ فَارَقَ وَطَنَهُ وَنَزَلَ مَدِينَةَ سَبْتَةَ :

لَمَّا حَطَطْتُ بِسَبْتَةِ قَتَبَ النَّوَى وَالْقَلْبُ يَرْجُو أَنْ تُحَوَّلَ حَالُهُ
أَبْصَرْتُ مِنْ بَلَدِ الْجَزِيرَةِ مَكْنَسًا وَالْبَحْرُ يَمْنَعُ أَنْ يُصَادَ غَزَالُهُ
كَالشَّخْصِ فِي الْمِرَاةِ تُبْصِرُهُ وَقَدْ قَرُبْتُ مَسَافَتَهُ وَعَزَّ مَنَالُهُ⁽³⁶⁾

وَحَدَّثَنِي أَبُو مُحَمَّدٍ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ يَوْسُفَ اللَّخْمِي الْفَرِيَّانِي⁽³⁷⁾،
قَالَ : أَخْبَرَنَا أَبُو الْعَبَّاسِ أَحْمَدُ بْنُ مَسْعُودِ السَّبْتِي⁽³⁸⁾، قَالَ : كَانَ لِلْفَقِيهِ الْإِمَامِ
الْعَلَّامَةِ أَبِي الْحَسَنِ سَهْلِ بْنِ مَالِكٍ خَطِيبِ غُرْنَاطَةَ — كَلَّاهَا اللَّهُ — ابْنٌ مُذْمَنٌ
عَلَى شُرْبِ الْخَمْرِ وَتَعَشَّقَ جَارِيَةً فَكَانَ أَبُوهُ كَثِيرًا مَا يَنْهَاهُ عَنْهَا وَعَنِ الشُّرْبِ
مَعَهَا، وَهُوَ [لَا يَزْدَادُ] مَعَ ذَلِكَ إِلَّا غَرَامًا، فَلَمَّا لَمْ يُجِبْهُ إِلَى تَرْكِ مَا عَلِقَ بِهِ
مِنْ ذَلِكَ حَبْسَهُ وَقَيْدَهُ، وَبَقِيَ عَلَى تِلْكَ الْحَالِ مُدَّةً طَوِيلَةً، ثُمَّ سَرَّحَهُ بَعْدَ ذَلِكَ
لِمَوْشَحَةٍ صَنَعَهَا، وَصَنَعَ طَعَامًا، وَأَرَادَ أَنْ يَحْضُرَ أَصْحَابَهُ فَيَأْكُلُونَ ذَلِكَ الطَّعَامَ
فِي مَنْزِلِ ابْنِهِ لِيَطِيبَ قَلْبُهُ، فَتَقَدَّمَ أَبُوهُ إِلَى مَنْزِلِهِ، فَوَجَدَ الْبَابَ مَفْتُوحًا فَدَخَلَ عَلَيْهِ
فَوَجَدَهُ يَشْرَبُ مَعَ تِلْكَ الْجَارِيَةِ وَهِيَ تَسْقِيهِ بِفِيهَا خَمْرًا، فَرَجَعَ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَرَاهُ
ابْنُهُ، وَكَتَبَ إِلَيْهِ وَهُوَ لَا يَعْرِفُ اسْمَ الْجَارِيَةِ :

يَا مَنْ أَرَاعِيهِ مِلءَ عَيْنِي خَفَ وَصَلَةٌ أُغْقِبَتْ بَيْنَ
إِذَا تَمَكَّنْتُ مِنْ فُلَانَةٍ فَمَرَّةً وَائْرُكْ أَتَيْتَنِ
فَمَا سَقَتْ خَمْرَةً بِفِيهَا إِلَّا لِتَشْقَى بِسَكْرَتَيْنِ
فَكَتَبَ إِلَيْهِ ابْنُهُ :

يَا وَاحِدَ الدَّهْرِ دُونَ مَيِّنَ وَمَنْ تَحَلَّى بِكُلِّ زَيْنِ
مِثْلُكَ يَنْهَى أَخَا غَرَامٍ عَنْ وَصَلَةٍ أُغْقِبَتْ بَيْنَ ؟

(36) الأبيات أيضا في اختصار القدرح : 62 والذيل والتكملة 4 : 106 وزاد المسافر : 54 ونفح
الطيب 4 : 8.

(37) تقدم ذكره في ص 30 وص 34.

(38) لعله الذي تقدمت ترجمته ص 28.

وَقَدْ نَهَيْتُ أَلْفُؤَادَ لَكِنْ يَرْجِعُ قَلْبِي لِحُكْمِ عَيْنِي⁽³⁹⁾
قَالَ : فَسَكَتَ عَنْهُ، وَوَصَلَهُ، وَلَمْ يُعْرَضْ بِذِكْرِ الْجَارِيَةِ أَبَدًا.

(3 : 122-125)

8 — صفوان بن إدريس أبو البحر

المُرْسِي الأَنْدَلُسِي⁽⁴⁰⁾، كَانَ شَاعِرًا مُجِيدًا مُتَقِنًا كَثِيرَ الشُّعْرِ أَدِيبًا مُقْتَدِرًا
عَلَى النَّظْمِ وَالتَّنْثِيرِ وَافِرَ الْمَحْفُوظَاتِ، حَسَنَ الْمَعْرِفَةِ لَهُ رَسَائِلُ وَخُطَبٌ وَدِيَوَانٌ
مُشْتَمِلٌ عَلَى كُلِّ نَوْعٍ مِنَ الْقَرِيضِ⁽⁴¹⁾. وَكَانَ ذَا تَمَكُّنٍ مِنَ الْعُلُومِ الْأَدَبِيَّةِ،
وَأَفْرَدَ مِنْ شِعْرِهِ مُجَلَّدَةً فِي أَهْلِ الْبَيْتِ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ وَسَلَامُهُ⁽⁴²⁾. وَكَانَ

(39) لم أقف على هذه المجاوبة الشعرية في مكان آخر، ولسهل بن مالك أشعار متفرقة في الذيل
والتكملة واختصار القدح والإحاطة ونفح الطيب وغيرها. هذا وقد خلف سهل بن مالك
أولاداً وإليهم وجه الكاتب ابن الجنان تعزيتة البليغة ونعرف منهم أبا عبد الله محمد المتوفى
سنة 670هـ ولهذا ولدان ترجم لهما ابن حجر في الدرر الكامنة أحدهما أبو القاسم محمد
ابن محمد بن سهل الذي حج وطاف ببعض بلدان المشرق ومات بمصر عام 730هـ والثاني
هو أبو عبد الله محمد المتوفى بقرنطة عام 731هـ، الذيل والتكملة 4 : 108 والدرر الكامنة
4 : 178-179.

(40) توجد ترجمة صفوان بن إدريس مع الإحالة على مصادرها في الوافي بالوفيات 16 : 321
والذيل والتكملة 4 : 140-143.

(41) لا يوجد من آثاره الآن إلا كتابه زاد المسافر وبعض رسائل وأشعار متفرقة.

(42) لم يبق من هذه المجلدة بين أيدينا الآن إلا قصيدتان وردتا في كتاب أعمال الاعلام لابن
الخطيب (مخطوط خ.ح) وقطعة من قصيدة عارض بها الحريري في قوله :
خَلَّ آذَكَارَ الْأَرْبُوعِ.

ومطلع قصيدة هو :

يَا عَيْنَ سَحْيٍ وَلَا تَسْحِي وَلَوْ بِدَمْعٍ بِحَذْفِ عَيْنٍ

وهما في نفح الطيب (5 : 69-70) وتخمين قصيدة امرئ القيس :

أَلَا عِمَّ صَبَاحاً أَيُّهَا الطَّلَلُ الْبَالِي

وهو في المجموع المخطوط المحفوظ في خزانة الاسكوريال رقم 470.

قَرِيبَ الْعَهْدِ مِنْ سَنَةِ خَمْسٍ وَسِتِّ مِئَةٍ (42م) فِيمَا أُخْبِرْتُ، أَنُشِدَنِي مِنْ شِعْرِهِ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي الْعَافِيَةِ الْبَلَنْسِيُّ (43)، وَذَكَرَ لِي أَنَّهُ أَدْرَكَ آخِرَ أَيَّامِهِ، وَلَمْ يَأْخُذْ عَنْهُ شَيْئًا، وَهُوَ الْقَائِلُ :

يَا حُسْنُهُ وَالْحُسْنُ بَعْضُ صِفَاتِهِ
بَذَّرَ لَوْ أَنَّ الْبَذَرَ قِيلَ لَهُ: اقْتَرَحْ،
يُعْطِي ارْتِيَاخَ الْحُسْنِ غُصْنًا أَمْلَدًا
وَالْخَالُ تَنْقُطُ مِنْ صَحِيفَةٍ أَخَذَهُ
وَإِذَا هِلَالُ الْأُفُقِ قَابِلٌ وَجْهَهُ
مَا زِلْتُ أُخْطَبُ لِلزَّمَانِ وَصَالَهُ
غَفَلَ الرَّقِيبُ فَنِلْتُ مِنْهُ نَظْرَةً
بِتَنَا نُشْعِشِيعُ، وَالْعَفَافُ نَدِيمُنَا
وَضَمَمْتُهُ ضَمَّ الْبَخِيلِ لِمَالِهِ
حَتَّى إِذَا اغْتَلَقَ الْكَرَى بِجُفُونِهِ
عَزَمَ الْغَرَامُ عَلَيَّ فِي تَقْبِيلِهِ
وَأَبَى عَفَافِي أَنْ يُقْبَلَ ثَغْرَهُ
فَاعْجَبَ لِمُلْتَهَبِ الْجَوَانِحِ غُلَّةً
وَالْحُسْنُ مَوْقُوفٌ عَلَى حَرَكَاتِهِ
أَبْدًا، لَقَالَ: أَكُونُ مِنْ هَالَاتِهِ
حَمَلُ الصَّبَاحِ، فَكَانَ مِنْ زَهْرَاتِهِ
مَا خَطَّ جَبْرُ الصُّدُغِ مِنْ نُونَاتِهِ
عَايِنْتُهُ كَالشَّمْسِ فِي مِرَاتِهِ
حَتَّى دَنَا، وَالْبُخْلُ مِنْ عَادَاتِهِ
يَا لَيْتَهُ لَوْ دَامَ فِي غَفَلَاتِهِ
خَمْرَيْنِ مِنْ غَزَلِي وَمِنْ كَلِمَاتِهِ
أَحْنُو عَلَيْهِ مِنْ جَمِيعِ جِهَاتِهِ
وَاشْتَدَّ فِي عَضْدِي طَوْعُ سِنَاتِهِ
فَنَفَضْتُ أَيْدِي الطَّوْعِ مِنْ عَزَمَاتِهِ
وَالْقَلْبُ مَطْوِيٌّ عَلَى جَمَرَاتِهِ
يَشْكُو الظَّمَا، وَالْمَاءُ فِي لَهَوَاتِهِ (44)

وَأَنُشِدَنِي الْوَزِيرُ الصَّاحِبُ أَبُو الْبَرَكَاتِ الْمُسْتَوْفِي أَيْدُهُ اللَّهُ تَعَالَى (45)، قَالَ :
أَنُشِدَنِي أَبُو الرُّوحِ عَيْسَى بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ مُوسَى الْجَمِيرِي التَّاكُرْتِي :

(42م) ذكر ابن الأبار أنه توفي ليلة يوم الاثنين السادس عشر من شوال سنة 598.

(43) انظر ترجمته في هذا المجموع ص 122 وما بعدها.

(44) أورد ابن سعيد في المغرب أبياتا من هذه القصيدة وقال أنه كان يُغَنَّى بها في الآفاق، وقد وردت القصيدة بتمامها في الوافي بالوفيات.

(45) هو مؤلف تاريخ إربل الذي انتقينا منه بعض التراجم لهذا المجموع.

الْقُرْطُبِيُّ (46)، قَالَ : أَنُشَدَنِي أَبُو بَكْرٍ يَزِيدُ بْنُ صِقْلَابٍ الْمَرْيِيُّ الْأَنْدَلُسِيُّ (47)،
وَقَالَ : أَنُشَدَنِي صَفْوَانُ بْنُ إِدْرِيسَ لِنَفْسِهِ :

سَلَّمَ إِذْ مَرَّ بِنَا شَادِنٌ يَا لَيْتَهُ مِنْ لَحْظِهِ سَلَمًا
وَقَبْلَ الْأَصْبَعِ مِنْ نَحْوِهِ كَأَنَّهُ يَسْتُرُ عَنَّا الْفَمَا (48)

(3 : 177-170)

9 - عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُوسَى بْنِ عَبْدِ اللَّهِ

أَبُو مُحَمَّدٍ الشَّاطِئِيُّ الْبُونْتِيُّ (49)، وَبَوُتَ حِصْنُ بَشْرِقِيِّ شَاطِئَةَ (50)، كَانَ
شَاعِرًا مُتَأَدِّبًا حَافِظًا لِلْقُرْآنِ الْكَرِيمِ، فَقِيهًا عَلَى مَذْهَبِ الْإِمَامِ مَالِكِ بْنِ أَنَسٍ
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَلَهُ شِعْرٌ مَلِيحٌ.

أَنُشَدَنِي (51) أَبُو مُحَمَّدٍ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُوسَى الْبُونْتِيُّ لِنَفْسِهِ فِي أَبِي الْحَسَنِ عَلِيِّ
ابْنِ حَرْيِقٍ (52) الشَّاعِرِ يَمْدَحُهُ :

مَا حَبِيبٌ أَوْ الْوَلِيدُ (53) إِذَا مَا صُغْتُ مِنْ جَوْهَرِ الْقَرِيضِ نِظَامًا
لَمْ نَحُلْ فِي الْأَنَامِ قَبْلَكَ شَخْصًا فِكْرُهُ بِالنُّهَى يَصُوبُ غَمَامًا

(46) انظر ترجمته في هذا المجموع ص 103 وص 179.

(47) انظر ترجمته مع الإحالة على مصادرها في تحفة القادم : 178-180 وراجع أيضا كتابنا :

ابن عبد ربه الحفيد : 42-43، وستأتي ترجمته أيضا ضمن هذا المجموع ص 168.

(48) أوردهما الشاعر في كتابه زاد المسافر بعد قول سهل بن مالك في آخر قطعة له :

وَأَوْمًا لِتَوْدِيعِي بَلْثَمِ بَنَانِهِ فَلَمْ أَذِرْ هَلْ أَوْمًا بِهَا أَمْ نَحْتَمَا

(49) لم أقف له على ترجمة له في مصدر آخر.

(50) راجع في البونت المغرب لابن سعيد ومعجم البلدان والروض المعطار.

(51) المتحدث هو ابن الشعار.

(52) ستأتي ترجمة ابن الشعار له في هذا المجموع ص 53.

(53) يقصد أبا تمام والبحثري.

إِنَّمَا أَنْتَ فِي الْبَلَاغَةِ فَذُ وَأَرَى مَنْ سِوَاكَ فِيهَا تَوَامَا (54)
لَكَ فِي الْكَيْمِيَاءِ سِرٌّ عَجِيبٌ فَتٌ فِيهِ الْوَرَى فَصِرَتْ إِمَامَا
تَنْفُتُ الْقَوْلَ مِنْ جَنَانِكَ سِحْرًا يَسْتَفِزُّ الْحَجَا فَيُدْعَى كَلَامَا
(277 : 3)

10 — عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْلَمَةَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ أَبُو مُحَمَّدٍ الشَّاطِئِي (54م)

كَانَ مِنْ أَعْيَانِ أَهْلِ شَاطِئَةِ وَفَضْلَائِهَا الْمُشْتَهَرِينَ بِالْفَضْلِ وَالْآدَابِ، شَاعِرًا
فَقِيهًا مُتَرَسِّلًا.

أُنْشَدَنِي (55) عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْلَمَةَ لِنَفْسِهِ فِي عَامِلٍ جَائِرٍ لَهُ وَلَدٌ جَمِيلٌ حَسَنُ
الصُّورَةِ :

عَدَا جَوْرُ مُوسَى وَجَوْرُ آيْنِهِ عَلَى كُلِّ خَلْقٍ بَدَا أَوْ حَضَرَ
فَهَذَا يَجُورُ بِسُمْرِ الْبِرَاعِ وَهَذَا يَجُورُ بِبَيْضِ الْحَوْرِ
وَأُنْشَدَنِي — قَالَ — لِنَفْسِهِ :

أَشْبَهْتُ وَجْهَكَ الْغَزَالَةَ حُسْنًا وَحَكَكَ الْغَزَالَ طَرْفًا وَلَيْتَا (56)
وَوَلَيْتُ الْجَمَالَ مَلَكًا عَظِيمًا فَتَوَلَيْتُ مُعْرِضًا إِذْ وَلَيْتَا
(278-277 : 3)

(54) أي توأما.

(54م) لعله المذكور في تحفة القادم : 239.

(55) المتحدث هو ابن الشعار أيضا.

(56) الليت — بكسر اللام — : صفحة العنق.

11 - عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنِ يَخْلِفَتْنِ

ابن أحمد أبو زيد الفازاري المغربي⁽⁵⁶⁾ الساكن بمدينة مراکش، فاضل عالم مُقدّم في الأدب، كبير المحل في الفضل، شاعر مُتقدّر على الكلام، صاحب فصاحة في الإنشاء، نزل مراکش، وتقدّم عند مليكها، وحظي لديه، وقلده الوزارة وكتابة الإنشاء⁽⁵⁷⁾. وله شعر كثير في كل نوع⁽⁵⁸⁾. أنشدني أبو القاسم عبد الرحيم بن أحمد بن علي بن طلحة الأنصاري السبتي⁽⁵⁹⁾ بمدينة إربل في أواخر ذي الحجة سنة ثلاثين وست مئة، قال : أنشدني الوزير أبو زيد عبد الرحمن الفازاري لنفسه :

أزید اشتیاقاً کُلّما زدتني بعداً
وتشفّع عندي في صدودك لوعة
وما مرّ يوم من شديد مودتي
كان الهوى جسم ثوى بين أضلعي
أرى نار إبراهيم بين جوانحي
وما جزعي للموت إلا لعلّة
عجبت لأهل الوجد ماثوا بوجدهم
فلو أن من أهواه في علم من مضى
ولا مشّت الخنساء تسحب ذيلها
وآلف وُجداً حين أطرح الوجد
تجاذبني لا أستطيع لها رداً
- وحقك - إلا زدت في عده وداً
فضمّ عليه الشوق من جسدي برداً
تشبّ، ولكن لا سلاماً ولا برداً
إذا لم تقرّ العين لا تشمت الأعدا
وما اعتنقوا غصناً ولا ارتشفوا شهداً
لما عُشقت لُبني، ولا مُدحت سعادتي
ولا علقت عفراء في جيديها عقداً

(56) ترجمته في الوافي 18 : 302-303 مع الإحالة على مصادر أخرى في الحاشية. ويبدو من نسبة المترجم الفازانية أنه مغربي ولكن ابن الأبار عدّه في الأندلسيين، وذكر ابن عبد الملك أخاه أبا عبد الله في قسم الغرباء عن الأندلس ولعله ذكره فيهم كذلك، انظر أيضاً الذيل والتكملة 8 : 362-364 وقد عدّه مؤلف المفاخر من أعلام البربر.

(57) الملك المشار إليه هو أبو العلاء إدريس بن المنصور الملقب بالمامون.

(58) للمترجم أشعار وموشحات في أغراض مختلفة، وقد انصرف في آخر حياته إلى القول في الزهد والتوسل والمدح النبوي.

(59) انظر ترجمة والده في الذيل والتكملة 1 : 377.

إِذَا ظَفَرْتُ عَيْنَايَ مِنْكَ بِنَظْرَةٍ فَقَدْ مُلِئْتُ عِزًّا وَجَاوَرْتُ الْخُلْدَا(60)
(3: 359-361)

12 — عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَلِيٍّ

أَبْنُ يَحْيَى بْنِ خَالِدِ بْنِ عِمْرَانَ الْأُمَوِيِّ الْغُمَارِيِّ السَّبْتِيُّ(61). وَمَوْلَدُهُ فِي
شَوَّالِ سَنَةِ تِسْعٍ وَثَمَانِينَ وَخَمْسٍ مِئَةٍ بِبَادِيَةِ سَبْتَةَ. الْفَقِيهُ الْمَالِكِيُّ الْمُدْرِسُ
الْمُفْتِي، تَفَقَّهُ بِفَاسٍ وَبِهَا تَأَدَّبَ عَلَى الْأُسْتَاذِينَ: ابْنِ رَيْدَانَ وَابْنِ خُرُوفٍ(62)،
الْأَدِيبُ النَّحْوِيُّ، وَبِالدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ وَبِغَدَادَ وَالشَّامِ. وَسَمِعَ الْبُخَارِيَّ وَالْمُوطَّأَ
وَالسُّنَنَ(63) وَمُسْلِمَ بَفَاسٍ، وَتَفَقَّنَ فِي عُلُومِ شَيْءٍ مِنَ الْأَصُولَيْنِ وَالْخِلَافِ
وَالْحِسَابِ وَالْفَرَائِضِ وَعُلُومٍ أُخْرَى. وَقِيلَ: إِنَّهُ اسْتَظْهَرَ ثَلَاثِينَ أَلْفَ بَيْتٍ مِنَ
الشُّعَارِ الْعَرَبِيَّةِ. فَمِنْ شِعْرِهِ:

وَافَى بَلِيلٍ، وَلَيْلُ الشُّعْرِ سَاتِرُهُ	ظَبِّي غَرِيرٌ غَضِيضُ الطَّرْفِ فَاتِرُهُ
عَلَى قَوَامٍ يَكَادُ اللَّيْنُ يَمَحَقُهُ	لَوْلَا الْكَيْبُ الَّذِي ضَمَّتْ مَازِرُهُ
حُلُوُ الشَّمَائِلِ مَكْحُولٌ مَدَامِعُهُ	وَلَمْ تُغْمَضْ عَلَى كُحْلِ نَوَاطِرُهُ
كَغَرَّةِ الْبَدْرِ إِشْرَاقًا مَحَاسِنُهُ	وَلَمَحَةِ الْبَرْقِ إِيمَاضًا سَوَافِرُهُ
إِذَا دَنَا فَسُيُوفُ الْهِنْدِ نَابِيَةٌ	[تَنْبُو السُّيُوفُ] وَلَا تَنْبُو بَوَاتِرُهُ
وَأَنْ سَطَّتْ فَعَلَى الْأَجْسَادِ سَطَوُوتُهَا	وَسَيْفُهُ فِي صَمِيمِ الْقَلْبِ شَاهِرُهُ

(60) لم أقف على هذا الشعر في غير هذا المصدر.

(61) لم أقف على ترجمة له في مصدر آخر.

(62) ابن ريدان هو أبو محمد عبد العزيز بن علي السَّمَايَ القرطبي. له ترجمة في التكملة رقم
1769 وصلة الصلة 3 : 250 (ط. 1993) والوافي بالوفيات 18 : 530-531 وغاية
النهاية 1 : 395 وبغية الوعاة : 308 ونفح الطيب 2 : 634.

وابن خروف هو أبو الحسن علي بن محمد شارح الكتاب وترجمته — مع الإحالة على
مصادرهما — في الذيل والتكملة 5 : 319-323، وستأتي ترجمته ضمن هذا المجموع ص 63.

(63) يقصد بالسَّن هنا سنن النسائي.

كَأَنَّمَا بَابِلٌ مِنْ سِحْرِ مُقْلَتِهِ
كَأَنَّ فَاحِمَهُ — وَالطَّيْبُ غَامِرُهُ —
تُقْبَلُ الْأَرْضُ مِنْ أَجْلَالِ سَاحِبِهِ
وَوَجْتَتَاهُ كَرَوْضِ الْوَرْدِ بَاكِرِهِ
وَالثَّغَرُ كَالدَّرِّ لَا بَلَّ مِنْ مَلَاَحَتِهِ
وَالرَّيْقُ كَالشَّهْدِ أَوْ طَعْمِ الْعَقَارِ إِذَا
لَو أَنَّ مَنْ فِي حَبِيسِ الدَّيْرِ أَسْمَعَهُ
أُورَا مَيْتًا، وَذَاكَ الْمَيْتُ فِي كَفَنِ

وَأُنْشِدْنِي لِنَفْسِهِ فِي الْحُمَى :

سَرْتُ كَالْخِيَالِ، لَا حَسِيسٌ وَلَا تَبْحُ
وَقَدْ سَمَحْتُ بِالْوَصْلِ وَالصَّبْحُ مُسْفِرٌ
وَأَلَقْتُ عَصَاهَا وَاسْتَقَرَّتْ بِهَا النَّوَى
تُعَانِقُنِي بِالرُّغْمِ لَا عَنْ مَوَدَّةٍ
وَقَدْ صَارَ وَصْفِي الْخَفْضُ وَالضَّمُّ وَصْفُهَا
وَأَصْبَحْتُ مَنكُوحًا لَهَا، وَهِيَ نَاكِحٌ
أَجَازَتْ نِكَاحَ الْعَهْرِ مِنْ غَيْرِ شِرْعَةٍ

وَأُنْشِدْنَا لِنَفْسِهِ :

عَبْتُ النَّسِيمُ بِيَانِهِ وَبَهَارِهِ
وَجَلَا عُرُوسًا طَيْبَهَا وَحُلِيِّهَا
فَسَوَّارَهَا وَعُقُودَهَا وَحُجُولَهَا
مِنْ أَحْمَرِ شَرْقٍ وَأَبْيَضِ نَاصِعٍ
مِنْ تَرْجَسٍ وَشَقَائِقٍ وَبَنَفْسَجٍ

أَوْ قَدْ حَشَاَهَا بِهِ هَارُوثُ سَاحِرُهُ
رِيشُ الْغُرَابِ إِذَا التَّفْتُ غَدَائِرُهُ
إِذَا تَعَثَّرَ فِيهِ وَهُوَ نَاشِرُهُ
طَلَّ فَلَمْ يَعُدْ أَنْ وَافَتْ بِشَائِرُهُ
الدَّرُّ النَّفِيسُ إِذَا مَا عُدَّ فَاحِرُهُ
مَا عَاقَرَ اللَّبَّ يَوْمًا فَهُوَ عَاقِرُهُ
مِنْهُ حَدِيثًا لِأَضْحَى وَهُوَ آسِرُهُ
فِي قَعْرِ لَحْدٍ لِأَمْسَى وَهُوَ نَاشِرُهُ

فَوَافْتُ فِرَاشِي عِنْدَمَا اتَّضَحَ الصُّبْحُ
وَنَجْمُ الشَّمَالِ طَاحَ مِنْ كَفِّهِ الرُّمَحُ
وَحَلَّتْ بِجِسْمِي فَاسْتَبَانَ لَهَا الرِّيحُ
عِنَاقًا يُرَى كَالذَّبْحِ أَوْ دُونَهُ الذَّبْحُ
وَلَمْ يَقْتَرِبْ مِنَّا سُكُونٌ وَلَا فَتْحُ
وَيَا مَنْ رَأَى أَتْنَى يَكُونُ لَهَا نَكْحُ
كَفَعِلِ النَّصَارَى لَا طَلَاقٌ وَلَا صَلَاحُ (64)

وَاسْتَقَطَرَ الْكَافُورُ مِنْ نُوَّارِهِ
مِنْ مُزْنِهِ وَرَبِيعِهِ وَقُطَارِهِ
وَبَزِيمُهَا مِنْ رَاحَتِي آذَارِهِ
ظَهَرَتْ صِفَاتُ الْحَقِّ فِي أَنْوَارِهِ
تَجَلُّوْا ثِيَابَ الْعُجْبِ مِنْ أَرْهَارِهِ

(64) من أشهر ما قيل في الحمى المتنبي التي أولها :

وزائرتي كأن بها حياءٌ فليس تزور إلا في الظلام
وأبيات المتنبي هي هذا حدوها هذا الشاعر الأندلسي.

وَالْيَاسَمِينَ بِهَا إِلَى تُلُوفٍ
 عَرَسَ جَنَّتْ ثَمَرَ السُّرُورِ شُهُودُهُ
 فَالْمِسْكُ وَالْجَادِي مِنْ مَشْمُومِهِ
 وَغَدَا بِهِ الشُّخْرُورُ يُنْشِدُ مُغْرِباً
 يَشْدُو عَلَى غُصْنِ الْأَرَاكِ تَعَجُّباً
 حَتَّى بَكَى قُمْرِيَّةً لِلْبُعْدِ عَنْ
 فِكْكِ قَطْرِ جَنَّتْ مِنْ أَقْطَارِهِ
 وَتَرَى الْحَبَابَ عَلَى الْجَدَاوِلِ مَائِساً
 يَجْلُو عَلَيْنَا الرَّاحَ أُخُورُ شَادِنٌ
 فَالْمِسْكُ مِنْ أَنْفَاسِهِ وَكَأَنَّهَا
 بَذَرٌ يَرَى بَذَرَ الدُّجَى مِنْ دُونِهِ
 لَا تَهْتَدِي إِنْ تَغْلِقَ الشَّمْسُ الْمُنِي—
 وَالْفِكْرُ إِمَّا قَامَ بَيْنَ ثِيَابِهِ
 فَالرِّيُّ كُلُّ الرِّيِّ فِي أُرْدَافِهِ
 يَفْتَرُّ عَنْ بَرْدٍ نَضِيدٍ نَظْمُهُ
 فَأَفَادَهُ فَالسَّيْفُ يَقْصُرُ فِعْلُهُ
 فَمَحَا بِهِ حَتَّى إِذَا وَخَطَ الدُّجَى
 قَرَمَى بِسَهْمٍ مَا تَكَامَلَ نَزْعُهُ
 وَمَضَى هَزِيعُ اللَّيْلِ يَنْهَضُ خَلْفَهُ
 فَجَلَا أَدِيمَ اللَّيْلِ عَنْ شَمْسِ الضُّحَى
 حَتَّى إِذَا طَلَعَتْ بِغُرَّةٍ أَيْكِهِ

تَرْنُو لَوَاحِظُهُ عَلَى أَنْهَارِهِ
 لَمَّا تَشَابَهَ لَيْلُهُ بِنَهَارِهِ
 وَالْدُّرُّ وَالْيَاقُوتُ بَعْضُ نَشَارِهِ
 بِلُحُونِهِ مَا رَقَّ مِنْ أَشْعَارِهِ
 مِنْ صَوْتِهِ وَمُجَاوِباً لِهَزَارِهِ
 مَعشُوقِهِ أَوْ إِفْهِ أَوْ جَارِهِ
 دَاوُودَ مُعْتَكِفاً عَلَى مِزْمَارِهِ
 فِعْلَ الْمُتَمِّمِ مِنْ شَذَا أَطْيَارِهِ
 طَلَعَتْ شُمُوسُ الْحُسْنِ مِنْ أَرْزَارِهِ
 مِنْ طَيْبِهَا وَقَفَّ عَلَى أَغْصَارِهِ
 بِأَفْوَالِهِ وَكُسُوفِهِ وَسِرَارِهِ
 رَأَتْ مِنْ مَلَاَحَتِهِ بِذَيْلِ غُبَارِهِ
 مُسْتَغْرِقٌ عَنْ حَمَرِهِ بِخِمَارِهِ
 وَالْمَجْدُ بَيْنَ نِطَاقِهِ وَإِزَارِهِ
 كَالْبَرْقِ حَالٍ وَمِیْضِهِ وَمَطَارِهِ
 حَالِ الضَّرِيَّةِ عَنْ مَجَالِ شِعَارِهِ
 بِالشَّيْبِ فَوْقَ جَبِينِهِ وَعِذَارِهِ
 حَتَّى أَصَابَ الْقَلْبَ فِي أَغْشَارِهِ
 جَيْشُ الصَّبَاحِ فَعَاثَ فِي أَقْطَارِهِ
 فَمَحَا بِهِ مَا اخْتَطَّ مِنْ آثَارِهِ
 شَمْسُ الضُّحَى أَخَذَ النَّهَارُ بِثَارِهِ
 (3 : 506-510)

13 - عَبْدُ السَّلَامِ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ

ابن يوسف أبو محمد الفرياني⁽⁶⁵⁾، من أهل المغرب، حَدَّثَنِي الصَّاحِبُ أَبُو
الْبَرَكَاتِ الْمُسْتَوْفِي⁽⁶⁶⁾ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بِإِزْبِلَ، قَالَ : كَانَ أَبُو مُحَمَّدٍ يَنْسَخُ
وَيَكْتُبُ وَاضِحاً، قَدِمَ إِزْبِلَ غَيْرَ مَرَّةٍ، وَتُوُفِّيَ بِهَا سَنَةَ أَرْبَعٍ وَسِتِّ مِئَةٍ، وَأُخِذَ
عَامِلُ التَّرِكَاتِ تَرِكَتَهُ⁽⁶⁷⁾. وَكَانَ شَاعِراً قَصَدَ بِشِعْرِهِ الْمُلُوكَ، أَنْشَدَنِي رَحِمَهُ
(اللَّهُ) لِنَفْسِهِ فِي شَهْرِ رَجَبٍ مِنْ سَنَةِ ثَمَانٍ وَتِسْعِينَ وَخَمْسٍ مِئَةٍ بِإِزْبِلَ، وَهِيَ
أُولَى قَدَمَاتِهِ :

<p>رُوَيْدَكَ أَيُّهَا الرِّشَاءُ الْغَرِيرُ وَبَرِّدْ يَا فَدَيْتَكَ حَرٌّ وَجَدِي أَمَّا إِنْ آنَ أَنْ تُرْثِي فَتُخَيِّي إِذَا جَنَّ الدُّجَى جُنَّ اشْتِيَاقاً حَكَى يَعْقُوبَ فِيكَ أَسَى وَوَجْداً وَأَقْسَمَ لَا يَذُوقُ النَّوْمَ حَتَّى فَوَالْهَيْفَى عَلَى زَمَنِ تَقْضَى سَقَى صَوْبُ الْعَهَادِ عُهُودَ لَهْوٍ دِيَارُ لِلْفُؤَادِ بِهَا غَرَامُ قَضَى صَرَفُ الْقَضَا عَنْهَا بَصْرُفٍ تُرَى الْأَيَّامُ تَسْمَحُ وَاللَّيَالِي فَقَدْ ضَاقَ الصَّعِيدُ عَلَيَّ حَتَّى</p>	<p>فَكَمْ أُغْرَى بِغُرَّتِكَ الْغُرُورُ بِوَصْلِكَ إِنْ هَجَرَكَ لِي هَجِيرُ قَتِيلَ هَوَى رِضَاكَ لَهُ نُشُورُ فَلَيْسَ سِوَى النُّجُومِ لَهُ سَمِيرُ إِلَى أَنْ جَاءَ يُنْذِرُهُ النَّذِيرُ يَجِيءُ بِثُوبِ يُوسُفَهِ بِشِيرُ⁽⁶⁸⁾ وَعُصْنُ شَبِيئَتِي غَضُّ نَضِيرُ عَهْدَانَاهَا وَعَاهَدَهَا السُّرُورُ مُقِيمٌ مَا لَهُ عَنْهَا مَسِيرُ وَلِلْأَقْدَارِ أَحْكَامُ تَجُورُ فَيَقْضَى لِي إِلَى مِصْرٍ⁽⁶⁹⁾ مَصِيرُ كَأَنِّي بَيْنَ أَسْرَتِهِ أُسِيرُ (3 : 524-525)</p>
--	---

(65) نسبة إلى فريانة وقد تقدم ذكرها.

(66) هو مؤلف تاريخ إربل وغيره، ولا توجد ترجمة المذكور هنا في الموجود من تاريخ إربل.

(67) عامل التركات هو صاحب المواريث في اصطلاح المغاربة.

(68) من الواضح أنه يشير إلى ما ورد في سورة يوسف وقوله تعالى : ﴿فَلَمَّا أَنْ جَاءَهُ الْبَشِيرُ
أَلْقَاهُ عَلَى وَجْهِهِ فَارْتَدَّ بَصِيرًا﴾.

(69) المقصود بمصر القاهرة.

14 — عَبْدُ الْمُنْعِمِ بْنُ عُمَرَ

أَبْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ خَضِرٍ بْنِ مَالِكٍ بْنِ حَسَّانِ أَبُو الْفَضْلِ الْغَسَّانِيُّ السَّنْدِيُّ⁽⁷⁰⁾ الْجَلِيلِيُّ⁽⁷¹⁾ الْحَكِيمُ الْأَدِيبُ، كَانَتْ وَلَادَتُهُ بِقَرْيَةٍ تُدْعَى جَلْيَانَةَ⁽⁷²⁾ مِنْ قُرَى غَرْنَاطَةَ مِنْ مَدِينِ الْأَنْدَلُسِ فِي سَابِعِ الْمُحَرَّمِ سَنَةِ إِحْدَى وَثَلَاثِينَ وَخَمْسِ مِئَةٍ، وَكَانَ صَاحِبَ رِيَاضَةٍ وَحُكْمٍ وَمَعْرِفَةٍ قَوِيَّةٍ بِالطَّبِّ وَالْأَدَبِ وَالْعُرُوضِ وَالنَّحْوِ، وَلَهُ تَصَانِيفٌ فِي عِلْمِ الرِّيَاضِيَّاتِ وَالتَّشْرِيحِ، وَكَانَ شَاعِرًا مُطِيلًا مُتَوَسِّعًا فِي الشَّعْرِ مُتَمَكِّنًا مِنَ الْقَوْلِ، طَافَ الْبُلْدَانَ، وَاخْتَرَقَ الْآفَاقَ، ثُمَّ سَكَنَ بِأَخْرَةِ دِمَشْقَ فِي أَيَّامِ الْمَلِكِ النَّاصِرِ صَلَاحِ الدِّينِ أَبِي الْمُظَفَّرِ يُوسُفَ ابْنَ أَيُّوبَ بْنِ شَادِي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَتُوفِيَ بِهَا فِي صَفَرِ سَنَةِ إِحْدَى وَسِتِّ مِئَةٍ. أَنَشَدَنِي شَيْخُنَا أَبُو الْخَيْرِ ابْنُ أَبِي الْمُعَمَّرِ⁽⁷³⁾ التَّبْرِيزِيُّ الْمُحَدِّثُ، قَالَ : أَنَشَدَنِي الْحَكِيمُ أَبُو الْفَضْلِ عَبْدُ الْمُنْعِمِ بْنُ عُمَرَ بْنِ حَسَّانِ الْغَسَّانِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ لِنَفْسِهِ يَمْدَحُ الْمَلِكَ النَّاصِرَ صَلَاحَ الدِّينِ، وَيُهْنِئُهُ بِفَتْحِ بَيْتِ الْمَقْدِسِ، وَكَانَ فَتَحَهُ لَيْلَةَ السَّبْتِ السَّابِعِ وَالْعِشْرِينَ مِنْ رَجَبِ سَنَةِ ثَلَاثٍ وَثَمَانِينَ وَخَمْسِ مِئَةٍ⁽⁷⁴⁾ حَرَسَهُ اللَّهُ تَعَالَى وَحَمَاهُ بِمَنِّهِ وَلُطْفِهِ :

لَقَدْ أَوْسَعَ اللَّهُ الْفُتُوحَ بَعَامِنَا وَخَيَّسَ مِنْهَا الْمُصْنَعِبَ الْمُتَابِدَا
أُمُورٌ نَبَتْ عَنْهَا الْعُقُولُ وَأَذْغَنْتْ بِأَنَّ اخْتِصَاصَ الْحِظِّ لِلَّهِ مُوجِدَا
فَحَرَّكَ شَخْصًا حَرَّكَ الْأَرْضَ جَائِلًا وَهَزَّ مِنَ الشُّهْبِ الذَّوَائِبِ مُصْعِدَا

(70) السَّنْدِيُّ نسبة إلى سَنَدَوَادِي آش، والجليلاني نسبة إلى جليانة، وهي أيضا من أعمال وادي آش، راجع فيهما معجم البلدان لياقوت.

(71) ترجمته في الذيل والتكملة 5 : 57 وتحفة القادم : 128-129 وانظر فيهما الإحالة في الحاشية على مصادر أخرى.

(72) في معجم البلدان والمغرب أنها من أعمال وادي آش.

(73) هو أبو الخير بدل بن أبي المعمر التبريزي ت. 601 هـ له ترجمة في تاريخ إربل رقم 59 وانظر كشف الظنون : 363 ومعجم المؤلفين رقم 3169.

(74) شهد هذا الفتح عدد من الأندلسيين والمغاربة وقد كان الإمام الذي عينه صلاح الدين في المسجد الأقصى بعد الفتح أندلسيا، انظر الذيل والتكملة 5 : 315-316.

وَلَقَّبَهُ بِالنَّاصِرِ الْمَلِكِ يُوسُفَ
وَالْهَمَّهُ حُسْنَى الشَّمَائِلِ مُجْمِلاً
يَزِيدُ عَلَى عَظَمِ الْمَرَامِ تَوَاضِعاً
أَنَّهُ وَفُودُ الْخَافِقِينَ فَعَايُنُوا
يُنَوِّغُ أَثْنَاءَ النَّهَارِ سِيَاسَةً
وَيَرْمُقُ أَحْوَالَ الْمَدَائِنِ حَافِظاً
أَحَاطَ بِمُلْكِ الْأَرْضِ خُبِراً وَقُوَّةً
فَوَفَى بِفَضْلِ مَنْ قَضَايَاهُ مُتَرَعاً
وَأَرَوَتْ نُفُوسَ السَّائِلِينَ بَنَائِهِ
سَقَا بِحُسَامٍ، وَاسْتَرْقَ بِأَنْعَمِ
فَتَمَدَّحُهُ حُبّاً، وَيُعْطِي تَبَرُّعاً
رَأَيْتُ غَلَاةَ مَا لَهَا حِلْيَ مِثْلَهَا
فَقَلَّدَتْهُ سِلْكَاً عَزِيزاً وَجُودَهُ
كَذَا فَلْيَكُنْ صَوْنُ الْقَرِيضِ مُسَمَّطاً
وَلَفْظاً كَمَا تُجْلَى الدَّرَارِي تَحْتَهُ
قَرَائِنَ أَحْوَالٍ، وَمَعْلَمَ سِيرَةٍ
إِذَا الشُّعْرُ لَمْ يَحْكِ الْعُلُومَ فَقَدْ حَكَى
وَلَوْلَا اصْطِنَاعُ الْحِلْمِ لَمْ يَكُ بِأَقْلٍ
لَا وَجْهَ أَرْبَابِ السَّمَّاحِ طَلَاوَةِ
وَقِيَمَةُ قَدْرِ الشَّيْءِ قِيَمَةُ ذِكْرِهِ
وَهَذَا مَلِيكَ أُمْرُهُ غَيْثُ عَصْرِهِ
فَيُسْقَى بِهَا الظَّمَّانُ لِلْعِلْمِ مُسْتِثْنَاً
يَنَالُ الْفَتَى بِالصَّبْرِ مَقْسُومَ حَظِّهِ
عَجِبْتُ مِنْ آلِيَامِ تَطْوِي كَمَاثِنَاً
وَكُنْتُ أَرَى ذَا الْفَتْحِ مِنْ قَسَمِ يُوسُفَ
وَلِلَّهِ يَوْمٌ هَلْ فِيهِ وَلَادَةٌ

وَنَقَبَهُ نُورَ الْمَهَابَةِ سَيِّداً
وَفَهَّمَهُ أَسْنَى الْفَضَائِلِ مُحَمَّدَاً
وَيَذْنُو عَلَى بُعْدِ الْمَقَامِ تَوَدُّدَاً
حَلَى مَلِكٍ قَدْ أَطْلَعَ الْبَرَّ فَرَقْدَاً
وَيَقْطَعُ آثَاءَ الدُّجَى مُتَهَجِّجَاً
وَيُنْفِقُ أُمُورَ الْخَزَائِنِ مُنْفِجَاً
وَحَاطَ ضُرُوبَ الْخَلْقِ خَيْراً وَمَرْفِجَاً
وَأَصْنَفَى لِكُلِّ مِنْ عَطَايَاهُ مَوْرِدَاً
فَلَمْ أَذِرْ بَحْراً مَدّاً لِلنَّاسِ أَمْ يَدَاً
وَمَا الْمَجْدُ إِلَّا فِي الشَّجَاعَةِ وَالنَّدَا
فَيُعْجِزُنَا شُكْراً وَيَشْأَى مُحَمَّدَاً
بَدَائِعَ نَظْمٍ وَامْتِدَاحاً مُخَلِّدَاً
كَمَا لَمْ نَجِدْ مَلِكاً يُضَاهِي الْمُقَلِّدَا
تَفَاصِيلَ أُعْجَازٍ وَوَشْيَا مُنْجِدَاً
مَعَانٍ كَمَا تَرْمِي الْأَشِيعَةُ أَنْجِدَاً
وَحِكْمَةً أُمَثَالٍ وَعِلْماً مُنْضِجِدَاً
جَعَّاجِعَ أَصْوَاتٍ وَلَغَواً مُفَنِّجِدَاً
لِيَحْضُرَ فِي مَيْدَانِ سَحْبَانَ مُنْشِدَاً
تُعَلِّمُ طُلَّابَ النَّجَاحِ التَّرْدِدَا
فَمَا رَاقَ وَصْفاً فَاقَ صَيْتاً مُنْدِدَاً
فَسِيرَتُهُ تَبْقَى جَبِيناً مُوَرِّدَاً
وَيَرْقَى لَهَا الدِّيَانُ فِي الْحُكْمِ مُسْنِدَاً
وَكَمْ جَاهِدٍ فِي الْحِرْصِ مَا نَالَ مَقْصِدَاً
إِذَا انْتَشَرَتْ أَعْيَتْ مُخْبِئاً وَمُنْجِدَاً
فَلِلَّهِ ذَاكَ الْقَسْمُ مَا كَانَ أَسْعَدَاً
لَقَدْ طَابَ مَوْلُوداً وَبُورِكَ مَوْلِدَاً

كَفَى مَظْهَرًا مَنْ طَهَّرَ الْقُدْسَ وَاخْتَوَى
هُوَ الْمَسْجِدُ الْأَقْصَى، وَهُمْ شَوْكَةُ الْوَعَى
هَنِيئًا لِبَيْتِ الْمَقْدِسِ الْآنَ طَهَّرُهُ
فِيَا خَيْرَ مَمْدُوحٍ وَأَطْهَرَ مُجْتَبَى
مَدِيحِكَ أَحْلَى فِي فَمِي مِنْ جَنَى الْمُنَى
وَأَشْهَى سَمَاعًا مِنْ حَدِيثِ حَبَائِبِ
أَسَامِرُ فِيكَ الشَّعْرَ مُسْتَمْتِعًا بِهِ
أَوْدُ لَوْ أَنَّ الْبَيْتَ أَلْفَ قَصِيدَةٍ
وَكَيفَ اقْتِصَادٌ فِي مَدَائِحِ يُوسُفِ
سَرَى وَهُوَ نُورٌ قَاهِرٌ بِلَطَافِهِ
وَلَوْ لَمْ يُلَخِ لِلنَّاسِ مَا عَلِمُوا مَتَى
فَكُلُّ ابْتِدَاءٍ فِي مَعَالِيهِ مُنْتَهَى

بَنِي أَصْفَرٍ سَيِّئًا وَقَتْلًا تَعْمَدًا
فَمَا كَانَ لَوْلَا اللَّهُ يَخْلُصُ مَعْبَدًا
وَلِلنَّاصِرِ الْمَنْصُورِ غِبْطَتُهُ غَدًا
وَأُسْعَدَ مَمْنُوحٍ وَأُبْهَرَ مَحْتَدًا
وَمِنْ طَعْمِ بَرْدِ الْمَاءِ عَذْبًا عَلَى الصَّدَا
يُذَكِّرُنَا عَهْدَ الصَّبَا مُتَجَدِّدًا
فَأَبْسُطُهُ بَسْطَ الْحَمِيلَةِ فِي النَّدَا
وَكُلِّ قَصِيدِ أَلْفِ حِزْبٍ تَرَدَّدَا
وَقَدْ بَدَّ غَايَاتِ السَّوَابِقِ فِي أَلَمَدَا
وَحَلَّ بَنَا صَوْتِ الْعُلَا فَتَجَسَّدَا
سَمَا كُلِّ عَالٍ، وَهُوَ يَرْتَادُ مَصْعَدَا
وَكُلِّ انْتِهَاءٍ فِي مَعَالِيهِ مُبْتَدَا

وَأَنْشَدَ قَاضِي الْيَمَنِ (75) لِعَبْدِ الْمُنْعِمِ

بْنِ حَسَّانٍ :

يَا سَاهِرًا فِي اقْتِنَاءِ عِلْمٍ
لَا تَطْلُبِ الْعِلْمَ فِي كِتَابٍ
وَالْبَسْ مِنَ الْبَرِّ طِيلَسَانًا
وَأَقْعُدْ مَعَ الْقَوْمِ فِي جَدَالٍ
إِلَّا صِيَاحًا وَنَفْضَ كُفٍّ
وَمَا أَرَى بَيْنَهُمْ عُلُومًا

تَخْطُبُ مِنْهُ مَقَامَ مُحْكِمٍ
بَلْ وَسَّعَ الْكُفُّ ثُمَّ عَمِّمٍ
وَأَعْقَدُهُ بِالْمَنْكِبَيْنِ وَاخْتِمٍ
لَا بِالْبُخَارِيِّ وَلَا بِمُسْلِمٍ
وَجَمَعَ لَا لَا، وَعَقَدَ لَمْ لَمْ
أَكْثَرَ مِنْ لَا وَلَا أُسْلِمَ

وَقَالَ أَيْضًا :

عَجِبْتُ لِحُظْوَةٍ حَصَلَتْ لِقَوْمٍ
لَهُمْ زِيٌّ وَالْقَابُ عِظَامٌ
وَنَالُوا مَا أَرَادُوا بِالِدَّعَاوِي
فَقَدْ ضَاعَ اجْتِهَادُ أَخِي التَّحْرِي

تَعَاَفَ سُلُوكُهُمْ هَمَمُ الرُّجَالِ
وَهُمْ فِي الْجِدِّ مِنْ هَمَجِ الرُّجَالِ
كَمَا نَالَ الْمَبْرُزُ فِي الْخِصَالِ
إِذَا حَصَلَ التَّقْدُّمُ بِالْمُحَالِ

(75) كذا في الأصل ولم أتمكن من معرفته.

وَقَالَ : وَأُنْشَدَنِي عَنْهُ الشَّيْخُ الْحَافِظُ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ الْحَسَنِ
الْبَغْدَادِيُّ (76)، قَالَ : أَنْشَدَنِي عَبْدُ الْمُنْعِمِ لِنَفْسِهِ، وَقَدْ سُئِلَ عَنْ إِعْرَاضِ [هِ عَنْ]
زِيَارَةِ الْأَكَابِرِ وَالرُّؤَسَاءِ :

قَالُوا تَرَكَ عَنِ الْأَكَابِرِ تُعْرِضُ وَسِوَاكَ زَوَّارٌ لَهُمْ مُتَعَرِّضُ
قُلْتُ الزِّيَارَةُ لِلزَّمَانِ إِضَاعَةٌ وَإِذَا مَضَى وَقْتُ فَمَا يُتَعَوِّضُ
إِنْ كَانَ يَوْمًا لِي إِلَيْهِمْ حَاجَةٌ فَبِقَدْرِ مَا ضَمِنَ الْقَضَاءُ تُقَيِّضُ

أُنْشَدَنِي شِهَابُ الدِّينِ الْقُوصِي (77) بِمَنْزِلِهِ الْمَعْمُورِ بِدِمَشْقَ فِي الْمُحَرَّمِ سَنَةِ
أَرْبَعِينَ وَسِتِّ مِئَةٍ، أَنْشَدَنِي عَبْدُ الْمُنْعِمِ الْحَكِيمُ لِنَفْسِهِ :

أَشَدُّ بَلَاءِ الرِّجَالِ النِّسَاءُ بِهِمْ أَبَدُ الدَّهْرِ مِنْهُنَّ دَاءُ
إِذَا مَا بَعْدُنَ فَعِيشٌ يَسُوءُ وَمَهْمَا قَرُبْنَ فَنَفْسٌ تُسَاءُ
يُكَلِّفَنَّ ذَا الْمَالِ مَا لَا يُطِيقُ وَيُلْزِمَنَّ ذَا الْمَالِ مَا لَا يَشَاءُ
وَيَقْضِينَ — لَا بَدَّ — مَا يَشْتَهُينَ وَلَوْ كَانَ حَارِسُهُنَّ الْقَضَاءُ

وَأُنْشَدَنِي، قَالَ : أَنْشَدَنِي لِنَفْسِهِ :

قَالُوا تَرَى بَقْرًا عِنْدَ الْمُلُوكِ سَمَوْا وَمَا لَهُمْ هِمَّةٌ تَسْمُو وَلَا وَرَعُ
وَأَنْتَ ذُو هِمَّةٍ فِي الْفَضْلِ عَالِيَةٌ فَلَمْ ظَمِئْتَ وَهُمْ فِي الْجَاهِ قَدْ كَرَعُوا؟
فَقُلْتُ بَاعُوا نُفُوسًا وَاشْتَرَوْا ثَمَنًا وَصُنْتُ نَفْسِي، فَلَمْ أَخْضَعْ كَمَا خَضَعُوا
قَدْ يُكْرَمُ الْقِرْدُ اعْجَابًا بِخِسَّتِهِ وَقَدْ يُهَابُ لِفَرْطِ النَّخْوَةِ السَّبْعُ

وَأُنْشَدَنِي قَالَ : أَنْشَدَنِي مِنْ شِعْرِهِ :

إِنْ قِيلَ : مَنْ فَحُلُ الرِّجَالِ؟ فَقُلْتُ : فِي مُسْتَحْكَمِ الْأَقْوَالِ وَالْآرَاءِ
ذَرْبٌ بِتَقْلِيلِ الْقُلُوبِ مُجَادِبٌ لِلنَّافِرَاتِ بِالطَّفِ اسْتِهْوَاءِ

وَأُنْشَدَنِي أَبُو الْفَتْحِ يُوسُفُ بْنُ أَبِي الْعَنَائِمِ ابْنُ أَبِي بَكْرِ الْبَغْدَادِيُّ (78)، قَالَ :

(76) هو ممن ترجم لهم المؤلف ابن الشعار في قلائد الجمان (6 : 434).

(77) له معجم في الرجال ينقل عنه الصفدي في الوافي بالوفيات.

(78) هو أيضا ممن ترجم لهم ابن الشعار في قلائد الجمان (10 : 569).

أَتَشَدَّنِي عَبْدُ الْمُنْعِمِ بْنِ عُمَرَ الْجَلْبَانِيُّ لِنَفْسِهِ بِحَلَبَ :
وَصَفْرَاءَ، لَوْلَا نَفْحُهَا وَمَذَاقُهَا
مِنَ الْمَاءِ فِيهَا لِلْحَبَابِ عَمَائِمُ
وَقَالَ أَيْضاً :

حَاوِلْ مَفَارِكَ قَبْلَ أَنْ تَتَحَوَّلَا
إِنَّ الْمَنِيَّ مِنَ الْمَنِيَّةِ لَفُظُهُ
وَمِنْ شِعْرِهِ يَقُولُ :

وَقَائِلَةٌ: كَيْفَ اسْتَطَعْتَ تُجَلِّدَا
فَقُلْتُ لَهَا: يَا هِنْدُ، لَوْ كُنْتُ نَاطِرَا
جَعَلْتُ بَيْنِي الدُّنْيَا جَمِيعَا كَوَاحِدِ
وَمَاذَا عَسَى أَنْ يُفْنِيَ الْمَوْتُ وَهُوَ فِي
فَشْمَرْتُ ذَيْلِي عَنْهُمْ مُتَخَلِّياً
وَلَمْ أَلْتَفِتْ إِنْ أَعْرَضُوا أَوْ تَعَرَّضُوا
أَرَى مَذَحَهُمْ سَهَوَا، وَذَمَّهُمْ سُدَى
فَلَوْ حَصَّنُوا الْأَوْقَاتَ كَانَ سُلُوكُهُمْ
وَلَوْ شَعَرُوا فِي خَصْلَةٍ بِفَضِيلَةٍ
وَقَالَ أَيْضاً :

قَالَتْ : رَمَوْكَ بِيُهْتَانٍ، فَقُلْتُ لَهَا :
مَا الْعَاقِلُ الْحُرُّ مَنْ يَنْسَى مَعَايِيَهُ
قَالَتْ: فَمَا لَكَ لَا تَنْفِي اعْتِرَاضَهُمْ
فَقُلْتُ لِي شُغْلٌ عَنْهُمْ، وَلَوْ شِغْلَتْ
إِنْ كَانَ دِينُهُمْ يَقْضِي لَهُمْ حَسِداً
إِنْ أَدْرَكَ الْمَرْءُ بِالْإِحْسَانِ مَا وُعِدَا
وَلَيْسَ مِنَّا فَتَى لِلْعِرْضِ مُنْتَهِزُ
وَكُلُّ نَفْسٍ لَهَا شَأْنٌ وَمُنْبَعَثُ

يَا هِنْدُ، لَوْ عَقَلُوا لَمْ يَرْتَضُوا الْفَنَدَا
— وَقَدْ حَضَرَنَ — وَيَعْتَابُ الَّذِي بَعْدَا
وَتَدْفَعُ الْوَهْمَ مِمَّنْ سَاءَ مُعْتَقِدَا
نَفْسِي بِهِمْ صُرِفَتْ عَنْ نَهْجٍ مَنْ رَشَدَا
فَدِينُنَا يَقْتَضِي أَنْ نَنْفِي الْحَسِدَا
فَمَا يُبَالِي بِمَنْ رَامَ الْأَذَى وَعَدَا
بِسُوءِ سَعْيٍ، وَلَا مِنَّا فَتَى جَحَدَا
وَعَايَةً نُصِيبَتْ تَجْرِي لَهَا أَمَدَا

وَقَالَ أَيْضاً :

قَالُوا: تَحُجُّ الْبَيْتَ ؟ قُلْتُ: يَجُوزُ
لَوْلَا الرِّيَا مَا حَجَّ أَكْثَرُ مَنْ نَرَى
فِي الْحَجِّ أَخْطَارَ غِنَى رَبَّنَا
حُشِرَ اللَّصُوصُ لَهُ كَحَشِرِ حَجِيجِهِ
فِي يَثْرِبٍ جَهْرًا، وَفِي أُمِّ الْقُرَى
وَعَلَى الطَّوَافِ ... وَالْوَرَى
حُرْمٍ لَدَى حَرَمٍ
وَعَزِيزُ وَفِرْ جَاءَ مَكَّةَ فَانْتَشَى
وَتَشَاغَلَ وَقْتُ الصَّلَاةِ وَفَتَنَةُ
وَلَوْ أَنَّهُ أَمِنَ وَبِرٌّ خَالِصٌ

قَالُوا: مَتَى ؟ قُلْتُ: الْقَضَاءُ عَزِيزُ
مَنْ ذَا بِإِخْلَاصِ الضَّمِيرِ يَفُوزُ
عَنْ فِعْلِهَا وَالشَّرْعُ وَالتَّمْيِيزُ
فِي كُلِّ شَيْءٍ قَاطِعٌ مَرَكُوزُ
يُسَبِّى كَرِيمُ الْمَالِ وَهُوَ حَرِيزُ
وَقَفُوا، قِتَالٌ لِللُّصُوصِ خَفِيزُ
قَتَصُدُّ عَنْ صَدْرِ الْكَعَابِ عَجُوزُ
وَالْعِزُّ عَنْهُ وَالْغِنَى مَحْجُوزُ
وَتَقَاطَعُ وَتَدَابُرٌ وَنُشُوزُ
فَبِعِشْرَةِ الْجَمَالِ لَيْسَ يَجُوزُ

وَرَأَيْتُ لَهُ كِتَابًا مُشَجَّرًا تُرْجَمُهُ بِمَنَادِحِ الْمَمَادِحِ وَرَوْضَةِ الْمَآثِرِ وَالْمَفَاخِرِ
مِنْ خَصَائِصِ الْمَلِكِ النَّاصِرِ، يَعْنِي صِلَاحَ الدِّينِ يُوسُفَ بْنِ أَيُّوبَ بْنِ شَادِي
رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى، وَهُوَ يَحْتَوِي عَلَى نَظْمٍ وَنَثْرٍ جَعَلَهُ مُنْطَوِيًّا عَلَى اثْنَتَيْ عَشْرَةَ
مَدِيحَةً، وَهُوَ غَرِيبٌ فِي وَضْعِهِ جَدًّا (78م).

حَدَّثَنِي الْقَاضِي أَبُو الْقَاسِمِ عُمَرُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ أَبِي جَرَادَةَ الْحَنْفِيُّ (79) أَيَّدَهُ
اللَّهُ تَعَالَى، قَالَ : أَخْبَرَنِي الشَّدِيدُ بْنُ عُمَرَ الْقَفْصِيُّ (80)، قَالَ : كَانَ عَبْدُ الْمُنْعِمِ
الْجَلِيلَانِيُّ قَلِيلًا مَا يَمْتَدِّحُ النَّاسَ، وَكَانَ يَمْدَحُ الْمَلِكَ النَّاصِرَ جَالِسًا، وَعَمِلَ لَهُ
كِتَابًا فِي مَدَائِحِهِ مُشَجَّرًا، وَكَانَ السَّبَبُ الَّذِي دَعَاهُ إِلَى عَمَلِهِ أَنَّهُ لَزِمَهُ دَيْنٌ مِقْدَارُهُ
ثَلَاثُ مِئَةِ دِينَارٍ، وَعَمِلَ فِي هَذَا الْكِتَابِ مُشَجَّرَاتٍ فِي مَدْحِهِ، وَحَمَلَهُ إِلَيْهِ، فَلَمَّا
وَقَفَ عَلَيْهِ لَمْ يَهْتَدِ إِلَى قِرَاءَتِهِ، فَطَلَبَ عَبْدُ الْمُنْعِمِ لِيَحُلَّ الْمُشَجَّرَاتِ، وَكَانَ

(78م) توجد منه نسخ خطية في مكتبات غربية وعربية.

(79) ترجمته في معجم الأدباء : 2085 وفيات الوفيات 2 : 200 وقلائد العقيان 5 : 203،
وهو مؤلف بغية الطلب في تاريخ حلب.

(80) له ترجمة عند المؤلف ابن الشعار (5 : 425).

بِحَضَرَتِهِ إِنْسَانٌ يَقْصِدُهُ، فَلَمْ يَسْعُهُ عِنْدَ طَلَبِهِ إِلَّا إِحْضَارُهُ، فَلَمَّا حَضَرَ حَلَّ لَهُ
الْمُشَجَّرَاتِ، فَاسْتَحْسَنَهَا، وَسَأَلَهُ عَنْ حَاجَتِهِ فَقَالَ : عَلَيَّ دَيْنٌ أَطْلُبُ قَضَاءَهُ،
فَتَقَدَّمَ إِلَى الدِّيَّوَانِ أَنْ يَقْتَبِلُوا بِدَيْنِهِ، فَلَمَّا خَرَجَ قَالَ لَهُ ذَلِكَ الرَّجُلُ الَّذِي يَقْصِدُهُ :
هَذَا عَلَيْهِ ثَلَاثُ مِئَةِ دِينَارٍ، فَأَمَرَ الدِّيَّوَانُ أَنْ يَقْبَلُوا ثَلَاثَ مِئَةِ دِينَارٍ، وَيُطْلَقَ لَهُ
ثَلَاثَ مِئَةِ دِينَارٍ أُخْرَى، فَأَرَادَ ذَلِكَ الرَّجُلُ أَنْ يَضُرَّهُ فَنَفَعَهُ.

وَقَالَ الْقَاضِي : وَسَأَلْتُ الشَّدِيدَ عُمَرَ عَنْ حَالِهِ، فَوَصَفَهُ بِالْفَضْلِ وَالْعِلْمِ. قَالَ
لِي : كَانَ يَمِيلُ إِلَى الْحِكْمَةِ. وَكَانَ كَاتِباً فِي بِلَادِ الْمَغْرِبِ لِلْوَزِيرِ عُمَرَ (81)
فَوَجَدَ عَلَيْهِ، فَضَرَبَهُ ثَمَانِينَ سَوْطاً، فَكَانَ ذَلِكَ سَبَبَ خُرُوجِهِ إِلَى هَذِهِ الْبِلَادِ.
وَحَدَّثَنِي الْقَاضِي أَبُو الْقَاسِمِ (82)، قَالَ : حَدَّثْتُ عَنْ عَبْدِ الْمُنْعِمِ أَنَّهُ كَانَ فِي
مَجْلِسِ الْمَلِكِ النَّاصِرِ صَلَاحِ الدِّينِ، فَقَالَ لَهُ الْقَاضِي الْفَاضِلُ لِبَعْضٍ مِنْ قَدَرِهِ
يَنْسَبُ إِلَيْهِ إِيَّاهُ إِلَى قَرِيْبِهِ : كَمْ بَيْنَ جَلِيَانَةَ وَالْمَرِيَّةِ ؟ فَقَالَ مُجِيباً لَهُ فِي الْحَالِ : مِثْلُ
مَا بَيْنَ يَسَّانَ وَيَبْتَ الْمَقْدِسِ.

قَالَ أَبُو مُحَمَّدٍ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنِ بَرَكَاتٍ بْنِ شَحَّاتَةَ (83) : سَمِعْتُ الْأَمِيرَ أَبَا
الْحَسَنِ عَلِيَّ بْنَ إِيدَاشَ يَقُولُ : سَمِعْتُ عَبْدَ الْمُنْعِمِ الْجَلِيَانِيَّ يَقُولُ : لِبِسْتُ
الْبَلَّاسَ (84)، فَعَاتَبَنِي بَعْضُ أَهْلِي عَلَى ذَلِكَ، فَقُلْتُ :

وَقَائِلَةٍ لِمَ لِبِسْتُ الْبَلَّاسَا وَلَمْ تَرَهُ قَبْلَ هَذَا لِبَّاسَا
فَقُلْتُ لَهَا : لَوْ رَأَيْتِ الَّذِي رَأَيْتِ الْبَلَّاسَا
فَلِي بِالرِّيَاضِ وَعِنْدَ الْجَمَى
أَخَافُ إِذَا مَا رَأَى لِبْسَتِي
وَيَحْسِبُنِي نَاسِيَا عَنْهُ
وَلَمْ تَرَهُ قَبْلَ هَذَا لِبَّاسَا
رَأَيْتُ لَخَالَفْتُ هَذَا الْقِيَاسَا
حَبِيبُ حَمَى مُقَلَّتِي النَّعَاسَا
سِوَى جُبَّةٍ أَنْ يَرَاهَا التَّبَاسَا
وَبِئْسَ الْحَبِيبُ حَبِيبُ تَنَاسَى

(81) لا نستطيع تعيين هذا الوزير، ولعله أحد السادة من الموحدين الذين كانوا يحكمون الأندلس،
وفيهم أكثر من واحد يتسمى بعمر ويكنى بأبي حفص.

(82) هو ابن أبي جرادة المتقدم الذكر.

(83) له ترجمة عند المؤلف ابن الشعار (3 : 490).

(84) في شفاء الغليل : بلاس : المسوح تلبس.

قَالَ أَبُو الْحَسَنِ الْقَاطِي (85) : أَنشَدَنَا عَبْدُ الْمُنْعِمِ لِنَفْسِهِ فِي الشُّوقِ :

عَيَّرُونِي بِأَنْبِي مُسْتَهَامَ وَلِمِثْلِي يَلْدُ فِيكَ الْهَيَامُ
شَوْقُونِي إِلَيْكَ ثُمَّ تَوَلَّوْا عَجَبًا ! كَيْفَ أَيْقَظُونِي وَنَامُوا ؟ !
وَنَدِيمِ سَقَانِي السَّرَّ صِرْفًا فَسَكِرْنَا، وَلَيْسَ ثُمَّ مُدَامُ
حَتَّى كَأَسَا مِمَّا هُنَاكَ دِهَاقًا فَاسْتَطَارَتْ لِدَوْرَهَا الْأَحْلَامُ
أَيْنَ أَهْلُ الْأَذْوَاقِ ؟ قَوْمُوا فَشُقُّوا كُلَّ جَيْبِ الْآنَ طَابَ الْمُقَامُ
نَسَمْتُ مِنْ حَبِيبِنَا نَفَحَاتٍ فَعَلَى الْعَيْشِ بَعْدَهُنَّ السَّلَامُ
(4 : 127-139)

15 - عَلِيُّ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ

أَبْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ زَيْدٍ - كَذَا - الْمَعْرُوفُ بِأَبْنِ حَرِيقِ الْكَاتِبِ أَبُو الْحَسَنِ الْبَلَنْسِيُّ (86)، شَاعِرٌ مُفَلِّقٌ وَأَدِيبٌ مُحَقِّقٌ، قِيمَ بِالشَّعْرِ وَالْأَدَبِ، عَارِفٌ بِاللُّغَةِ وَأَيَّامِ الْعَرَبِ، عَالِمٌ بِتَفْسِيرِ الْقُرْآنِ وَالْقِرَاءَةِ، حَافِظٌ لِجُمْلَةٍ وَافِرَةٍ مِنَ الْأَخْبَارِ وَالْحِكَايَاتِ. وَلَمْ يَكُنْ فِي زَمَانِهِ أَجْوَدَ مِنْهُ شِعْرًا، وَلَا أَحْسَنَ نَظْمًا وَنَثْرًا. مَدَحَ مُلُوكَ الْأَنْدَلُسِ (87)، وَأَخَذَ صِلَاتِهِمْ، وَانْتَشَرَ ذِكْرُهُ هُنَالِكَ، وَتَوَلَّى التَّصَرُّفَ فِي الْأَعْمَالِ الدِّيَوَانِيَّةِ مَعَ كِتَابَةِ الْإِنْشَاءِ لِبَنِي عَبْدِ الْمُؤْمِنِ الْمُسْتَوْلِينَ عَلَى الدِّيَارِ الْأَنْدَلُسِيَّةِ.

أَنشَدَنِي أَبُو مُحَمَّدٍ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ أَبِي بَكْرٍ الشَّاطِبِيُّ الْأَنْصَارِيُّ (88)،
قَالَ : أَنشَدَنِي أَبُو الْحَسَنِ عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ ابْنِ حَرِيقِ لِنَفْسِهِ فِي غُلَامٍ أَعْوَرَ

(85) هو محمد بن أحمد بن عمر المتوفى سنة 634هـ له ذيل على تاريخ ابن السمعاني، ترجمته في الوافي بالوفيات 2 : 130 ولسان الميزان 5 : 46.

(86) ترجمة ابن حريق مع الإشارة إلى بعض مصادر ترجمته في الذيل والتكملة 5 : 275-277.

(87) المقصود بهم بنو عبد المؤمن بن علي.

(88) لم أقف على ترجمة له.

وَأَحْسَنَ فِيمَا قَالَ، وَأَبْدَعَ فِي الْمَعْنَى :
لَمْ يَعْيبَكَ الَّذِي بِعَيْنِكَ عِنْدِي أَنْتَ أَعْلَى مِنْ أَنْ تُعَابَ وَأُسْنَى
لَطَفَ اللَّهُ رَدَّ سَهْمَيْنِ سَهْمًا رَأْفَةً بِالْعِبَادِ وَازْدَدَتْ حُسْنًا

وَأُنْشَدَنِي، قَالَ : أَنُشَدَنِي لِنَفْسِهِ يَهْجُو كَاتِبًا :
وَكَاتِبِ الْفَاطِطُ وَكُتُبُهُ بَغِيضَةٌ إِنْ خَطُّ أَوْ تَكَلَّمَ
تَرَى أَنَسًا يَتَمَنَّوْنَ الْعَمَى وَآخَرِينَ يَحْمَدُونَ الصُّمَمَا (٨٨م)

وَأُنْشَدَنِي أَبُو الْقَاسِمِ مُحَمَّدُ بْنُ مُحَمَّدٍ الشَّاطِطِيُّ (٨٩)، قَالَ : قَرَأْتُ عَلَى أَبِي
الْحَسَنِ ابْنِ حَرِيقٍ مِنْ شِعْرِهِ قَوْلُهُ :

يَا وَيْحَ مَنْ بِالْمَغْرِبِ الْأَقْصَى ثَوَى
لَوْلَا الْحِذَارُ عَلَى الْوَرَى لَمَلَأْتُ مَا
وَسَكَبْتُ دَمْعِي ثُمَّ قُلْتُ لِسَكْبِهِ
لَكِنْ خَشِيتُ عِقَابَ رَبِّي إِنْ أَنَا
حَذَرَ الْعَدَى وَحَبِيئُهُ بِالْمَشْرِقِ
بَيْنِي وَبَيْنَهُ مِنْ زَفِيرٍ مُحْرِقٍ
مَنْ لَمْ يَذُبْ مِنْ زَفَرَتِي فَلْيَغْرِقِ
أُحْرِقْتُ أَوْ أُغْرِقْتُ مَنْ لَمْ أُخْلُقِ

وَأُنْشَدَنِي قَالَ : أَنُشَدَنِي أَبُو الْحَسَنِ ابْنُ حَرِيقٍ، وَكَانَ قَدْ خَرَجَ إِلَى مُتَنَزَّهِ
لَهُ مَعَ مَنْ يُحِبُّهُ إِلَى خَارِجٍ، فَجَاءَ السَّيْلُ، وَمَنَعَ مَحْبُوبَهُ مِنَ الْعَوْدِ إِلَى الْبَلَدِ فَبَاتَا
جَمِيعًا :

يَا لَيْلَةً جَادَتِ الْأَمَانِي
بِسَيْلٍ فِيهَا عَلَيَّ نُعْمَى
إِذْ بَاتَ فِي مَنْزِلِي حَبِيبِي
فِيهَا عَلَى رَغَمِ أَنْفِ دَهْرِي
يَقْصُرُ عَنْهَا طَوِيلُ شُكْرِي
وَقَامَ لِي أَهْلُهُ بِعُذْرِي (٩٠م)

وَأُنْشَدَنِي إِسْمَاعِيلُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ إِسْمَاعِيلَ الْبَيَّاسِيِّ (٩٠م) بِمَخْرُوسَةٍ حَلَبَ
فِي سَنَةِ أَرْبَعٍ وَثَلَاثِينَ وَسِتِّ مِئَةٍ، قَالَ : أَنُشَدَنِي أَبُو الْحَسَنِ عَلِيُّ ابْنُ حَرِيقٍ

(٨٨م) هذا من قول المتنبي : قَدْ أَفْسِدَ الْقَوْلُ حَتَّى أُحِمِدَ الصُّمَمُ.

(٨٩) هو المعروف بابن سُرَاقَة، وستأتي ترجمته للمؤلف ضمن هذا المجموع (ص ١٢٣)، وقد ذكره
ابن عبد الملك في عداد الآخذين عن ابن حريق، راجع الذيل والتكملة ٥ : ٢٧٥.

(٩٠) هذه الأبيات والتي قبلها موجودة في نفح الطيب ٣ : ٤١٠-٤٦٤.

(٩٠م) لعله من الذين أخرجوا من بياضة وتفرقوا في الأرض بعد غلبة الروم عليها.

الْبَلْسِيُّ لِنَفْسِهِ بِيَّاسَةً⁽⁹¹⁾، وَكَانَ مُشْرِفَهَا⁽⁹¹⁾ :

يَا صَاحِبِي — وَمَا الْبَخِيلُ بِصَاحِبِي —
أُنْمِرُ بِالْعَرَصَاتِ لَا تُبْكِي بِهَا
هَيْهَاتَ لَا رِيحُ الصَّبَايَةِ بَعْدَهُمْ
خَلَفُوا عَلَى قَلْبِي بِسِحْرِ جُفُونِهِمْ
وَأَبَى الْهَوَى إِلَّا الْحُلُولَ بِلَعْلَعٍ
لَمْ أُدْرِ أَيْنَ نَوَّوَا؟ فَلَمْ أَسْأَلْ لَهُمْ
وَكَاثُفَهُمْ فِي كُلِّ مَذْرَجٍ نَاسِمٍ
وَإِذَا مَنَحْتَهُمُ السَّلَامَ تَبَادَرَتْ
هَذِي الدِّيَارُ، فَأَيْنَ تِلْكَ الْأَذْمُعُ
وَهِيَ الْمَنَازِلُ مِنْهُمْ وَالْأَرْبُعُ؟!
رَهْوٌ، وَلَا طَيْرُ التَّشْوِقِ وَقَعُ
لَا زَالَ يَنْزِفُهُ الْهَوَى وَيُصَدِّعُ
وَيُحِ الْمَطَايَا أَيْنَ مِنْهَا لَعْلَعُ؟
رِيحاً تَهْبُ، وَلَا بَرِيقاً يَلْمَعُ
فَعَلَيْهِ مِنْهُمْ رِقَّةٌ وَتَضَوُّعُ
تَبْلِيغُهُ عَنِّي الرِّيحُ الْأَرْبَعُ
(4 : 367-370)

16 — عَلِيُّ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ

ابْنُ وَرْيَاشٍ بْنُ الْمُبَارَكِ بْنُ يُوسُفَ بْنِ مُوسَى بْنِ يَزْكُوكَ أَبُو الْحَسَنِ الْوَهْرَانِيُّ
الْأَنْصَارِيُّ⁽⁹¹⁾، نَزِيلُ دِمَشْقَ، الْخَطِيبُ الصَّالِحُ الْفَاضِلُ. كَانَتْ وَلَادَتُهُ بِوَهْرَانَ
فِي رَجَبِ سَنَةِ سَبْعٍ وَثَلَاثِينَ وَخَمْسٍ مِئَةٍ، وَتُوفِّيَ رَحِمَهُ اللَّهُ يَوْمَ الْأَرْبَعَاءِ سَادِسَ
عَشَرَ ذِي الْقَعْدَةِ سَنَةِ خَمْسٍ عَشْرَةَ وَسِتِّ مِئَةٍ بِدَارِيَا مِنْ أَعْمَالِ دِمَشْقَ، كَانَ

(91) بِيَاة BAEZA من المدن الأندلسية المعروفة، ينسب إليها عدد من الأعلام، والمشرف هو
متولى خطة الإشراف وكان يشرف على الجبايات والمداخيل (راجع في بياة المغرب ومعجم
البلدان والروض المعطار وانظر في المشرف وخطة الإشراف قاموس دوزي). ويبدو أن ابن
حريق كان يتولى الخطة المذكورة مع السيد أبي عمران موسى بن محمد بن يوسف بن عبد
المومن (انظر الذيل والتكملة 5 : 276 والإحاطة 3 : 275-276 والمعجم :
293-356).

(91) له ترجمة في بغية الوعاة 2 : 172 وقد نقلها السيوطي عن الذهبي، ويبدو من تاريخ ولادته
أنه كان من الأطفال الذين نجوا من محنة أهل وهران عند حصار مدينتهم وفتحها من طرف
الموحدين. (البيان المغرب : 22) وكان من الذين نجوا وهاجروا إلى المشرق أيضاً أبو عبد
الله محمد بن محرز الوهراني الأديب صاحب المقامات والرسائل الهزلية المنشورة.

خَطِيبَهَا، وَكَانَ قَدْ أُعْطَاهُ اللَّهُ الْعِلْمَ الْوَافِرَ، وَالْعَمَلَ الصَّالِحَ، لَهُ تَصْنِيفٌ وَأَشْعَارٌ
كَانَ يَقُولُهَا، وَفَضْلُهُ عَلَى كَثِيرٍ مِنْ أُنْبَاءِ زَمَانِهِ، وَكَانَ تَقِيًّا فِي نَفْسِهِ ذَا وَرَعٍ
وَخَيْرٍ، سَدِيدَ الطَّرِيقَةِ، جَمِيلَ الْأَمْرِ، خَرَجَ عَنْ بِلَادِ الْمَغْرِبِ، وَنَزَلَ الشَّامَ، وَتَوَلَّى
خُطَابَةَ دَارِيَا⁽⁹²⁾، وَأَوْطَنَهَا إِلَى أَنْ تُوفِّيَ بِهَا. وَصَنَّفَ تَفْسِيرًا لِكِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى
أَجَادَ فِي تَصْنِيفِهِ وَأَحْسَنَ. أَنَشَدَنِي نَجِيبُ الدِّينِ أَبُو الْفَتْحِ نَصْرُ اللَّهِ ابْنُ أَبِي
الْعِزِّ ابْنِ أَبِي طَالِبِ الصَّفَّارِ الشَّيْبَانِيُّ الدَّمَشْقِيُّ⁽⁹²⁾ بِهَا فِي أَوَائِلِ سَنَةِ أَرْبَعِينَ
وَسِتِّ مِئَةٍ، قَالَ : أَنَشَدَنِي الشَّيْخُ الْجَلِيلُ الصَّالِحُ أَبُو الْحَسَنِ عَلِيُّ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ
ابْنَ وَرْيَاشِ بْنِ الْمُبَارَكِ الْوَهْرَانِيُّ لِنَفْسِهِ فِي الْوَحْدَةِ :

أَصْبَحْتُ — وَالْحَمْدُ لِلرَّحْمَنِ — مُنْفَرِدًا
مَا لِي أَيْسُّ سِوَى أَنِّي أَمْرٌ عَكَفْتُ
أُومِي إِلَيْهَا بِطَرْفِي، وَهِيَ تُخْبِرُنِي
وَأَنَشَدَنِي، قَالَ : أَنَشَدَنِي لِنَفْسِهِ :

أَمَّا فِي ذَا الزَّمَانِ أَخٌ شَفِيقُ
يَرُدُّ بِفَضْلِهِ الْأَزْمَاتِ عَنِّي
فَقَدْ كَثُرَتْ حَوَادِثُهُنَّ عِنْدِي
تَهْدُ بِخُطْبِهَا الشَّمَّ الرَّوَاسِي

وَأَنَشَدَنِي قَالَ أَنَشَدَنِي لِنَفْسِهِ فِي الْحَرِّ :

وَيَوْمَ تَمَجُّ الشَّمْسُ فِيهِ لُعَابُهَا
يُنْضِجُ أَفْرَاحَ الْقَطَا جَوْفَ يَنْضِجُهَا
فَلَوْ حُطَّ شِلْوُ فَوْقَ أُمْعَزَ شَاهِقِ

يَكَادُ الْحَصَا مِنْ حَرِّهِ يَتَفَلَّقُ
وَيَتَرَكُ الرُّبْدَ النَّقَانِقُ تَفْهَقُ
لَعَادَ حَنِيدًا لَحْمُهُ يَتَمَزَّقُ

(92) ولي الخطابة بداريا قبله الوهراني المذكور آنفاً فهل يكون المترجم هنا هو الذي خلف بلديه،
وداريا قرية على باب دمشق في الغوطة.

(92) له ترجمة في قلائد الجمان لابن الشعار 9 : 86.

(93) من أقدم ما قيل في صحبة الكتب أبيات ابن الأعرابي التي أولها :
لنا جلساء ما نمل حديثهم ألباء مامونون غيباً ومشهداً

وَأُنْشِدْنِي قَالَ أُنْشِدْنِي لِنَفْسِهِ فِي حَالِهِ بِدِمَشْقَ :
 عَلَيَّ ثِيَابٌ بَالِيَاتٌ لَوْ أَنَّهَا
 وَإِنِّي أُرَانِي عِزَّةً وَجَلَالَةً
 وَمَا ذَاكَ إِلَّا الْعِلْمُ يَسْمُو بِرَبِّهِ
 وَيُنْصِرُ مَا فِيهَا مِنَ الْمَالِ وَالْعُلَى
 تَقُومُ لَمْ تَبْلُغْ بِقِيَمَتِهَا فَلَسَيْنِ
 إِذَا سِرْتُ فِيهَا أَسْحَبُ الدُّيْلَ ذَا الْقَرْنَيْنِ
 فَيَسْتَصْغِرُ الدُّنْيَا وَمَا جَمَعَتْ مِنْ عَيْنِ
 مَعَ الْبُوسِ وَالْفَقْرِ الْمِلْمُ بِهَا سَبَبَيْنِ

وَأُنْشِدْنِي قَالَ أُنْشِدْنِي لِنَفْسِهِ فِي الشَّمْعَةِ :
 وَرَاهِبٌ بَاتَ طَوَلَ اللَّيْلِ مُنْتَصِباً
 يَشْكُو إِلَى اللَّهِ إِحْرَاقَ الْجَحِيمِ لَهُ
 يَيْكِي وَفِي رَأْسِهِ طُرْطُورٌ مِنْ ذَهَبَةٍ
 يَأْفُوحُهُ وَاحْتِكَامُ الْبَرْدِ فِي ذَنْبِهِ

وَأُنْشِدْنِي قَالَ أُنْشِدْنِي لِنَفْسِهِ فِي الْبَرْغَشِ (٩٣) :
 لِلَّهِ لَيْلَتُنَا مَا كَانَ أَطْوَلَهَا
 وَبَاتَ يَزْمُرُ طَوَلَ اللَّيْلِ بَرْغَشَهَا
 ظَلَلْتُ أَفْحَصُ وَالْبَرْغُوثُ يَرْتَقِصُ
 وَبِتُ الطِّمُّ وَجْهِي وَهُوَ يَمْلِصُ

وَأُنْشِدْنِي قَالَ أُنْشِدْنِي لِنَفْسِهِ مِنْ أُبَيَاتٍ فِي الْغُرْبَةِ :
 هَبَّتْ لَهُ مِنْ ثَنِيَّاتِ الْعُيُونِ صَبَا
 وَذَابَ مِنْ ذَكَرٍ وَهْرَانٍ وَمَنْزِلَةٍ
 لِلَّهِ أَيَّامُنَا وَالشَّمْلُ مُلْتَمِسٌ
 إِذْ أَسْحَبُ الدُّيْلَ مِنْ غَارِ الْحَمَامِ إِلَى
 لَا أَعْرِفُ أَلْهَمَ أَنِّي سَارَ مُتَجِهاً
 فَشَتَّ الدَّهْرُ شَمْلِي مِنْ مَعَالِمِهَا
 وَبُدِّلَتْ عِشَّتِي بَعْدَ النِّعَمِ بِهَا
 وَقَدْ تَرَدَّدْتُ ثَوْبَ الدُّلِّ بَعْدَهُمْ
 إِذَا رَأَيْتُ غَرِيباً سَحَّ أَدْمَعُهُ
 فَحَنٌّ وَجَدّاً لَأَيَّامِ الصَّبَا وَصَبَا
 قَدْ شَبَّ فِيهَا قَدِيماً عَظْمُهُ وَحَبَا
 بِسَاحَتِيهِ وَدَهْرٌ بِالسُّرُورِ حَبَا
 طَوْدِ الشَّرَائِعِ أَسْعَى وَالْهَوَا خَبِيباً (٩٤)
 وَلَا أَوَافِقُ دَاعِيِ الْعَمِّ إِنْ وَثَبَا
 كَصَاحِبِ السِّدِّ إِذْ يَغْيِي بِهِ سَبَبَا (٩٥)
 كَمَا تَبَدَّلَ جَنَاتُ بَارِضِ سَبَا
 وَبَعْدَ عِزٍّ وَثُوبِ الدُّلِّ لِلْغُرْبَا
 وَافَقْتُهُ فِي الْبُكَاءِ إِذْ كُنَّا نُسَبَا (٩٥)

(٩٣) البرغش : البعوض اللساع.

(٩٤) غار الحمام وطود الشرائع موضعان بوهران.

(٩٥) السد هو سد مأرب.

(٩٥) هذا من قول الآخر : وكل غريب للغريب نسيب.

وَمَا تَوَادَّعَ قَوْمٌ يَوْمَ بَيْنَهُمْ
أُغَارِضُ الرَّكْبَ عَلَيَّ أَنْ أَرَى رَجُلًا
لَا تَيَاسَنَّ فَإِنَّ الدَّهْرَ ذُو عَجَبٍ
قَدْ فَازَ يَعْقُوبُ فِي الدُّنْيَا بِبُعْثِهِ
إِلَّا تَوَقَّدَ قَلْبِي وَالْحَشَا لَهَا
مِنْ آلِ وَهْرَانٍ أَوْ أَلْقَى بِهِ كُتُبًا
وَرُبَّمَا أُعْتَبَ الدَّهْرُ الَّذِي عَتَبَا
مِنْ بَعْدِ مَا عَاشَ فِي أَحْزَانِهِ حَقْبًا (96)
(4 : 370-374)

17 - عَلِيُّ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ فَشْتَالٍ

أَبُو الْحَسَنِ (97) الْكَاتِبُ الْفَاضِلُ الْأَدِيبُ. أَخْبَرَنِي شَيْخُ الشُّيُوخِ (98)، قَالَ :
أُظَنُّهُ مِنْ أَهْلِ الْأَنْدَلُسِ، رَأَيْتُهُ بِمُرَّاكُشَ، وَكَانَ مُتَعَطِّلًا عَنِ الْعَمَلِ، حَالِيًا بِفَضَائِلِهِ
وَأِنْ كَانَ فِي الْعَطَلِ، وَلَهُ رَسَائِلُ حَسَنَةٌ، وَالْفَاطِظُ بَدِيعَةٌ مُعْتَبَرَةٌ. وَكَانَ يَمِيلُ فِي
رَسَائِلِهِ وَشِعْرِهِ إِلَى طَرِيقَةِ أَهْلِ الْمَشْرِقِ، وَحَصَّلَ مِنْ عِنْدِي كَثِيرًا مِنْ تَرَسُّلِ
الْقَاضِي الْفَاضِلِ وَالْعِمَادِ الْكَاتِبِ وَغَيْرِهِمَا رَحِمَهُمُ اللَّهُ، وَكَتَبَ إِلَيَّ بِإِحْسَانٍ
تَجَدَّدَ لِي مِنَ السَّيِّدِ أَبِي يُوسُفَ يَعْقُوبَ ابْنِ عَبْدِ الْمُؤْمِنِ، وَهُوَ تَمْلِيكَ بُسْتَانٍ
بِنَاحِيَةِ أَغْمَاتَ، وَتَقَدَّمَ إِلَيَّ بِقَضَاءِ حَوَائِجِ الْغُرَبَاءِ وَالْقُعُودِ عِنْدَهُ.
رَأَيْتُ بِعَيْنِي الْيَوْمَ فِي صُحُفِ الْمُنَى لِمَجْدِكَ مَا تُعْطَى مِنَ الْحَظِّ فِي غَدٍ
فَصِرْتُ أُمْنَى النَّفْسِ تَجْدِيدَ مَا عَفَا مِنْ الْعِزِّ لِي فِي عِزِّكَ الْمُتَجَدِّدِ
(4 : 380)

(96) يشير إلى قصة يعقوب مع ولده يوسف.

(97) انفرد ابن الشعار بتدوين ترجمة هذا الكتاب نقلا عن ابن حمويه، وقد نقل المقرئ عنه أيضا خبراً قد يستفاد منه أنه كان كاتباً عند السيد أبي الحسن علي بن عمر بن عبد المؤمن والي بجاية وتلمسان (نفع الطيب 3 : 109).

(98) هو ابن حمويه، وقد تقدم ذكره.

18 - عَلِيُّ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ

ابن أحمد بن علي أبو الحسن المراكشي⁽⁹⁹⁾، متفقه على مذهب مالك بن أنس رضي الله عنه، نزيل بغداد، أنشدني وجيه الدين الأسكندري⁽¹⁰⁰⁾، قال :
أنشدني أبو الحسن لنفسه : يُعرف بالكردّي والغربي أيضاً :

خَلَعْتُ عِذَارِي فِي الْحَبِيبِ تَظَرُّفًا	عَلَى أَنِّي مِنْ أُخْلَعِ النَّاسِ فِي الْخَلَعِ
وَمَا [هُوَ] فِي التَّحْقِيقِ مِنِّي تَطَبُّعًا	بَلَى هُوَ فِي أَصْلِ الْخَلِيقَةِ بِالطَّبْعِ
فَمَنْ رَامَ مِنْ قَلْبِي سُلُوءًا فَإِنَّمَا	يُكَلِّفُنِي بِالْجَهْلِ مَا لَيْسَ فِي وَسْعِي
يَقُولُونَ : لَا تَهَوَّاهُ، هَلَّا سَلَوْتُهُ	وَهَذَا إِذَا حَقَّقْتَهُ فَاسِدُ الْوَضْعِ
وَهَلْ شَاهَدْتُ عَيْنَايَ إِلَّا جَمَالَهُ	دَنَا أَوْ نَأَى فِي حَالَةِ الْفَرْقِ وَالْجَمْعِ
فَمَحْبُوبُ قَلْبِي مَا تَعَلَّلْتُ بِاسْمِهِ	وَلَا وَقَعَ لِلْعُدَالِ فِي الْقَلْبِ وَالسَّمْعِ
فَلَسْتُ مُطِيعَ الْعَدْلِ [فِيهِ وَمَرْحَبًا]	بِقَتْلِي أَمَامَ الْعَدْلِ بِالسَّيْفِ وَالنَّطْعِ
فَإِنْ قِيلَ مَجْنُونٌ، وَقِيلَ مُمَوِّهٌ	وَأَكْثَرَتِ الْأَقْوَالُ بِالظَّنِّ وَالْقَطْعِ
فِعَرْضِي مَبْذُولٌ وَمَالِي مُبَذَّرٌ	وَقَتْلِي وَخَتْلِي مُسْتَبَاحَانِ فِي شَرْعِ

(4 : 380-381)

19 - عَلِيُّ بْنُ حُمَيْرٍ أَبُو الْحَسَنِ السَّبْتِيُّ⁽¹⁰¹⁾

كَانَ فَقِيهًا مَالِكِيًّا شَاعِرًا مُفْلِقًا أَصُولِيًّا عَالِمًا أَدِيبًا لُغَوِيًّا تُوْفِيَ سَنَةَ أَرْبَعِ عَشْرَةِ وَسِتِّ مِئَةٍ، أَنَشَدَنِي أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ عَبْدِ

(99) لم أقف عليه في مصدر آخر.

(100) لم أقف عليه.

(101) راجع دراستنا حول هذا العالم المؤلف السبتي في مجلة دار الحديث الحسنية (العدد العاشر 1992).

الْوَاحِدِ الْأَوْسَى السَّبِيئِ (102) بِحَلَبِ الْمَحْرُوسَةِ، قَالَ : أَنَشَدَنِي الشَّيْخُ أَبُو
الْحَسَنِ عَلِيُّ بْنُ حُمَيْرٍ لِنَفْسِهِ :

إِذَا شِئْتَ أَنْ تَبْكِي فَقِيداً مِنَ الْوَرَى	فَتَنْدُبُهُ بَعْدَ النَّبِيِّ الْمُكْرَمِ
فَحَامِلُ عِلْمٍ عَالِمٌ مُتَوَرِّعٌ	حَرِيصٌ عَلَى التَّحْرِيزِ لِلْمُتَعَلِّمِ
وَحَاكِمٌ عَدْلٍ بِالشَّرِيعَةِ قَائِمٌ	يَقُولُ بِحُكْمِ اللَّهِ لَا بِالتَّحْكُمِ
وَصَاحِبُ مَالٍ فَاضِلٌ مُتَفَضِّلٌ	يَجُودُ بِهِ حَقّاً عَلَى كُلِّ مُعْدِمِ
وَسَاهِرٌ لَيْلٍ شَافِعٌ مُتَشَفِّعٌ	بِكُلِّ نَوْمٍ شَابِعٍ مُتَبَشِّعِ
وَصَاحِبُ سَيْفٍ لِلْعَدُوِّ مُرَابِطٌ	يُسَدُّ بِهِ فِي كُلِّ ثَغْرِ مُثْلَمِ
هُمْ خَمْسَةٌ يُكُونُ حَقّاً وَغَيْرُهُمْ	إِلَى حَيْثُ أَلَقْتَ رَحْلَهَا أَمْ قَشْعَمِ

(4 : 387-388)

20 — عَلِيُّ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ أَبُو الْحَسَنِ

الإِسْبِيلِيُّ الْمَعْرُوفُ بِالْقُسْطَارِ (103)، مِنْ أَهْلِ الْحَدِيثِ وَالْقُرْآنِ، وَلَهُ نَظْمٌ، أَقَامَ
بِدِمَشْقَ مُدَّةً يَسْمَعُ الْحَدِيثَ عَلَى مَشَايِخِهَا. أَنَشَدَنِي الشَّيْخُ تَاجُ الدِّينِ أَبُو الْحُسَيْنِ
مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ الْقُرْطُبِيُّ (104) الدَّمَشْقِيُّ بِهَا سَنَةَ أَرْبَعِينَ وَسِتِّ مِئَةٍ، قَالَ :

سَقَانِي، وَلَمْ يَشْرَبْ، وَذَاكَ تَأْدُباً	وَأَقْسَمَ أَنِّي قَبْلَهُ سَوْفَ أَشْرَبُ
فَمَا اسْطَعْتُ إِلَّا أَنْ أَبْرَّ يَمِينَهُ	وَكُنْتُ لَعَمْرُ اللَّهِ فِي السُّورِ أَرْغَبُ
وَأَنَشَدَنِي، قَالَ : أَنَشَدَنِي لِنَفْسِهِ،	وَقَدْ سُئِلَ عَنْ شَوْقِهِ لِلْأَهْلِ كَيْفَ هُوَ :
يَا سَائِلِي، كَيْفَ شَوْقِي الْأَهْلَ وَالْوَطَنَا	هَيَّجَتْ — وَاللَّهِ — لِي مَا كَانَ قَدْ سَكَنَا
كَيْفَ اسْتِيَاقُ غَرِيبِ الدَّارِ مُنْقَطِعِ	عِشْرِينَ عَاماً يُقَاسِي غُرْبَةً وَضَنَا
شَوْقِي إِلَيْهِمْ شَدِيدٌ لَا انْفِصَامَ لَهُ	وَالْقَلْبُ ذُو حُرْقٍ مُذْ فَارَقَ السَّكَنَا

(102) انظر الوافي بالوفيات 3 : 369.

(103) له ترجمة في التكملة رقم 1906 والذيل والتكملة 5 : 175.

(104) لم أقف عليه.

وَأُنْشَدَنِي أَيْضاً، قَالَ : أَنُشَدَنِي لِنَفْسِهِ، وَكَانَ يَوْمًا عِنْدَ شَيْخِهِ خَزْعَلِ بْنِ عَسْكَرِ النَّحْوِيِّ⁽¹⁰⁵⁾، وَسَأَلَهُ أَبُو مُوسَى عِيسَى بْنُ سُلَيْمَانَ الرَّعِنِّيُّ⁽¹⁰⁶⁾ أَنْ يُجِيزَهُ، فَوَعَدَهُ الشَّيْخُ بِذَلِكَ فَقَالَ :

جَرَتِ الْعَوَائِدُ إِذْ يُجَازُ مُحَدِّثٌ فَحُضُورُ آخِرٍ لَمْ يُجَزْ يَتَعَيَّنُ
وَعَوَائِدُ الْمَوْلَى التَّقِيِّ بِفَضْلِهِ جَبُرَ الْقُلُوبِ، وَجَبُرَ قَلْبِي هَيْنُ

وَأُنْشَدَنِي، قَالَ : أَنُشَدَنِي لِنَفْسِهِ، وَقَدْ ذَهَبَ بِأَيْنِهِ كَرَهَا إِلَى جَدَّتِهِ، وَهُوَ يَقُولُ لَهُ : دَعْنِي عِنْدَكَ الْيَوْمَ وَغَدًا أَبْعَثْنِي إِلَيْهِمْ فَقَالَ :

لَهْفِي عَلَى الْوَلَدِ الْعَزِيزِ، وَقَدْ غَدَا وَيَقُولُ: يَا مَوْلَايَ تُسَلِّمُنِي إِلَى
مَوْلَايَ دَعْنِي عِنْدَكُمْ مُتَنَعِّمًا مَوْلَايَ كَيْفَ تُسَرُّ، وَابْنُكَ مُوثِقٌ
فَأَجَبْتُهُ — وَالْدَّمْعُ مِنْهُلٌّ عَلَى
نَفْسِي فِدَاؤُكَ مِنْ أَذَى جُرْعَتِهِ كَرَهَا يُفَارِقُنِي إِلَى بَيْتِ الْعِدَى
مَنْ لَيْسَ يَرْحَمُنِي، وَيُورِدُنِي الرَّدَى
يَوْمِي، وَيَتَّقِمُونَ مِنِّي هُمْ غَدَا
فِي أَسْرِ بَاغِيهِ عَلَيْهِ تَمَرَّدَا
خَدُّ نَحِيلٍ أَصْفَرٍ: نَفْسِي الْفِدَا
طِفْلًا، فَسَاعَدَكَ الْإِلَهُ وَأَسْعَدَا

(4 : 390-392)

21 — عَلِيُّ بْنُ سَعِيدٍ بْنُ حَمَامَةَ

أَبُو الْحَسَنِ الصَّنَهَاجِيُّ التَّلْكَاتِي⁽¹⁰⁷⁾ مِنْ أَهْلِ الْمَغْرِبِ، كَانَ شَيْخًا فِيهِ فَضْلٌ وَأَدَبٌ، وَلَهُ مَعْرِفَةٌ بِعِلْمِ الْعُرُوضِ وَالْقَوَافِي، وَعِنَايَةٌ بِتَأْلِيفِ الْأَشْعَارِ وَجَمْعِهَا وَتَرْتِيبِهَا، وَيُلْزِمُ نَفْسَهُ ذَلِكَ، نَزَلَ حَمَاةً، وَانْقَطَعَ إِلَى سُلْطَانِهَا الْمَلِكِ الْمُظْفَرِ تَقِيِّ

(105) ترجمة خزعل في الوافي 13 : 309 مع الإشارة إلى مصادر أخرى في الحاشية، ويضاف إليها بغية الطلب 7 : 285.

(106) ستأتي ترجمة ابن الشعار له ضمن هذا المجموع (ص 96).

(107) انظر التكملة، لوفيات النقلة 2 : 132 وقد ذكر د. بشار عواد المصادر التي وردت فيها ترجمته.

الدِّينِ أَبِي الْمَنَاقِبِ عُمَرُ بْنُ شَاهِنْشَاهِ بْنِ أَيُّوبَ بْنِ شَادِي (108) رَحِمَهُ اللَّهُ،
وَجَمَعَ بِاسْمِهِ كِتَاباً سَمَّاهُ (نَفَائِسُ الْأَغْلَاقِ، فِي مَآثِرِ الْعُشَّاقِ)، وَعَمِلَهُ مُبَوَّباً
عِشْرِينَ بَاباً، أَوْدَعَ فِيهِ مِنْ بَدَائِعِ الْحِكَايَاتِ وَنَوَادِرِ الْأَشْعَارِ.

وَوَظَّفَرْتُ لَهُ بِكِتَابٍ آخَرَ لَقَّبَهُ بِ(زِنَادُ الْمُقْتَبَسِ، فِي مُلَحِ أَهْلِ الْأُنْدَلُسِ)، قَفَى
الْأَشْعَارَ الَّتِي ضَمَّنَهَا الْكِتَابَ عَلَى حُرُوفِ الْمُعْجَمِ، وَلَمْ يَأْتِ فِيهِ بِغَرِيبٍ مِنَ
الشُّعْرِ، وَكَانَ شَاعِراً مُكَثِّراً مِنَ النَّظْمِ، وَعَمِلَ الْمُوشَّحَاتِ، قَادِراً عَلَى إِنْشَائِهَا
وَارْتِجَالِهَا يَصْنَعُ مِنْهَا (109) مَا شَاءَ فِي سَاعَةٍ وَاحِدَةٍ بِغَيْرِ فِكْرَةٍ وَلَا رَوِيَّةٍ.

وَوَفَدَ إِلَى الْبِلَادِ الشَّامِيَّةِ فِي أَيَّامِ الْمَلِكِ الْعَادِلِ نُورِ الدِّينِ أَبِي الْقَاسِمِ مُحَمَّدٍ
ابْنِ زَنْكِي بْنِ أَقْسَنْقَرٍ (110) رَحِمَهُ اللَّهُ، فَاِمْتَدَحَهُ بِقَصَائِدَ شَتَّى، وَمَدَحَ بَعْدَهُ
الْمَلِكَ النَّاصِرَ صَلَاحَ الدِّينِ يُوسُفَ بْنِ أَيُّوبَ (111) رَحِمَهُ اللَّهُ بِعِدَّةٍ قَصَائِدَ.

وَبَلَغَنِي أَنَّهُ أُسِرَ أَوَائِلَ الْمِئَةِ السَّابِعَةِ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ. كَذَا أَخْبَرَنِي بِذَلِكَ الْوَزِيرُ
الصَّاحِبُ الْقَاضِي الْأَكْرَمُ أَبُو الْحَسَنِ عَلِيُّ بْنُ يُوسُفَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ الْقِفْطِيُّ (112)
أَسْعَدَهُ اللَّهُ بِحَلَبَ، أَنَشَدَنِي أَبُو الْحَسَنِ عَلِيُّ بْنُ فَيَاضَ بْنِ عَلِيٍّ الْمُقْرِئُ
الْحَلَبِيُّ (113)، قَالَ :

أُنَشَدَنِي أَبُو الْحَسَنِ عَلِيُّ بْنُ سَعْدِ بْنِ حَمَامَةَ الصَّنَهَاجِيُّ التَّلْكَاتِيُّ لِنَفْسِهِ، وَقَدْ
رَأَى فَاخِئَةً عَلَى شَجَرَةٍ تَارُجٍ وَهِيَ تُغَرَّدُ :
وَلَا بَسَةَ ثَوْباً مِنْ الرِّيشِ أَذْكَأَ تَرَوْقَكَ مَرَأًى فِي الْغُصُونِ وَمَسْكَنَا
بَنَتْ فِي أَعَالِي الدُّوحِ وَكُرّاً مُحْصِئاً تَفِيّاً أَوْراقاً لِدَاناً وَأَغْصِئاً

(108) ترجمته في الوافي بالوفيات 22 : 484 وفي حاشية المحقق سرد لمصادر ترجمته.

(109) في الأصل : قادراً على إنشائه وارتجاله يصنع منه.

(110) ترجمته في وفيات الأعيان 5 : 184-189 وفي الحاشية تعداد لمصادر أخرى.

(111) هو أشهر من أن يعرف به وترجمته على سبيل المثال في وفيات الأعيان 7 : 139-218.

(112) هو صاحب التصانيف المفيدة مثل الإنباه وغيره، انظر ترجمته في الوافي بالوفيات 22 :
338-341 وفي حاشية المحقق ذكر لمصادر متعددة.

(113) لم أقف له على ترجمة.

أَرْتَنَا بِأَفْنَانِ الْأَرَاكِةِ قَيْصَرًا
وَأُنْشَدْتَ الْحَنَانَ كَسَجْعِ مُخَارِقِ
بَكَتْ طَرَبًا لَمَّا بَكَيتُ صَبَابَةً
وَمِنْ شِعْرِهِ أَيْضًا أَوَّلُ قَصِيدَةٍ :

غَنَى الْحَمَامُ عَلَى أَغْصَانِهِ طَرَبًا
هَاجَتْ لِي الشُّوقُ فِي الْأَغْصَانِ صَادِحَةً
مَا إِنْ رَأَيْتُ جَهُولًا قَبْلَ رُؤْيَيْهَا
تُبْكِي وَمَا فَارَقْتَ إِنْفَاءً وَلَا وَطَنًا
يَا قَاتِلَ اللَّهِ صَدَّاحَ الْحَمَامِ إِلَى
هَاجِ الصَّبَابَةِ مِنْ أَعْنَانِ كَاطِمَةٍ
وَمِنْ شِعْرِهِ أَيْضًا فِي كِتَابِهِ الْمُسَمَّى بِ(تَفَائِسِ الْأَعْلَاقِ) :

بَاتَا بِأَنْعَمِ عَيْشَةٍ حَتَّى بَدَا
فَتَلَا زَمًا عِنْدَ الصَّبَاحِ صَبَابَةً
صُبْحُ تَالِقٍ كَالْأَغْرِ الْأَشْقَرِ
أَخَذَ الْغَرِيمَ بِفَضْلِ ذَيْلِ الْمُعْسِرِ⁽¹¹⁴⁾
(4 : 396-398)

22 — عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنُ يُوسُفَ

ابْنِ مَسْعُودٍ أَبُو الْحَسَنِ الْقُرْطُبِيُّ الْقَيْسِيُّ الْقُبْدَاقِيُّ الْمَعْرُوفُ بِأَبْنِ
خُرُوفٍ⁽¹¹⁵⁾. خَرَجَ مِنَ الْأَنْدَلُسِ، وَقَدِمَ بِلَادَ الشَّامِ، وَنَزَلَ حَلَبَ، وَاسْتَوَطَنَهَا
فِي أَيَّامِ الْمَلِكِ الظَّاهِرِ غِيَاثِ الدِّينِ غَازِي بْنِ يُوسُفَ بْنِ أَيُّوبَ⁽¹¹⁶⁾، وَانْقَطَعَ
إِلَيْهِ، وَامْتَدَّحَهُ بَعْدَ قَصَائِدَ وَمَاتَ فِي أَيَّامِهِ فِي سَنَةِ أَرْبَعٍ وَسِتٍّ مِئَةٍ. وَكَانَ مِنْ

(114) قرأتها في مكان آخر لا أذكره الآن.

(115) ترجمته في الذيل والتكملة 5 : 396-399 وفي الحاشية إحالات على مصادر أخرى.

(116) انظر ترجمة هذا الملك في الوفيات 4 : 6-10 وفي حاشية المحقق ذكر لمصادر أخباره.

الْمَطْبُوعِينَ فِي الشُّعْرِ وَظُرَافِ النَّاسِ فِي وَقْتِهِ، وَكَانَ مِنَ الْمَطْبُوعِينَ فَصَاحَةً
وَدَمَائَةً قِيَّماً يَعْلَمُ الْعَرَبِيَّةَ وَالْأَدَبَ حَسَنَ الشُّعْرِ يَتَخَالَعُ فِيهِ، وَلَهُ مَكَاتِبَاتٌ وَرَسَائِلٌ،
وَيَدُّ بَاسِطَةً فِي عَمَلِ الْمُوشَّحِ وَالْأَزْجَالِ الْأَنْدَلُسِيَّةِ، وَكَانَ مِنْ أَقْدَرِ النَّاسِ فِي
صَنْعَتَيْهِمَا.

وَكَانَ صَدِيقاً لِابْنِ لَهَيْبِ الشَّاعِرِ⁽¹¹⁷⁾، وَبَيْنَهُمَا انْبِسَاطٌ يَقْتَضِيهِ الاسْتِرْسَالُ،
وَيُسَوِّغُ مَعَهُ الْمُدَاعَبَةَ، وَمِمَّا كَتَبَهُ إِلَيْهِ وَقَدْ اسْتَدْعَاهُ ابْنُ لَهَيْبٍ، فَكَتَبَ إِلَيْهِ أَبُو
الْحَسَنِ الْجَوَابَ :

ابْنُ اللَّهَيْبِ دَعَانِي دُعَاءَ غَيْرِ النَّبِيِّ
إِنْ صِرْتُ يَوْماً إِلَيْهِ فَوَالِدِي فِي أَيِّهِ
وَأُنْشَدَ أَبُو الْحَسَنِ عَلِيُّ بْنُ عَبْدِ الْجَبَّارِ الْقَيْرَوَانِيُّ⁽¹¹⁸⁾، قَالَ : أَنُشَدَنِي أَبُو
الْحَسَنِ ابْنُ خُرُوفٍ لِنَفْسِهِ مِنْ صَدْرِ كِتَابٍ كَتَبَهُ إِلَى الْقَاضِي أَبِي الْمَحَاسَنِ
يُوسُفَ بْنِ رَافِعِ بْنِ شَدَّادٍ⁽¹¹⁹⁾ الْمُوصِلِيُّ قَاضِي حَلَبٍ يَطْلُبُ مِنْهُ قُرُوءَةً :

بِهَاءِ الدِّينِ وَالذُّنْيَا وَنُورَ الْمَجْدِ وَالْحَسَبِ
طَلَبْتُ مَخَافَةَ الْأَنْوَا ءِ مِنْ حَسَنَّاكَ جِلْدَ أَبِي
فَفَضْلِكَ عَالِمٌ أَنِّي خُرُوفٌ بَارِعُ الْأَدَبِ
حَلَبْتُ الدَّهْرَ أَشْطَرَهُ وَفِي حَلَبٍ صَفَا حَلْبِي

وَأُنْشَدَنِي الْحَكِيمُ أَبُو الْفَرَجِ عَبْدُ الْقَاهِرِ بْنُ عَفِيفٍ بْنُ عَبْدِ الْقَاهِرِ بْنِ سُكَّرَةَ
الْحَلَبِيِّ الْإِسْرَائِيلِيُّ⁽¹²⁰⁾ بِحَلَبٍ، قَالَ : أَنُشَدَنِي ابْنُ خُرُوفٍ لِنَفْسِهِ فِي الْمُهَذَّبِ
ابْنِ الدُّخْوَارِ الدَّمَشْقِيِّ⁽¹²¹⁾ :

(117) لم أقف على ترجمته.

(118) ستأتي ترجمة ابن الشعار له في هذا المجموع (ص 71).

(119) أسهب ابن خلكان في ترجمة القاضي ابن شداد (7 : 84-100). وقد ذكر المحقق مصادر
متعددة في ترجمته، وانظر الأبيات المذكورة مع الرسالة في الوفيات (7 : 95).

(120) لابن سكرة الحلبي ترجمة في عيون الأنباء 2 : 164.

(121) هو الطبيب الأديب عبد الرحيم بن علي الدمشقي (565-628هـ) له ترجمة في سير أعلام
النبلاء 13 : 128-199.

إِنَّ الْأَعْيَرَجَ حَازَ الطَّبَّ أَجْمَعَهُ
وَلَيْسَ يَجْهَلُ شَيْئاً مِنْ غَوَامِضِهِ
فِي حِيلَةِ الْبَرِّ (122) قُلْتُ عِنْدَهُ حَيْلُ
الرُّوحِ يَسْكُنُ جُثْمَانَ الْعَلِيلِ عَلَى
وَقَالَ يَصِفُ النَّيْلَ :

مَا أَعْجَبَ النَّيْلَ مَا أُحْلَى شَمَائِلُهُ
مِنْ جَنَّةِ الْخُلْدِ فَيَاضُ عَلَى ثُرَعٍ
لَيْسَتْ زِيَادَتُهُ مَاءً كَمَا زَعَمُوا
وَأُنْشَدَنِي الْحَكِيمُ أَبُو الْفَرَجِ عَبْدُ الْقَاهِرِ ابْنُ سُكَّرَةَ (123)، قَالَ أَنْشَدَنِي ابْنُ
خُرُوفٍ لِنَفْسِهِ :

أَنْتَ بِطَبِّ الْوَرَى عَلِيمٌ لَكِنَّهُ إِنْ عَكَسَتْ طَبًّا
وَقَالَ فِي رَجُلٍ مَغْرِبِي يُقَالُ لَهُ : ابْنُ السُّمَيْلِ :
أَيَا تَجَلَّ السُّمَيْلُ سَمَلْتُ حَتَّى
عِجَانُكَ مِنْ سِبَاعِ الطَّيْرِ أَوْدَى
تُنَاكَ وَأَنْتَ أَقْرَعُ ذُو قُرُونٍ
أَيُّ : هُوَ أَقْرَعُ، وَلَهُ قُرُونٌ، وَبُنَاكَ.

وَقَالَ، وَكَانَ أَمِيناً بِيِمَارِسْتَانِ دِمَشْقَ، وَكَانَ لَهُ بَوَابٌ اسْمُهُ السَّيْدُ :
مَوْلَايَ مَوْلَايَ أَجْرَنِي فَقَدْ
وَكَيْفَ لِي صَبْرٌ عَلَى مَنْزِلِ
السَّيْدُ : الذُّبُّ. وَلَهُ يَصِفُ سِنْدِيّاً، وَالسَّنْدِيُّ : لَاعِبُ الْخُفِّ الَّذِي يَلْعَبُ
بِالسُّيُوفِ وَغَيْرِهَا :

وَمُنَوَّعِ الْحَرَكَاتِ يَلْعَبُ بِالنُّهَى لَيْسَ الْمَحَاسِنِ عِنْدَ خَلْعِ لِبَاسِهِ

(122) حيلة البرء هو اسم كتاب لجالينوس.

(123) هو الذي تقدم ذكره آنفاً.

مُتَأَوِّدٌ كَالْغُصْنِ فَوْقَ كَثِيبِهِ مُتَلَاعِبٌ كَالظُّبْيِ عِنْدَ كِنَاسِهِ
بِالْعَقْلِ يَلْعَبُ مُقْبِلًا أَوْ مُذْبِرًا كَالذَّهْرِ يَلْعَبُ كَيْفَ شَاءَ بِنَاسِهِ
وَيَضُمُّ لِلْقَدَمَيْنِ مِنْهُ رَأْسَهُ كَالسَّيْفِ ضَمَّ ذُبَابُهُ لِرِئَاسِهِ (124)

وَقَالَ فِي زَرْبَطَانَةٍ (125) :

لِلَّهِ لَافِظَةٌ مِنْ جَوْفِهَا دُرَرًا تُعْطَلُ الرُّوضُ مِنْ شَادٍ وَصَدَّاحٍ
مِثْلُ الْيَرَّاعِ، وَلَكِنْ مَا لَهَا عُقْدٌ إِذَا تُسَدَّدُ بِالْأَفْوَاحِ وَالرَّاحِ
أَبْصَرْتُ رَامِيَةً فِي شَكْلِ طَاعِنَةٍ فَتَنْتَمِي لِقِسْيٍ أَوْ لِأَرْمَاحِ
نَفَخَتْ فِيهَا وَقَدْ سَوَّيْتَهَا جَمَدًا رُوحًا فَتَقْبِضُ أَرْوَاحًا بِأَرْوَاحِ
يَا مُشْرِفًا تَشْرُفُ الدُّنْيَا بِسُودَدِهِ هَبْهَا قَنَاءً وَخُذْ آيَاتِ أُمْدَاحِ

وَلَهُ يَسْتَهْدِي خَمْرًا :

يَا مَنْ يَهْزُ الْمَدِيحُ مِنْهُ عِطْفًا حَكَى الْمَائِسَ الْفُرُوحَا
خُذْ جَسَدًا لَيْسَ فِيهِ رُوحٌ وَانْفُخْ مِنَ الرَّاحِ فِيهِ رُوحَا

وَلَهُ فِي كَاسٍ :

أَنَا جِسْمٌ لِلْحُمَيَّا وَالْحُمَيَّا لِي رُوحٌ
بَيْنَ أَهْلِ الظَّرْفِ أَغْدُو كُلُّ وَقْتٍ وَأَرْوَحُ
وَلَهُ فِي الْحَكِيمِ الْأَعْرَجِ الْمُهَذَّبِ ابْنِ عَلِيٍّ الْكَحَّالِ الْمَعْرُوفِ بِالذُّخْوَارِ
الدَّمَشَقِيِّ :

تَجَرَّرُ يَا أَعْيَرُجُ ذَيْلَ كِبَرٍ وَتَعْلَمُ لَوْمَ وَغَدٍ أَنْتَ نَجْلُهُ
وَتَمْشِي مِشْيَةَ الْخِيَلَاءِ زَهْوًا أَمَامَ السَّامِرِيِّ وَأَنْتَ عِجْلُهُ

(124) الأبيات موجودة أيضا في الذيل والتكملة 5 : 397 وصلة الصلة : 115.

(125) في شفاء العليل : زربطانة لما يرمى به.. قال ابن حجاج :
بِهِ تَرْمِي لِحَى مُتَعَشِّقِيهَا كَمَا يَرْمِي أَلْفَتَى بِالزَّرْبَطَانِهِ
وانظر في الكلمة أيضا قاموس دوزي.

السَّامِرِيُّ رَجُلٌ كَانَ بِدِمَشْقَ، وَكَانَ شَرِيكاً لِلْأَعْرَجِ [وَلَهُ فِيهِ] (126) :
لَكَ يَا مُهَذَّبُ فِي الْجُسُومِ مَلَا حِمٌّ حَسَدَ الْحُسَامِ كِفَاحَهَا وَاللَّهْذَمُ
يُعْمِي أَخُوكَ وَأَنْتَ تَقْتُلُ دَائِماً «لَأَخُوكَ ثُمَّ أَرْقُ مِنْكَ وَأَرْحَمُ» (127)
(4 : 410-415)

23 - عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنُ أَحْمَدَ

أَبْنِ مُحَمَّدٍ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ يُونُسَ بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ إِسْمَاعِيلَ بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ سَهْمٍ
مِنْ وَلَدِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ الْقُرَشِيِّ ثُمَّ السَّهْمِيِّ أَبُو الْحَسَنِ بْنِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ شَهْرَ
يَافِي الْبَيَّانِيِّ الْغُرْنَاطِيِّ الْأَنْدَلُسِيِّ (128)، شَاعِرٌ مِنَ الْفُضَلَاءِ أَنْشَدَنِي أَبُو الْفَتْحِ
مُحَمَّدُ بْنُ بَدَلِ التَّبْرِيزِيِّ (129) رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى قَالَ : أَنْشَدَنِي أَبُو الْحَسَنِ بْنُ
الْبَيَّانِيِّ لِنَفْسِهِ بِإِزْبِلَ - قَدِمَهَا فِي الْعَشْرِ الْأُولَى مِنْ شَعْبَانَ سَنَةِ ثَلَاثِينَ وَسِتِّمِائَةٍ
مُجْتَازاً إِلَى دَارِ السَّلَامِ - يَمْدَحُ مَوْلَانَا وَسَيِّدَنَا الْإِمَامَ الْمُسْتَنْصِرَ بِاللَّهِ أَمِيرَ
الْمُؤْمِنِينَ أَبَا جَعْفَرٍ الْمَنْصُورَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (130) :
حَرَمُ الْخِلَافَةِ قَصْدُ كُلِّ مُيَمِّمٍ وَمَحَلُّ مَوْثُوقِ الْعَقِيدَةِ مُسْلِمِ
شَرَفَتْ قَوَاعِدُهُ فَبَانَ [مِثَالُنَا] (131) فِي جَوْفِ قُبَّةِ سَمَكِهِ كَالدَّرْهِمِ

(126) زيادة ليست في الأصل، ويقتضيها السياق.

(127) هذا شطر بيت للمتنبي.

(128) لم أقف على ذكره في غير هذا المصدر.

(129) تقدم ذكره.

(130) حوالي هذا التاريخ كانت دعوة ابن هود للعباسيين وتوصل بتقليد من الخليفة المستنصر
العباسي يوليه به على الأندلس، وهو مكتوب في العشر الأوسط من ذي القعدة سنة 629 هـ
وكان السفير الذي حمل هذا التقليد هو أبو علي حسن بن علي بن حسن بن الحسين الكردي
الملقب بالكمال. فهل هذا الأندلسي الوافد على دار السلام ومادح الخليفة المستنصر كان
سفيرا عن ابن هود إلى هذا الخليفة ؟

(131) كلمة غير واضحة في الأصل.

وَكَأَنَّمَا الْعَافِي الْمُلِمُّ بِبَابِهِ
 دَمِنْ سَمَتْ شَرَفًا بِسَاكِنِ أَفْقِهَا
 أَسْنَى الْخَلَائِفِ وَالْخَلَائِقِ مَحْتَدًا
 مُسْتَنْصِرٌ بِاللَّهِ فِي أَعْمَالِهِ
 دَارُ السَّلَامِ لِقَاصِدِيهَا قِبْلَةٌ
 شَهِدَتْ بِبَهْجَتِهَا بِهِ أُمُّ الْقُرَى
 وَالْبَيْتُ يَشْهَدُ بِالْفَخَارِ لِقَطْرِهَا
 وَكَذَا الْمَشَاعِرُ لَمْ يَزَلْ يَتْلُو بِهَا
 فِيكُمْ بَنِي الْعَبَّاسِ عِصْمَةُ دِينِنَا
 أَنْتُمْ خَلَائِفُ رَبَّنَا فِي أَرْضِهِ
 وَبِفَضْلِكُمْ نَطُقُ الْكِتَابُ لِأَنْتُمْ
 وَإِذَا آمَرُوا حَادَثَ بِهِ سَبُلُ الْهَوَى
 فَإِذَا اسْتُتِيبَ قَتَابَ كَانَ مُؤْمِنًا
 إِمَامَ أَهْلِ الْأَرْضِ بُلُغَتْ الْمُنَى
 وَبِلَادَ أَنْدَلُسِ أَدِيلَتُ دَوْلَةُ
 شَبَّ الْوَلِيدُ بِهَا سُرُورًا وَاكْتَسَتْ
 فَتُغُورُهَا أَفْتَرَتْ بِطَاعَةِ أَهْلِهَا
 نَبَذُوا ضَلَالَ خَوَارِجٍ قَدْ أَثْقَلَتْ
 وَاسْتَبَشَرُوا بِكَمَالِ بَيْعَةِ دِينِهِمْ
 وَمَلِيكُهُمْ سَبْعُ بْنُ هُودٍ (134) مَالِكُ
 مَلِكُ لَكُمْ مَلَكَتْ يَدَاهُ مَعَاقِلًا
 فَازَارَهَا أَسَدًا وَكَانَ شِعَارُكُمْ

يَخْطُو إِلَيْهِ عَلَى جَبِينِ الْمُزْرِمِ
 مِنْ آلِ أَحْمَدَ سِرٌّ صِفْوَةٌ آدَمِ
 وَأَجْلُهُمْ ذِكْرًا لَدَى نُطْقِ الْقَمِ
 مَاضِي الْعَزِيمَةِ فِي الْمُهَمِّ الْمُبْرَمِ
 كَالْبَيْتِ مِنْ مَثَرٍ يَحْجُجُ وَمُعْدِمِ (132)
 لَوْ حَلَّهَا فَرِحَتْ بِأَشْرَفِ مَنْسِمِ
 ثُمَّ الْمَقَامُ مَعَ الْحَطِيمِ وَزَمَزَمِ
 آيِ الْمَآثِرِ كُلِّ أَشْعَتْ مُحْرِمِ
 فِي عَصْرِنَا ذَا وَالزَّمَانِ الْأَقْدَمِ
 طَرَأَ وَمَنْ يَأْبَى فَلَيْسَ بِمُسْلِمِ
 آلِ النَّبِيِّ وَفَخْرُكُمْ لَمْ يُكْتَمِ
 عَنْ قَصْدِكُمْ يُدْعَى بِأَجْهَلِ مُجْرِمِ
 وَإِذَا أَبِي فَمَثَابُهُ سَفْكُ الدَّمِ
 فَمُعَرَّبٌ فِي طَوْعِكُمْ كَالْمُشْتَمِ
 لَكُمْ بَيْعَةٌ مُخْلِصٌ لَمْ تُكْتَمِ (133)
 شَرَحَ الشَّبَابِ الشَّيْبُ لِلْمُتَوَسِّمِ
 لِلَّهِ ثُمَّ لَكُمْ بِصِدْقِ مُسْلِمِ
 مِنْهُمْ ظُهُورٌ بِالشَّقَاقِ الْمُؤْلِمِ
 وَنَعِيمِ دُنْيَاهُمْ وَفَيْضِ الْأَنْعَمِ
 مِنْهُمْ أَرْمَةٌ طَاعَةٍ لَمْ تُتْهِمِ
 بَعُدَتْ عَنِ الْفُتُخِ الشَّدَادِ الْحُومِ
 غِيلاً لَهَا تَحْتَ الْعَجَاجِ الْأَقْتَمِ

(132) دار السلام هي بغداد.

(133) يشير إلى بيعة محمد بن هود للعباسيين.

(134) كان ابن هود الداعي للعباسيين يلقب بالمتوكل على الله ولعل العامة كانت تلقبه بالسبع أو هي تحريف سبط.

وَسَمَا إِلَيْهَا بِالسَّوَابِقِ شَرْباً
وَأَذَاقَهَا صِدْقَ الطَّعَانِ فَأَذَعَنْتْ
يَطْوِي الْبِلَادَ بِجَحْفِلٍ خَافَ الْمَلَأَ
خَفَقَتْ بُنُودُ سُعُودِكُمْ فِيهِ عَلَى
وَلَقَدْ غَزَا أَرْضَ الْفَرَنْجِ بِعُصْبَةٍ
فَأَمَامَهُمْ مُسْتَنْصِرٌ وَمَلِيكُهُمْ
وَإِذَا هُمْ أَمْوَا الْعِدَا صَدَقُوهُمْ
وَعَلَيْهِمْ سَرْدُ الدَّلَاصِ كَأَنَّهُ
وَطَّئَتْ سَنَابِكُ خَيْلِهِمْ هَامَاتِهِمْ
وَاسْتَعْجَلَتْ قُضْبُ الْوَشِيحِ عَلَيْهِمْ
وَجَرَتْ مَذَانِبُ مِنْ نَجِيعِ نُحُورِهِمْ
مَلَأُوا الْفَلَاةَ مُجَدِّلِينَ تَنُوشُهُمْ
فَمِيَاهُهَا قَدْ عَافَهَا مُتَطَهَّرٌ
وَقَدْ آسَقَامَ الدِّينُ فِي أَقْطَارِهَا
فَالْحَمْدُ لِلَّهِ الْمُفِيزِ عَلَيْهِمْ
فَشَبَابُهُمْ فِي غِبْطَةٍ وَنِسَاؤُهُمْ
نَالُوا الْمُنَى لَمَّا آنَجَلَتْ عَنْ أَرْضِهِمْ
وَاسْتَوْضَحُوا نَوْرَ الْهُدَى وَتَيَمَّنُوا
عَمَرَ الْبَسِيطَةِ عَدْلُهُ فَيَكَادُ أَنْ
لَا زَالَ سُحْبُ نَوَالِهِمْ يَهْمِي عَلَى
وَسُيُوفُهُ تُمَسِّي رِقَابَ عِدَائِهِ
وَرِمَاحُهُ فِي صَدْرِ كُلِّ مُعَانِدٍ
يَا ابْنَ الْأَيْمَةِ مِنْ قُرَيْشٍ أَنْتُمْ
قُطْبُ الدِّيَانَةِ وَالْأَمَانَةِ فَيْكُمُ

تُزْرِي بِكُلِّ مُدْجَجٍ مُسْتَلْتِمٍ
بِالطُّوْعِ دُونَ مُهَنْدٍ وَمُقَوْمٍ
مِنْ بَحْرِهِ الطَّامِي الْعُبَابِ الْخَضْرَمِ
أَعْدَائِكُمْ فَاسْتَسْلَمُوا لِلْمَغْنَمِ
فُطِرْتُ عَلَى دِينِ النَّبِيِّ الْأَقَوْمِ
مُتَوَكِّلٌ يَا نَصْرُ هَبْ لَا تَعْدَمُ (135)
بِالْمَشْرِفِي وَكُلُّ أَسْمَرٍ لَهْذَمِ
سَيْلٌ تَلَاظَمَ فِي غَدِيرٍ مُفْعَمِ
وَالسَّيْفُ يَرْسُمُ أَسْطُرًا لَمْ تُفْهَمِ
حُرِقُوا بِهَا مِنْ قَبْلِ نَارِ جَهَنَّمَ
وَتَجَلَّلَتْ شُهْبُ السَّوَابِقِ بِالْدَّمِ
عُصْبُ الْوُحُوشِ وَكُلُّ نَسْرِ قَشْعَمِ
وَتَرَابُهَا مَا حَلَّ لِلْمُتَيَّمِ
شَرْقاً وَغَرْباً وَالْعَدُوُّ بِمَرْغَمِ
بِإِمَامِ أَهْلِ الْحَقِّ أَسْبَغَ أَنْعَمِ
فِي حَوَاطِئِهِ وَشِوْخُهُمْ لَمْ تَهْرَمِ
ظَلَمَ الْجَهَالَةَ مِنْ زَنِيمٍ مُجْرِمِ
بِالدَّوْلَةِ الْغَرَاءِ فِي ...
تُلْفَى الذُّنَابُ مَعَ الظُّبَاءِ بِمَجْتَمِ
أَهْلِ الْوَلَاءِ بِكُلِّ نَوِيٍّ مُسْجَمِ
أَجْفَانَهَا يَوْمَ الْوَطِيسِ الْمُلْحَمِ
أَمْضَى وَأَنْفَذَ مِنْ قَضَائِهِ مُبْرَمِ
خَيْرُ الْبَرَائِيَا وَالْحِمَى لِمَيِّمِ
إِزَتْ لَكُمْ مِنْ أَكْرَمٍ عَنْ أَكْرَمِ

(135) يشير إلى المستنصر العباسي والمتوكل ابن هود.

صَلَّى عَلَى تِلْكَ الْعَنَاصِرِ رَبُّكُمْ
وَأَدَامَكُمْ لِلْمُسْلِمِينَ مَوْطِئاً
وَحَبَاكُمْ الْعُمَرَ الطَّوِيلَ تَمْتَعاً
فَالدِّينَ وَالْإِسْلَامَ لَمَّا اسْتَمْسَكَا
فَعَلَى مَوَاقِفِكُمْ أَتَمُّ تَحِيَّةٍ
وَكَسَاكُمْ ثَوْبَ الْفَخَارِ الْأَعْظَمِ
أَرْجَاءَهُمْ بِمُثْقَفٍ وَبِمَخْذَمِ
وَأَمَدَّكُمْ نَصراً بِكُلِّ مُسَوِّمِ
مِنْكُمْ بِعُرْوَةِ عِصْمَةٍ لَمْ تُفْصَمِ
مَا دَامَ بَيْتُ اللَّهِ قِبْلَةً مُسْلِمِ
(4 : 539-543)

24 - عَلِيُّ بْنُ أَبِي بَكْرٍ وَاسْمُهُ عَتِيقٌ

ابْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ خَلْفِ بْنِ أَيُّوبَ أَبُو الْحَسَنِ الْأَنْصَارِيُّ (136) مِنْ أَهْلِ
بَلَنْسِيَّةَ. كَانَتْ وَلَادَتُهُ فِي الْعَشْرِ الْأَوَّلِ مِنَ الْمُحَرَّمِ سَنَةِ تِسْعِينَ وَخَمْسٍ مِئَةٍ.
الْفَقِيهُ الْفَاضِلُ الْمُقْرَأُ، قَرَأَ الْقُرْآنَ بِالسَّبْعِ، وَتَفَقَّهُ عَلَى مَذْهَبِ الْإِمَامِ الشَّافِعِيِّ
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَسَمِعَ الْحَدِيثَ النَّبَوِيَّ كَثِيراً بِالْأَنْدَلُسِ وَغَيْرِهَا مِنَ الْبِلَادِ، وَهُوَ
رَجُلٌ يَفُوقُ أَبْنَاءَ وَقْتِهِ دِيناً وَفَضْلاً وَخَيْراً وَعِلْماً، مُقِلٌّ مِنْ قَوْلِ الشُّعْرِ سَكَنَ حَلَبَ،
وَقَرَّ بِهَا، رَأَيْتُهُ فِي الْمَدْرَسَةِ الْمَنْسُوبَةِ إِلَى بَنِي عَصْرُونَ وَلَهُ بِهَا جَامِكِيَّةٌ (137)
يَتَنَاوَلُهَا وَهُوَ مُتَصَدِّرٌ لِإِقْرَاءِ الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ بِالْجَامِعِ أَيْضاً، أَنْشَدَنِي لِنَفْسِهِ :
ثِقْ بِالْإِلَهِ، وَكُنْ بِهِ مُسْتَنْصِراً
وَاقْنَعْ بِمَا أُعْطَاكَ رَبُّكَ رَاضِياً
إِنَّ الْوُثُوقَ بِذِي الْمَعَالِي رِفْعَةً
وَدَعِ الْمَطَامِعَ جَانِباً فَلَرَبِّمَا
وَمَكَارِمُ الْأَخْلَاقِ لَا تَدْعَنَّهَا
إِيَّاكَ وَالْكَذِبَ الْمُثِيرَ عَدَاوَةً
يُرْعَاكَ رَبُّكَ فِي الْأَفْعَالِ وَيُرْشِدُ
إِنَّ الْقَنَاعَةَ كَنْزُهَا لَا يَنْفَدُ
يَحْظِي بِهَا الْعَبْدُ الرَّشِيدُ الْأَسْعَدُ
ذَلَّتْ رِقَابُ أَعَزَّةٍ فَاسْتُعِيدُوا
فَإِذَا فَعَلْتَ فَأَنْتَ أَنْتَ الْأَمْجَدُ
إِنَّ الْكَذُوبَ مِنَ الْإِلَهِ مُبْعَدُ

(136) لم أقف على ترجمة له في مصدر آخر.

(137) كلمة فارسية وهي عبارة عن مبلغ من المال، وقد استعملت في المغرب أيضاً منذ عصر
الموحدين، انظر المعجب، وقاموس دوزي.

وَالصَّدْقُ أَوَّلُ مَا سَلَكَتَ طَرِيقَهُ
وَالْغِيَّةَ اخْذَرَهَا، وَلَا تَكُ آكِلًا
إِنَّ النَّمِيمَةَ خَصْلَةٌ مَذْمُومَةٌ
لَا تَحْسُدَنَّ أَحَدًا عَلَى مَا عِنْدَهُ
وَإِذَا غَضِبْتَ فَكُنْ لِعَيْظِكَ كَاطِمًا
وَأَحْلَمْ، فَإِنَّ الْحِلْمَ خَيْرٌ مَطِيَّةً
إِنَّ التَّوَاضُعَ لِلْمُكَلَّفِ رِفْعَةٌ
وَذَرِ الرِّيَاءَ، فَإِنَّهُ شِرْكٌ وَدَغٌ
وَاجْعَلْ طَعَامَكَ مِنْ حَلَالٍ خَالِصٍ
دَغٌ مَا يَرِيكَ إِنْ أُرِدْتَ سَلَامَةً
وَاشْغَلْ بِذِكْرِ اللَّهِ وَقَتِكَ وَارِدًا
وَاحْفَظْ جَمِيعَ وَصِيَّتِي وَاعْمَلْ بِهَا
وَاضْرَعْ إِلَى اللَّهِ الْعَظِيمِ بِنِيَّةٍ
فَعَسَاهُ يَغْفِرُ ذُنُوبَنَا وَيُنِيلُنَا
وَأَنْشَدَنِي أَيْضًا لِنَفْسِهِ :

فَهُوَ الصِّرَاطُ الْمُسْتَقِيمُ الْأَقْصَدُ
مِنْ جِيْفَةٍ، إِنَّ الْمَكَارَةَ تُنْقَدُ
يَسْعَى بِهَا النَّذْلُ اللَّئِيمُ الْأَوْغَدُ
فَالْعَاقِلُ الْمَغْبُوطُ مَنْ لَا يَحْسُدُ
فَالْعَيْظُ نَارُ جَمْرَةٍ يَتَوَقَّدُ
مَنْ كَانَ رَاكِبَهَا يُجَلُّ وَيُحْمَدُ
وَكَذَا التَّكَبُّرُ ذِلَّةٌ تَتَزَيَّدُ
ظُلْمَ الْعِبَادِ، فَإِنَّهُ يُتَعَوَّدُ
فَمَطَاعِمُ الشُّبُهَاتِ سُمٌّ أَسْوَدُ
وَأُخِذَ الَّذِي لَا رَيْبَ فِيهِ تُسَدَّدُ
نَهْرُ الْحَيَاةِ بِهِ، فَنِعْمَ الْمَوْرِدُ
إِيَّاكَ تَتْرُكُهَا وَعَنْهَا تَرْفَعُ
وَقَرِيحَةٍ، فَهُوَ الْكَرِيمُ الْأَوْحَدُ
دَارَ السَّعَادَةِ حِينَ يَأْتِي الْمَوْعِدُ

مَهْلًا عَلَيْكَ لِبَعْلِ عَرْسِكَ تَجْمَعُ
طُولَ الْحَيَاةِ فَلَسْتَ تَنْوِي تَشْبَعُ
رَدَّ عَلَيْكَ، فَهَلْ لِرُشْدِكَ تَرْجِعُ
(5 : 177-179)

يَا جَامِعَ الدُّنْيَا، وَأَنْتَ تَجْرُهَا
يَزْدَادُ حِرْصُكَ عِنْدَ شَيْبِكَ آمِلًا
مِمَّا يَغُرُّكَ نَفْعُهُ، وَحِسَابُهُ

25 - عَلِيُّ بْنُ عَبْدِ الْجَبَّارِ

أَبْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ أَبُو الْحَسَنِ الْقَيَّرَوَانِيُّ الْكَاتِبُ الْمَعْرُوفُ
بِأَبْنِ الزِّيَّاتِ (138) وَلَدَ بِسُوسَةَ، مَدِينَةَ بِالْغَرْبِ، مِنْهَا يَسِيرُ الْقَاصِدُ إِلَى السُّوسِ

(138) لم أقف على ترجمته في مصدر آخر وإنما وقفت في رحلة التجاني (52-53) والفارسية =

الْأَقْصَى (139) وَنَشَأَ بِثُونَسَ وَتَأَدَّبَ بِهَا، ثُمَّ خَرَجَ عَنْهَا إِلَى الدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ وَبِلَادِ الشَّامِ، ثُمَّ أَلْقَى [عَصَاهُ] بِالْمَوْصِلِ، وَنَزَلَ الْمَدْرَسَةَ الْبَذْرِيَّةَ الْمُطَلَّةَ عَلَى دِجْلَةٍ، وَاسْتَقَرَّ بِهَا مُقَامُهُ إِلَى أَنْ تُوَفِّيَ بِهَا آخِرَ نَهَارِ يَوْمِ الثَّلَاثَاءِ ثَانِي عَشَرَ شَعْبَانَ سَنَةِ ثَلَاثٍ وَعِشْرِينَ وَسِتِّ مِئَةٍ، وَدُفِنَ يَوْمَ الْأَرْبَعَاءِ دَاخِلَ الْمَدِينَةِ بِمَقْبَرَةِ الْجَامِعِ الْعَتِيقِ قَبْلَتُهُ تَعَمُّدُهُ اللَّهُ بِرَحْمَتِهِ.

وَكَانَ رَجُلًا قَصِيرًا أَسْمَرَ اللَّوْنِ، خَالِطُهُ الْمَشِيبُ، عَفِيفًا مُتَّصُونَ لَهُ عِنَايَةٌ بِأَنْشَاءِ الرِّسَائِلِ وَقَرَضِ الشُّعْرِ، وَحَفِظَ مِنَ الْأَشْعَارِ جُمْلَةً وَافِرَةً، وَمِنْ أَقَاوِيلِ الْأَنْدَلُسِيِّينَ، وَلَهُ فُصُولٌ مِنْ إِنْشَائِهِ، وَمُكَاتَّبَاتٌ مَلِيحَةٌ، وَنَظْمٌ حَسَنٌ وَبَلَاغَةٌ، وَسَمِعَ كَثِيرًا مِنَ الْحَدِيثِ النَّبَوِيِّ، وَكَانَ فِي أَخْلَاقِهِ زَعَارَةٌ، حَادِّ الْمِزَاجِ، يَتَعَصَّبُ لِأَهْلِ الْعَرَبِ تَعَصُّبًا مُفْرِطًا، صَحْبَتُهُ بِالْمَوْصِلِ مُدَّةً، وَكَتَبَتْ عَنْهُ شَيْئًا مِنْ شِعْرِهِ، وَشِعْرٍ غَيْرِهِ. أَنَشَدَنِي لِنَفْسِهِ مَا كَتَبَهُ إِلَى بَعْضِ الْوُزَرَاءِ وَاسْمُهُ يُوسُفُ وَيَصِفُ قَلَمَهُ، وَيُهَنِّئُهُ بِعِيدِ النَّحْرِ فِي أَثْنَاءِ رِسَالَةٍ :

أَبْطَرَفِهِ، أَمْ ثَغْرِهِ، أَمْ رِيقِهِ
أَمْ لَيْلِهِ الْغَاشِي صَبَاحَ جَبِينِهِ
نَشْوَانُ أُولَعَ رِدْفُهُ بِقَوَامِهِ
يَا نَاطِرًا بِعُقُوقِهِ هَبْ نَاطِرِي
إِنْسَانُ عَيْنِي قَدْ قَضَى مِنْ دَمْعِهَا
وَمِنْهَا يَصِفُ الْقَلَمَ :

وَبِمُتَّهَجَتِي الْأَلْمَى الَّذِي فِي كَفِّهِ
إِذْ غَيْثُنَا مِنْ سُحْبِهِ، وَمَقِيلُنَا
كَأَنَّمْ مُعْتَدِلِ الْقَوَامِ رَشِيقِهِ
فِي ظِلِّهِ، وَحَيَاتُنَا مِنْ رِيقِهِ

(126) وبرناج الوادي آشي : 222 وبغية الوعاة 2 : 153. على ترجمة وذكر أخيه أبي عبد الله محمد بن عبد الجبار، وسيتحدث عنه بعد قليل.

(139) السوس الأقصى بعيد جداً من سوسة ولعل ما ورد هنا محل التقارب بين الاسمين، وللتجاني صاحب الرحلة حديث طويل عن سوسة وأخبارها وأدبائها وشعرائها (من ص 25 إلى ص 55).

وَمِنْهَا فِي وَصْفِهِ أَيْضاً :

عَلَّمَ لَدَى كُلِّ الْمَكَارِمِ فِي يَدِ
بَلْ صَيَّبَ تَهْمِي الْمَنَايَا وَالْمُنَى
يَا مَالِكاً أُولَى فَأَظْهَرَ صُنْعَهُ
هُنَّتْ بِالْعِيدِ الْمُبَارِكِ بِالْغَا
مَا بَيْنَ نَحْرِ عِدَى، وَعَرِفَ فَائِحاً
أَبداً لِشَتَى الْخَالِدَاتِ مُجْمَعاً
مَا زَادَ مَنْ صَدَقَ الثَّنَاءَ لِيُوسُفَ
تَعْلُو فَيَعْلُو الْقَصْدُ عِنْدَ خُفُوقِهِ
بَأْساً وَجُوداً فِي خِلَالِ بُرُوقِهِ
فَرِحاً عَلَى ضَنْكِ الزَّمَانِ وَضِيقِهِ
أَملاً رَجَوْتُ اللَّهَ فِي تَحْقِيقِهِ
مِنْ سِرِّكَ الْمَشْكُورِ عَرُفَ خَلُوقِهِ
مَا تَعَجَّزُ الْأَيَّامُ عَنْ تَفْرِيقِهِ
فِي الْحَمْدِ بَلْ أَتَى عَلَى صِدِّيقِهِ

وَأُنْشِدَنِي أَيْضاً لِنَفْسِهِ يَمْدَحُ نَجْمَ الدِّينِ أَبَا الْفَتْحِ يُوسُفَ بْنَ الْحُسَيْنِ ابْنَ
الْمُجَاوِرِ⁽¹⁴⁰⁾ الدَّمَشَقِيِّ بِمِصْرَ وَزِيرَ الْمَلِكِ الْعَزِيزِ عِمَادِ الدِّينِ عُثْمَانَ بْنَ يُوسُفَ
ابْنِ أَيُّوبَ⁽¹⁴¹⁾ صَاحِبِ الدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ :

مَنَعْتُ رَقِيبَ الْحَيِّ أَنْ يَتَرَقَّبَا
طَلَعْتُ فَقُلْنَا الشَّمْسُ لَاحَتْ مَشْرِقاً
مَاسَتْ فَكَانَ الْغُصْنُ طَيِّ وَشَاحِهَا
سَحَبَتْ عَلَى حِينِ الْوَفَا أَذْيَالَهَا
وَنَظَرْتُ مِنْ خَلَلِ الْبُرُودِ مُفَضَّضاً
عَاهَدْتَنَا أَنْ لَا صُدُودَ، وَقَلَّمَا
وَرَأْتُ بَيَاضَ الْفَجْرِ لَاحَ فَأَعْرَضْتُ
أَفْرِقْتَ أَنْ نَمَّ الصَّبَاحُ بِمَفْرِقِي
لَا تَغْتِيبِي شَيْئاً أَلَمْ يَلْمِئِي
أَصْحَبْتُ وَصَلِ الْهِمُّ ثُمَّ صَدَّقْتَنِي
عَذَبَاتُ فَرْعِكَ يَا سَعَادُ لِعَاشِقِ
كَمْ قَدْ بَدَلْتُ عَذَابَهُ فِي هَجْرِهِ
وَبَدَتْ وَحْشُو نِقَابِهَا لَنْ يُحْجَبَا
وَأَتَتْ فَقُلْنَا الْبَدْرُ أَمَّ الْمَغْرِبَا
وَرَنْتُ فَخِلْنَاهَا تُحَاكِي الرَّبْرَبَا
جَرَّ الرِّيَّاحُ ذُيُولَهُنَّ عَلَى الرُّبَا
لِبَنَانِهَا قَدْ صَيَّرْتُهُ مُذْهَبَا
يُحْظِظِينَ مَنْ وَصَلِ لَهُنَّ مُعَذَّبَا
فَرَقَا، وَطَلَّقَ الْحُسْنِ مِنْهُ مُقْطَبَا
وَزَجَرَتْ لِلتَّفْرِيقِ كَافُورَ الصَّبَا
إِنَّ الْمَشِيبَ غَبَارُ مُعْتَرِكِ الصَّبَا
فَرَدَدْتَهُ هَمّاً بِهِ إِذْ أَصْحَبَا
لَوْ لُحْنُ أَنْوَارٍ لَحَالَ الْغَيْهَبَا
وَمَنَعْتَهُ عَذْباً بَرُوداً أَشْنَبَا

(140) انظر وفيات الأعيان 6 : 20، 7 : 342. وهو أيضاً الممدوح بالقصيدة قبل هذه.

(141) ترجمته في وفيات الأعيان 3 : 251-253 وفي حاشية المحقق ذكر لمصادر أخرى.

وَلْتِ وَقَدْ ضَمَّتْ فُضُولَ إِزَارِهَا
عَطَفَتْ عَلَى بَابِ الْوَزِيرِ... (142)
تَشْكُو نِيَّ الْأَيَّامِ لِابْنِ مُجَاوِرِ
أُعْنِي أَبَا الْفَتْحِ الَّذِي دَانَتْ لَهُ
الْعَالِمُ الْفِطْنِ الْجَوَادُ الْمُرْتَضَى
لِلَّهِ يُوسُفُ فِي صِفَاتِ سَمِيهِ
صَدَّقَتْ يَا خِذْنَ الْعَزِيزِ مَحَاسِنًا
وَدُعِيتَ نَجْمَ الدِّينِ لَمَّا كُنْتَهُ
فَادْعَتْ دِينَ الْجُودِ عِنْدَ خُمُولِهِ
بِضْيِيلِ أَقْلَامٍ جَعَلْتَ مِدَادَهُ
وَجَرَزْتَهُ كَيْمَا يُقَالُ مُثَقَّفًا

تِيهَا يَزِيدُ الْمُغْرَمِينَ تَعَجُّبًا
غَادَرْنَ قَلْبِي بِالسَّقَامِ مُقَلَّبًا
كَيْمَا يُؤْتَبُ مِنْهُمْ مَنْ أَذْنَبَا
رُتِبُ الْوِزَارَةِ مَذْ بَلْتُهُ فَأَغْرَبَا
أَكْرَمَ بِهِ مِنْ سَيِّدٍ مَا أُخْطَبَا
لَمَّا أَرَانَا مِنْهُ خَلْقًا مُذْهَبَا
تَبْدُو مَخَايِلُهَا لِعَيْنِكَ خُلْبَا
وَطَلَعْتَ فِي أَفْقِ الْمَعَالِي كَوَكْبَا
وَنَسَخْتَ شَرْعَ الْبُخْلِ لَمَّا أَرْهَبَا
حَدًّا يُقْلَمُ فِي الْخُطُوبِ الْمُقْضِيَا
وَهَزَزْتَهُ كَيْمَا يُقَالُ مُشْطَبَا

وَمِنْ نَثَرِهِ مِنْ كِتَابِ كُتُبِهِ جَوَابًا عَنْ كِتَابٍ وَصَلَ مِنْ أُخِيهِ مِنَ الْمَغْرِبِ، وَكَانَ
بَلَّغَهُ أَنَّ صَاحِبَ إِفْرِيقِيَّةَ أَخْضَرَهُ مَجْلِسَهُ، فَكَتَبَ إِلَيْهِ جَوَابَ كِتَابِهِ، فَكَانَ مِنْهُ :
«وَكُلَّمَا اطْمَأَنَّتِ النَّفْسُ بِعَافِيَتِهِ وَرَكَعَتْ إِلَى الْإِقَامَةِ نَادَاهَا التُّرُوعُ إِلَيْهِ : ﴿يَا أَيَّتُهَا
النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ارْجِعِي﴾، وَكُلَّمَا أَفَاضَتْ الذِّكْرَى الْعَبْرَةَ قَالَ كِتَابُهُ الْكَرِيمُ
لِسَحَابِ الْجُفُونِ : ﴿يَا سَمَاءُ أَقْلِعِي﴾، وَكُلَّمَا عَاوَدَتْ الْمُلَاحَظَةَ لِخَطِّهِ السَّعِيدِ
أَسْمَعَ النَّازِرُ السَّمْعَ : يَا أُذُنُ شَوْقِي لِخَطِّ صَوْتِهِ اسْمَعِي. وَرَدَتْ أَخْبَارُهُ الْكَرِيمَةُ
عَلَى السِّنِّ الْوَارِدِينَ الْطَفَ مِنْ نَسِيمِ الْأَسْحَارِ، وَاسْتَقَرَّتْ وَجُوهُ وَجَاهَتِهِ فَلَا
كَرَامَةَ لِلنَّهَارِ الْمُنْهَارِ، فَهَيَّجَتْ ذِكْرَى، وَأَوْجَبَتْ حَمْدًا وَشُكْرًا، وَقَالَ بِهَا الشَّوْقُ
لِلْقَلْبِ : ﴿إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾، وَجَدَّدَتْ شُكْرَ النِّعْمَةِ الْمُتَحَدِّثِ بِهَا
عَلَى مَا وَهَبَ اللَّهُ مَوْلَايَ الْأَخَ مِنَ الْعُلُومِ الَّتِي كُلُّ وَجْهِهَا حَسَنَةٌ، وَأَهْلُهُ بِهَا
لِحُضُورِ الْمَجَالِسِ الَّتِي هِيَ صُدُورٌ لَا خَرِجَةَ وَلَا خَشِينَةَ، وَخَصَّهُ بِالْفُوزِ مِنْهَا
بِمَجَانِي الْفَضْلِ الَّتِي كُلُّهَا عُيُونٌ لَا يَأْخُذُهَا نَوْمٌ وَلَا سِنَةٌ، لَا بَرَحَ مَجْدُهَا دَافِعًا

(142) نقص في الأصل، ونقترح : فِي رَبِّهِ.

فِي صُدُورِ الْمَوَاكِبِ، وَعُرْفُهَا مُخْجَلًا مَا هَتَنَ مِنَ السَّوَاكِبِ، وَتُرَابِ مَوَاكِبِهَا
صَارِفًا طَرَقَ النَّوَائِبِ، وَالْحَدِيثُ عَنْ جُودِهَا مَعَ كَثَرَتِهِ مَعْدُودٌ مِنَ الْعَجَائِبِ.
وَأُنْشَدَنِي أَيْضًا لِنَفْسِهِ :

شَفَقُ الْحَيَاءِ بِوَجْنَتَيْهِ طُلُوعُهُ
قَدْ حَلَّ مِنْهُ سَوَادُهُ وَلِشَوْقِهِ
فَبِحُسْنِهِ يَنْهَى وَيَأْمُرُ مُهْجَتِي
يَكْوِي مُعَافَى الْقَلْبِ مِنْ بُرَحَائِهِ
دَرَسَ الْخِلَافَ فَمَا يَقُولُ مُسَلِّمٌ
أَفْسَادُ وَضَعٍ فِي سُؤَالِ مُجِبِهِ
تَقْرِيرُ فَتَوَى الْحُبِّ مِنْهُ مُعَارِضٌ
أَرْهَقْتُ بَيْنَ دَلِيلِهِ وَدَلَالِهِ
أَفَلَا قِصَاصَ لِعَبْدِهِ فِي رَأْيِهِ
وَأُنْشَدَنِي أَيْضًا قَوْلَهُ :

وَأَغْيَدُ مِنْ ظِبَاءِ الشَّامِ ذِي دَعَجٍ
أَذَابَ قَلْبِي مَضْفُورًا ذَوَائِبُهُ
مَا شَامَ عَنْ مُهْجَتِي هِنْدِي تَقْلَدُهُ
لِذَاكَ يُوسُفُ مِنْ أَذْنَى صَوَاحِبِهِ
وَمَالَ لِلتُّرْبِ جِسْمِي مِنْ تَرَائِبِهِ
إِلَّا رَمَاهَا بِنَبْلٍ قَوْسُ حَاجِبِهِ
(5 : 244-250)

26 — عُمَرُ بْنُ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ

أَبْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ فَرَجٍ بْنِ خَلْفٍ بْنِ قَوْمِسَ بْنِ مَزْلَالٍ بْنِ مَلَّالٍ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ
بَذْرِ بْنِ دِحْيَةَ بْنِ خَلِيفَةَ بْنِ قُرُوءَةَ الْكَلْبِيِّ (143) صَاحِبُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ هَكَذَا

(143) ترجمته في وفيات الأعيان 3 : 448 وفي حاشية المحقق ذكر لمصادر أخرى، ويضاف إليها :
الذيل والتكملة 8 : 215-220، وترجمة ابن الشعار هنا تشتمل على فوائد وزوائد
متعددة.

نَسَبَ نَفْسَهُ، وَيَقُولُ أَيْضاً سَبْطُ أَبِي الْبَسَّامِ (144) مُوسَى بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْحُسَيْنِ
 ابْنِ جَعْفَرِ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ
 اللَّهُ عَنْهُ، يُكْنَى أَبَا الْخَطَّابِ ابْنَ أَبِي عَلِيٍّ، وَيُعْرَفُ بِذِي النَّسَبَيْنِ، كَذَلِكَ يَكْتُبُ
 بِحِطِّ يَدِهِ فِي الْكُتُبِ، وَهُوَ فَقِيهٌ شَافِعِيٌّ الْمَذْهَبِ مُحَدِّثٌ حَافِظٌ إِمَامٌ فَاضِلٌ عَارِفٌ
 بِالْقُرْآنِ وَاللُّغَةِ، وَتَفْسِيرِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ فَصِيحٌ فِي إِيرَادِهِ. رَحَلَ فِي طَلَبِ الْحَدِيثِ
 إِلَى الشَّامِ وَالْعِرَاقِ وَخُرَاسَانَ وَغَيْرِهَا مِنَ الْبِلَادِ، وَصَنَّفَ كِتَاباً سَمَّاهُ : «مَرْجُ
 الْبَحْرَيْنِ» فِيمَا يَتَعَلَّقُ بِالْحَدِيثِ لِلْمَلِكِ الْكَامِلِ نَاصِرِ الدِّينِ أَبِي الْمَعَالِي مُحَمَّدِ
 ابْنِ أَبِي بَكْرٍ بْنِ أَيُّوبَ (145). قَدِمَ بَعْدَ عَوْدَةٍ مِنَ الْبِلَادِ الْخُرَاسَانِيَّةِ مَدِينَةَ أَرْبَلٍ،
 وَاتَّصَلَ بِسُلْطَانِهَا الْمَلِكِ الْعَظِيمِ مُظَفَّرِ الدِّينِ أَبِي سَعِيدٍ كُوكَبُورِيِّ ابْنِ عَلِيٍّ بْنِ
 بَكْتِكَيْنَ (146) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فَبَالَغَ فِي أَكْرَامِهِ، وَأَنْعَمَ عَلَيْهِ إِنْعَاماً عَظِيماً،
 وَصَنَّفَ لَهُ كِتَاباً سَمَّاهُ (كِتَابُ التَّنْوِيرِ فِي مَوْلِدِ السَّرَاجِ الْمُنِيرِ)، وَيَتَضَمَّنُ ذِكْرَ
 وَلَادَةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حِينَ رَأَاهُ مُغْرَى بِمَوْلِدِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
 وَسَلَّمَ، وَشِدَّةَ شَعْفِهِ بِذَلِكَ، وَاصْغَائِهِ إِلَيْهِ.

وَذَلِكَ أَنَّ الْمَلِكَ الْمُعَظَّمَ مُظَفَّرَ الدِّينِ قَدَّسَ اللَّهُ رُوحَهُ انْفَرَدَ بِشَيْءٍ مَا سَبَقَهُ
 أَحَدٌ إِلَيْهِ مِنَ الْمُلُوكِ الْمَاضِينَ وَالْخُلَفَاءِ الْمُتَقَدِّمِينَ، وَاخْتَصَّ بِهِ دُونَهُمْ تَبَرُّكاً
 بِوِلَادَتِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَإِنَّهُ كَانَ يَأْمُرُ بِنَصَبِ الْقِبَابِ مِنَ الْخَشَبِ مُتَّصِلَةً مُنْتَظِمَةً
 مِنَ الْخَانِقَاهِ الَّتِي تَحْتَ الْقَلْعَةِ الْمَحْرُوسَةِ إِلَى الْخَانِقَاهِ الَّتِي تَقْرُبُ مِنْ دَارِ السُّلْطَانَةِ
 بِالْمَدِينَةِ مِنْذُ مُسْتَهْلٍ شَهْرِ صَفَرٍ، وَتُزَيَّنُ فِي الْعِشْرِينَ مِنْهُ بِآلَاتِ الثِّيَابِ وَأَنْوَاعِ
 السِّلَاحِ وَالْأَقْمِشَةِ الْفَاحِشَةِ، وَيَعْلَقُ فِيهَا التَّعَالِيقُ، وَيُعْنِي فِيهَا الْمُعَنُّونَ وَأَرْبَابُ
 الطَّرَبِ وَيَقْصِدُهَا النَّاسُ لِلتَّفَرُّجِ مِنْ أَقْطَارِ الْبُلْدَانِ، فَلَمْ يَزَلْ كَذَلِكَ إِلَى ثَانِي
 عَشَرَ رَبِيعِ الْأَوَّلِ وَهُوَ مَوْلَدُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. ثُمَّ تَرَفَّعَ الْقِبَابُ، وَيَخْلَعُ
 عَلَى الْوُعَاظِ وَالْعُلَمَاءِ وَالْقُرَّاءِ، وَيُخْرِجُ الصَّدَقَاتِ عَلَى الْفُقَرَاءِ وَالْغُرَبَاءِ الْوَارِدِي
 الْبَلَدَ مِنَ الصُّوفِيَّةِ وَغَيْرِهِمْ مِنْ بِلَادِ شَتَّى، وَيُنْفِقُ عَلَى ذَلِكَ أَمْوَالاً جَمَّةً.

(144) ترجمة أبي البسام في الصلة : 579 وصلة الصلة 3 : 56-57.

(145) ترجمة الملك الكامل في وفيات الأعيان 5 : 79-92.

(146) ترجمة السلطان مظفر الدين في وفيات الأعيان 4 : 113-121.

وَلَمْ يُسْمَعْ فِي قَدِيمِ الزَّمَانِ وَحَدِيثِهِ عَنِ الْمُلُوكِ السَّالِفَةِ وَالسَّلَاطِينِ الْغَابِرَةِ
مَنْ انْتَدَبَ لِهَذَا الْأَمْرِ وَبَالَغَ فِيهِ سِوَى هَذَا السُّلْطَانِ الْمَلِكِ الْمُعْظَمِ، فَرَضِيَ اللَّهُ
عَنْهُ وَأَرْضَاهُ، وَبَلَّغَهُ فِي آخِرَتِهِ مَا يَتَمَنَّاؤُهُ، وَأَجْزَلَ ثَوَابَهُ، وَأَحْسَنَ مُنْقَلَبَهُ وَمَا بِهِ
بِمُحَمَّدٍ وَآلِهِ أَجْمَعِينَ الْأَبْرَارِ الطَّاهِرِينَ (147).

وَهَذَا كِتَابُ (التَّوْبِيرِ) كُنْتُ أَحَدَ مَنْ سَمِعَهُ عَلَى الْمَلِكِ الْمُعْظَمِ مُظَفَّرِ الدِّينِ
نُورَ اللَّهِ ضَرِيحَهُ فِي جُمَادَى الْآخِرَةِ سَنَةِ خَمْسٍ وَعِشْرِينَ وَسِتِّ مِئَةٍ بِرِبَاطِ
الصُّوفِيَّةِ الْمَعْرُوفِ بِرِبَاطِ الْمُنَاطَرَةِ قَرِيباً مِنَ الْقَلْعَةِ الْمَنْصُورَةِ بِحَقِّ رِوَايَتِهِ عَنْ
مُصَنِّفِهِ الْإِمَامِ أَبِي الْخَطَّابِ، وَفِي مُقَدِّمَتِهِ هَذِهِ الْآيَاتُ يَمْدَحُ بِهَا الْمَلِكِ الْمُعْظَمِ
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ :

مَلِكٌ يُلُوحُ عَلَيْهِ مِنْ شَمْسِ الضُّحَى	سِيَمًا، وَمِنْ بَذْرِ التَّمَامِ مَخَائِلُ
لَا يَقْتَنِي غَيْرَ الثَّنَا ذُخْرًا وَلَا	يُفْنِي لَدَيْهِ الْمَالَ إِلَّا النَّائِلُ
انْظُرْ لِإِرْبِلَ، صَاحٍ، قَدْ لَبَسَتْ بِهِ	ظِلًّا كَمَا وَشَتِ الرِّيَاضَ خَمَائِلُ
لَوْ تَسْتَطِيعُ لَصَافَحْتُهُ يَمِينُهَا	لَمَّا أَتَاهَا مِنْهُ مُزْنٌ هَامِلُ
فَأَفَاضَ فِيهَا الْعَدْلَ ثَرًّا سَلْسَلًا	تُرَوَّى الْمُنَى فِيهِ، وَهَنْ هَوَاطِلُ
بُشْرَى لَهَا، فَلَقَدْ ثَقَلَتْ مُلْكُهَا	مَلِكٌ حُلَاهُ مَكَارِمٌ وَفَوَاضِلُ
وَمَوَاهِبٌ وَسَلَاهِبٌ وَرَغَائِبُ	وَمَقَانِبُ وَكَتَائِبُ وَجَحَافِلُ
يَا وَيْحَ أَرْضِ الرُّومِ، سَوْفَ يَزُورُهَا	مِنْ نَجْلِ زَيْنِ الدِّينِ هَوْلٌ هَائِلُ
وَتُضَلُّ دَارُ الشُّرْكِ خَصْرًا أَهْيَفًا	فِيهِ وَشَاحٌ لِلْكَتَائِبِ جَائِلُ
وَيُطِيفُ فِيهَا لِلْإِسَارِ وَلِلْحَصَا	أَرِ دِمَالِجٌ وَأَسَاوِرٌ وَخَلَاخِلُ
لَا زَالَ كَالشَّمْسِ الْمُنِيرَةِ فِي الضُّحَى	وَعِدَاهُ فِي الْهَيْجَاءِ ظِلٌّ زَائِلُ

وَلَهُ مِنَ التَّصَانِيفِ كِتَابُ : (الْإِنذَارَاتِ)، وَهُوَ فِي مُجَلَّدَيْنِ سَمَّاهُ بِـ(مَرَجِ
الْبَحْرَيْنِ، فِي فَوَائِدِ الْمَشْرِقَيْنِ وَالْمَغْرِبَيْنِ)، وَكِتَابُ : (الْعَلَمُ الْمَشْهُورُ، فِي فَوَائِدِ
الْأَيَّامِ وَالشُّهُورِ)، وَكِتَابُ : (النَّبْرَاسُ، فِي ذِكْرِ خُلَفَاءِ بَنِي الْعَبَّاسِ) وَكِتَابُ :

(147) لَابَّاسُ مِنَ الْإِشَارَةِ هُنَا إِلَى أَنَّ الْعَرَفِيِّينَ فِي سَبْتَةِ قَامُوا بِمَثَلِ مَا قَامَ بِهِ سُلْطَانُ إِرْبِلَ وَكُتِبُوا
إِلَى الْخَلِيفَةِ الْمُرْتَضَى الْمُوَحَّدِيِّ فَصَارَ يُحْتَفَلُ بِالْمَوْلِدِ النَّبَوِيِّ ثُمَّ عَظُمَ الْإِحْتِفَالُ بِهِ بَعْدَ ذَلِكَ.

(جَمِيعُ الْعُلُومِ الْكَمِّيَّاتِ، فِي قَوْلَةِ الْأَعْمَالِ بِالنِّيَّاتِ)، وَكِتَابُ : (الْإِزْتِقَاءُ، إِلَى أَفْضَلِ الرُّقَى)، وَكِتَابُ : (الْإِيْتِهَاجُ، فِي أَحَادِيثِ الْمِعْرَاجِ)، وَكِتَابُ : (مَنْ الْقَمَّ الْحَجَرَ، إِذْ كَذَبَ وَفَجَرَ)، وَكِتَابُ : (نَثْرُ الدَّرَرِ، فِي فَضْلِ مَنْ تَمَسَّكَ بِسُنَّةِ سَيِّدِ الْبَشَرِ)، وَكِتَابُ : (آدَابُ مَا وَجَبَ، فِي بَيَانِ وَضْعِ مَا وَرَدَ فِي رَجَبٍ) وَكِتَابُ : (الْمُسْتَوْفَى، فِي شَرَفِ الْمُصْطَفَى)، وَكِتَابُ : (الْمُطَرَّبُ، فِي أَشْعَارِ أَهْلِ الْمَغْرِبِ)، وَكِتَابُ : (الْآيَاتُ الْبَيِّنَاتِ، فِيمَا نَحَصَ اللَّهُ تَعَالَى بِهِ أَعْضَاءَ نَبِيِّهِ مِنَ الْمُعْجَزَاتِ)، وَكِتَابُ : (وَهَجُ الْجَمْرِ، فِي تَحْرِيمِ الْخَمْرِ)، ثُمَّ سَكَنَ بِأَخْرَةِ مِصْرَ وَالْقَاهِرَةَ الْمُعَزِّيَّةَ، وَبَنَى لَهُ الْمَلِكُ الْكَامِلُ مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي بَكْرٍ بْنُ أَيُّوبَ دَارَ حَدِيثٍ، وَلَمْ يَزَلْ يُسْمِعُ الْحَدِيثَ فِيهَا، وَيَنْفَعُ النَّاسَ بِالْعُلُومِ وَالْجَاهِ وَالْمَالِ، وَيُكْرِمُ الْوَارِدِينَ عَلَيْهِ مِنَ الْبُلْدَانِ شَرْقًا وَغَرْبًا، وَعَجَمًا وَغَرْبًا إِلَى أَنْ تُوُفِيَ لَيْلَةَ الْأَرْبَعَاءِ آخِرَ اللَّيْلِ الرَّابِعِ عَشَرَ مِنْ شَهْرِ رَبِيعِ الْأَوَّلِ سَنَةِ ثَلَاثٍ وَثَلَاثِينَ وَسِتِّ مِئَةٍ، وَكَانَتْ لَهُ جَنَازَةٌ عَظِيمَةٌ، وَمُنَادٍ يُنَادِي أَمَامَ نَعْشِهِ : «هَذَا الَّذِي كَانَ يَذِبُ الْكَذِبَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ». كَذَلِكَ أَخْبَرَنِي الشَّيْخُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَحْمَدَ بْنُ يُوسُفَ الْفَرَّيَانِي اللَّخْمِيُّ، وَقَالَ : كَانَتْ وَلَادَتُهُ فِي سَنَةِ أَرْبَعٍ وَأَرْبَعِينَ وَخَمْسٍ مِئَةٍ بِأَغْمَاتٍ مِنْ أَعْمَالِ مُرَّاكَشَ وَنَشَأَ بِسَبْتَةٍ، وَوَلِيَ الْقَضَاءَ بِبَرِّ الْأَنْدَلُسِ بِمَدِينَةِ دَانِيَّةَ، ثُمَّ رَحَلَ عَنْهَا إِلَى الْمَشْرِقِ.

حَدَّثَنِي الْقَاضِي الْإِمَامُ بَهَاءُ الدِّينِ أَبُو مُحَمَّدٍ الْحَسَنُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ الْخَشَّابِ أَسْعَدُهُ اللَّهُ تَعَالَى، قَالَ : جَمَعَ أَبُو الْيُمْنِ الْكِنْدِيُّ⁽¹⁴⁸⁾ وَأَبَا الْخَطَّابِ ابْنَ دَحِيَّةَ مَجْلِسًا، وَكَانَ بَيْنَهُمَا عَدَاوَةٌ، فَتَهَاتَرَا فِيهِ، فَقَالَ لَهُ ابْنُ دَحِيَّةَ : أَنْتَ مِمَّنْ يُزَنُّ بِالْهَنَاتِ، فَقَالَ لَهُ أَبُو الْيُمْنِ مُجَابَوًّا : أَخْسَأُ، أَنْتَ تُسَبِّتُ إِلَى كَلْبٍ، فَتَبْحَثُ، فَعَمِلَ ابْنُ دَحِيَّةَ كِتَابًا [وَسَمَهُ] بِالْهِنْدِيِّ إِلَى ضَلَالِ الْكِنْدِيِّ⁽¹⁴⁹⁾. وَحَدَّثَنِي

(148) هو تاج الدين زيد بن الحسن المكنى بأبي اليمْن، وله ترجمة موسعة في وفيات الأعيان 2 : 339-342 والوافي بالوفيات 15 : 50-57.

(149) كذا في الأصل، وفي الوافي : الصارم الهندي، في الرد على الكندي وفيه أن أبا اليمْن ردّ عليه بمصنف سماه : نف اللحية، من ابن دحية.

القاضي أبو القاسم (150) أَيْدَهُ اللَّهُ تَعَالَى، قَالَ : ابْنُ دِحْيَةَ. كَانَ يُسَمِّي نَفْسَهُ بِذِي النَّسَبَيْنِ : ابْنُ دِحْيَةَ وَالْحَسَيْنِ، ذَكَرَ أَنَّهُ مِنْ بَنِي دِحْيَةَ الْكَلْبِيِّ مِنْ أَهْلِ الْمَغْرِبِ مِنْ مَدِينَةِ سَبْتَةَ، وَذَكَرَ أَنَّهُ وَلِيَ قَضَاءَهَا وَهُوَ شَيْخٌ فَاضِلٌ لَهُ مَعْرِفَةٌ بِاللُّغَةِ وَالنَّحْوِ حَافِظٌ لِلْحَدِيثِ وَمَعَانِيهِ وَرِجَالِهِ فَقِيهٌ مُتَقِنٌ، كَانَ يَقُولُ : أَحْفَظُ صَحِيحَ مُسْلِمٍ جَمِيعَهُ، وَقَرَأْتُهُ مِنْ حِفْظِي بِالْمَغْرِبِ عَلَى بَعْضِ الشُّيُوخِ، خَرَجَ مِنَ الْمَغْرِبِ، وَحَجَّ وَدَخَلَ إِلَى بِلَادِ الْعَجَمِ، وَسَمِعَ بِهَا صَحِيحَ مُسْلِمٍ مِنْ أَصْحَابِ الْفَرَاوِي (151)، ثُمَّ عَادَ إِلَى بَغْدَادَ، وَرَحَلَ إِلَى الشَّامِ، وَقَدِمَ عَلَيْنَا حَلَبَ، وَسَمِعْنَا عَلَيْهِ مُوْطَأَ مَالِكِ بْنِ أَنَسٍ رِوَايَةً عَنْ يَحْيَى وَغَيْرِهِ ثُمَّ تَرَدَّدَ بَعْدَ ذَلِكَ مِرَاراً إِلَى حَلَبَ آخِرُهَا بَعْدَ أَنْ تَقَدَّمَ بِالذِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ، وَسِيرَ رَسُولاً مَرَّ بِهَا مُجْتَازاً، وَحَصَلَ لَهُ حَظْوَةٌ عَظِيمَةٌ وَتَقَدَّمَ رَأْيُهُ بِمِصْرَ عِنْدَ الْمَلِكِ الْكَامِلِ. قَالَ : وَأُخْبِرَنِي أَبُو الرُّوحِ الْحِمَيْرِيُّ (152) الْأَنْدَلُسِيُّ، قَالَ : هَذَا ابْنُ دِحْيَةَ لَيْسَ بِصَحِيحِ النَّسَبِ، وَأَصْلُهُ يَهُودِيٌّ، وَكَانَ يُلقَّبُ بِالْكُوَّةِ وَكَانَ فِي صِغَرِهِ يُرْمَى بِمَا لَا يَجُوزُ، وَأَبُوهُ حَسَنٌ كَانَ يُلقَّبُ بِالزَّعْبَطُورِ، وَالزَّعْبَطُورُ هُوَ الْمُشَوَّهُ الْخَلْقِ الْعَظِيمُ الْخِلْقَةِ بِلُغَةِ الْأَنْدَلُسِ، الْمُقَطَّعُ السَّرْمُوزِ، أَوْ تَكُونُ ثِيَابُهُ مُقَطَّعَةً وَسِخَةً.

أَبُو عَلِيٍّ : وَيُلقَّبُ بِالْقَنُوطِ لِفَرَاغِهِ، وَقِلَّةِ عَقْلِهِ، يُرِيدُ الْقَصَبَةَ الْفَارِغَةَ (153).

أَبُو يُوسُفَ : وَلَقَبُهُ الْجُمَيْلُ تَصْغِيرُ الْجَمَلِ بِلُغَةِ الْعَامَّةِ، قَالَ ابْنُ دِحْيَةَ عَقِيبَ كِتَابِ صَنَفَهُ لِلْمَلِكِ الْكَامِلِ صَاحِبِ الذِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ وَخَتَمَ آخِرَهُ [بِقَوْلِهِ] : «وَأَسْمُ الْكِتَابِ مَنْ أَلْقَمَ الْحَجَرَ، إِذْ كَذَبَ وَفَجَرَ، وَأَسْقَطَ عَدَالَةَ عَدَدٍ مِنَ الصَّحَابَةِ فَمَا لَهُ أَهْجَرُ». ثُمَّ قَالَ بَعْدَ كَلَامٍ طَوِيلٍ : «هَذِهِ مَسْأَلَةٌ بَدِيعَةُ النُّظَامِ، مُسْتَوْفِيَةٌ شُرُوطِ التَّمَامِ وَالْكَمَالِ، قَدْ أَشْرَقَتْ شَمْسُ الْفَصَاحَةِ فِي أَرْجَائِهَا، وَفَاقَتْ فِي أَفْقِ الْبَلَاغَةِ

(150) هو ابن العديم صاحب بغية الطلب.

(151) هو أبو عبد الله محمد بن الفضل الفَرَاوِي النيسابوري، انظر ترجمته في وفيات الأعيان 4 : 291-290.

(152) انظر ترجمته في هذا المجموع (ص 103، 179).

(153) كلام أبي الروح تشم منه رائحة العداوة، ولا نعلم سببها.

بِمَا تَضَمَّنَتْهُ مِنَ الذَّبِّ عَنِ الصَّحَابَةِ عَلَى أَكْفَائِهَا، فَهِيَ رَوْضَةٌ تَنْزَهُ مُقْلُ الْخَوَاطِرِ
فِي أَنْحَائِهَا :

فَنَرَجِسُهَا يَحْكِي عُيُونًا وَوَرْدُهَا خُذُودًا جَرَتْ أَجْفَانُ عُشَّاقِهَا دَمًا
وَإِنْ هَبَّ مُعْتَلُّ النَّسِيمِ تَأَرَّجَتْ وَفَاحَ بِمِسْكِ نَشْرِهَا وَتَنَسَّمَ

وَذَلِكَ بِفَضْلِ اللَّهِ، وَطَوْلِهِ، وَسَعَادَةِ مَنْ اسْتَنْبَطَتْ مِنْ أَجْلِهِ :
أَعْمُ الْوَرَى جُودًا وَأَرْفَعُهُمْ ذُرًّا وَأَرْجَحُهُمْ عَقْلًا وَأَمْنُهُمْ حِمَى
وَأَعْظَمُهُمْ مُلْكًا، وَأَنْدَاهُمْ يَدًا وَأَجْدَرُهُمْ عَفْوًا إِذَا مَا تَحَكَّمَا
وَأَنْقَى وَأَنْقَى سِيرَةً وَسَرِيرَةً وَأَجْمَلُ بَلِّ أَبْهَى وَأَعْلَى تَعْظَمَا

وَصَنَّفَ كِتَابًا سَمَّاهُ : (الْعَلَمُ الْمَشْهُورُ، فِي فَوَائِدِ فَضْلِ الْأَيَّامِ وَالشُّهُورِ).
وَذَكَرَ فِي آخِرِهِ هَذَا الْكَلَامَ الْمَنْثُورَ الْمَسْجُوعَ، وَهِيَ مُنَاجَاةٌ [كَتَبَهَا] عِنْدَمَا زُمْتُ
إِلَى الْحَجِّ رِحَالُ الرُّكَّابِ : «يَا رَسُولَ اللَّهِ الْمَبْعُوثَ إِلَى الْأَسْوَدِ وَالْأَحْمَرِ،
وَالْمَخْصُوصَ بِطَهَارَةِ نَهْرِ الْكَوْثَرِ، قَرِيبُكَ بَلِّ عَبْدُكَ ذُو النَّسَبَيْنِ أُسْرِعْ بِهِ إِلَيَّ
بَيْتِكَ الْمُعَظَّمِ، وَإِلَى قَبْرِكَ الْمُكْرَمِ الشَّقِيقِ، وَيُقْعِدْهُ وَجُودَ الشَّائِخَةِ وَعَدَمَ الطُّوقِ.
وَإِذَا رَحَلَ الْمُسْتَطِيعُ، وَبَادَرَ الْمُتَمَثِّلَ الْمُطِيعُ، ذَرَفَتْ دُمُوعُهُ انْسِكَابًا، وَوَدَّ لَوْ قَدْ
أَعْمَلَ إِلَى الْكَعْبَةِ الْمُعَظَّمَةِ وَالتَّرْبَةِ الْمُكْرَمَةِ أَقْدَامًا أَوْ رِكَابًا. وَلَمَّا ظَعَنَ الرُّكْبُ
وَاسْتَقَلُّوا، وَرَحَلُوا بَعْدَ مَا حَلُّوا، تَشَبَّثُ بِهِمْ تَشَبَّثَ الْغَرِيقُ بِمَا يَجِدُ، وَوَدَّعَتْهُمْ
وَأَنَا مُنْهَلُ الْمَدَامِيعِ مَصْدُوعُ الْكِيدِ، فَكَمْ لَيْلَةٌ بَتُّ بِهَا بِذُنُوكَ الْحَرَمَيْنِ، قَرِيرَ
الْعَيْنِ، فَطَاوَلْتُ انْتِخَاءً بِهَا سَامِيَ الشُّعْرَيْنِ، وَأَنَا أُنْشِدُ فِي ذَلِكَ بَيْنَ الْمَازَمَيْنِ :
لَمَّا رَأَيْتُ مُنَادِيَهُمْ أَلَمَ بِنَا شَدَدْتُ مِثْرَ إِحْرَامِي وَلَبَّيْتُ
وَقُلْتُ لِلنَّفْسِ: جُدِّي الْآنَ وَاجْتَهِدِي وَسَاعِدِينِي، فَهَذَا مَا تَمَنَّيْتُ
لَوْ جِئْتُكُمْ قَاصِدًا أَسْعَى عَلَى بَصْرِي لَمْ أَقْضِ حَقًّا، وَأَيُّ الْحَقِّ أَدَّيْتُ ؟

وَلَمَّا مَسْتَنِي الْآنَ الْكِبَرَةَ وَالشَّائِخَةَ، وَأَنَاخَ الزَّمَانُ عَلَيَّ أَيُّ إِنَاحَةٍ خَاطَبْتُ
وَقَدَمِي، تَوَدُّ لَوْ سَبَقَتْ قَلَمِي، وَاشْتَدَّادِي، يَتَمَنَّى لَوْ يَعْدُمُ مِدَادِي، وَنَفْسِي،
تَحْرِصُ عَلَى أَنْ تُعَاجَلَ طَرَسِي، لَكِنَّ الْكِبَرَةَ أَبَتْ، فَكَانَ قُصَارَايَ عَيْنٌ دَمِعَتْ،
وَكَفَّ كُتِفْتُ وَقَدْ أَلْفْتُ هَذَا الْكِتَابَ مُحْتَسِبًا لِلْأَجْرِ، وَمُسْتَبْقِيًا بِهِ لِلسُّلْطَانِ

الملك الكامل أحمد الذكر، فأودعته من العلوم ما ينتفع به صاحب كل شأن، من حديث وفقه، ولغة ونحو وأصول وتاريخ وشعر وحساب وبيان؛ وقصدنا تأليف كتاب في معنى فجئنا بمعان، حتى نُنشط قارئه بخروجه من لؤن إلى ألوان، ويتوب له عن كل حديقة وبُستان، ففيه تذكيرة لأهل الإيمان، وفقه لأهل اللب والرجحان، مما يعزُّ وجود نظميه في تأليف واحد، وتوجد فنونه مجموعة في تصنيف واحد، وإنما ذلك بعون الله الكريم وطوله، وسعادة من ألف من أجله. وأمعنت في الشرح والتفسير، ولم أرض باللمح اليسير.

ثم أنشد بعد خبر أسنده إلى الإمام الشافعي رضي الله عنه هذه الأبيات يمدح بها الملك الكامل الذي صنَّف الكتاب لأجله (154) :

هَذَا كِتَابٌ لَسْتُ تُبْصِرُ مِثْلَهُ	بِمُتَّقِفٍ مِنْ أَجْلِهِ وَمُقَيِّدِ
الْفَتْهُ لَكَ مِنْ فُؤَادٍ أَنْتَ فِي	أَثْنَاءِ أَضْلَعِهِ تَرْوُحُ وَتَعْتَدِي
تَحْتَالُ بَيْنَ مَفْصَلٍ وَمَوْصَلٍ	وَمُطَرِّزٍ وَمُنْظَمٍ وَمُنْصَدِّ
وَلِكُلِّ جُزْءٍ حِكْمَةٌ أَوْ مِنْحَةٌ	أَوْ بِدْعَةٌ لِمُرْمِلٍ وَمُقْصَدِّ
فَتْرِيكَ كُلَّ بَدِيعَةٍ فِي نَوْعِهَا	لَمْ تُخْتَرِغْ وَغَرِيَّةٍ لَمْ تُعْهَدِ
مَا شِئْتَ مِنْ شِعْرِ أَرْقٍ مِنَ الصَّبَا	وَحَطَابَةِ أَزْهَى مِنَ الزَّهْرِ النَّدَى
شَرَّفْتُهُ بِالْكَامِلِ الْمَلِكِ الَّذِي	وَرِثَ السِّيَادَةَ سَيِّدًا عَنْ سَيِّدِ
عِزِّ الْمُلُوكِ أَبِي الْمُظَفَّرِ ذِي النَّدَى	وَسَمِيَّ خَيْرِ الْعَالَمِينَ مُحَمَّدِ
أَوْ لَيْسَ مِنْ قَوْمٍ غَدَّوْا بِفَخَارِهِمْ	بِیْضِ الْمَعَالِي فِي الزَّمَانِ الْأَسْوَدِ
يُرْوِي سِوَاهُ فَخَارَهُ عَنْ مُرْسَلٍ	أَبْدَأَ وَيُرْوِي عَنْ صَحِيحٍ مُسْنَدِ
وَيَكَادُ يَعْلَمُ فِطْنَةً وَتَبْقُظًا	فِي نَوْمِهِ مِنْ حَادِثٍ مَا فِي غَدِ
يُحْيِي عُلُومًا إِذْ يُمِيتُ جَهَالَةً	وَيُعِيدُ بَرًّا فِي الْأَنَامِ وَيَتَدِي
مَلِكٌ فَعَافِيهِ يُمَلِّكُهُ النَّدَى	وَلَهُ مُلُوكُ الْأَرْضِ دُونَ الْأَعْبَدِ

(154) جرت عادة ابن دحية أن يبدأ تصانيفه ويختتمها بذكر ولي نعمته الملك الكامل كما فعل في آخر هذا الكتاب والكتاب الذي يليه وكما فعل في بداية المطرب وخاتمه وكذلك في آخر التنوير الذي صنفه للملك مظفر الدين صاحب إربل.

سَحَّاحُ مَنْهَلٍ كُلُّ مَنْهَلٍ الْحَيَا
 بَحْرٌ إِذَا اشْتَدَّ الْأَوَامُ لَا يَبِ
 يَجْلُو دِيَا جِيرَ الْخُطُوبِ بِغُرَّةِ
 ذُو الْأَحْمَصِ عَقَدَتْ مَوَاقِعُ عِزِّهِ
 يَا خَيْرَ مَنْ عَزَّتْ بِهِ فَتَّةُ الْهُدَى
 قَدَسَتْ ذَاتُكَ بِالْكَمَالِ وَصُنَّتْهَا
 وَسَمَتْ إِلَى أَفْقِ الْعُلَا بِكَ هِمَّةُ
 وَرَعِيَتْ أَحْوَالَ الرَّعِيَّةِ مُوجِدًا
 وَرَفَعَتْ مِنْكَ مَنَارَ كُلِّ فَضِيلَةٍ
 وَغَدَا بِكَ الْإِشْرَاكُ بَعْدَ عِيَاثِهِ
 وَسَعَيْتَ لِلْعَلْيَاءِ فِي تَخْلِيدِهَا
 أَنَا طَوْعُ كَفْكَ نَبْتِي لَكَ نَبْتِي

ضَافِي رِدَاءِ الْأَمْنِ صَافِي الْمَوْرِدِ
 بَذَرٌ إِذَا اشْتَدَّ الظَّلَامُ لِمُهْتَدِي
 مِنْ وَجْهِهِ كَالْكَوْكَبِ الْمُتَوَقِّدِ
 بِمَعَاقِدِ الْقَمَرَيْنِ هَامَ الْفَرْقَدِ
 عَذْلًا وَذَلَّ لَهُ الزَّمَانُ الْمُعْتَدِي
 عَنْ قَدَحِ مُعْتَرِضٍ وَذَمُّ مُفْنِدِ
 أَزْرَتْ بِكُلِّ مُعْظَمٍ وَمُمَجِّدِ
 بِصَلَاحِهِمْ اصْلَاحَ رُوحِ الْمُفْسِدِ
 فَرْدَاءُ ثُورِكَ فِي الْمَمَادِحِ تَرْتَدِي
 فِي قَبْضَةِ الْإِسْلَامِ مَغْلُولُ الْيَدِ
 لَمَّا رَأَيْتَ الشَّخْصَ غَيْرَ مُخَلَّدِ
 فِيمَا تُحِبُّ وَمَقْصِدِي لَكَ مَقْصِدِي

وَلَمَّا فَرَغَ مِنْ كِتَابِ (النَّبْرَاسِ، فِي تَارِيخِ خُلَفَاءِ بَنِي الْعَبَّاسِ) وَانْتَهَى بِهِ إِلَى
 ذِكْرِ النَّاصِرِ لِدِينِ اللَّهِ أَبِي الْعَبَّاسِ أَحْمَدَ بْنِ الْمُسْتَضِيِّ لِأَمْرِ اللَّهِ (٢١٥٤)، أَشَدَّ
 لِنَفْسِهِ :

تُرَّاحُ أَنْدِيَّةُ النَّدَى وَالْبَاسِ
 نَجْلُ الْخَلَائِفِ، وَأَبْنُ عَمِّ مُحَمَّدٍ
 وَأُشْدَنِي الصَّاحِبُ الْوَزِيرُ أَبُو الْبَرَكَاتِ الْمُسْتَوْفِي، قَالَ : قَرَأْتُ عَلَى أَبِي
 الْخُطَّابِ مِنْ شِعْرِهِ يَمْدَحُ الْمَلِكَ الْمُعْظَمَ مُظَفَّرَ الدِّينِ (١٥٥) قَدَسَ اللَّهُ رُوحَهُ :

لَوْلَا الْوُشَاةُ وَهُمْ
 وَفَاضَ دَمْعِي وَهَمِي
 فَخَاطِرِي مُضْطَرَبٌ
 أَعْدَاؤُنَا مَا وَهَمُوا
 بِالْذَّمِّ لَمَّا حَكُمُوا
 وَنَاطِرِي مُضْطَرِمٌ

(١٥٤م) هو أطول حلفاء بني العباس مدة، بويح سنة ٥٧٥ هـ وتوفي سنة ٦٢٢ هـ.

(١٥٥) ذكر ابن خلكان أن هذه القصيدة التي نسبها ابن دحية لنفسه توجد منسوبة إلى الأسعد بن ممتاني في ديوانه، وقد ختم ابن خلكان كلامه في هذه المسألة بقوله : «وبالجملة فالله أعلم لمن هي منهما»، وفيات الأعيان ١ : ٢١٢، ٣ : ٤٥٠.

يَكْتُبُ دَمْعِي كُلَّمَا لَهُ الْفُرَادُ يَكْتُمُ
هَلْ يَتَسَاوَى السَّاهِرُ نَ فِي الْهَوَى وَالنُّومُ ؟

وَمِنْهَا :

يَا مُعْرِضاً عَنْ مُقْبِلِ فِي الْحُبِّ لَا يَتَّهِمُ
سُلُوءُهُ مُنْفَصِلِ وَصَبْرُهُ مُنْفَصِمُ
إِنْ كُنْتَ لَا تُنْصِفُ فِي حُكْمِ الْهَوَى مَنْ تَظْلِمُ
فَاللَّهُ يَقْضِي بَيْنَنَا وَالْمَلِكُ الْمُعْظَمُ
مُظْفَرُ الدِّينِ الَّذِي يُنْمَاهُ بَحْرُ مُفْعَمُ
مَلِكٌ عَمِيمٌ طَوْلُهُ وَفِيهِ طَوْلٌ عَمَمُ
يَشْقَى الْمُنَاوِي بِشَقَا هُ، وَالْمُوَالِي يَنْعَمُ
وَجُودُهُ وَجُودُهُ مَا مِنْهُمَا لِي عَدَمُ
تَرَى قَوَافِي الشَّعْرِ فِي الْمَا — دُحْ لَهُ تَخْتَصِمُ
لَوْ لَمْ يَصِفْهُ وَاصِفٌ دَلَّتْ عَلَيْهِ الشَّيْمُ
وَقَالَ عَنْهُ السَّيْفُ مَا يَعْجِزُ عَنْهُ الْقَلَمُ

وَأُنْشَدَنِي، قَالَ : أَنُشَدَنِي لِنَفْسِهِ :
أَلَا تَرَى كُلَّ مَنْ عَادَاكَ فِي قَلْبِي
قَدْ ضَمَّهُ الْجِدْعُ ضَمَّ الْمُسْتَهَامِ بِهِ
وَأُنْشَدَنِي، قَالَ : أَنُشَدَنِي قَوْلُهُ :

بِفَتْحِكَ جَاءَ السَّعْدُ مِنْ كُلِّ جَانِبِ
عَلِيمٌ بِتَدْبِيرِ الْأُمُورِ مُوَفَّقُ
وَفِيهَا يَقُولُ :

وَيَلْبَسُ لِلْهَيْجَا ثِيَابَ أَسَاوِدِ مِنَ الرُّقْشِ حَاكَتْهَا عُيُونُ الْجَنَادِبِ
وَأُنْشَدَنِي أَبُو مُحَمَّدٍ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ يُوسُفَ الْفَرِّيَانِي، قَالَ : أَنُشَدَنِي
الْإِمَامُ أَبُو الْخَطَّابِ لِنَفْسِهِ، وَكَتَبَهَا إِلَى الْمَلِكِ الْكَامِلِ نَاصِرِ الدِّينِ أَبِي الْمَعَالِي

مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي بَكْرٍ بْنِ أَيُّوبَ (156) :

فَدَيْتُكَ هَلْ عَلِمْتَ بِمَنْ رَجَاكَ
وَأَنْشَدَ بَعْدَ يَمِينٍ وَاعْتِرَابٍ :

وَكُتِبَ إِلَى الْمَلِكِ فِي صَدْرِ كِتَابٍ صَنَعَهُ لَهُ :

فَوَاللَّهِ، مَا أَذْرِي، وَإِنِّي لَشَاعِرٌ
وَجَدْتُ النُّهَى وَالْبَاسَ وَالْفَضْلَ وَالنَّدَى
وَإِنْ قِيلَ: مَنْ لِلْعِلْمِ وَالْحِلْمِ وَالْعُلَا
وَعَدْلِكَ فِي الدُّنْيَا بَسِيطٌ لِأَهْلِهَا

وَأَنْشَدَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْقَاهِرِ بْنِ هَبَةَ اللَّهِ بْنِ النَّصِيبِيِّ (157)

بِحَلَبَ، قَالَ : أَنْشَدَنِي الْإِمَامُ أَبُو الْخَطَّابِ ابْنُ دُحْيَةَ لِنَفْسِهِ :

أَيُّهَا السُّلْطَانُ، فَاسْمَعْ قَوْلَ مَنْ
أُمُّهُ الزَّهْرَاءُ بِنْتُ الْمُصْطَفَى
وَأَبُوهُ مُشَبَّهٌ جَبْرِيلَ فِي
مَا رَجَتْ جِسْمَ الْمَعَالِي رُوحَهَا
حَسْبُهُ مَذْحُكٌ فَخْرًا دَائِمًا
أَنْتَ سُلْطَانُ الْوَرَى قَاطِبَةً
كُلُّهُمْ مِنْ شُكْرِ كَفِّكَ غَدَا
فَإِذَا أَسْمَعَكَ النَّاسُ حُلًى
فَلْيَزْحَرْفْ كُلُّ شَيْءٍ حَدَّثُوا
فَاقَ وَأَسْلَمَ فِي سُعُودٍ مَا لَهَا
دَائِمًا مَهْمًا تَعَالَتْ قَيْنَةُ

قَوْلُهُ فِي كُلِّ خَطْوٍ يُتْبَعُ
وَالَّذِي فِي النَّاسِ حَقًّا يَشْفَعُ
صُورَةً مِنْهُ عَلَيْهِ تُخْلَعُ
حَبْدًا أَلْجِسْمُ وَرُوحٌ تُجْمَعُ
أَذُنُ الْخَلْقِ لَهُ تَسْتَمِعُ
بِكَ يَسْمُو النَّاهِضُ الْمُضْطَلَعُ
فِي رِيَاضٍ مِنْ صِفَاتٍ تَرْتَعُ
عَنْ مُلُوكٍ صَنَعُوا مَا صَنَعُوا
أَنْتَ أَنْتَ الدَّهْرُ لَا مَا أَسْمَعُوا
مِنْ أَقْوَالٍ فِي نُجُومٍ تَطْلُعُ
فَرَعٌ أَيْلِكَ وَسَطَ رَوْضٍ تَسْجَعُ

(156) انظر ترجمة الملك الكامل في وفيات الأعيان 5 : 79-92 والوافي بالوفيات 1 : 193-197.

(157) له ترجمة في قلائد الجمان لابن الشعار 7 : 309.

(157م) فَقَالَ هَذِهِ الْكَلِمَةُ : « مِنْ عَبْدِ اللَّهِ الْمَأْمُونِ (158) أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ سُلَالَةَ أَهْلِ الْبَيْتِ الطَّاهِرِينَ أَهْلَ مَهَبِطِ الْوَحْيِ، وَمَصْنَعِ الْأَمْرِ وَالنَّهْيِ، وَمَدَارِ فَلَكِ الْعَلَاءِ، وَمَزَارِ أَمْلَاكِ السَّمَاءِ، وَمَوْطِنِ التَّنْزِيلِ، وَمَوْطِئِ الرُّوحِ الْأَمِينِ جَبْرِيلَ، وَمَقَرِّ الْخِلَافَةِ وَالْإِمَامَةِ، وَمَوْضِعِ الْكَرَامَةِ، وَلَنَا تَحُجُّ مُلُوكُ الْأَرْضِ، وَذَلِكَ وَاجِبٌ عَلَيْهِمْ وَجُوبَ الْفَرْضِ، فَإِنْ شَرَّفْنَا بِالسَّبْقِ فَاتٌ، وَهَيْهَاتَ أَنْ يُدْرِكَ شَاؤُنَا هَيْهَاتَ.

كُلُّ ذَلِكَ بِبَرَكََةِ ابْنِ عَمَّنَا، الَّذِي بِالْبَرَكََةِ عَمَّنَا، الْأَسْمَاعِيلِيُّ النَّسَبِ، الْإِبْرَاهِيمِيُّ الْمُتَنَسَّبِ، الْمُنِيفِ الطَّرْفَيْنِ، الشَّرِيفِ السَّلَفَيْنِ، الْمُتَلَقَّى بِالرُّسَالَةِ، وَالْمُنْتَقَى لِلْأَدَاءِ وَالِدَلَالَةِ، الْمَبْعُوثِ إِلَى الْأَحْمَرِ وَالْأَسْوَدِ، سَيِّدَ وَلَدِ آدَمَ وَمَا وَلَدَ، الَّذِي أُيِّدَ بِكِتَابٍ أَنْزَلَ مِنَ الْمَلَكُوتِ الْأَعْلَى عَلَيْهِ، وَأَوْصَلَ عَلَى يَدَيِ الرُّوحِ الْأَمِينِ إِلَيْهِ، أُعْجَزَ الْإِنْسَ وَالْجِنَّ حِينَ تَحَدَّاهُمْ بِرَهَانِهِ، وَأُعْجِبَ الْجِنَّ لَمَّا سَمِعُوهُ بَيَانُهُ، فِيهِ تَبْيَانُ كُلِّ شَيْءٍ وَتَفْصِيلُهُ، وَبُرْهَانُ كُلِّ شَيْءٍ وَدَلِيلُهُ، قَدْ فَصَّلْتُ آيَاتِهِ بِتَقْدِيرِ وَتَوْحِيدِ، وَوَعْدِ وَوَعِيدِ، وَحُكْمِ وَأَحْكَامِ وَنَقْضِ وَإِبْرَامِ، وَفِصْصِ وَأَخْبَارِ، وَسِيرِ وَأَسْرَارِ، وَالْحَضُّ عَلَى الْعَمَلِ الَّذِي هُوَ سَبَبُ دُخُولِ الْجَنَّةِ، وَالتَّحْذِيرِ مِنَ الْعَمَلِ الَّذِي هُوَ سَبَبُ دُخُولِ النَّارِ، فَهُوَ بَحْرٌ لَا تَفْنَى عَجَائِبُهُ، وَلَا تَنْفَدُ غَرَائِبُهُ، وَالَّذِي بَشَّرْتُ بِهِ الْأَنْبِيَاءَ وَهَتَفْتُ بِمَبْعَثِهِ الْكُتَّانَ، وَقَامَ عَلَى صِدْقِهِ الْبُرْهَانُ، وَرَدَّ اللَّهُ بِبَرَكَتِهِ عَنْ مَكَّةَ الْفِيلِ، وَأَرْسَلَ عَلَى الْمَلِكِ الَّذِي جَاءَ وَعَلَى أَصْحَابِهِ طَيْراً أَبَايِلَ، وَالَّذِي خَمَدَتْ لَيْلَةَ مَوْلِيدِهِ نَارُ فَارِسَ وَلَمْ تَخْمَدْ قَبْلَ ذَلِكَ بِأَلْفِ عَامٍ، وَكَانَتْ تَعْبُدُهَا الْمَجُوسُ كَعِبَادَةِ الْكُفَّارِ الْأَوْثَانِ وَالْأَصْنَامِ، وَرَأَتْ أُمَّهُ حِينَ وَلَدَتْهُ نُوراً أَضَاءَ لَهَا قُصُورَ بُصْرَى مِنْ أَرْضِ الشَّامِ، وَانْشَقَّ إِيوَانُ كِسْرَى وَسَقَطَتْ مِنْهُ أَرْبَعُ عَشْرَةَ شُرْفَةً، وَهُوَ الْقَصْرُ الْأَبْيَضُ الْبَاهِرُ بِحُسْنِهِ أَبْصَارَ

(157م) بياض في الأصل مقداره نصف صفحة.

(158) هو الخليفة المأمون العباسي ويبدو أن هذه رسالة وجهها إلى من سيذكر فيما بعد باسم دهمي عظيم عظماء الهند، ونظراً للبر للتر الحاصل في الأصل فإني لم أتمكن من معرفة علاقة ابن دحية بهذه الرسالة، وهي تشبه في عدد من فصولها مولداً من الموالد، فهل هي جزء من التنوير.

الْمُبْصِرِينَ، وَنَزَلَتْ الْمَلَائِكَةُ مِنَ الْأَفْقِ الْمُبِينِ، وَرَجَمَتْ بِالشُّهْبِ جَمِيعَ الشَّيَاطِينِ، وَغَاضَتْ بُحَيْرَةَ سَاوَةَ، وَذَهَبَ مَاوَهَا الْمَعِينُ، وَفَاضَ وَادِي السَّمَاءِ آيَةً حَصَلَ بِهَا - لَمَّا حَامَ الشُّكُّ - الْيَقِينِ، وَالَّذِي يُظِلُّهُ ظِلُّ الْغَمَامِ، وَيُخَاطَبُ الْمُتَّبِعُ بِفَصِيحِ الْكَلَامِ، وَتُسَلِّمُ عَلَيْهِ بِالنُّبُوَّةِ الْأَحْجَارُ، وَتَسْجُدُ لَهُ الْأَشْجَارُ، وَيَدْعُو الشَّجَرُ فَتَأْتِي إِلَيْهِ، ثُمَّ يَأْمُرُهُ بِالرُّجُوعِ فَيَرْجِعُ سَامِعاً مُطِيعاً بِقُدْرَةٍ مِنْ أَعَانَةِ عَلَيْهِ، وَيُسَبِّحُ الطَّعَامُ عِنْدَ أَكْلِهِ لَهُ، وَذَلِكَ آيَةٌ نَحْصَهُ اللَّهُ بِهَا وَفَضِيلَتَهُ.

وَالَّذِي أُسْرِيَ بِهِ مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى لَيْلاً، وَجَرَّرَ عَلَى الْمَجَرَّةِ فِي دَرَجِ الْمِعْرَاجِ ذَيْلاً، عَلَى دَابَّةٍ يُقَالُ لَهَا الْبَرَّاقُ، لَا يُسْتَطَاعُ رُكُوبُهَا وَلَا يُطَاقُ، إِلَّا لِمَنْ سَخَّرَهَا لَهُ آلَاءُ الْخَلْقِ، حَتَّى انْتَهَى إِلَى سِدْرَةِ الْمُتَهَيَّ، وَهِيَ فِي السَّمَاءِ السَّابِعَةِ، حَيْثُ تَعْنُو وَجُوهُ الْمَلَائِكَةِ الطَّائِعَةِ، وَيَعْشَاهُمْ سَنَا الْأَنْوَارِ السَّاطِعَةِ، فَسَارَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَسِيرَةَ سَبْعَةِ آلَافِ سَنَةٍ، صَاعِداً وَنَازِلاً فِي بَعْضِ لَيْلَةٍ بِجَسَدِهِ وَرُوحِهِ مِنْ غَيْرِ نَوْمٍ وَلَا سِنَةٍ، وَاسْتَوَى بِمُسْتَوًى تَسْمَعُ فِيهِ صَرِيرُ الْأَقْلَامِ عَلَى الْأَلْوَاحِ، وَعَادَ إِلَى مَضْجَعِهِ عِنْدَمَا كَادَ جَبِينُ الشَّرْقِ يَرْشَحُ بِنُورِ الصَّبَاحِ، وَأَصْبَحَ يُحَدِّثُ بِأَخْبَارِ الْمَلَائِكَةِ فِي أُمِّ الْقُرَى يَسْنُدُهُ مَنْ حَفِظَ : ﴿مَا كَذَّبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى أَفْتُمَارُونَهُ عَلَى مَا يَرَى﴾.

وَالَّذِي انْشَقَّ لَهُ الْقَمَرُ الْمُنِيرُ، وَتَبَعَ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ مِرَاراً عِدَّةَ الْمَاءِ النَّمِيرِ، وَزَكَا بِمِنْ يَمِينِهِ الطَّعَامُ الْيَسِيرُ، فَأَكَلَ مِنْهُ الْجَمُّ الْغَفِيرُ، وَقَدْ جَعَلَ اللَّهُ فِي كُلِّ عُضْوٍ مِنْهُ آيَةً، وَذَلِكَ دَلِيلٌ عَلَى مَكَانَتِهِ عِنْدَ رَبِّهِ وَأَنَّ لَهُ بِهِ عِنَايَةً. وَالَّذِي حَدَّرَهُ الْكُرَاعُ الْمَسْمُومَ عَنْ أَكْلِهِ، ثُمَّ لَمْ يَغْدُ عَلَيْهِ بَعْدَمَا أَكَلَ مِنْهُ لُقْمَةً لِعِصْمَةِ اللَّهِ فِي ذَلِكَ كُلِّهِ.

وَالَّذِي حَنَّ الْجَذْعُ الْيَابِسُ إِلَيْهِ وَسَمِعَ لَهُ صَوْتُ كَأَصْوَاتِ الْعِشَارِ. وَهَذِهِ آيَةٌ نُظِرَتْ بِعَيْنِ الصُّحَّةِ وَطَارَتْ بِجَنَاحِ الْإِثْشَارِ. وَرَجَفَ بِهِ وَبِخُلَفَائِهِ الْجَبَلُ، فَرَاضُهُ بِرِجْلِهِ وَقَالَ : اسْكُنْ فَسَكُنْ وَامْتَلِكْ، وَبَثَّ لَهُ الشُّكُوى الْجَمَلُ.

وَالَّذِي قَرَنَ اللَّهُ تَعَالَى اسْمَهُ بِاسْمِهِ وَأَعْلَنَ بِهِ فِي الدُّنْيَا فِي كُلِّ مَكَانٍ، وَأَجْرَى ذِكْرَهُ بِأَنْوَاعِ الْمَحَامِدِ عَلَى كُلِّ لِسَانٍ.

وَالَّذِي كَانَ يُنْصَرُّ وَيُؤَيَّدُ فِي الْحُرُوبِ، بِرِيحِ الصَّبَا وَهِيَ ذَاتُ الْهُبُوبِ،

فَهَزَمَتْ لَيْلَةَ الْأَخْزَابِ جَمِيعَ أَعْدَائِهِ وَكَانُوا قَدْ حَاصَرُوهُ فِي عِدَّةِ الْوُفِ، فَاقْتَلَعَتْ
 الْحِيَامَ وَأَكْفَأَتِ الْقُدُورَ وَزَحْزَحَتْ جَمِيعَ الصُّفُوفِ؛ وَتُصِيرُ بِالرُّغْبِ مَسِيرَةَ
 شَهْرَيْنِ بَيْنَ يَدَيْهِ، وَنَزَلَتِ السَّكِينَةُ مِنْ آلِهِ عَلَيْهِ، وَانْكَسَرَ سَيْفُ عُكَاشَةَ بْنِ
 مُخَصِّنٍ يَوْمَ بَدْرِ فَأَعْطَاهُ عُرْجُونًا أَوْ عُودًا فَصَارَ بِيَدِهِ سَيْفًا يَوْمَئِذٍ يَفْرِي الْجَمَاجِمَ،
 وَيَبْرِي الْأَعْضَاءَ وَالْبَرَاجِمَ، وَكَذَلِكَ انْقَطَعَ سَيْفُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جَحْشٍ يَوْمَ أُحُدٍ
 فَأَعْطَاهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ عُرْجُونٌ نَخْلَةٌ، فَصَارَ فِي يَدِهِ سَيْفًا يُقَالُ إِنَّ
 قَائِمَهُ مِثْلُهُ، وَلَمْ يَزَلْ يُتَنَاوَلُ حَتَّى بِيَعَ مِنْ بَغَا التُّرْكِيِّ بِمِئَتِي دِينَارٍ، وَهَذِهِ مُعْجَزَةٌ
 قَدْ بَقِيَتْ بَعْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَهِيَ وَاضِحَةٌ الْمَنَارِ.

وَالَّذِي خَصَّهُ اللَّهُ بِالْحَوْضِ وَالشَّفَاعَةِ، وَأُخْبِرَ بِمَا كَانَ وَمَا يَكُونُ إِلَى قِيَامِ
 السَّاعَةِ، وَهَذَا الْحَوْضُ هُوَ نَهْرُ الْكَوْثَرِ الْمُفْعَمِ الْمَلَانِ، الَّذِي سَاحَتْهُ مِنْ بُصْرَى
 إِلَى عَمَّانَ، أَوْ مِنْ صَنْعَاءَ إِلَى عُمَانَ، وَمَاوُهُ أَشَدُّ بَيَاضًا مِنَ الثَّلْجِ وَأَحْلَى مِنَ
 الْعَسَلِ فِي الْمَذَاقِ، وَأَبَارِيقُهُ عَلَى عَدَدِ نُجُومِ السَّمَاءِ ذَوَاتِ الْإِشْرَاقِ.

وَالَّذِي زَوَى اللَّهُ لَهُ الْأَرْضَ فَأَرَاهُ مَشَارِقَهَا وَمَغَارِبَهَا، وَأَعْطَاهُ كُنُوزَهَا
 وَمَطَالِبَهَا، وَأُخْبِرَهُ جَلَّ وَعَلَا أَنَّ مُلْكَ أُمَّتِهِ سَيَبْلُغُ مَا زَوَى لَهُ مِنْهَا، وَلَقِيَ رَبَّهُ
 جَلَّتْ قُدْرَتُهُ وَهُوَ مُغْرَضٌ إِبْرَاضَ الزَّاهِدِ عَنْهَا، وَقَبِضَ ﷺ بَعْدَ أَنْ خَيْرَهُ اللَّهُ
 فِي الدُّنْيَا فَاخْتَارَ لِقَاءَ رَبِّهِ، لِرَغْبَتِهِ فِيمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَحُبِّهِ، فَجَمَعَ اللَّهُ لَهُ بَيْنَ مُلْكِ
 الدَّارَيْنِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَأُسْبَغَ عَلَيْهِ جَزِيلَ النُّعْمَتَيْنِ الْبَاطِنَةِ وَالظَّاهِرَةِ، وَكَسَرَ
 بِدَعْوَتِهِ شَوْكَةَ الْأَكَاسِرَةِ، وَجَبَرَ الدِّينَ وَقَصَمَ ظُهُورَ الْجَبَابِرَةِ، فَفَشَتْ دَعْوَتُهُ فِي
 الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ كَمَا وَعَدَ وَشَاعَتْ، وَأُخْبِرَ عَنِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ أَنَّهُ يَسْتَخْلِفُ
 فِي أَرْضِهِ مَنْ آمَنَ بِهِ فَكَانَ ذَلِكَ كَذَلِكَ وَهَذِهِ مُعْجَزَةٌ ذَاعَتْ، فَاسْتَخْلَفَ اللَّهُ
 أَصْحَابَهُ وَأَهْلَ بَيْتِهِ مِنْ بَعْدِهِ فَسَمِعَتْ الْأُمَّةُ لَهُمْ وَأَطَاعَتْ، فَكَانُوا خُلَفَاءَ الْخَلْقِ،
 وَفَتَحَتِ الْغَرْبَ وَالشَّرْقَ، يُقَاتِلُونَ عِبْدَةَ الْأَوْثَانِ وَالنِّيرَانِ عَزْلًا، وَيَسُوقُ الْوَاحِدُ
 مِنْهُمْ الْأَلْفَ كَمَا يُسَاقُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حُفَاةَ عُرَاةٍ عَزْلًا، وَطَارَتْ قُلُوبُ الْمُلُوكِ
 رُغْبًا مِنْهُمْ وَطَاشَتْ، وَخَفَقَتْ أَفْئِدَتُهُمْ خَوْفًا مِنْ ذِكْرِ مُحَمَّدٍ ﷺ وَجَاشَتْ،
 وَتَمَنَّتْ أَنَّهَا إِلَى زَمَنِهِ مَا عَاشَتْ، فَبِهَذَا النَّبِيِّ أَفَاحِرُ مَنْ يَفْخَرُ، وَأَكَابِرُ مَنْ تَقَدَّمَ
 وَتَأَخَّرَ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ عَدَدَ الرَّمْلِ، وَمَدَدَ النَّمْلِ، وَعَلَى أَهْلِ بَيْتِهِ الْكَرِيمِ، الْجُدَرَاءِ

بِالتَّقْدِيمِ وَالتَّعْظِيمِ، إِلَى دُهِمِي عَظِيمِ عُظَمَاءِ الْهِنْدِ وَرُكْنِ أَرَاكِنِ السُّنَنِ شَرَحَ
 اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ، وَجَعَلَهُ مِمَّنْ دَعَا إِلَى دَارِ السَّلَامِ، وَاتَّبَعَ سَبِيلَ الْمُؤْمِنِينَ،
 وَقَالَ: ﴿وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ
 الْمُشْرِكِينَ﴾ أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّهُ وَصَلَ كِتَابَكَ جَالِيًا عَرَائِسَ خَصَائِصِكَ عَلَيْنَا، وَجَالِيًا
 نَفَائِسَ خَصَائِلِكَ إِلَيْنَا، فَفَضَضْنَا عَنِ الْجَوَاهِرِ مِنْهُ خِتَامًا، وَأَمَطْنَا عَنِ الْأَزَاهِرِ مِنْهُ
 كِمَامًا، وَاسْتَجَلَيْنَا مِنْ مَعَانِيهِ مَا لَوْ كَانَتْ تُحْدُودُ لَكَانَتْ مُضَرِّجَةً، أَوْ تُغَوِّرُ
 لَكَانَتْ مُفَلِّجَةً، وَاسْتَدَلَّلْنَا بِفَحْوَى خِطَابِهِ عَلَى مَا تُضْمِرُهُ لَنَا مِنْ مَوَدَّةٍ لَا كَذِبَ
 فِيهَا، وَمَحَبَّةٍ نِيَطَتْ بِعُرَى الصُّدُقِ أَوَاحِيهَا، فَأَمَّا مَا صَدَّرْتَهُ فِي كِتَابِكَ مِنْ تَعْظِيمِ
 مُلْكِكَ وَنَفِيسِ ذَخَائِرِكَ، وَطِيبِ رَائِحَةِ قَصْرِكَ وَفَخْرِكَ وَفَخْرِ آبَائِكَ، فَإِنَّكَ
 فَخَرْتَ بِأَعْرَاضِ الْجَوَاهِرِ الْفَانِيَةِ الْقَلِيلَةِ الْبَقَاءِ، وَزَخَارِفِ الدُّنْيَا الَّتِي لَا يَحْصُلُ
 الْوَاقِعُ مِنْهَا عَلَى غَيْرِ النَّصَبِ وَالشَّقَاءِ، وَمُلْكُهَا وَإِنْ عَظُمَ دَوَامُهُ سَحَابَةٌ صَيْفٍ،
 وَمَالُكُهَا، وَإِنْ طَالَ مُقَامُهُ فَعَجَالَةٌ ضَيْفٍ. فَإِنَّا لَا نُفَاحِرُكَ بِأَمْثَالِهِ مِمَّا مَلَكَنَاهُ مِنْ
 سَهْلِ الْأَرْضِ وَجِبَالِهَا، وَاخْتَوَتْ عَلَيْهِ خَزَائِنُنَا مِمَّا أَخَذْنَاهُ بِسُيُوفِنَا مِنْ ذَخَائِرِ
 الْمُلُوكِ وَأَمْوَالِهَا، وَإِنَّمَا الْفَخْرُ بِتَقْوَى اللَّهِ وَطَاعَتِهِ، وَالْإِيمَانِ بِهَذَا النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ
 خَاتِمِ الْأَنْبِيَاءِ، وَأَفْضَلِ مَنْ مَشَى تَحْتَ السَّمَاءِ، وَالتَّزَامِ شَرِيعَتِهِ، وَالْعَدْلِ فِي
 الرَّعِيَّةِ، وَالْحُكْمِ بِالسُّوِّيَّةِ، بَيْنَ الْقَوِيِّ وَالضَّعِيفِ، وَالشَّرِيفِ وَالْمَشْرُوفِ، وَذَلِكَ
 التَّزَامُ شَرِيعَةُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَالْعَمَلُ بِمُقْتَضَاهَا، وَأَنْ يَتَّقِيَ كِتَابًا
 عِنْدَ اللَّهِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا، فَكَيْفَ كَفَفَتْ عَنِ الْبَصَرِ
 إِذْ سَطَعَ نُورُ الْبُرْهَانِ، وَجَنَحَتْ عَلَى مَا أُوتِيَتْ مِنْ فِطْنَةٍ ذَكِيَّةٍ، وَفِطْرَةٍ زَكِيَّةٍ
 إِلَى عِبَادَةِ الْأَوْثَانِ، وَاتَّخَذَتْ أَلْبَدَ الْمَصْنُوعِ لِصَانِعِ الْمَصْنُوعَاتِ نِدَاءً، وَلَمْ تَرِ
 لَكَ مِنْهُ تَقْلِيدًا لِمَنْ سَلَفَ مِنَ آلِآبَاءِ بُدْأً، وَأَنَا أَدْعُوكَ دُعَاءَ الْمُشْفِقِ النَّاصِحِ،
 إِلَى سُلُوكِ السَّنَنِ الْوَاضِحِ، وَقَلْعِ الْأَبْدَادِ، وَمُعَانَقَةِ دِيَانَةِ الْأَنْدَادِ، وَالتَّوَجُّهِ لِمَنْ
 وَجَّهَ وَجْهَهُ إِلَيْهِ إِبْرَاهِيمُ الْخَلِيلُ، وَقَامَ عَلَى وَجُودِهِ وَوُجُوبِ وَحْدَانِيَّتِهِ الدَّلِيلُ،
 زَيْنَ السَّمَاءِ الدُّنْيَا بَزِينَةِ الْكَوَاكِبِ، وَأُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ أَنْوَاعَ الْعَجَائِبِ، وَالْإِقْرَارِ
 بِنُبُوَّةٍ مِنْ ظَهَرَتْ عَلَى يَدَيْهِ مَا ذَكَرْنَا أَنْفَاءً مِنَ آيَاتِ، الْحَارِقَةِ لِلْعَادَاتِ، فَإِنَّهُ
 لَا يَسْمَعُ بِهِ أَحَدٌ وَلَا يُؤْمِنُ بِهِ إِلَّا كَانَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ، وَحَقَّتْ عَلَيْهِ كَلِمَةُ

الْعَذَابِ فِي دَارِ الْبَوَارِ، فَأَسْلِمَ إِلَيْهَا الْمَلِكُ تَسْلِمًا، وَيَكُونُ لَكَ مَا لَنَا وَعَلَيْكَ مَا عَلَيْنَا، فَإِنْ اسْلَمَكَ إِنْ مِنْ اللَّهِ عَلَيْكَ بِهِ مِنْ أَسْنَى التُّحَفِ الْوَاصِلَةِ إِلَيْنَا، وَأَمَّا مَا اتُّخَفَّتْنَا مِنْ هَدِيَّةٍ، وَأَطْرَفْتَنَا بِهِ مِنْ طُرْفَةِ سَنِيَّةٍ، ﴿فَمَا آتَانِي اللَّهُ خَيْرٌ مِمَّا آتَاكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ﴾ إِلَّا أَنَّا اتَّبَعْنَا نَبِيَّنَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي قَبُولِهِ الْهَدِيَّةِ لِمَا جَبَلَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ مِنَ الْخُلُقِ الْكَرِيمِ، وَطَمَعًا فِي أَنْ يَهْدِيكَ اللَّهُ بِلُطْفِهِ الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ، قَابَلْنَاهَا بِالْقَبُولِ وَثْنَيْنَا عِنَانَ النَّظَرِ إِلَيْهَا، وَاقْتَدَيْنَا بِأَبْنِ عَمَّنَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ فِي الْإِثَابَةِ عَلَيْهَا، وَبَعَثْنَا إِلَيْكَ كِتَابًا يُسَمِّي (بُسْتَانَ الْأَلْبَابِ)، يَفْتَرُّ عَنْ جَوَاهِرِ الْحِكْمِ وَزَوَاهِرِ الْآدَابِ، وَمُطَالَعَتُكَ لَهُ تُطْلِعُكَ عَلَى أَنَّ اسْمَهُ لِمُسَمَّاهُ مُوَافِقٌ، وَنَعْتُهُ لِمَعْنَاهُ مُطَابِقٌ، وَشَفَعْنَاهُ بِمَا تيسَّرَ تَنَاوُلُهُ عَلَيْنَا، مِنْ الْخَزَائِنِ الْحَاضِرَةِ لَدَيْنَا، مُعْتَذِرِينَ إِلَيْكَ مِنَ التَّقْصِيرِ، وَمُقَابِلَةً مَجَادَتِكَ بِالنَّزْرِ الْيَسِيرِ، لَكِنَّ الْمُلُوكَ لَوْ تَهَادَثَ عَلَى قَدْرِ أَقْدَارِهَا، وَعِظَمِ أخطَارِهَا، لَضَاقَتْ عَنْ ذَلِكَ مُتَسَعَاتُ أَحْوَالِهَا، وَفَنِيَتْ سُوقُ أُمُوالِهَا، وَإِنَّمَا الْهَدِيَّةُ — وَإِنْ قُلْتَ — دَلِيلُ الْاِحْتِفَالِ، بِالْمُهْدَى إِلَيْهِ وَالِاقْتِبَالِ، وَالسَّلَامُ عَلَى مَنْ اتَّبَعَ الْهُدَى، وَقَالَ إِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ خَاتَمِ النَّبِيِّينَ، وَعَلَى آلِهِ الطَّيِّبِينَ الطَّاهِرِينَ، وَعَلَى أَصْحَابِهِ أَجْمَعِينَ، وَالسَّلَامُ عَلَيْهِ وَعَلَيْهِمْ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ.

(5 : 310-335)

27 — عُمَرُ بْنُ عَبْدِ النُّورِ بْنِ مَاحُوخَ

ابْنِ يُوْسُفَ بْنِ لِيَانَ بْنِ بَادِيسَ بْنِ صَوْلِي بْنِ يَلُولِ الْهُوَارِيِّ أَبُو حَفْصٍ
الزُّرْنِي (159) الْبِجَائِيُّ الصَّنَهَاجِيُّ (160)، كَانَ فَقِيهًا شَافِعِيًّا مُنَاطِرًا أُصُولِيًّا قَارِئًا

(159) فِي وَفِيَاتِ الْأَعْيَانِ أَنَّهَا بَفَتْحِ اللَّامِ وَسُكُونِ الزَّايِ بَعْدَهَا نُونٌ. نَسَبُهُ إِلَى لُزْنَةِ قَبِيلَةٍ مِنَ الْبَرَبَرِ تَسْكُنُ بِالْقُرْبِ مِنْ بَجَايَةِ.

(160) لَهُ تَرْجُمَةٌ أَيْضًا فِي مَسَالِكِ الْأَبْصَارِ وَبَغِيَةِ الْوَعَاةِ 2 : 220، وَوَفِيَاتِ الْأَعْيَانِ 5 : 316.

شَاعِرًا لَهُ يَدٌ بَاسِطَةٌ فِي عِلْمِ الْأَدَبِ وَالْعَرَبِيَّةِ. أَنشَدَنِي أَبُو الْقَاسِمِ ابْنُ أَبِي النَّجِيبِ
ابْنُ أَبِي زَيْدٍ التَّبَرِيزِيُّ قَالَ : أَنشَدَنِي عُمَرُ بْنُ عَبْدِ النَّوْرِ لِنَفْسِهِ :
وَبِعَقْرَبِ الصُّدُغَيْنِ خِلْتُ عِدَارَهُ نُويًّا أَثَافِي رَسْمِهِ الْخِيلَانَ
فَوَقَفْتُ أَبْكِيهِ بَعَيْنِي عُرْوَةَ⁽¹⁶¹⁾ حُزْنًا عَلَيْهِ كَأَنِّي غِيلَانُ⁽¹⁶²⁾

وَأَنشَدَنِي، قَالَ : أَنشَدَنِي مِنْ شِعْرِهِ فِي غِلَامٍ اسْمُهُ إِبْرَاهِيمَ :
كَسْتَنِي — وَلَمْ أَشْعُرْ — جُفُونُكَ سَقَمَهَا
وَمِنْ قَبْلِ لَمْ أَغْرِفْ وَصَالًا وَلَا صَدًّا
وَالْفَيْئَتِي فِي نَارِ شَوْقٍ كَأَنِّي
سَمِيكَ لَكِنْ لَا سَلَامًا وَلَا بَرْدًا

وَأَنشَدَنِي، قَالَ : أَنشَدَنِي لِنَفْسِهِ :
قَصَدَ الْمُصَلَّى لَا لِزُهْدٍ إِنَّمَا صَنَمَ الصَّبَابَةِ عَظُمَتْ أَبْنَاوُهَا
أَيْنَ اسْتَقَلَّ اسْتَقْبَلَتْهُ أَوْجُهُ فَالظُّبِّي شَمْسٌ وَالْوَرَى حِرْبَاوُهَا
عَبْتُمْ عَلَى التَّيْرِ السُّجُودَ إِذَا بَدَتْ شَمْسُ الضُّحَى وَسَبْتُكُمْ نُظْرَاوُهَا
وَقَالَ أَيْضًا :

هَبْنِي صَبَوْتُ كَمَا تَرُونِ بِرْغَمِكُمْ وَظَفِرْتُ فِيهِ بِلْثَمٍ نَحْدُ أَزْهَرِ
إِنِّي اعْتَزَلْتُ، فَلَا تُلُومُوا إِنَّهُ أَضْحَى يُقَابِلُنِي بِحَدِّ أَشْعَرِي
وَقَالَ فِي غِلَامَيْنِ تَحَابَّا أَحَدُهُمَا يُعْرِفُ بَابِنِ صَقْرِ وَالْآخَرُ بَابِنِ فَهْدٍ :
الْأَيْسَ عَجِيبًا جَارِحَانِ تَصَافِيَا وَذَلِكَ شَيْءٌ لَا يَكَادُ يُرَامُ
يُقَالُ: ابْنُ صَقْرِ بَابِنِ فَهْدٍ مُتِمِّمٌ فَكَيْفَ؟ عَلَى أَنَّ الْفُهُودَ تَنَامُ

وَقَالَ فِي الشَّيْخِ الْعَلَامَةِ كَمَالِ الدِّينِ أَبِي الْمَعَالِي مُوسَى بْنِ يُوْنُسَ⁽¹⁶³⁾
الْفَقِيهِ الْمُدَّرِّسِ وَهُوَ يُلْقِي الدُّرْسَ بِحَضْرَةِ الْمُتَطَهِّلِينَ ارْتِجَالًا بِالمَوْصِلِ :
كَمَالُ كَمَالِ الدِّينِ بِالْعِلْمِ وَالْعِلَاءِ فَهَيْهَاتَ سَاعٍ فِي مَسَاعِيكَ يَطْمَعُ

(161) هو عروة بن حزام العذري.

(162) غيلان هو ذو الرمة.

(163) له ترجمة حافلة في وفيات الأعيان 5 : 311.

إِذَا اجْتَمَعَ النَّظَارُ فِي كُلِّ مَوْطِنٍ
فَلَا تُحْسِبُوهُمْ عَنْ عِنَادٍ تُطِيلُسُوا

وَقَالَ فِيهِ أَيْضاً :

تَجُرُّ الْمَوْصِلُ الْأَذْيَالُ فَخُراً
فَدِجْلَةُ وَالْكَمَالُ هُمَا شِفَاءُ
فَذَا بَحْرٌ تَدْفُقُ، وَهُوَ عَذْبٌ

وَقَالَ :

أَغْرَاكَ زُورٌ مِنْ مُجِدٍّ وَمَارِحٍ
هَوَاكَ حَشَا الْأَحْشَاءِ، وَأُظْهَرُ غَيْرِهِ
وَعَيْشِكَ مَا أَبْدَيْتُ حُبًّا، وَإِنَّمَا
فِيْلَحْظَتِي الْحُسَادُ فِيكَ كَأَنَّمَا
وَتَفَحَّصُ عَنْ وَدِّي، وَإِنِّي لَكَاتِمٌ
فَقَلْبِي خَفَاقٌ وَجِسْمِي نَاجِلٌ
وَلَوْلَاكَ لَأَسْتَعْصَيْتُ كِبْرًا، وَإِنَّمَا
وَكُنْتُ أَبِي النَّفْسِ صَغْبًا مَقَادَتِي
وَقَدْ صَارَ إِحْسَانِي شَعَارَ قَنَاعَةٍ
وَكُنْتُ - لَعَمْرِي - أَمْلَأُ الْقَلْبَ رَغْبَةً
فَمَا زَالَ بِي حُبُّكَ يُوقِدُ جَمْرَهُ
فَأَغْرَقُ طَوْرًا فِي بُحُورٍ مَدَامِعِي
فَإِنْ كُنْتُ تَهْوَى أَنْ أُمُوتَ فَحَبِّدَا

فَعَايَةُ كُلِّ أَنْ تَقُولَ وَيَسْمَعُوا
وَلَكِنْ حَيَاءٌ وَاعْتِرَافاً تَقْنَعُوا

عَلَى كُلِّ الْمَنَازِلِ وَالرُّسُومِ
لِهِمْ أَوْ لِيذِي فَهْمٍ سَقِيمٍ
وَذَا بَحْرٌ، وَلَكِنْ مِنْ عُلُومِ

فَتَقَبَّلَ قَوْلَ الْكَاذِبِ الْمُتَوَاقِحِ
فَقُلْ فِي إِنَاءٍ - لَا يَمَّا فِيهِ - رَاشِحِ
تَجِيشُ بِيَحْرِ الشُّوقِ فِيكَ قَرَائِحِي
بُعَاثُ رَنْتُ تُحْشَى انْقِضَاضُ الْجَوَارِحِ
وَلَكِنْ طَرَفِي فِي الصَّبَابَةِ فَاضِحِي
وَعَيْنِي غَرَقَى بِالْدُمُوعِ السَّوَافِحِ
يُذِلُّ الْفَتَى إِضْمَارَ شَوْقِ الْجَوَانِحِ
فَرَاضَ جِمَاحِ الْقَلْبِ صَيْدُ الْجَوَارِحِ
وَقَدْ صُنْتُ إِلَّا عَنْكَ وَجْهَ مَدَائِحِي
وَأَسْحَبُ ذَيْلِي فَوْقَ قِمَّةِ رَامِحِ
عَلَى الْوَجْدِ فِي نِيرَانٍ وَجِدٍ لَوَافِحِ
فَهَا أَنَا أَطْفُو بَيْنَ أَنْفَاسٍ كَاشِحِ
وَإِنْ كُنْتُ تَهْوَى أَنْ أُعِيشَ فَصَالِحِ
(4 : 352-355)

28 - عَبْدُ الْكَرِيمِ بْنُ إِبْرَاهِيمَ

ابْنِ عَبْدِ الْكَرِيمِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ النَّفْزِيِّ الشَّاطِئِيِّ الْقَصَّارِ أَبُو مُحَمَّدٍ

الْمُرَّاكُشِيُّ (164)، كَانَ رَجُلًا جَلِيلًا ذَا نِعْمَةٍ وَاسِعَةٍ، وَثَرَوَةٍ ظَاهِرَةٍ يَرْحَلُ إِلَى الْمُلُوكِ، فَيَسْتَرْفِدُهُمْ بِأَشْعَارِهِ، وَلَدَيْهِ فَضْلٌ وَمَعْرِفَةٌ بِاللُّغَةِ وَالْأَدَبِ، وَلَهُ قَصَائِدُ مُطَوَّلَاتٍ كَثِيرَةٌ، وَلَمْ يَكُنْ شِعْرُهُ سَائِعًا بَلْ مُتَوَسِّطًا يَظْهَرُ فِيهِ التَّعَسُّفُ.

أُنْشَدَنِي أَبُو مُحَمَّدٍ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ يُونُسَ الْفَرَّيَانِي بِحَلَبِ الْمَخْرُوسَةِ، قَالَ : أُنْشَدَنِي أَبُو مُحَمَّدٍ عَبْدُ الْكَرِيمِ بْنُ إِبْرَاهِيمَ لِنَفْسِهِ :

يَا مَنْ شَمَائِلُهُ أَجْلَى مِنَ الْقَمَرِ
سَمَوْتَ قَدْرًا، فَقُلْتُ : النَّجْمُ فِي فَلَكِ
يَا أُخُوذِي الْوَرَى، وَالْأَلْمَعِي وَمَنْ
أَمَّا النَّوَادِي فَقَدْ عَمَّرَتْ سَاحَتَهَا
مَاذَا أَقُولُ وَقَدْ أَلْبَسْتَنِي حُلًّا
أَفْضَتْ أَفْضَلَتْ فِي سِرٍّ وَفِي عَلَنٍ
حَسُنْتَ أَحْسَنْتَ فِي قُرْبٍ وَفِي بُعْدٍ
أَوْلَيْتَ مِنْ مَنِي جَلَّتْ جَلَّتْ كُرْبِي
مَاذَا لِيُْمْنَاكَ مِنْ يُمْنٍ وَمِنْ مَنِي
جَادَتْ عَلَيَّ سَحَابٌ مِنْ أَكْفُكُمُ
مَا زَالَ وَاكِفَهَا يَنْصَبُ فِي صَبَبٍ
يَا مُحْسِنًا كُلَّ إِحْسَانٍ بِلَا كَذِبٍ
فَقَتِ الْأَكَارِمَ فِي سِرٍّ خُصِصَتْ بِهِ
هَذِي أَبَادِيكَ لَا أُحْصِي لَهَا عَدَدًا
قَدْ أَحْدَقْتُ وَأَحَاطْتُ بِبِي إِحَاطَةً مَنْ
وَالشُّكْرُ فَرَضٌ عَلَيْهِ لَازِمٌ، فَأَصْبَحُ
مَا شَابَهُ دَخَلَ، كَلًّا، وَلَا خَلَّلُ

وَمَنْ فَضَائِلُهُ أَجْلَى مِنَ السَّمَرِ (165)
وَطِبْتَ ذِكْرًا، فَقُلْتُ : الرَّوْضُ بِالزَّهْرِ
قَدْ بَدَّ جَمْعَهُمْ بِالذَّاتِ وَالْقُدْرِ
بَطِيبِ ذِكْرِكَ فِي الْأُمَسَاءِ وَالسَّحَرِ
أَبْهَى وَأَنْقُ مِنْ دَوْحٍ عَلَى نَهْرِ
أَحْيَيْتَ أَكْسَبْتَ مِنْ بَيْضٍ وَمِنْ صُفْرِ
مَنْحَتْ أَنْحَلْتَ مِنْ وَفْرِ وَمِنْ بَدْرِ
نَمَتْ وَتَمَّتْ كَرَوْضٍ مُزْهِرٍ نَضِيرٍ
مَاذَا لِيُسْرَاكَ مِنْ يُسْرِ وَمِنْ يَسْرِ
فَأَبْتَتُ فِي أَكْفِي دَوْحَةَ الْبَدْرِ
حَتَّى أَسْأَلَ بَنَانِي بِاللَّيْلِ الْهَمِيرِ
وَمُغْنِيًا كُلَّ إِغْنَاءٍ بِلَا قَدْرِ
فَأَنْتَ مِنْ مَلِكٍ مَا أَنْتَ مِنْ بَشَرٍ
مَا يَنْقُضِي سَرْدُهَا أَوْ يَنْقُضِي عُمُرِي
لَبِي وَطَافَ بَيْتِ اللَّهِ وَالْحَجَرِ
لِسَمْعِ شُكْرِ كَمِثْلِ السَّمْطِ بِالذَّرْرِ
صَفَا صَفَاءَ نَمِيرِ الْمَاءِ فِي الْغُدْرِ

(164) لم أقف له على ترجمة في مصدر آخر.

(165) هذه القصيدة في مدح الكاتب المؤرخ أبي عبد الله محمد بن أحمد بن نخيل، واسمه مذكور في صلب القصيدة.

شُكْرِي لِنِعْمَاكَ شُكْرُ الرُّوضِ لِلْمَطَرِ
أَوْ شُكْرُ عَبْدٍ لِمَوْلَى كَانَ أُعْتَقَهُ
أَوْ كَالْغَرِيقِ لِمَا أَنْجَاهُ مِنْ خَطَرٍ
أَوْ كَالسَّقِيمِ لِبُرءِ إِثَرِهِ فَرَجٌ
أَوْ كَالْمُحِبِّ لِمُحْبُوبٍ يُؤْتِسُّهُ
وَالْحَمْدُ يَتَّبَعُهُ عَجَلَانٌ فِي مَهَلٍ
لَوْ كَانَ لِلشُّكْرِ شَخْصٌ يَا مَنَى أَمَلِي
حَتَّى تَرَاهُ وَتَذَرِي أُنْبِي رَجُلٌ
السَّمْعُ يَشْكُرُ لِلأَصْوَاتِ مَا حَسُنَتْ
لَكِنَّهُ فِي ضَمِيرِي وَالكَلَامُ [كَذَا]
لَوْ حَلَّ شُكْرِي وَسَطَ الْبَحْرِ فِي مَدَدٍ
أَوْ حَلَّ فِي فَلَوَاتٍ تُرْبَهَا حَجَرٌ
الشُّكْرُ أَحْسَنُهُ مَا كَانَ قَائِلُهُ
يَنْصُهُ بِكَلَامٍ مُرْتَضًى حَسَنٍ
وَقَائِلٍ قَالَ : فِيمَنْ ذَا الشَّنَاءِ فَقَدْ
فَقُلْتُ : فِي النَّدِسِ أَلْفُ الَّذِي شَهَرْتُ
مُحَمَّدُ بْنُ نُحَيْلٍ (166) مَنْ سَمَا قَدْرًا
لِلْعَالِمِ الْعِلْمُ الصَّنِيدُ مَنْ شَرُفَتْ
فَاقَ الْبَدِيعَ بِمَا قَدْ حَازَ مِنْ بَدْعٍ
وَالصَّاحِبَ الْمَلِكِ، وَالصَّابِي قَبْلَهُمْ

أَوْ مُقْتَرٍ لِنِعْمَى وَافَى عَلَى وَطَرٍ
أَوْ شُكْرُ حَامٍ لِصَفْوِ السُّلْسِلِ الْخَصْرِ
أَوْ كَالطَّلِيقِ لِمَنْ نَجَّاهُ مِنْ ضَرَرٍ
أَوْ كَالكَرِيمِ لِضَيْفٍ جَاءَ مِنْ سَفَرٍ
أَوْ كَالنَّزِيفِ زَمَانَ النُّورِ لِلسُّكْرِ
حَتَّى بَلَا مَهْلٍ، نَصًّا عَلَى الْأَثَرِ
يُرَى لَجِئْتُ بِهِ فِي أَحْسَنِ الصُّورِ
شُكْرِي لَكَ الدَّهْرُ شُكْرُ السَّمْعِ وَالْبَصَرِ
وَالْعَيْنُ تَشْكُرُ طُولَ الدَّهْرِ لِلنَّظَرِ
مُحَرِّكَ بِلِسَانِ الْخَبَرِ وَالْخَبَرِ
لَصَارَ مِنْ حِينِهِ أَهْلَى مِنَ السُّكْرِ
لَأُتِبَتِ الْأَبَّ وَالشُّجْرَاءُ بِالثَّمَرِ
يُسْتَهْ بِبَيْنِ أَهْلِ الْبَدْوِ وَالْحَضَرِ
نَصَّ الْحَدِيثِ لِأَهْلِ الْعِلْمِ وَالنَّظَرِ
نَظُمْتُ شُكْرًا لَهُ نَظْمًا عَلَى صُورِ
أَوْصَافُهُ كَاشَتْهَا الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ
نَجَلٌ لِأَحْمَدَ ذِي الْآثَارِ وَالْأَثَرِ
بِهِ الْكِتَابَةُ فِي الْإِيرَادِ وَالصَّدْرِ
وَأَبْنِ الْعَمِيدِ وَمَا يَخْوِيهِ مِنْ غُرَرِ
عَبْدُ الْحَمِيدِ، وَكُلُّ مَالٍ لِلْحَصْرِ

(166) كان كاتب أبي محمد عبد الواحد بن أبي حفص والي إفريقية وقد اشتهر بالجود وقضاء
الحوائج، انظر فيه اعتاب الكتاب : 235-249 ورحلة التجاني : 108-147 والغصون
اليانعة : 98 والفارسية : 105 وتاريخ الدولتين : 3، 7، 18، 24 والبيان المغرب - قسم
الموحدين - : 18، 20، 22، 23، 25، 173 والروض المعطار : 605 والحلل الموشية :
100، 110 والعبر 6 : 338، 342، 404، 465، 578، 584، 589. ولنا بحث
معد للنشر حول هذا المؤرخ المغمور.

رَاعَتْ يَرَاعَتْهُ الْكِتَابَ قَاطِبَةً
 أَنْ أَشْرَعَتْ فِي مَجَالِ الطُّرُسِ عَامِلَهَا
 وَأَنْ أَقَرَّ عَلَى صَفْحِ مَرِيئِهَا
 أَنْسَى ابْنَ مُقْلَةٍ فِي إِعْمَالِ أَنْمِلِهِ
 لَوْلَا هَيَامُ يَدَيْهِ بِالْبِرَاعِ لَمَّا
 إِنَّ الْكِتَابَةَ بَعْضُ مَنْ مَنَاقِبِهِ
 الطَّيِّبُ الْخِيمِ، وَالْمَيْمُونُ طَائِرُهُ
 مُفَرِّجُ الضِّيقِ وَاللَّوَاءُ قَدْ حَمَيْتِ
 الْكَامِلُ الذَّاتِ فِي خَلْقٍ وَفِي خُلُقٍ
 كَانَ طَلَعَتْهُ وَالسَّعْدُ حَفَّ بِهَا
 يَا طَالِبَ الْخَيْرِ فِي بَدْوٍ وَفِي حَضَرٍ
 يَمَّمْ لِتَوُتْسَ فَهِيَ الْآنَ مَرْبَعُهُ
 رَوْضٌ أَرِيضٌ فَلَا رَوْضٌ بِمَا مَنِيهَا
 أَنْوَارُ أَسْعُدِهِ حَلَّتْ بِسَاحَتِهَا
 إِنْ تَلَقَّاهُ تَلَقَّى آمَالاً مُكَمَّلَةً
 مَنْ أُمُّهُ مَرَّةً فِي الدَّهْرِ وَاحِدَةً
 لَا زَالَ يَصْعَدُ فِي سَعْدٍ يُسَاعِدُهُ
 ثُمَّ الصَّلَاةُ عَلَيْهِ صَبِيًّا غَدَقًا

بِمَا أَثَارَتْ مِنَ الْإِبْدَاعِ وَالْقُرَرِ
 عَلَّتْ مُجَاجَتَهَا لِلْبَيْضِ وَالسُّمْرِ
 أَزْرَى بَوْشَى الرَّبَا وَالرَّوْضِ وَالْحَبَرِ
 وَهُوَ النَّهْيَةُ فِيمَا شَاعَ مِنْ خَبَرِ
 خَطَّتْ أَنْامِلُهُ حَرْفًا مَعَ الْكَبْرِ
 كَمَا اللَّالِيَةُ بَعْضُ مَنْ نَدَى الْبَحْرِ
 مَنْ قَدْ سَمَا وَعَلَا ذَابًا عَلَى الصُّورِ
 وَمُخْرِجُ الضَّرِّ بِالْإِسَارِ وَالْيُسْرِ
 صِنُو الْعِمَامَةِ فِي صَوْبٍ وَفِي هَمَرٍ
 بَذَرُ أَحَاطَ بِهِ جَيْشٌ مِنَ الزُّهْرِ
 وَجَالِبُ الْيُسْرِ فِي وَرْدٍ وَفِي صَدْرِ
 وَارْبَعُ بِهَا تَأَمَّنَ مِنْ سَطْوَةِ الْغَيْرِ
 بُسْتَانُ أَمْنٍ بِلَا شَيْءٍ مِنَ الدُّعْرِ
 فَلَيْسَ يُدْرِكُهَا شَيْءٌ مَدَى الْعُمْرِ
 وَفَقَ الْمُرَادِ بِلَا شَيْءٍ مِنَ الْكَدْرِ
 أَلْقَى عَصَاهُ فَلَمْ يَتْرَحْ وَلَمْ يَسِرِ
 يَتَرَى عَلَيْهِ مَعَ الْأَصَالِ وَالْبُكْرِ
 مَا غَرَّدَ الطَّيْرُ يَوْمًا فِي ذُرَى الشَّجَرِ

ثُمَّ خَتَمَ هَذِهِ الْقَصِيدَةَ بِهَذِهِ الْأَبْيَاتِ :

خُذْهَا إِلَيْكَ قَصِيدَةً
 قَدْ أَشْبَهْتُ فِي حُسْنِهَا
 أَوْ حَبِّ صَبٍّ مُذْنِفٍ
 كَلًّا، وَمَا إِنْ أَشْبَهْتُ
 بِالشُّكْرِ تَنْطِقُ وَالشَّنَا
 طَرْفًا كَحِيلًا قَدْ رَنَا
 بَعْدَ التَّبَاعِدِ قَدْ دَنَا
 إِلَّا نَدَاكَ الْمُقْتَنَى

وَقَالَ :

لَا زَالَ ذَاكَ الْمَقَامُ الْأَسْمَى
 مَا اكْتَحَلْتُ مُقْلَةً بِضَوْءِ
 يَهْمِي عَلَى قَاصِدِيهِ هَمِيًا
 وَأَقْبَلْتُ بِالشَّبَابِ لَمِيًا

وَأُشَدَّنِي أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْقَاهِرِ بْنِ هَبَةَ اللَّهِ بْنِ النَّصِيِّ بِحَلَبَ،
 قَالَ : أُشَدَّنِي أَبُو مُحَمَّدٍ عَبْدُ الْكَرِيمِ بْنُ إِبْرَاهِيمَ لِنَفْسِهِ :
 اصْبِرْ عَلَى مَضَضِ الزَّمَانِ وَعَظْهِ فَالْصَّبْرُ أَحْسَنُ مَكْسَبِ الْكُسَابِ
 وَالصَّبْرُ أَجْمَلُ بِالْفَتَى وَبِفَعْلِهِ وَالْحُرُّ لَا يَرْضَى بِغَيْرِ صَوَابِ
 كَمْ مِنْ فَتَى فِي الْأَرْضِ حُرٌ مُقْتَرٌ مُتَظَلِّمٌ مِنْ ظَالِمٍ غَصَابِ
 لَمْ يَتْرِكْ مِنْ مَالِهِ مِنْ تَالِدٍ أَوْ طَارِفٍ شَيْئاً مِنَ الْأُنْشَابِ
 مِنْ بَعْدِ ذَا جَبَرِ الْإِلَهِ مُصَابَهُ فَأَتَابَهُ ضِعْفَيْنِ مِنْ أَسْبَابِ
 فَاصْبِرْ - هُدَيْتَ - وَلَا تَخَفْ مِنْ عُسْرَةٍ فَالْصَّبْرُ يَفْتَحُ مُغْلَقَاتِ الْبَابِ
 فَالصَّابِرُونَ هُمْ غَدَاً فِي فُرْجَةٍ يُعْطَوْنَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابِ^(166م)
 (5 : 399-404)

29 - عُمَرُ بْنُ يُوسُفَ بْنِ أَبِي بَكْرٍ

أَبُو حَفْصٍ الْقَفْصِيُّ الْمَعْرُوفُ بِأَبْنِ التَّنْسِي⁽¹⁶⁷⁾، وَتَنَسَّ مَدِينَةً مِنْ مُدُنِ
 إفريقية.

حَدَّثَنِي الْقَاضِي أَبُو الْقَاسِمِ عُمَرُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ أَبِي جَرَادَةَ بِحَلَبَ أَيَّدَهُ اللَّهُ
 تَعَالَى قَالَ : كَانَ شَيْخاً حَسَناً دَمِثَ الْأَخْلَاقِ طَيِّبَ الْمُحَاضَرَةِ، أَقَامَ عِنْدَنَا بِحَلَبِ
 سِنِينَ عِدَّةً، وَكَانَ يَخْتَلِفُ إِلَيْنَا بَعْدَ ذَلِكَ، وَرَوَى لَنَا شَيْئاً مِنْ شِعْرِ عَبْدِ الْمُنْعِمِ
 الْجَلْيَانِيِّ عَنْهُ، وَأُشَدَّنَا مُقْطَعَاتٍ مِنَ الشُّعْرِ لَهُ وَلِغَيْرِهِ؛ وَكَانَ لَهُ مَعْرِفَةٌ بِالْحِكْمَةِ
 وَالْهَنْدَسَةِ؛ وَأَخْبَرَنِي أَنَّهُ وُلِدَ فِي الْعَشْرِ الْأَوَّلِ مِنْ ذِي الْحِجَّةِ سَنَةِ سَبْعٍ وَأَرْبَعِينَ
 وَخَمْسِمِائَةٍ.

(166م) بعد هذا بتر في الأصل، ولعل المتور يشتغل على بقية الشعر وتتممة الترجمة، ويبدو أن
 المخاطب بهذا الشعر هو ابن نخيل لما نكب وحبس.

(167) لم أقف له على ترجمة في مصدر آخر ولعله من الذين هاجروا من قفصة بعد استيلاء
 الموحدین عليها وتنكيلهم بأهلها بسبب عصيانهم وفي القصيدة الآتية ما يشير إلى شيء من
 هذا، وانظر في تنس كتاب الاستبصار : 133 وكتاب الروض المعطار : 138.

قَالَ : وَجَدْتُهُ كَذَلِكَ بِحَظِّ وَالِدِي؛ قَالَ : وَتَوَجَّهَ إِلَى بِلَادِ الرُّومِ بَعْدَ الْعِشْرِينَ
وَالسِّتِّمِائَةِ، فَبَلَغَنِي بَعْدَ ذَلِكَ أَنَّهُ تُوُفِّيَ بِهَا.

وَأَنْشَدَنِي لِنَفْسِهِ :

وَقَائِلَةٍ مَا لِي أَرَاكَ مُعَيَّرًا
فَقُلْتُ كَلِّبْنِي يَا هُنَيْدَةُ وَاعْلَمِي
فَقَالَتْ رَعَاكَ اللَّهُ هَلْ أَنْتَ مُخْبِرٌ
لَعَلَّ بِرَائِي يُحْدِثُ اللَّهُ رَاحَةً
فَقُلْتُ لَهَا: صَرَفَ الزَّمَانِ وَجَوْرُهُ
وَشَتَّتْ أَحْبَابِي وَأَذْهَبَ ثُرُوتِي
تَنَاءَتْ دِيَارِي وَاضْمَحَلَّتْ أَحِبَّتِي
فَدَمَعِي سَفُوحٌ وَالْجَوَى حَلٌّ فِي الْحَشَا
وَلَا حَاكِمٌ يَقْضِي فَيَحْكُمُ بَيْنَنَا
فَمَنْ مَانِعِي مِنْ ظُلْمِ دَهْرِي وَجَوْرِهِ
وَقَدْ صَارَ وَهْمِي مِنْ عَظِيمِ بَلِيَّتِي

أَمِنْ قَرِطٍ وَجِدَ صَارَ لَوْنُكَ أَصْفَرًا
فَلَوْ أَنَّ مَا بِي بِالْجَلَامِيدِ أَثَرَا
بِمَا هُوَ أَوْ مَا كَانَ قَدَمًا وَمَا جَرَى
فَإِنَّ الَّذِي أَبْلَى يُفَرِّجُ مَا تَرَى
أَحَالَ عَلَى الْأَحْوَالِ حَالِي فَقِيرًا
فَصِرْتُ فَقِيرًا بَعْدَمَا كُنْتُ مُوسِرًا
فَهَذَا الَّذِي أَهْدَى لِحِسْمِي التَّغْيِيرَا
وَقَلْبِي قَتِيلُ الْحَالَتَيْنِ مُعَفَّرَا
وَلَا مُسَعَّدٌ يُلْفِي لِنَصْرِي مُبْسِرَا
وَلَمْ أَلْقَ إِلَّا مَنْ إِذَا قَالَ قَصْرَا
فَمَا حِيلَتِي فِيمَا سَمِعْتَ وَمَا تَرَى
(5 : 425-426)

30 — عِيسَى بْنُ سُلَيْمَانَ

ابْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُحَمَّدٍ الرَّعِنِيِّ الرَّنْدِيِّ (168)،
أَبُو مُحَمَّدٍ — وَقِيلَ أَبُو مُوسَى — الْأَنْدَلُسِيُّ، مِنْ أَهْلِ مَالِقَةَ، كَانَ مِنْ طَلَبَةِ
الْحَدِيثِ، وَسَمِعَ مِنْهُ كَثِيرًا، وَكَتَبَ بِحَظِّهِ، وَلَقِيَ رِجَالَ أَهْلِ الْعِلْمِ وَالْفَضْلِ،

(168) توجد ترجمته أيضا في التكملة رقم 1929 وصلة الصلة 4 : 55-56 والذيل والتكملة
5 : 495-497 وأعلام مالقة : 177 (مصورة خاصة) وتاريخ الإسلام للذهبي رقم
114، وتتميز ترجمة ابن الشعار بفوائد وزوائد. وقد نقل المقرئ ترجمة صاحبنا من تاريخ
إبريل لابن المستوفى (نفع 2 : 380-381).

وَأَخَذَ عَنْهُمْ، وَسَافَرَ وَاجْتَهَدَ وَحَصَلَ بَعْدَ أَنْ طَافَ قِطْعَةً مِنَ الْبِلَادِ، ثُمَّ اسْتَقَرَّ
مُقَامُهُ بِدِمَشْقَ، ثُمَّ كَرَّرَ رَاجِعاً إِلَى مَالِقَةَ مَدِينَتِهِ، فَلَمَّا وَصَلَهَا بَقِيَ بِهَا مُدَّةً يَسِيرَةً
وَمَاتَ فِي سَنَةِ ثَلَاثِينَ وَسِتِّ مِئَةٍ، وَكَانَتْ وَلَادَتُهُ فِي شَهْرِ رَبِيعِ الْأَوَّلِ مِنْ سَنَةِ
إِحْدَى وَثَمَانِينَ وَخَمْسٍ مِئَةٍ بِقَرْيَةٍ مِنْ قُرَى الْأَنْدَلُسِ يُقَالُ لَهَا بِلْمَالَةَ مِنْ كُورَةِ
بِشْقِير⁽¹⁶⁹⁾، تَوَغَّلَ فِي دِيَارِ مِصْرَ، وَأَقَامَ مُدَّةً بِلَادِ الشَّامِ، وَطَوَّفَ قِطْعَةً مِنَ
الْبِلَادِ الْجَزِيرِيَّةِ⁽¹⁷⁰⁾، ثُمَّ عَادَ إِلَى وَطَنِهِ فَمَاتَ بِهِ، وَكَانَ حَافِظاً لِلْقُرْآنِ الْعَظِيمِ،
شَاعِراً فَاضِلاً، وَعَمِلَ كِتَاباً سَمَّاهُ (الْحَنِينُ إِلَى الْأَوْطَانِ، الْغَالِبُ عَلَى النَّفْسِ هَوَاهُ،
وَالْهَوَى سُلْطَانُ). وَنَظَّمَ مُعَشَّرَاتٍ، أَنْشَدَنِي الشَّيْخُ تَاجُ الدِّينِ أَبُو الْحُسَيْنِ مُحَمَّدُ
ابْنُ أَحْمَدَ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي بَكْرٍ الْقُرْطُبِيُّ⁽¹⁷¹⁾ ثُمَّ الدَّمَشْقِيُّ بِهَا سَنَةَ أَرْبَعِينَ
وَسِتِّ مِئَةٍ فِي الْمُحَرَّمِ قَالَ : أَنْشَدَنَا الشَّيْخُ تَاجُ الدِّينِ أَبُو مُحَمَّدٍ عَيْسَى بْنُ
سُلَيْمَانَ الرَّعِينِي لِنَفْسِهِ، وَذَكَرَ بَعْضَ مَا أَتَى بِهِ الْمُصْطَفَى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ مِنْ
آيَاتٍ :

لَكَ الْحَمْدُ يَا اللَّهُ وَالشُّكْرُ دَائِباً	كَثِيراً عَلَى كُلِّ الَّذِي أَنْتَ فَاعِلُ
وَسُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ، أَنْتَ هَدَيْتَنِي	لِنَظْمٍ بِهِ تَزْهَوُ — لَعَمْرِي — الْمَحَافِلُ
مَنْتَ بِنَظْمٍ فِي الْحَبِيبِ مُحَمَّدٍ	فَمَنْ بِنَظْمِي، فَقَلْبِي رَاحِلُ
وَهَيْنِي أَصْحَاباً كِرَاماً أَعْفَةَ	لَهُمْ قَدَمٌ فِي الْجِدِّ وَالْعَزْمِ طَائِلُ
تَشُدُّ بِهِمْ أَزْرِي، فَإِنِّي مُذْنَفٌ	خَلِيفُ اسْتِيقَاقٍ لِلرُّسُولِ وَتَاجِلُ
أَلَا لَيْتَ شِعْرِي هَلْ أَزُورُ مُحَمَّدًا	أَمْ عَاجِلُ مَوْتٍ دُونَ ذَلِكَ حَائِلُ
لَعَمْرِي لَئِنْ طَالَ الْمَقَامُ وَلَمْ أَزُرْ	بِلَاداً بِهَا بَدْرُ الْهَدَايَةِ كَامِلُ
لَأُيَقِنْتُ أَنِّي بِالذُّنُوبِ مُقَيَّدٌ	وَأَنِّي عَنِ الْإِرْشَادِ وَالْخَيْرِ غَافِلُ
تَوَسَّلْتُ لِلرَّحْمَنِ لَا رَبَّ غَيْرُهُ	بِخَيْرِ الْوَرَى طَرّاً وَإِنِّي سَائِلُ
بِمَنْ تَبَعَ الْمَاءُ الْقَرَاخُ بِكَفِّهِ	بِمَنْ أَوْرَقَتْ فِيهِ الْغُصُونُ الدَّوَابِلُ

(169) كذا في الأصل وفي نفع الطيب : «يقال لها يلماطين من كورة بشتغير»، ولعل كل ذلك

تحريف، ويمكن أن تكون الكلمة الأخيرة تحريفاً لكلمة يُبَشِّرُ وهو المكان المشهور.

(170) لعله يقصد البلاد الواقعة في جزيرة أقور كالموصل وآمد وغيرها.

(171) يعرف هو ووالده بإمام مسجد الكلاسة انظر فيهما : الوافي بالوفيات 2 : 118.

بِمَنْ وَجْهَهُ يَزْهُو عَلَى الْبَدْرِ فِي الدُّجَى
بِمَنْ كَلَّمَتْهُ الشَّاةُ وَهِيَ سَمِيطَةٌ
بِمَنْ حَنَّ جَذْعُ النَّحْلِ شَوْقًا لِصَوْتِهِ
بِمَنْ كَلَّمَ الضَّبَّ الْبَهِيمَ حَقِيقَةً
بِمَنْ أَخْبَرَ الْكُهَّانُ دَهْرًا بِيَعْتِهِ
بِمَنْ أُرْتَجِيَ فِي الْحَشْرِ مِنْهُ شَفَاعَةٌ
بِمَنْ خَصَّهُ الرَّحْمَنُ بِالنَّصْرِ فِي الْوَغَى
فَذَاكَ الَّذِي أُسْرَى بِهِ اللَّهُ لَيْلَةً
وَذَاكَ الَّذِي قَدْ كَلَّمَ اللَّهُ رَبَّهُ
وَذَاكَ الَّذِي قَدْ جَاءَ بِالنُّورِ وَالْهُدَى
وَذَاكَ رَسُولُ اللَّهِ يَا صَاحِرْ - أَحْمَدُ -
وَذَاكَ الَّذِي مِنْ أَجْلِهِ الشَّمْسُ أُشْرِقَتْ
تَوَسَّلْتُ يَا رَبِّي إِلَيْكَ بِفَضْلِهِ
فَمَا أَبْلُغُ أَلْمِغْشَارَ مِنْ عَشْرِ فَضْلِهِ
لِتَغْفِرَ زَلَاتِي، وَتَرْحَمَ ذِلَّتِي
وَبَلِّغْنِي يَا اللَّهُ - قَبْرِ مُحَمَّدٍ -
وَهَبْ وَالِدَيَّ مِنْكَ أَكْثَرَ رَحْمَةٍ
وَلِلْمُسْلِمِينَ اغْفِرْ، فَأَنْتَ مُؤَمِّلٌ
وَصَلِّ عَلَى خَيْرِ الْبَرِيَّةِ أَحْمَدٍ
وَزِدْنِي شَوْقًا لِلرَّسُولِ وَصَحْبِهِ
عَلَيْهِمْ سَلَامِي مَا تَرْنَمُ طَائِرٌ

بِمَنْ جُمِعَتْ حَقًّا لَدَيْهِ الْفَضَائِلُ
وَذَلَّتْ لَهُ أُسْدُ الشَّرِّ وَالْمَقَاوِلُ
وَأُخْصِبَ عَصْرُ النَّاسِ إِذْ هُوَ مَاجِلُ
بِمَنْ كَلَّمَتْهُ الْجَامِدَاتُ الْجَنَادِلُ
بِمَنْ بَشَّرَتْ حَقًّا بِذَاكَ الْأَوَائِلُ
نَعَمْ وَالرَّجَالُ الصَّالِحُونَ الْأَفْاضِلُ
وَذَلَّتْ لَهُ يَا صَاحِبِي الْجَحَافِلُ
إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى فَمَا إِنْ يُسَاجِلُ
إِذْ أُسْرَى بِهِ حَقًّا وَمَا هُوَ بَاطِلُ
وَذَاكَ الَّذِي تُرْجَى لَدَيْهِ الرَّوَاحِلُ
وَذَاكَ الَّذِي تُطَوَّى إِلَيْهِ الْمَرَاحِلُ
وَلَاخَ هِلَالُ الدِّينِ إِذْ هُوَ آفِلُ
فَأَنْتَ الَّذِي تُرْجَى لَدَيْكَ الْوَسَائِلُ
فَإِنَّ لِسَانِي بِالْمَائِمِ عَاطِلُ
فَإِنِّي أَنَا الْعَبْدُ الضَّعِيفُ الْمَوَاصِلُ
وَلَا تُخْزِنِي رَبِّي إِذَا سَالَ سَائِلُ
تَعْمُهُمَا دَابَّاءُ، فَمَجْدُكَ شَامِلُ
وَفَضْلُكَ مَعْلُومٌ وَجُودُكَ سَائِلُ
وَأَصْحَابِهِ طُرّاً فَدَمْعِي هَامِلُ
فَحُبُّهُمْ فِي مُضْمَرِ الْقَلْبِ حَاصِلُ
وَمَا قَطَعْتَ أَفْقَ السَّمَاءِ الْمَنَازِلُ

وَأُنْشِدُنِي أَيْضًا، قَالَ : أَنُشِدَنَا لِنَفْسِهِ وَقَدْ سَأَلَهُ بَعْضُ مَشَايِخِهِ بِدِمَشْقَ شَيْئًا
مِمَّا يَتَعَلَّقُ بِأَصْحَابِ الْحَدِيثِ :
قُلْ لِلَّذِينَ يَعْلَمُ الرَّأْيَ قَدْ وُلِعُوا
مَسَائِلًا جَمَّةً مَا مِثْلُهَا وَرَدَتْ
وَأَهْمَلُوا السُّنَّةَ الْعَرَاءَ وَاخْتَرَعُوا
فِي الشَّرْعِ لَكِنَّهُمْ فِي وَصْفِهَا ابْتَدَعُوا

وَصَوَّبُوا رَأْيَهُمْ حَتَّى لَقَدْ زَعَمُوا
الْعِلْمُ - وَيَحْكُمُ - مَا فِيهِ حَدَّثَنَا
وَالْقَائِلُونَ بِهِ، وَالنَّاقِلُونَ لَهُ
يَا شَانِئاً لَهُمْ مَهْلاً عَلَيْكَ فَكُمْ
اللَّهُ فَضَّلَهُمْ حَقّاً وَأَهْلَهُمْ
آثَارُهُ فَعَدُوا وَاللَّهُ يَكْلُوهُمْ
كَفَاهُمْ شَرَفاً - وَاللَّهُ - أَنَّهُمْ
مَنْ ذَا يُضَاهِيهِمْ أَمْ مَنْ يُسَاجِلُهُمْ
فِي رَوْضَةٍ مِنْ رِيَاضِ الْعِلْمِ مُونِقَةً
فَلَيْهِنَّ أَهْلُ الْحَدِيثِ الْعِلْمِ إِنَّهُمْ
حَتَّى يُبَوِّئَهُمْ دَارَ الْخُلُودِ عَلَى
صَلَّى عَلَيْهِ إِلَهُ الْخَلْقِ مَا طَلَعَتْ

أَنْ لَيْسَ عِلْمٌ سِوَى هَذَا الَّذِي صَنَعُوا
خَيْرُ الْأَنَامِ رَسُولُ اللَّهِ، فَاسْتَمِعُوا
هُمْ الرِّجَالُ وَأَنْتُمْ خَلْفَهُ تَبِعُ
تُعْنَى بِنَقْصٍ لِأَهْلِ الْفَضْلِ يَا لُكْعُ
لِنَقْلِ قِيلِ رَسُولِ اللَّهِ، فَاتَّبِعُوا
مُسْتَمْسِكِينَ لِوَاءِ الْعِلْمِ قَدْ رَفَعُوا
فِي سَبِيلِكَ إِسْنَادِ خَيْرِ الْخَلْقِ قَدْ جُمِعُوا
أَمْ مَنْ يُفَاخِرُهُمْ يَوْماً وَقَدْ رَتَعُوا
أَزْهَارَهَا، وَجَنَاهَا الْعِلْمِ وَالْوَرَعِ
تَمَسَّكُوا بِعُرَى مَا لَيْسَ يَنْقَطِعُ
خَيْرُ الْأَنَامِ الَّذِي طَاحَتْ بِهِ الْبِدْعُ
شَمْسُ النَّهَارِ وَلَا حَ الْبَرْقِ يَلْتَمِعُ

وَأُنْشَدَنِي تَاجُ الدِّينِ أَبُو الْحُسَيْنِ مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ عَلِيِّ الْقُرْطُبِيِّ، قَالَ :
أُنْشَدَنَا أَبُو مُحَمَّدٍ الرَّعِنِيُّ، قَالَ : أُنْشَدَنِي أَبُو مُحَمَّدٍ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ أَبِي
بَكْرٍ لِنَفْسِهِ بِدَمَشْقَ :

مَنْ لَمْ تَنْلُهُ غُرْبَةً أَمِنْ الرَّدَى
وَحُرُوفُهَا مِنْ كُلِّ بُوسٍ رُكِبَتْ
فَالْغَيْنُ مِنْ غَمٍّ وَغَبْنٍ دَائِمٍ
وَالْبَاءُ مِنْ بَرْحٍ وَبَيْنٍ أَوْ بِلَى
فَهُوَ الْقَنَاءُ، وَتِلْكَ حَدُّ سِنَانٍ
لِتَعْمَ مَنْ تَغْشَاهُ بِالْأَشْجَانِ
وَالرَّاءُ مِنْ رُزْءٍ عَلَى الْأَوْطَانِ
وَالْهَاءُ مِنْ هَمٍّ وَهُلْكَ دَانٍ

وَأُنْشَدَنِي تَاجُ الدِّينِ أَبُو الْحُسَيْنِ مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي بَكْرٍ بْنِ
إِسْمَاعِيلَ الْقُرْطُبِيِّ الدَّمَشْقِيِّ بِهَا، قَالَ أُنْشَدَنِي أَبُو مُحَمَّدٍ عَيْسَى بْنُ سُلَيْمَانَ بْنِ
عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُحَمَّدٍ الرَّعِنِيِّ فِي الْجُزْءِ الْأَوَّلِ مِنْ
تَأْلِيفِهِ الَّذِي سَمَّاهُ : (كِتَابُ الْحَنِينِ إِلَى الْأَحْبَابِ وَالْأَوْطَانِ، الْعَالِبِ عَلَى النَّفْسِ
هَوَاهُ وَالْهَوَى سُلْطَانٌ) (172)، فَمِنْ ذَلِكَ مَا أُنْشَاهُ فِي وَصْفِهِ، وَهُوَ عِشْرُونَ بَاباً :

(172) هذا كتاب ممتع في بابيه لو وصل إلينا، ومن حسن الحظ أن بقي من تصانيف هذا المحدث
الرحالة كتاب عنوانه : الجامع، لما في المصنفات الجوامع، وهو في أسماء الصحابة (خ.ح،
رقم 6908).

هَذَا كِتَابُ قَصِي الدَّارِ مُمْتَحِنِ
صَبَّ مَشُوقَ بَرَاهُ الْبَيْنِ فَاضْطَرَمَتْ
تَصْنِيفُ مَنْ قَرَحَتْ بِالذَّمْعِ مُقْلَتُهُ
كَذَاكَ كُلُّ غَرِيبِ الدَّارِ مُنْتَرِحِ
يَشْكُو الْبِعَادَ وَمَا قَدْ ظَلَّ يَرْمُقُهُ
طَالَ الثَّوَاءُ بِأَرْضِ الشَّامِ وَالْأَسْفِي
فَاللَّهُ يَجْبُرُ ثَكْلِي ثُمَّ يَجْمَعُنِي
بِرَحْمَةٍ مِنْهُ مَا أَرْجُو سِوَاهُ لَذَا

بِفُرْقَةِ الْأَهْلِ وَالْأُنْحَدَانِ وَالْوَطَنِ
أَحْشَاؤُهُ، فَعَدَا وَالْهَمُّ فِي شَطَنِ
وَحَدَّ فِي الْحَدِّ فَعُلَ الْعَارِضِ الْهَتَنِ
مَا إِنْ لَهُ حَيْثُ مَا قَدْ حَلَّ مِنْ سَكَنِ
مِنْ سُوءِ فِعْلِ النَّوَى فِي السَّرِّ وَالْعَلَنِ
مَاذَا مُنِيتَ بِهِ مِنْ غَدَرَةِ الزَّمَنِ
قَبْلَ الْمَمَاتِ بِمَنْ أَهْوَى بِلَا مَحَنِ
سُبْحَانَهُ جَلَّ ذُو الْإِحْسَانِ وَالْمِنَنِ

وَأُنْشِدْنِي، قَالَ : أَنُشِدْنِي لِنَفْسِهِ فِي الْبَابِ الْأَوَّلِ، وَهُوَ بَابٌ فِي ذِمِّ الْغُرْبَةِ
وَالِإِغْتِرَابِ، وَبَيَانِ كَوْنِ الْغَرِيبِ أَذَلَّ مِنَ التُّرَابِ :

أَبَتْ لِي هِمَّتِي، وَأَبَى انْتِحَائِي
أَلَا إِنِّي بِشَتْلٍ مُسْتَهَامِ
سِوَى حِفْظِ الْمَوَدَّةِ وَالْإِخَاءِ
أَدِينُ لِسَاكِينِهَا بِالْوَفَاءِ

شَتْلٌ (173) : اسْمُ ضَيْعَةٍ مِنْ ضِيَاعِ مَالِقَةٍ بِهَا أَهْلُهُ وَوَلَدُهُ.

أَهِيْمُ بِمَنْ بِشَتْلٍ قَدْ أَقَامُوا
إِذَا الْأَقْدَارُ لَمْ تَسْمَحْ بِقُرْبِ
أُنُوحٍ لِعُرِّيَّتِي، وَلِفَقْدِ أَهْلِي
أَبِيتُ حَلِيفَ وَجْدٍ وَاشْتِيَاقِ
أُنَادِي فِي بِلَادِ الشَّرْقِ جَهْرًا
إِذَا الْعَرْشُ الْمَجِيدُ إِلَيْكَ أَشْكُو
أَلَا إِنِّي غَرِيبُ الدَّارِ صَبَّ
أَلَا إِنْ الْغَرِيبَ مَدَى اللَّيَالِي
إِلَى اللَّهِ الْعَظِيمِ شَكْوْتُ حَالِي

وَأُنْشِدْنِي قَالَ : أَنُشِدْنِي لِنَفْسِهِ :

خَلِيلِي إِنِّي قَدْ نَصَحْتُكُمَا جُهْدِي
وَإِنْ كَانَ نُصْحِي لَا يُفِيدُ وَلَا يُجْدِي

وَلَكِنَّ نُصَحَ الْخَلْقِ فِي الشَّرْعِ قَدْ أَتَى
فَدُونَكُمْ، كَمْ ذَا التَّغَرُّبُ فِي الْوَرَى
أَلَا إِنَّ سُبُلَ الرُّشْدِ لِلْمَرْءِ أَوْبَةٌ
فَلَا تَسْمَعَا مِمَّنْ يُيَهْرَجُ قَوْلُهُ
وَيَكْفِيكَ أَنَّ الْبُعْدَ يَشْنَأُ لَفْظُهُ
فَكُلُّ غَرِيبٍ الدَّارِ لَا بَدَّ أَنْ يُرَى
وَلَوْ كَانَ ذَا مَالٍ عَرِيضٍ وَثَرَوَةٍ
وَمَا إِنْ يَزَالُ الدَّهْرُ حَلَفَ صَبَابَةٍ
فَمَنْ كَانَ ذَا عَقْلٍ غَزِيرٍ وَهَمَةٍ
وَلَا يَحْفَلُنَ بِالظَّاعِنِينَ إِلَى الْحِمَى
وَلَكِنَّ طَرْفَ الْعَزْمِ يَرْكَبُ مَتْنَهُ
وَيُتَحِفُ أَهْلِيهِ بِرُؤْيَةِ وَجْهِهِ
إِلَى اللَّهِ يَشْكُونَ الْغَرَامَ وَوَقْدَهُ
فَلِلَّهِ مَنْ يَرْعَى قُلُوبَ أَهْلِيهِ

فَذَاكَ حَدَانِي أَنَّ أَبْتَ الَّذِي عِنْدِي
وَحَتَّى مَتَى لَا تَنْزِعَانِ إِلَى الرُّشْدِ
لَاوْطَانِهِ اللَّاتِي بِهَا كَانَ فِي الْمَهْدِ
وَإِنْ زَعَمُوا أَنَّ الْفَوَائِدَ فِي الْبُعْدِ
ذَوُ الدِّينِ وَالْدُّنْيَا ذَوُ الْحَلِّ وَالْعَقْدِ
ذَلِيلًا حَقِيرًا لَا يُعِيدُ وَلَا يُبْدِي
فَلَا بَدَّ أَنْ يَلْقَى كَثِيرًا مِنَ الْجَهْدِ
وَلَوْ مَلَكَ الدُّنْيَا إِلَى آخِرِ الْهِنْدِ
فَلَا يَلْتَفِتُ يَوْمًا إِلَى الْعِلْمِ الْفَرْدِ
وَلَا يَصْبُونُ لِلْسَّاكِنِينَ رَبِّي نَجْدِ
يَوْمٌ بِهِ الْأَوْطَانُ بِالنَّصْرِ وَالْوَحْدِ
فَمَا مِنْهُمْ إِلَّا مَشُوقٌ وَمُسْتَجْدِي
فَيَا بُوسَ مَا يَلْقَوْنَ مِنْ شِدَّةِ الْوَجْدِ
وَيَكْسِبُ فِي ذَاكَ الثَّنَاءَ مَعَ الْحَمْدِ
(5 : 450-458)

31 — عِيسَى بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ

ابْنٌ يَلْبَحْتُ الْيَزْدَكُنِّي، خَطِيبُ الْجَامِعِ بِمُرَّاكُشَ، أَبُو مُوسَى
الْجَزُولِيُّ⁽¹⁷⁴⁾، مَنَسُوبٌ إِلَى قَبِيلَةٍ مِنَ الْبَرْبَرِ مَشْهُورَةٍ تُسَمَّى جَزُولَةَ، أَصْلُهَا بَيْنَ
الْكَافِ وَالْقَافِ، فَعَرَّبَهَا الْكُتَّابُ وَكَتَبُوهَا بِالْجِيمِ، مِنْ أَهْلِ مُرَّاكُشَ، الشَّيْخُ
الْأَدِيبُ النَّحْوِيُّ الْفَقِيهُ الْخَطِيبُ، رَحَلَ إِلَى مِصْرَ، وَأَذْرَكَ أَبَا مُحَمَّدٍ عَبْدَ اللَّهِ

(174) له ترجمة موسعة في الذيل والتكملة 8 : 246-254 ووفيات الأعيان 3 : 488-491
وفي حاشية التحقيق ذكر لمصادر أخرى.

بْنِ بَرِّي (175) النَّحْوِيُّ، وَقَرَأَ عَلَيْهِ أُصُولُ أَبِي بَكْرِ بْنِ السَّرَّاجِ (176)، وَقَرَأَ عَلَى أَبِي الْمَنْصُورِ ظَافِرِ بْنِ الْحُسَيْنِ الْمَالِكِيِّ الْمِصْرِيِّ (177) كِتَاباً فِي أُصُولِ الدِّينِ، فَقَالَ عِنْدَهُمْ حُظُوءٌ، وَتَقَبَّلُوهُ، وَحَسُنَ مَوْقِعُهُ عِنْدَهُمْ، وَقَاسَى مَدَّةَ إِقَامَتِهِ بِمِصْرَ ضُرّاً مِنَ الْفَقْرِ وَالْفَاقَةِ، وَلَمْ يَدْخُلْ مَدْرَسَةً (178)، وَكَانَ يَخْرُجُ إِلَى الضِّيَاعِ، فَيَحْصِلُ مَا يَقُومُ بِنَفَقَتِهِ، وَهُوَ غَايَةٌ فِي الْقِلَّةِ وَضِيقِ الْمَعِيشَةِ.

ثُمَّ رَجَعَ إِلَى الْمَغْرِبِ فَقِيراً مُدْقِعاً، فَوَصَلَ إِلَى الْمِرْيَةِ وَغَيْرِهَا مِنَ الْبِلَادِ، وَصَاحَبَ بَنِي عَبْدِ الْمُؤْمِنِ الْمُسْتَوِلِينَ عَلَى تِلْكَ الْبِلَادِ، فَقَالَ عِنْدَهُمْ حُظُوءٌ وَتَقَبَّلُوهُ، وَحَسُنَ مَوْقِعُهُ عِنْدَهُمْ، فَتَمَشَّتْ أحوَالُهُ مَعَهُمْ، وَاکْتَسَبَ رِزْقاً مُتَوَفِّراً مِنْ صُحْبَتِهِمْ، وَكَانَ قَدْ نَذَبَهُ الْأَمِيرُ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ يَعْقُوبَ بْنِ عَبْدِ الْمُؤْمِنِ لِكَشْفِ أحوَالِ الْقُضَاةِ وَالْوُلَاةِ عَلَى الْبِلَادِ ثِقَةً بِعَدَالَتِهِ وَأَمَانَتِهِ، فَتَوَفَّى فِي تِلْكَ السَّفَرَةِ فِي دَوْلَةِ الْأَمِيرِ مُحَمَّدِ بْنِ يَعْقُوبَ قَبْلَ السَّنَةِ الْعَاشِرَةِ وَالسِّتِّ مِئَةٍ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِصِحَّةِ ذَلِكَ (179). وَكَانَ نَحْوِيّاً حَازِقاً بَصِيراً يَعْلَمُ الْعَرَبِيَّةَ إِمَامَ زَمَانِهِ فِي مَعْرِفَتِهَا وَاثْقَانِهَا. وَهُوَ صَاحِبُ الْمُقَدِّمَةِ الْجَزُولِيَّةِ الْمَشْهُورَةِ فِي عِلْمِ الْإِعْرَابِ الَّتِي سَارَتْ وَانْتَشَرَتْ فِي الْآفَاقِ، وَاسْتَجَادَهَا أَهْلُ هَذَا الشَّانِ، وَاسْتَحْسَنُوهَا غَايَةَ الْإِسْتِحْسَانِ، وَشَهِدُوا لِمُصَنِّفِهَا بِالتَّبَرُّيزِ وَالسَّبْقِ عَلَى أَبناءِ جَنْسِهِ وَاسْتَجَازُوهَا عَلَى مُصَنِّفَاتِ الْقَدَمَاءِ مِنَ النُّحَاةِ، وَكُتِبَتْ مِنْهَا النُّسخُ لِكُونِهَا فَرِيدَةً فِي مَعْنَاهَا (180).

وَكَانَتْ وَفَاتُهُ فِي حُدُودِ سَنَةِ خَمْسٍ وَسِتِّ مِئَةٍ بِهَسْكَوْرَةِ مِنْ بَلَدِ مُرَاكُش.

(175) ترجمته في وفيات الأعيان 3 : 108.

(176) ترجمة أبي بكر ابن السراج في وفيات الأعيان 4 : 339-340 وكتابه الأصول في النحو طبع في العراق سنة 1973.

(177) هو شيخ المالكية بمصر في وقته، توفي سنة 597هـ، انظر ترجمته في نيل الابتهاج : 130 وحسن المحاضرة 1 : 193.

(178) أي أنه لم يسكن في المدارس المخصصة لطلبة العلم.

(179) حدّد ابن عبد الملك وفاته وقال إنها كانت ليلة السبت الثالثة عشرة من شعبان سبع وستمائة.

(180) طبعت المقدمة الجزولية وطبع كذلك بعض شروحها، وانظر بعض ما قيل في شأنها الذيل والتكملة : 8 : 248 ح 277.

أُنشَدَنِي الْقَاضِي الْإِمَامُ أَبُو الْقَاسِمِ عُمَرُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ هَبَةَ اللَّهِ (181) الْفَقِيهُ
 الْمُدْرَسُ الْحَنْفِيُّ بِمَحْرُوسَةِ حَلَبَ بِمَنْزِلِهِ الْمَعْمُورِ فِي سَنَةِ أَرْبَعٍ وَثَلَاثِينَ وَسِتِّ
 مِئَةٍ، قَالَ : أُنشَدَنِي أَبُو الْحُسَيْنِ يَحْيَى بْنُ مُعْطِي بْنِ عَبْدِ الثَّوْرِ الْمَغْرِبِيُّ
 النَّحْوِيُّ (182)، قَالَ : أُنشَدَنِي أَبُو مُوسَى لِنَفْسِهِ يَذْكُرُ فَضْلَ شَيْخٍ مِنَ الْعُلَمَاءِ،
 وَكَانَ رَجُلًا صَالِحًا يُعْرَفُ بِأَبِي الْعَبَّاسِ الْفَقِيهِ (183) :

أَقُولُ قَوْلًا مَا لَهُ مُنْكَرُ إِلَّا أَمْرُ أَحْمَقٍ مُسْتَكْبِرُ
 إِنَّ أَبَا الْعَبَّاسِ مِمَّنْ بِهِ يُسْتَنْزَلُ الرِّزْقُ وَيُسْتَمْطَرُ
 بَقِيَّةٌ مِنْ سَلَفٍ صَالِحٍ كَانَ كَمَا كَانُوا فَمَا يَكْدِرُ
 كُنْتُ - لَعْمَرِي - إِنْ جَرَى ذِكْرُهُ أَظُنُّهُ مِنْ بَعْضِ مَنْ يَذْكُرُ
 وَالْيَوْمَ لَا أَرْتَابُ فِي فَضْلِهِ صَدَقَ عِنْدِي الْخَبَرُ الْمَخْبَرُ
 جَالَسْتُ مِنْهُ الشَّمْسَ فِي قَدْرِهِ وَأَبْحُرًا فِي الْعِلْمِ لَا تُغْبَرُ
 هُمْ بَنُو الدُّنْيَا بِمَا نَالَهُ فِي الْعِلْمِ وَالتَّقْوَى فَلَمْ يَقْدِرُوا
 أَبْصَرَ مَا لَمْ يُبْصِرُوا بَعْدَمَا شَارَكَهُمْ فِي كُلِّ مَا أَبْصَرُوا

(5 : 458-461)

32 - عِيسَى بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ مُوسَى

ابْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ خَلِيلِ الْحِمَيْرِيِّ الْأَنْدَلُسِيِّ التَّائِكُرْنِيِّ

(181) هو المعروف بابن العديم وقد تقدّم ذكره.

(182) ترجمة ابن معطى في بغية الوعاة 2 : 344 وستأتي ترجمة ابن الشعار له ضمن هذا المجموع (ص 158).

(183) أظنّ أنّه أبو العباس الفنجاري الصّوفي المعروف الذي أخذ بضبع الجزولي لما حلّ بالمرية. انظر ترجمة أبي العباس هذا في الذيل والتكملة 1 : 46-58 ورسالة صفى الدين : 57-59، وانظر حكايته مع الجزولي في «الفلاكة والمفلوكون» : 92.

أَبُو الرُّوح (184) وَتَاكُرْنَا مِنْ أَعْمَالِ قُرْطُبَةَ (185)؛ قَدِمَ إِرْبِلَ فِي شَوَّالِ سَنَةِ سَبْعٍ وَعِشْرِينَ وَسِتِّ مِئَةٍ لِلِاسْتِجْدَاءِ، وَلَمْ أَكُنْ ذَلِكَ الْوَقْتُ مُقِيمًا بِهَا. كَتَبَ عَنْهُ جَمَاعَةٌ مِنْ أَهْلِهَا، وَكَانَ يَرْوِي شَيْئًا مِنْ أَشْعَارِ الْأَنْدَلُسِيِّينَ، وَلَهُ عِنَايَةٌ بِحِفْظِهَا وَأَنْسَابِ قَائِلِيهَا، ثُمَّ سَافَرَ عَنْهَا إِلَى مَدِينَةِ آمِدَ، فَلَمْ يَمَكُثْ بِهَا إِلَّا مُدَّةً قَرِيبَةً، وَكَانَتْ وَفَاتُهُ بِأَرْزَنَ مِنْ دِيَارِ بَكْرِ فِي سَنَةِ تِسْعٍ وَعِشْرِينَ وَسِتِّ مِئَةٍ عَائِدًا مِنْ آمِدَ.

كَذَلِكَ أَخْبَرَنِي الْبَدْرُ أَبُو الْوَفَاءِ الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ ابْنِ الْمُوصِلِيِّ الْكَاتِبُ بِحَلَبِ الْمَحْرُوسَةِ، وَلَهُ أَشْعَارٌ أَنَشَدَنِي مِنْهَا الصَّاحِبُ الْوَزِيرُ أَبُو الْبَرَكَاتِ الْمُسْتَوْفِي، قَالَ : أَنَشَدَنِي أَبُو الرُّوحِ عَيْسَى بْنُ مُحَمَّدٍ لِنَفْسِهِ :

سَلَامٌ كَسَاعَاتِ التَّلَاقِي مِنَ الْهَوَى
أُخْصُ بِهِ مَعْنَى الْكَمَالِ وَشَخْصَهُ
أَبَا الْبَرَكَاتِ الْأَلْمَعِيِّ الَّذِي غَدَا
لَهُ شَرَفٌ يُرَبِّي عَلَى الشَّمْسِ وَالْبَدْرِ

وَأَنَشَدَنِي، قَالَ : أَنَشَدَنِي لِنَفْسِهِ :

يَا رَبِّ أَضْحِيَّةٍ سَوْدَاءَ حَالِكَةٍ
تَحَالُ بَاطِنَهَا فِي أَلْوَنٍ ظَاهِرَهَا
لَمْ تَرَعْ فِي الْبَيْدِ إِلَّا الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ
فَهِيَ أَلْعَدَاةُ كَرْنَجِي إِذَا كَفَرَا

وَأَنَشَدَنِي قَالَ : أَنَشَدَنِي قَوْلُهُ :

يَا قَلْبُ مَا لَكَ لَا تُفِيقُ مِنَ الْهَوَى
الْكُلُّ ذِي وَجْهِ جَمِيلٍ حَنَّةٌ
أَوْ مَا يَقْرُ بِكَ الزَّمَانُ قَرَارُ
وَلِكُلِّ عَهْدٍ سَالِفٍ تَذْكَارُ

وَأَنَشَدَنِي، قَالَ : أَنَشَدَنِي لِنَفْسِهِ :

إِنْ أَوْدَعَ الطُّرْسَ مَا وَشَّاهُ خَاطِرُهُ
أَبْدَى لِعَيْنِكَ أَزْهَارًا وَأَسْحَارًا

(184) له أيضا ترجمة في تاريخ إربل لابن المستوفي وهي موجودة ضمن هذا المجموع (ص 179) وقد نقل المقرئ جلها في نفح الطيب 2 : 606-609.

(185) ذكر ابن سعيد في المغرب (1 : 330) أن مدينة تاكرنا كانت قصبة كورة رندة ثم خربت، وفي معجم البلدان والروض المعطار أنها كورة أو إقليم ومن مدن تاكرنا مدينة رندة. أما قول ابن الشعار إنها من أعمال قرطبة وقول ياقوت مرة أخرى إنها من أعمال شذونة، وقول الحميري إنها مضافة إلى أعمال استجة فإنها أقوال تقريبية.

وَأَنْ يُهَذِّدَكَ فِيهِ أَوْ يَعِدُ كَرَمًا بَثَّ الْبَرِّيَّةَ آجَالًا وَأَغْمَارًا
(5 : 473-474)

33 - الْفَتْحُ بْنُ مُوسَى بْنِ حَمَادٍ

أَبْنُ عَلِيٍّ بْنِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ إِسْمَاعِيلَ أَبُو نَصْرِ (186) الْأُمَوِيُّ الْأَنْدَلُسِيُّ مِنْ أَهْلِ
الْجَزِيرَةِ الْخَضْرَاءِ أَصْلًا، وَمَوْلَدُهُ بِقَصْرِ كُتَامَةِ، بَيْنَ فَاسٍ وَسَلَا (187)، فِي الثَّالِثِ
عَشَرَ مِنْ شَوَالِ سَنَةِ أَرْبَعٍ وَثَمَانِينَ وَخَمْسٍ مِئَةٍ، كَذَلِكَ أَخْبَرَنِي مِنْ لَفْظِهِ.
فَقِيَّةٌ شَافِعِيٌّ الْمَذْهَبِ أُصُولِيٌّ عَالِمٌ لَهُ مَعْرِفَةٌ بِالنَّحْوِ وَالْعُرُوضِ وَنَظَرٌ فِي عِلْمِ
الْحِكْمَةِ، وَالْمَنْطِقِ، قَرَأَ الْمُقَدِّمَةَ الْجَزُولِيَّةَ عَلَى مُصَنَّفِهَا قِرَاءَةً إِنْثِقَانٍ وَفَهَمَ، وَنَظَّمَ
كِتَابَ الْمُفَصِّلِ لِأَبِي الْقَاسِمِ الزَّمْخَشَرِيِّ أَرْجُوزَةً، وَعَمِلَ كِتَابَ الْإِشَارَاتِ لِأَبِي
عَلِيٍّ ابْنِ سِينَا شِعْرًا، وَنَظَّمَ كِتَابًا فِي الْعُرُوضِ لَطِيفًا، وَرَحَلَ إِلَى مَدِينَةِ السَّلَامِ
سَنَةَ ثَلَاثٍ وَعِشْرِينَ وَسِتِّ مِئَةٍ، وَسَمِعَ بِهَا الْحَدِيثَ عَلَى أَبِي الْفَضْلِ الدَّاهِرِيِّ
وغيره، نَزَلَ بِرَأْسِ عَيْنٍ، وَتَوَلَّى بِهَا تَدْرِيسَ الْمَدْرَسَةِ النَّظَامِيَّةِ عَلَى الْفِرَقِ الْأَرْبَعِ،
ثُمَّ فُوضَ إِلَيْهِ أَمْرُ دِيَوَانِهَا. شَاهَدْتُهُ بِإِرْبِلَ فِي شَوَالِ سَنَةِ خَمْسٍ وَعِشْرِينَ وَسِتِّ
مِئَةٍ فِي صُحْبَةِ فَلَكِ الدِّينِ أَبِي الْقَاسِمِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ هَبَةِ اللَّهِ بْنِ عَلِيٍّ الْمَسِيرِيِّ
الْمِصْرِيِّ (188)، وَكَانَ حِينَئِذٍ قَدْ وَرَدَهَا رَسُولًا. أَتَشَدَّنِي لِنَفْسِهِ يَمْدَحُ إِرْبِلَ
وَيَصِفُهَا :

يَا إِرْبِلُ، مَا أَنْتَ إِلَّا جَنَّةٌ خُصِّتْ بِأَكْرَمِ جِيرَةٍ وَقَرَارِ

(186) له ترجمة في طبقات الشافعية الكبرى 8 : 348 وبغية الوعاة 2 : 262 وحسن المحاضرة
1 : 415، ويبدو أنه لا صلة له بالقاضي موسى بن حماد المعروف لأن هذا صنهاجي
والمرجع هنا أموي.

(187) قد يصح هذا حسب مسلك ما، ولكننا نقول اليوم إن قصر كتامة أو القصر الكبير يقع
بين طنجة وفاس أو بين طنجة وسلا.

(188) ترجمته في الوافي بالوفيات 18 : 294-295 وفي حاشية المحقق ذكر لمصادر أخرى.

لَوْ لَمْ تُكُونِي جَنَّةَ الدُّنْيَا لَمَا كَانَ السَّرَاطُ إِلَيْكَ بَيْتَ النَّارِ (189)
 سُلْطَانُهَا الْمَلِكُ الْمُعْظَمُ قَدْرُهُ فِي قَلْبِ كُلِّ مُعْظَمٍ جَبَّارٍ
 يَكْفِيهِ عِنْدَ اللَّهِ — وَهِيَ عَظِيمَةٌ — تَعْظِيمُ مَوْلِدِ أَحْمَدَ الْمُخْتَارِ
 فَلْيَحْمَدَنَّ إِذَا التَّقَى بِمُحَمَّدٍ آثَارَ مَا أَوْلَاهُ مِنْ آثَارِ

وَهَذِهِ الْخُطْبَةُ مِنْ إِنْشَائِهِ، وَتَلَاهَا بِالْقَصِيدَةِ الدَّالِيَةِ يَمْدَحُ بِهَا الْقَاضِي زَيْنَ
 الدِّينِ عَبْدَ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْأَسَدِيِّ الْحَلَبِيِّ (190) قَاضِي حَلَبٍ رَحِمَهُ اللَّهُ.
 وَذَلِكَ حِينَ أُنْفِذَ رَسُولًا إِلَى الدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ إِلَى السُّلْطَانِ الْمَلِكِ الْكَامِلِ رَحِمَهُ
 اللَّهُ : «الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي كَشَفَ عَنِ الْأُمَّةِ ظُلْمَةَ الْغُمَّةِ، وَأَفَاضَ عَلَيْهِمْ مَا اسْتَفَاضَ
 مِنْ سَوَابِغِ النِّعْمَةِ، وَسَوَائِغِ الطَّعْمَةِ، وَمَدَّدَ عَلَيْهِمْ مِنْ جَلَالِ الْعِصْمَةِ، وَكَمَالِ
 النِّعْمَةِ، وَظِلَالِ الرَّحْمَةِ، وَأَفَاءَ عَلَيْهِمْ مِنْ أَمَانِي أَمَانِهِ ظِلًّا ظَلِيلًا، وَخَلَقَ الْمَوْتَ
 وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا» وَقَضَى لِخَلْقِهِ أَجَلَيْنِ، أَجَلًا اخْتِرَامِيًّا مُسَمًّى
 عِنْدَهُ، وَأَجَلًا مُسْتَفَادًا بِتَقْدِيرِهِ مُوَجَّلاً، فَأَمَاتَ وَأُخِيَّ بِالْأَجَلَيْنِ الْاِخْتِرَامِيَّ
 وَالْمُسْتَفَادَ دَوْلًا وَحَوْلًا «سُنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلُ، وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ
 تَبْدِيلًا» اخْتَرَمَ النَّفْسَ النَّفِيسَةَ الْمَلَكِيَّةَ الْعَزِيزَةَ قَدَسَ اللَّهُ رُوحَهَا، وَنَوَّرَ ضَرِيحَهَا
 لِأَجْلِهَا الْمَحْتُومِ، وَالْحَقَّ نَحَرَهَا الْحَقِيقِيَّ الْمَوْجُودَ بِالْخَبَرِ الْمَجَازِيِّ لَا بَلَّ بِخَبَرِ
 الْمَعْدُومِ، وَكَأَنَّ تَصَوُّرَاتِ الْمَحْنِ وَتَصْدِيقَاتِ الْإِحْنِ تُلْبِسُ الْمَجْهُولَ بِالْمَعْلُومِ،
 وَتَتَخَاذَلُ الْعَزَائِمُ الْإِنْسَانِيَّةُ، «وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَذُولًا»، فَصَدَعَتِ الْعَزَائِمُ
 الصَّاحِبِيَّةَ الْقَاضِيَّةَ الدِّينِيَّةَ الْأَسَدِيَّةَ عَنْ أَنْوَارِ الْهِدَايَةِ، وَسَطَعَتِ إِيَّاهُ آيَاتُهَا بِبَوَارِقِ
 سَوَابِقِ الْحِمَايَةِ وَالرَّعَايَةِ، وَأَشَارَتِ الْعِنَايَةُ الصَّرِيحَةُ بِمَا هُوَ أَهْلُهُ مِنَ الْاِخْتِصَاصِ
 بِاصْطِفَاءِ الْعِنَايَةِ، فَبِعَثَ رَسُولًا، كَرِيمًا كَفِيلًا بِسَعَادَتِهِ أَنْ يُلْغِ مَا شَاءَ أَمَلًا وَسُؤْلًا،
 فَتَهَضَّ أَيْدُهُ اللَّهُ — بِأَعْبَاءِ الرِّسَالَةِ نُهُوضًا وَاجِبًا، وَاثْبَتَ أَسْبَابَ الْمَلِكِ الصَّلَاحِيِّ

(189) بيت النار : قرية كبيرة من قرى إربل من جهة الموصل، بينها وبين إربل ثمانية أميال، معجم البلدان.

(190) ترجمته في الوافي بالوفيات 17 : 246 وجاء فيها : «ونبل مقداره عند الملوك والسلاطين وعلاجاه وارتفع شأنه وترسل إلى ملوك الشام ومصر مرّات» وانظر تعداد مصادر ترجمته في حاشية المحقق.

يَسْلُبِ مَوَانِعِهِ عَنْهُ فَكَانَ بِحُكْمِيهِ الْمُتَقَابِلَيْنِ مُوجِباً وَسَالِباً، وَأُسْفَرَ صَبَاحُ سِفَارَتِهِ عَنْ صَلَاحِ بَشَارَتِهِ وَنَجَاحِ رِسَالَتِهِ آتِياً وَذَاهِباً، ﴿فَقَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِي الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي مُبَارَكاً أَيْنَ مَا كُنْتُ﴾، وَبَعَثَنِي رَسُولاً، فَأَمَّنَ مَنْ سَبَقَتْ لَهُ الْحُسْنَى وَمَنْ رَأَى آيَاتِ صِدْقِهِ الْبَاهِرَةِ، وَصَفَتْ مَوَارِدُ سُعُودِ الرَّعَايَا بِتَسْخِيرِ اللَّهِ لَهُ مُلُوكاً قَبِلَتْ إِشَارَتَهُ وَامْتَثَلَتْ أَوَامِرَهُ، وَأُسْبَغَ اللَّهُ عَلَى الْكَافَّةِ بِحُسْنِ تَذْيِيرِهِ، وَحُسْنَى تَقْدِيرِهِ نِعْمَهُ الْبَاطِنَةَ وَالظَّاهِرَةَ، وَهَدَى بِهِ سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴿وَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَى سَبِيلاً﴾، فَالْفَ اللَّهُ بِهِ الْكَلِمَةَ عَلَى أَحْسَنِ نِظَامٍ وَاثْبَتَ أُسَاسٍ، وَاسْتَقَرَّ بِهِ أَمْرُ أَمْنِ الرَّعِيَّةِ وَتَمَزَّقَ عَنْهُمْ لِبَاسُ الْيَاسِ، وَكَفَلَ تَأْيِيدَ الْمَلِكِ وَتَأْيِيدَهُ فِي خَيْرِ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ، فَلِسَانُ حَالِ الْمُلُوكِ يَقُولُ وَكَفَى بِهِ قَائِلاً وَبِكَافِلِهِ كَفَيْلاً.

وَهَذِهِ الْقَصِيدَةُ :

مَا شِئْتَ يَا ذَهْرُ فَاصْنَعْ غَيْرَ مُقْتَصِدٍ
وَاسْتَجْلِبِ الْعُذْرَ عَنْ غَدْرِ وَفَيْتَ بِهِ
فَقَدْ حَلَلْتَ حِمِّيَ لَوْ يَسْتَجِيرُ بِهِ
الصَّاحِبُ الصَّدْرُ زَيْنُ الدِّينِ مَنْ بَلَغَتْ
قَاضِي الْقُضَاةِ الَّذِي أَضْحَتْ مَنَاقِبُهُ
يَهْدِي عُقُولَ الْوَرَى مِنْ عِلْمِهِ عِلْمٌ
تُضِيءُ أَنْوَارُهُ مِنْ نَارِ فِكْرَتِهِ
وَتُسْتَقِلُّ أَيَادِيهِ، وَإِنْ كَثُرَتْ
صَدْرُ أَقَامَ قَنَاءَ الْمُلِكِ مِنْ أَوْدٍ
نَائِي الْمَحَلِّ تَرَاهُ مِنْ تَوَاضُعِهِ
سَدَّ الثُّغُورَ وَقَدْ سُدَّتْ مَسَالِكُهَا
وَمَهَّدَ الْمُلُوكَ حَتَّى أَصْبَحَتْ حَلَبٌ
مَضَى لِمِصْرَ، فَأَمْضَى مِنْ عَزَائِمِهِ
بَدَتْ لَهُمْ مُعْجَزَاتٌ مِنْ مَنَاقِبِهِ
فَقَامَ بِالْحَقِّ لَا يُلَوِي مُنَاصِحَةً

وَعَدُّ عَنْ قَصْدٍ مُقْصُودِي وَلَا تُعَدُّ
وَأُخَذَ أَمَانُكَ عَنْ خَوْفٍ يَدَا يَدٍ
حِمِّيَ كُلِّبَ لِأَضْحَى فِي حِمِّيِ الْأُسْدِي
بِهِ غُلَا أَمْدٌ أَرْبَى عَلَى أَمْدٍ
مُؤَسَّسَاتٍ مِنَ التَّقْوَى عَلَى عَمْدٍ
أَنَافَ فَوْقَ شَنَاخِيبِ النُّهَى الْجُدِّ
فَتَنَجَّلِي الْحِكْمُ الْقُدْسِيَّةُ الْمَدِّ
فَكَمْ أَيَْادٍ لَهُ عِنْدَ الْوَرَى وَيَدٍ
فِي صَدْرِهَا فَانْثَنَتْ عَنْ ذَلِكَ الْأَوْدِ
لِلْخَلْقِ فِي صَبَبٍ مِنْ ذَلِكَ الصَّعْدِ
عَنِ الْعُقُولِ بِرَأْيِ صَائِبِ سَدِّ
فِي دَرِّ ضَرْعِ الْمُنَى كَالْوَقْرِ فِي الصَّفْدِ
بِيضاً تَقْدُّ قُلُوبَ الْأُسْدِ فِي الزَّرْدِ
فَارْسَلُوهُ لَهَا فِي طَالِعِ السُّعْدِ
فِيمَا تُنَالُ بِهِ الْأُخْرَى عَلَى أَحَدٍ

فَأَمَّنْتَ بِهُدَاهُ أُمَّةً سَبَقَتْ
فَاسْتَوْسَقَ الْمُلْكُ وَانْجَابَتْ بِهَيْمَتِهِ
وَعَاشَ مَنْ كَانَ يَخْشَى الْمَوْتَ فِي حَلْبٍ
وَكَانَ أَكْبَرَ عِيدٍ يَوْمَ مَقْدَمِهِ
تَبَاشَرَ النَّاسُ فِي لُقْيَاهُ وَاحْتَشَدُوا
قُلُوبًا لِلْمَحَدِّثِ عَنْ أَخْبَارِ سُودْدِهِ
وَانْتَرَى عَلَى صَفَحَاتِ الدَّهْرِ مِنْ مَدْحِي
وَقَابِلِ الْعَالَمِ الْعُلُويِّ أَجْمَعَهُ
وَعَفَرَ الْوَجْهَ فِي نَادِيهِ إِنَّ بِهِ
وَرَاجِعَ الْفِكْرِ وَارْجِعْ عَنْ مَهَائِتِهِ
تَلَحَّظْ جَلَالَ جَنَابٍ تَقْشَعِرُّ لَهُ
وَهْمَةٌ ضَاقَتْ الدُّنْيَا بِمَا رَحِبَتْ
وَقَاضِيًا أُحْكِمْتَ أَحْكَامَهُ حِكْمًا
مُؤَيَّدًا حُكْمَ دِينِ اللَّهِ مُجْتَهِدًا
يَا ذَا الَّذِي صَبِغَ مِنْ طِيبٍ وَمِنْ زَبَدٍ
تَبَارَكَ اللَّهُ مَا أَوْلَاكَ مِنْ رَجُلٍ
كَمْ اجْتَهِدْنَا عَلَى عَيْبٍ نُعِيدُ بِهِ
لَفْظَ الْفَضِيلَةِ لَمْ تُوضَعْ حَقِيقَتُهُ
وَحُلَّةُ الْمَجْدِ مَذُ الْبِسْتِهَا يَفْعَاً
أَعِيدُ — يَا وَاحِدَ الدُّنْيَا وَصَاحِبَهَا —
وَنِلْتَ فِي قُرْتِي عَيْنَ الْفَضَائِلِ مَا
فَفِي الْكَمَالِ كَمَالٌ جَلَّ مُبْدَعُهُ

لَهَا مِنَ اللَّهِ حُسْنَى الْفَوْزِ وَالرَّشْدِ
دُجَى الْخُطُوبِ وَدَامَ الْمُلْكُ لِلْأَبَدِ
وَمَاتَ أَعْدَاؤُهُ مِنْ شِدَّةِ الْكَمَدِ
مُهَنَّاً بِالْمُنَى فِي النَّفْسِ وَالْوَلَدِ
لَهُ بِأَجْمَلِ مَا يُلْقَى مِنَ الْحَشْدِ
حَدَّثَ حَدِيثًا صَحِيحًا عَالِي السَّنَدِ
فِيهِ بَدِيعَ نِظَامِ اللُّوْلُو الْبَدَدِ
مِنْهُ بِكُلِّي فَضْلٍ فِيهِ مُتَّحِدِ
مِسْكِي تَرَبٍّ بِهِ يُشْفَى مِنَ الرَّمَدِ
حَسِيرَ طَرْفِكَ وَالْحَظَّ لَحْظَ مُتَّحِدِ
جُلُودُ كُلِّ عَظِيمٍ الْجَاشِ وَالْجَلَدِ
عَنْ حَمْلِهَا وَسَطًا الصَّمْصَمَةِ الْفَرْدِ
جَلَّتْ فَأَجَلَّتْ ظِلَامُ الظُّلَمِ وَالْفَنَدِ
فِيهِ بِمَا يَرْتَضِيهِ كُلُّ مُجْتَهِدِ
وَعِثْرُهُ صَبِغَ مِنْ طِيبٍ وَمِنْ زَبَدٍ (191)
بِفَضْلٍ مَا حُزْتُ مِنْ سَمْتٍ وَمِنْ رَشْدِ
كَمَالٍ مَجْدِكَ مِنْ عَيْنٍ فَلَمْ نَجِدِ
إِلَّا عَلَيْكَ فَمَنْ يَنْقُلُهُ لَمْ يُفِدِ
سَاوَتْ غُلَاكَ فَلَمْ تَنْقُصْ وَلَمْ تَزِدِ
فَضْلًا تُخَصِّصْتَ بِهِ بِالْوَاحِدِ الصَّمَدِ
تَحْتَارُ مِنْ أَمَلٍ يَبْقَى مَدَى الْمُدِّ
وَفِي الْبَهَاءِ بَهَاءٌ غَيْرُ مُتَّقَدِ
فَلِلَّهِ حَرَكَةٌ أُوجِبَتْ سُكُونُ مَا انْزَعَجَ مِنَ الْخَوَاطِرِ، وَبَرَكَتُهُ رَدَّتْ سَحَائِبَ

(191) لعله يقصد بالأول الطيب الذي يعتصر من السنور المعروف أما الثاني فهو القذي الذي يطفو فوق الماء.

الْفِتْنِ وَهِيَ قَوَاطِرُ مَوَاطِرُ، وَهَمَّةٌ أَسَدِيَّةٌ قَامَتْ مَقَامَ الْقَنَا وَالْقَنَابِلِ وَالْبَوَاتِلِ الْبَوَاتِرِ،
 حِينَ كَادَتْ «تَرْجُفُ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ وَكَانَتْ الْجِبَالُ كَثِيْبًا مَهِيْلًا»، فَغَلَبَ
 بِحَمْدِ اللَّهِ عَلَى مَا أَرَادَهُ مِنْ إِصْلَاحِ الدَّوْلَةِ الصَّلَاحِيَّةِ وَكَانَ حِزْبُ اللَّهِ غَالِبًا،
 وَأَحْكَمَ مَا حَكَمَ بِهِ مِنْ مَصَالِحِ النَّصَائِحِ شَاهِدًا وَغَائِبًا، وَقَضَى لِلْغَائِبِ وَعَلَيْهِ
 قَضَاءٌ نَافِذًا وَاجِبًا، وَالْقَاضِي إِذَا قَضَى لِلْغَائِبِ وَعَلَيْهِ كَانَ قَضَاؤُهُ جَائِزًا مَقْبُولًا.

وَأُنْشِدْنِي لِنَفْسِهِ مُهْنًا الْمَلِكِ الْأَشْرَفِ يَفْتَحُ دَمِيَاطَ مِنْ قَصِيْدَةٍ أَوَّلَهَا :
 اللَّهُ أَكْبَرُ هَذِي أَكْبَرُ الرُّتَبِ وَحَصَّحَصَ الْحَقُّ وَانْجَابَتْ غِيَاھِبُهُ
 وَصَدَّقَتْ عَزَمَاتُ السِّيفِ مَا كَتَبَتْ كَادَتْ تَنْوِبُ بَنِي الْإِسْلَامِ نَائِبَةً
 مِنْ بَعْدِ مَا شَامَ أَهْلُ الشَّامِ قَاطِبَةً وَغَادَرُوا ثَغَرَ دَمِيَاطِ وَبَرَزْخَهُ
 طَمَتْ عَلَيْهِمْ بَحَارٌ مِنْكَ زَاخِرَةٌ غَضِبْتَ لِلَّهِ يَا مُوسَى، وَمَا عَلِمُوا
 وَأَجَّجَتْ يَدُكَ الْبَيْضَاءُ بَيْنَهُمْ هُمْ الْفَرَاشُ، فَمَهُمَا أَلْهَبَتْ لَهَبًا
 يَا لِلْعَجَائِبِ، عِيسَى، وَهُوَ عِنْدَهُمْ وَلَمْ يَزَلْ - وَهُوَ رُوحُ الْقُدُسِ - يُنْذِرُهُمْ
 فَجَاءَ عِيسَى رَسُولًا مِنْ مُحَمَّدِهِ عِلْمًا بِأَنَّ الْيَدَ الْبَيْضَاءَ مَا بَرَحَتْ
 فَجَاءَ مُوسَى لِدَمِيَاطَ عَلَى قَدَرٍ وَحَالَ مَا بَيْنَ دَمِيَاطِ وَبَيْنَهُمْ
 بِكُلِّ قَلْبٍ كَانَ السُّمَرُ أَضْلَعُهُ فَجَاءَ فِرْعَوْنُ عَكًّا خَائِفًا وَجِلًّا
 مُسْتَيْقِنِينَ بِأَنَّ اللَّهَ نَحَاذِلُهُمْ شَاهَتْ لَهَا أَوْجُهُ الْأَوْثَانِ وَالصُّلْبِ
 وَاجْتَثَّ دَابِرُ أَهْلِ الشَّرِكِ وَالرَّيْبِ أَيْدِي الْغُيُوبِ مِنَ الْآيَاتِ فِي الْكُتُبِ
 مِنَ الْفِرْنَجِ فَكَادَتْهُمْ يَدُ التَّوْبِ مِنْهُمْ بِمَصْرَ بُرُوقِ الْأَيْنِ وَالْوَصَبِ
 تَبْكِي عَلَيْهِ جُفُونُ الدِّينِ وَالْحَسَبِ فَلَجَّجَتْ بِهِمْ فِي لُجَّةِ الْعَطَبِ
 بِأَنَّ رِضْوَانَهُ فِي ذَلِكَ الْغَضَبِ نَارًا، فَكَانُوا لَهَا مِنْ جُمْلَةِ الْحَطَبِ
 أَنْوَارَهَا سَقَطُوا فِي ذَلِكَ اللَّهَبِ رَبُّ دَعَاهُمْ إِلَى التَّقْوَى، فَلَمْ يُجِبْ
 آيَاتِ مُوسَى، وَمَا فِيهَا مِنَ الْعَجَبِ إِلَى أَبِي الْفَتْحِ مُوسَى الْبَطْشِ وَالرَّهَبِ
 تُبْدِي لِمُوسَى بِمَصْرَ آيَةَ اللَّقَبِ وَالنَّصْرَ يَقْدُمُهُ فِي جَحْفَلٍ لَجِبِ
 بِكُلِّ مُرْتَقِبٍ لِلْهَوْلِ مُرْتَكِبِ لَمْ يَهْفُ قَلْبٌ لَهُ يَوْمًا وَلَمْ يَجِبِ
 يَبْغِي أَمَانًا يُنْجِيهِمْ مِنَ الرُّعْبِ وَأَنَّ مَرْجِعَهُمْ لِلْسِّيفِ وَالْهَرَبِ

وَأَيْنَ يَهْرُبُ مِنْ مُوسَى وَفِي يَدِهِ الدُّنْيَا جَمِيعاً وَخَيْلُ اللَّهِ فِي الطَّلَبِ (192)
فَسَلَّمُوهَا، وَمَا جَادُوا بِهَا كَرَمًا لَكِنَّهُمْ فَدَوْا الْمَسْلُوبَ بِالسَّلْبِ
(5 : 509-517)

34 — أَبُو الْقَاسِمِ ابْنُ أَبِي جَعْفَرٍ

ابْنُ عَطِيَّةَ (193) الْوَزِيرُ الْكَاتِبُ. حَدَّثَنِي شَيْخُ الشُّيُوخِ ابْنُ حَمُوَيْهِ، قَالَ : أَبُو الْقَاسِمِ هَذَا كَانَ كَاتِباً لِلشَّيْخِ أَبِي مُحَمَّدٍ عَبْدِ الْوَاحِدِ بْنِ عُمَرَ (194)، وَكَانَ أَحَدَ أَشْيَاخِ الْمُوَحِّدِينَ وَأَرْكَانَ دَوْلَتِهِمْ رَأَيْتُهُ بِمُرَّاكُشَ وَهُوَ يَتَوَلَّى أَكْثَرَ أُمُورِهِ، وَإِلَيْهِ التَّرْسُلُ وَالْإِنْشَاءُ فِي كِتَابَةِ رِقَاعِهِ وَدَرَجِهِ، وَوِلَايَةِ نَفَقَاتِ دَخْلِهِ وَخُرْجِهِ، وَهُوَ الْمُسْتَوَلِي عَلَى أَمْرِهِ، وَالْمُسْتَوْدَعُ لِسِرِّهِ، وَلَهُ كِتَابَةٌ حَسَنَةٌ، وَرَسَائِلُ وَجِيزَةٌ، وَأَشْعَارٌ كَثِيرَةٌ.

وَكَانَ مِنْ ذَوِي الْمُرُوءَاتِ وَالْهَيَّاتِ، وَمِنْ الْمُسَارِعِينَ إِلَى إِغَاثَةِ الْمَلْهُوفِ وَقَضَاءِ الْحَاجَاتِ، وَكَانَ وَالِدُهُ أَبُو جَعْفَرٍ وَزِيرُ آلِ عَبْدِ الْمُؤْمِنِ نَهَضَ بِأَعْبَاءِ الدَّوْلَةِ فِي مَبَادِيهَا، وَأَحْكَمَ قَوَاعِدَهَا وَمَبَانِيهَا، وَلَهُ الْكُتُبُ الْبَلِيغَةُ فِي الْجَمْعِ وَالتَّأْلِيفِ وَالِاحْتِجَاجِ لِلدَّوْلَةِ الْمُسْتَقْبَلَةِ وَالْإِذْحَاضِ لِلدَّوْلَةِ الْمَاضِيَةِ، وَالْمُبَالَغَاتِ فِي التَّرْغِيبِ وَالتَّرْهِيْبِ، وَالْاِقْتِدَارِ التَّامِّ فِي حُسْنِ التَّدْبِيرِ، وَعَلَى التَّبَعِيدِ وَالتَّقْرِيبِ. وَأَمَّا وَلَدُهُ هَذَا فَهُوَ مُتَوَسِّطٌ فِي فَنِّهِ مُوَافِقٌ طَبَقَةَ سِنِّهِ، وَكَانَتْ بَيْنِي وَبَيْنَهُ بِمُرَّاكُشَ مُجَاوَرَةً، وَمُزَاوَرَةً وَمُحَاوَرَةً، ثُمَّ قَالَ : وَأُنْشِدَنِي يَوْماً لِنَفْسِهِ، وَقَدْ جَرَتْ مَفَاوِضُهُ

(192) هذا من قول الشاعر الأندلسي الأصم المرواني :

أَيْنَ الْمَقْرُ وَخَيْلُ اللَّهِ فِي الطَّلَبِ

وقصيدة الأصم وقصيدة هذا الشاعر كلتاهما في معارضة بائنة أبي تمام المشهورة.

(193) هو ولد الكاتب أبي جعفر ابن عطية وزير عبد المؤمن، وحياته ونهايته وأخباره معروفة.

(194) هو الذي ولّاه الناصر الموحدي على إفريقية ثم استبد بها وآل الأمر إلى قيام الدولة الحفصية في عهد ولده أبي زكرياء.

فِي اخْتِيَارِ الْعُزْلَةِ وَالْخُمُولِ وَإِثَارِ الْانْزَوَاءِ، فَقَالَ :
تُنَازِعُنِي النَّفْسُ أَعْلَى الْأُمُورِ وَلَيْسَ مِنَ الْعَجَزِ لَا أَنْشَطُ
وَلَكِنْ بِمِقْدَارِ قُرْبِ الْمَكَانِ تَكُونُ سَلَامَةً مَنْ يَسْقُطُ⁽¹⁹⁵⁾
(5 : 625)

35 - لَوْلُو بْنُ عَبْدِ اللَّهِ أَبُو سَعِيدٍ

الرُّومِيُّ⁽¹⁹⁶⁾ الصِّيَّادُ، كَانَ أَصْلُهُ فَرَنْجِيًّا، وَكَانَتْ حِرْفَتُهُ صَيْدَ السَّمَكِ،
وَشَكْلُهُ شَكْلُ الْمَغَارِبَةِ، وَكَانَ مَوْلَى لَابِنِ مُنْقِذِ الاسْكَنْدَرِيِّ التَّاجِرِ وَعَتِيقِهِ، اشْتَعَلَ
بِطَرْفٍ مِنْ عِلْمِ الْعَرَبِيَّةِ، وَأَخَذَ مِنْهُ قَدْرًا يَسِيرًا لِتَصْحِيحِ طَبْعِهِ فِي النَّظْمِ، وَكَانَتْ
لَهُ الْيَدُ الطُّوْلَى فِي صَنْعَةِ الْمُوشَّحَاتِ وَإِنْشَاءِ الشُّعْرِ، وَصَنَعَ مَقَامَاتٍ، وَرُبَّمَا امْتَدَّحَ
بِشِعْرِهِ، وَارْتَزَقَ. وَلَهُ طَبْعٌ يُعِينُهُ عَلَى الْإِنْشَاءِ لَا غَيْرَ.

وَنُدِبَ إِلَى أَنْ يَكُونَ مِنْ قَوَادِ الْبَحْرِ فَاِمْتَنَعَ. أَنَشَدَنِي أَبُو الْمُظَفَّرِ مَنصُورُ بْنُ
سَلَمٍ بْنُ مَنصُورِ الْاسْكَنْدَرِيِّ بِمَدِينَةِ السَّلَامِ فِي سَنَةِ تِسْعٍ وَثَلَاثِينَ وَسِتِّ مِئَةٍ،
قَالَ : أَنَشَدَنِي لَوْلُو بْنُ عَبْدِ اللَّهِ لِنَفْسِهِ، وَهِيَ أَيْبَاتٌ خَالِيَةٌ مِنَ النُّقْطِ :

اطْلَعْ طُلُوعَ هِلَالِكَ	وَاصْعَدْ سَمَاءَ كَمَالِكَ
وَلُخْ كَمَا لَاحَ سَعْدُ	عَلَى الْعَلَاءِ لِحَالِكَ
وَحُلْ وَسْطَ مَحَلِّ	مَدَاهُ مَهْلُ طَوَالِكَ
لَكَ الْمَكَارِمُ سَعْدًا	لِوَالِهِ الصَّدْرُ هَالِكَ
دَعَاهُ مَطْلُكَ دَهْرًا	وَمَا دَعَا لِمِطَالِكَ
وَهَلْ وَصَالِكَ إِلَّا	أَهْلٌ لِأَهْلِ وَصَالِكَ
كَمَا صُدُودُكَ مُرٌّ	مُحَرَّمٌ لِحَالِكَ

(6 : 19)

(195) هذا من المثل : على قدر السمو في الرفعة، تكون وجبة الوقعة.

(196) يبدو مما سيذكره بعد أنه عاش في بداية حياته ببلاد المغرب.

36 — مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ جُبَيْرٍ

ابن مُحَمَّدُ بْنُ جُبَيْرٍ أَبُو الْحُسَيْنِ الْكِنَانِيُّ الْبَلَنْسِيُّ (197) الْوَزِيرُ الْكَاتِبُ، وَزَرَ لِصَاحِبِ الْأَنْدَلُسِ الْأَمِيرِ أَبِي سَعِيدٍ عُثْمَانَ بْنِ عَبْدِ الْمُؤْمِنِ (198).

وَكَانَ شَاعِرًا مُجِيدًا عَالِمًا بَلِيغًا ذَا أَدَبٍ كَثِيرٍ وَفَضْلٍ شَهِيرٍ، لَهُ قَصَائِدُ مُسَمَّطَةٌ، وَرَسَائِلُ مُدَوَّنَةٌ، وَشِعْرٌ فَصِيحٌ، وَتَرْسُلٌ مَلِيحٌ، وَمَوْشَحَاتٌ بَارِعَةٌ، وَكِتَابَةٌ رَائِعَةٌ. رَحَلَ إِلَى الْأَسْكَندَرِيَّةِ وَسَكَنَهَا إِلَى أَنْ تُوُفِّيَ بِهَا يَوْمَ الْخَمِيسِ سَلَخَ شَعْبَانَ سَنَةِ خَمْسَ عَشْرَةَ وَسِتِّ مِائَةٍ.

أَنْشَدَنِي الْفَقِيهُ أَبُو مُوسَى عَيْسَى بْنُ سَلَامَةَ الْإِسْكَندَرِيُّ الْمُقْرِيءُ بِإِرْبِلَ سَنَةَ خَمْسٍ وَعِشْرِينَ وَسِتِّ مِائَةٍ، قَالَ : أَنْشَدَنِي الْوَزِيرُ أَبُو الْحُسَيْنِ مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ ابْنَ جُبَيْرٍ لِنَفْسِهِ فِي الْحُجَّاجِ :

يَا وَفُودَ اللَّهِ، فُرْتُمُ بِالْمُنَى	فَهَنِيئًا لَكُمْ أَهْلَ مَنَى
قَدْ عَرَفْنَا عَرَفَاتٍ مَعَكُمْ	فَلِهَذَا بَرَّحَ الشَّوْقُ بِنَا
نَحْنُ بِالْمَغْرِبِ نُجْرِي ذِكْرَكُمْ	فَغُرُوبُ الدَّمْعِ تَجْرِي هُنَا
أَنْتُمْ الْأَحْبَابُ نَشْكُو بُعْدَكُمْ	هَلْ شَكَوْتُمْ بُعْدَنَا مِنْ بُعْدَنَا
عَلَّنَا نَلْقَى خَيْالًا مِنْكُمْ	بِلَذِيذِ الشَّوْقِ وَهَنَا عَلَّنَا
لَا حَ بَرْقٍ مَوْهِنًا مِنْ أَرْضِيكُمْ	فَلَعَمْرِي، مَا هَنَا الْعَيْشُ هُنَا
صَدَعَ اللَّيْلَ وَمِيزًا وَسَنًا	فَأَيُّنَا أَنْ نَذُوقَ الْوَسَنَا
كَمْ جَنَى الشَّوْقُ عَلَيْنَا مِنْ أَسَى	عَادَ فِي مَرْضَاتِكُمْ حُلُو الْجَنَا
وَلَكُمْ بِالْخَيْفِ مِنْ قَلْبٍ شَجٍ	لَمْ يَزَلْ خَوْفَ النَّوَى يَشْكُو الضَّنَا
مَا ارْتَضَى جَانِحَةَ الصَّدْرِ لَهُ	سَكَنًا مُنْذُ بِهِ قَدْ سَكَنَّا
فَنَادِيهِ عَلَى شَحِطِ النَّوَى	مَنْ لَنَا يَوْمًا بِقَلْبٍ مَنْ لَنَا

(197) ترجمة ابن جبير مطولة في الذيل والتكملة 5 : 595-621 وفي حاشية التحقيق ذكر لمصادر متعددة.

(198) كان واليا على غرناطة وأخباره في المن بالإمامة والبيان العرب وغيرهما.

سِرُّ بِنَا يَا حَادِي الْعِيسِ عَسَى أَنْ تُلَاقِي يَوْمَ جَمْعٍ سِرُّ بِنَا
مَا عَنَى دَاعِي النَّوَى لَمَّا دَعَا غَيْرَ صَبٍّ شَفَهُ بَرْحُ الْعَنَا
شِمُّ لَنَا الْبَرْقُ إِذَا هَبَّ، وَقُلْ جَمَعَ اللَّهُ بِجَمْعٍ شَمَلْنَا (199)

وَأُنْشَدَنِي الشَّيْخُ الْإِمَامُ الْفَاضِلُ أَبُو الْحُسَيْنِ مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ عَلِيٍّ الدَّمَشَقِيُّ
الْقُرْطُبِيُّ بِدَمَشَقٍ أَنْشَدَنِي الْوَزِيرُ الْأَجَلُّ أَبُو الْحُسَيْنِ ابْنُ جُبَيْرٍ لِنَفْسِهِ :
أَرَاكَ مِنَ الْحَيَاةِ عَلَى اغْتِرَارٍ وَمَا لَكَ بِالْإِنَابَةِ مِنْ بَدَارٍ
وَتَطْمَعُ فِي الْبَقَاءِ وَكَيْفَ تَبْقَى وَمَا الدُّنْيَا لِسَاكِنِهَا بِدَارٍ
وَأُنْشَدَنِي، قَالَ : أَنْشَدَنِي لِنَفْسِهِ :

سَبِيلُ الْمَرْءِ تَبْصِيرَةٌ وَذِكْرَى إِذَا مَا أَبْيَضَ فَوْدَاهُ وَشَابَا
وَمَا يُرْجَى لِتَوَيْتِهِ قُبُولٌ إِذَا مَزَجَ الرِّيَاءَ بِهَا وَشَابَا

وَأُنْشَدَنِي أَبُو الْوَلِيدِ إِسْمَاعِيلُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ إِسْمَاعِيلَ الْبِيَّاسِيِّ بِمَخْرُوسَةِ
حَلَبٍ فِي سَنَةِ أَرْبَعٍ وَثَلَاثِينَ وَسِتِّ مِئَةٍ، قَالَ : أَنْشَدَنِي أَبُو الْحُسَيْنِ مُحَمَّدُ بْنُ
أَحْمَدَ بْنِ جُبَيْرٍ بِالْإِسْكَنْدَرِيَّةِ بِمَسْجِدِهِ بِحَارَةِ رُوبَةِ (200) لِنَفْسِهِ :

يَا زَائِرًا، لَمْ يَقْضِ أَنْ أَلْقَاهُ دَهْرٌ يَعُوقُ عَنِ الَّذِي أَهْوَاهُ
ضَنَّ الزَّمَانُ، وَقَدْ سَمَحْتَ فَلَمْ يَكُنْ مَنْ زُرْتُهُ لِلْحَيْنِ فِي مَعْنَاهُ
يَا وَيْحَهُ لِعَظِيمِ أَنْسَرٍ فَاتَهُ إِنْ لَمْ يَذُبْ كَمَدًا فَمَا أَقْسَاهُ
لَمَّا وَجَدْتُ فَنَاءَ دَارِي عَاطِرًا أَقْنَعْتُ أَنَّكَ قَدْ وَطِئْتَ ثَرَاهُ
وَطَلَبْتُ لِلتَّقْبِيلِ فِيهِ مَوْضِعًا فَإِذَا الْحَيَا الْمُنْهَلُ قَدْ عَفَاهُ
لَمْ يَبْقَ مِنْ أَثَرٍ لَوْطِئِكَ فِي الثَّرَى فَجَعَلْتُ الْثُمَّ حَيْثُ نَمَّ شَذَاهُ
حَتَّى الْعَمَامُ يَعُوقُ عَمَّا أَبْتَغِي يَا مَا أَكَابَدُهُ، وَمَا أَلْقَاهُ

وَأُنْشَدَنِي الشَّيْخُ تَاجُ الدِّينِ أَبُو الْحُسَيْنِ مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي بَكْرٍ الْقُرْطُبِيُّ

(199) القصيدة بنامها في الذيل والتكملة 5 : 614 وتوجد أبيات منها في المغرب 2 : 385
ومقدمة الرحلة : 18 ونفع الطيب 2 : 486 وَجَمَعَ فِي آخِرِ الْقَصِيدَةِ هُوَ الْمُرْدَلْفَةُ.

(200) لست أدري هل هذا المسجد والحارة معروفين اليوم أم لا.

الدَّمَشَقِيُّ بِهَا سَنَةٌ أَرْبَعِينَ وَسِتِّ مِئَةٍ، قَالَ : أَنُشَدَنِي الْوَزِيرُ الْأَجَلُ الْعَالِمُ أَبُو
الْحُسَيْنِ مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ جُبَيْرٍ لِنَفْسِهِ بِدِمَشَقَ سَنَةَ خَمْسٍ وَثَمَانِينَ وَخَمْسٍ
مِئَةٍ :

صَحِبْتُ الزَّمَانَ وَقَابَلْتُه بِصَبْرِ جَمِيلٍ إِذَا الْخَطْبُ نَابَا

وَأُنشَدَنِي، قَالَ : أَنُشَدَنِي لِنَفْسِهِ :

أَقْصِرْ عَنِ الْغَيِّ كَمْ ذَا
لَا يَسْلَمُ الْعَبْدُ إِلَّا
تُدْعَى لِرُشْدٍ وَتَأْبَى
إِنْ اسْتَقَامَ وَتَابَا

وَأُنشَدَنِي، قَالَ : أَنُشَدَنِي لِنَفْسِهِ :

قُلْ إِذَا جِئْتَ مَجْلِسًا
أَجْتَنِبْ كُلَّ مَوْرِدٍ
وَسَمِعْتَ الْمُزَاحَ : مَهْ
فِيهِ تَلْقَى الْمُزَاحِمَهْ

وَأُنشَدَنِي، قَالَ : أَنُشَدَنِي لَهُ :

خَلَعْتَ الْعِذَارَ بِشَيْبِ الْعِذَارِ
وَقَالُوا: الْمَشِيبُ وَقَارُ الْفَتَى
جَلَا صُبْحُهُ عَنْكَ لَيْلُ الشَّبَابِ
أَرَاكَ صَحِبْتَ حَيَاةَ الْغُرُورِ
أَلَسْتَ تَرَى كَدْرًا صَفْوَهَا
وَكَيْفَ تَنَامُ عَلَى غِرَّةٍ
فَلَوْ كُنْتَ تَحْذَرُ صَرَفَ الرَّدَى
عَبَرْتَ مَرَاحِلَ عُمْرِ الْأَشَدِّ
وَجُرْتَ بِهَا عَنْ طَرِيقِ الْهُدَى
أَتَاكَ الرَّحِيلُ فَشَمَّرَ لَهُ
وَكَيْفَ تَقْرُ بِدُنْيَاكَ عَيْنًا
فَمَا يُقْبَلُ الْيَوْمَ مِنْكَ اعْتِذَارُ
وَهَذَا الْمَشِيبُ، فَأَيْنَ الْوَقَارُ ؟
فَشَمْسُكَ مُؤَذِّنَةٌ بِاصْفِرَارِ
وَتَسْحَبُ جَهْلًا ذُيُولَ اغْتِرَارِ
وَتَجْمُكَ قَدْ مَالَ يَبْغِي انْكِدَارِ
وَسَيْفُ الْمَنِيَّةِ مَاضِي الْغِرَارِ
إِذَا لَنَفَى النَّوْمَ عَنْكَ أَلْحِذَارُ
وَلَسْتُ أَرَى لَكَ فِيهَا اعْتِبَارُ
ضَلَالًا، وَتَرْجُو غَدًا أَنْ تُجَارَ
فَأَمَّا إِلَى جَنَّةٍ أَوْ لِنَارِ
وَلَمْ تَذَرِ أَيْنَ يَكُونُ الْقَرَارُ

وَأُنشَدَنِي، قَالَ : أَنُشَدَنِي أَيْضًا مِنْ شِعْرِهِ :

بَنِي الْإِسْلَامِ جَدُّوا فِي الْجِهَادِ
وَيَبْعُوهَا فَرُبُّكُمْ اشْتَرَاهَا
بِسُمْرِ الْخَطِّ وَالْبَيْضِ الْجِدَادِ
نُفُوسًا تَرْبَحُوهَا فِي الْمَعَادِ

عَدُّوْكُمْ بِعُقْرِكُمْ مُقِيْمٌ لِيَسْتَوِلِي عَلَى مُلْكِ الْبِلَادِ
وَبَيْتُ الْقُدْسِ يَفْرُقُ كُلَّ يَوْمٍ حِذَاراً أَنْ يَعُودَ إِلَى الْأَعَادِي
وَدِينُ اللَّهِ يُلْحِظُهُ آغْتِيَاظاً بِجَفْنِي قَدْ تَكَحَّلَ بِالسُّهَادِ
فَسَلُّوا الْمَشْرِفِيَّةَ وَاسْتَقْلُّوا بِهَا فَوْقَ الْمُسَوِّمَةِ الْجِيَادِ
فَلَيْسَ يَفُوزُ بِالْحُسْنَى سِوَى مَنْ تَدَّرَعَ بِالْجَلَادَةِ لِلْجِلَادِ

وَمِنْ ثَرِهِ مَا كَتَبَهُ إِلَى الشَّامِ مُتَشَوِّقاً شَيْخُ الشُّيُوخِ ابْنُ حَمُوِيهِ (201) جَوَابَ
كِتَابِ صَدَرَ مِنْهُ إِلَيْهِ : «صَدَرَتِ الْمُخَاطَبَةُ الْعَزِيْزَةُ الْعَلَائِيَّةُ حَرَسَ اللَّهُ سَنَاءَهُ
وَسَنَاءَهُ، وَيَسَّرَ لَهُ كُلَّ أَمَلٍ وَسَنَاءَهُ، وَعَرَفَهُ بَعْدَ طَوْلِ الْعُمْرِ حُسْنَ خَوَاتِمِ مَسْعَاهُ
بِمَا يَصْنُدُ عَنْ مِثْلِهِ، وَيَضِيْقُ بِفَضْلِهِ، وَالْفَضْلُ لَا يُنْكَرُ عَلَى أَهْلِهِ. وَعَلِمَ اللَّهُ أَنِّي
إِلَيْهِ بِالْأَشْوَاقِ، وَكَيْفَ لَا وَمَنْ ذَاقَ طِيبَ شِيْمِهِ الْكَرِيْمَةِ لَمْ يَشْبَعْ مِنْ ذَوَاقِ،
وَحَصَلَ مِنْ مَحَبَّتِهِ (201م) وَيُثَبِّتُهُ، وَمِنْ كُلِّ مَكْرُوهِ يَقِيهِ، وَإِلَى كُلِّ مَعْلُوَةٍ يُرْقِيهِ».

وَكَتَبَ إِلَيْهِ شَافِعاً فِي رَجُلٍ مِنْ فُقَرَاءِ أَهْلِ بَلَدِهِ أَنْ يَنْزِلَ فِي مَوْضِعٍ يَرْتَزِقُ
مِنْهُ، وَقَدْ كَانَ يُكْرِّرُ الْقَوْلَ فِيهِ : «كَانَ قَدْ تَقَدَّمَ وَغَدَهُ الْكَرِيمُ لِلشَّيْخِ الصَّالِحِ
فُلَانٍ أَنْ يَنْزِلَ مَعَ الصُّوفِيَّةِ نَفَعَ اللَّهُ بِبَرَكَتِهِمْ أَوْ يُرْتَّبَ لَهُ إِمَامَةٌ مَسْجِدٍ فِي هَذَا
الشَّهْرِ الشَّرِيفِ، فَإِنْ كَانَ قَدْ تَيْسَّرَ ذَلِكَ فَهُوَ يَسْأَلُ إِنْجَازَهُ، وَإِنْ تَعَسَّرَ ذَلِكَ
لِسُوءِ حَظِّهِ فَلَيْسَ لَهُ سِوَى بَابِهِ الْمَقْصُودِ، وَلَا يَرُدُّ عِنْدَ ظَمْنِهِ سِوَى بَحْرِ كَرَمِهِ
الْمُورُودِ، فَقَدْ أَسْمَعَ لِسَانَ الْحَالِ عَنْهُ أَدَامَ اللَّهُ سُودَدَهُ :

إَلَيْنَا أَقْصِدُوا يَا مَعْشَرَ الرُّكْبِ إِنَّنَا نَرَى الْعَارَ أَنْ نُمْسِي بِغَيْرِ وَفُودِ

وَهَذِهِ لَيَالٍ عَظَّمَ اللَّهُ بَرَكَاتِهَا عَلَيْهِ، وَسَاقَ أَجَرَ الدَّاعِينَ فِيهَا إِلَيْهِ. [وَهُوَ] لَا
يَحْتَمِلُ الصَّبْرَ عَلَى افِرَاطِ الضَّرُورَةِ الْبَشَرِيَّةِ، وَاللَّوْازِمِ الْجُثْمَانِيَّةِ، سِيَّمَا مَعَ الْعِيَالِ،
وَقَرِطِ الْأَقْلَالِ، وَمَا كَتَبْتُهَا إِلَّا وَقَدْ تَحَقَّقْتُ أَنَّهُ انْتَهَى إِلَى حَالَةٍ لَا يَسْتَطِيعُ مَعَهَا

(201) لعلَّه تاج الدين أبو محمد عبد الله بن عمر السرخسي الذي زار المغرب ووصف رحلته
ومقامه فيه، انظر نفح الطيب 3 : 99 وما بعدها.

(201م) هكذا في الأصل وثمة نقص ناتج عن قفز سطر أو نحوه.

صَبْرًا، وَتَمَسَّكَ بِذَيْلِ الْمَرَاحِمِ الشَّيْخِيَّةِ وَقَدْ طَفِقَ لِسَانُهُ يَقْرَأُ : ﴿إِنْ سَأَلْتُكَ عَنْ شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَاحِبْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِنْ لَدُنِّي عُذْرًا﴾.

قَالَ الشَّيْخُ : وَكَتَبَ إِلَيْهِ أَيْضًا مِنَ الْاسْكَنْدَرِيَّةِ مُتَشَوِّقًا وَشَافِعًا : «وَمَقْصُودِي ذِكْرُ فَضْلِهِ وَنَشْرُ ذِكْرِهِ لَا وَصْفُ مَا وَصَفَنِي ثَنَاءً عَلَى حُسْنِ ظَنِّهِ لَا عَلَى صِفَةِ حَالِ (?)» صَدَّرَهَا بِهَذِهِ الْأَيَّاتِ، وَهِيَ لَهُ :

سَلَامٌ كَأَزْهَارِ الرَّبِيعِ نَضَارَةً وَحُسْنًا عَلَى شَيْخِ الشُّيُوخِ الَّذِي صَفَا
وَلَوْ لَمْ يَعْقِنِي الْعُذْرُ عَنْ قَصْدِ رَبِّعِهِ سَعَيْتُ كَمَا يَسْعَى الْمُلَبِّي إِلَى الصَّفَا
وَلَكِنْ عَدَانِي عَنْهُ دَهْرٌ مُكَدَّرٌ وَمَنْ ذَا الَّذِي وَاتَّاهُ فِي دَهْرِهِ الصَّفَا

أَصْدَرْتُ هَذِهِ اللَّمْعَةَ وَالشُّوقَ إِلَى خِدْمَتِهِ مُسْتَعِرًّا اللَّهَبَ، وَأَدْعَيْتَنِي فِي ضِمْنِ ذَلِكَ مُتَابَعَةُ الْأَوْرَادِ وَالتُّوبِ، وَلَسْتُ أَرَى الْإِغْرَاقَ، فِي إِضَاحٍ وَلَائِي الَّذِي رَاقَ، لِتَحَقُّقِي إِحَاطَةَ الْمَعْرِفَةِ الْكَرِيمَةِ بِعَقَائِدِ أُولِي الْوِفَاقِ، وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ مُوَفِّقِي لِشُكْرِ مَا مُنَحَّتُهُ مِنْ جَمِيلٍ وَلَائِهِ وَوِدَادِهِ الَّذِينَ خَلَصُوا لِي بِغَيْرِ اسْتِحْقَاقٍ، وَهَذِهِ التَّحِيَّةُ تَصِلُ عَلَى يَدِ فُلَانٍ، وَهُوَ بِمَنْزِلَةِ أَهْلِي وَأَخْلَائِي، وَوَلَاؤُهُ لِلشَّيْخِ السَّيِّدِ فُلَانٍ كَوَلَائِي، وَمَا فَتَيَاءٌ مُنْذُ خَصَّنِي بِاجْتِلَاءٍ مَحَاسِنِهِ الْبَاهِرَةِ، وَاجْتِبَارِ أَخْلَاقِهِ الطَّاهِرَةِ، مِنْ قِلَادَةِ صُحُفِ الثَّنَاءِ الْمُحَبَّرِ، وَالْإِطْنَابِ فِيمَا بَرَزَ فِيهِ عَلَى مَا دَحَ كَتَبَ وَعَبَّرَ، وَقَدْ قَصَدَ الْخِدْمَةَ وَيَا لَيْتَنِي كُنْتُ مَعَهُ، وَأَحْظَنِي الْأَيَّامُ بِمَا أَحْظَتْ مَرَّاهُ وَمَسْمَعَهُ.

عَلَى أُنْبِي وَإِنْ كُنْتُ غَاطِيًا، فَلَسْتُ مِنْ دَرَكِ الْأَمَلِ قَانِطًا :
فَقَدْ يَجْمَعُ اللَّهُ الشَّيْئَتَيْنِ بَعْدَمَا يَظُنُّانِ كُلُّ الظَّنِّ الْأُتْلَاقِيَا
وَقَدْ قَصَدَ ذَلِكَ الرَّبْعَ الْمَعْمُورَ، وَالرُّبَاطَ الَّذِي هُوَ قِبْلَةُ الْمَجْدِ الْمَشْهُورِ، وَكَفَلْتُ لَهُ عَنِ السِّيَادَةِ بَأَن يُتَلَقَّى بِالترَّحِيبِ وَالتَّأْهِيلِ، وَيُمَدُّ بِالمُسَاعَدَةِ الْمُفْضِيَةِ بِهِ إِلَى دَرَكِ التَّامِيلِ.

(6 : 125-133)

37 — مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ سَلِيمَانَ

أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الزُّهْرِيُّ (202) الْأَنْدَلُسِيُّ مِنْ أَهْلِ إِشْبِيلِيَّةَ، قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الدِّبْيِيُّ (203) فِي مُذَيِّلِهِ : «قَدِمَ الزُّهْرِيُّ [بَغْدَادَ] صَادِرًا عَنْ مَكَّةَ فِي سَنَةِ تِسْعِينَ وَخَمْسٍ مِئَةٍ، وَأَقَامَ بِهَا مُدَّةً، وَسَمِعَ مِنْ شُيُوخِ ذَلِكَ الْوَقْتِ كَأَبِي الْقَاسِمِ خَالِدِ بْنِ كَامِلِ الْخَفَّافِ وَأَبِي مُحَمَّدٍ عَبْدِ الْخَالِقِ بْنِ عَبْدِ الْوَهَّابِ ابْنِ الصَّائِبُونِي وَأَبِي الرُّضَى أَحْمَدَ بْنِ طَاهِرٍ وَأَبِي الْفَرَجِ عَبْدِ الْمُنْعَمِ بْنِ عَبْدِ الْوَهَّابِ بْنِ كَلْبٍ، وَجَمَاعَةٍ مِنْ أَصْحَابِ أَبِي عَلِيٍّ ابْنِ الْمَهْدِيِّ، وَأَبِي الْغَنَائِمِ ابْنِ الْمُهْتَدِيِّ، وَأَبِي طَالِبِ ابْنِ يَوْسَفَ، وَأَبِي الْقَاسِمِ ابْنِ الْحُصَيْنِ، وَمَنْ بَعْدَهُمْ.

وَسَمِعَ مَعَنَا الْكَثِيرَ، وَمِنَّا، وَكَانَ فِيهِ فَضْلٌ، وَلَهُ مَعْرِفَةٌ بِالْأَدَبِ، وَيَقُولُ الشُّعْرَ، وَسَافَرَ عَنْ بَغْدَادَ، وَأَقَامَ بِأَصْبَهَانَ مُدَّةً وَسَمِعَ مِنْ أَصْحَابِ أَبِي عَلِيٍّ الْحُسَيْنِ بْنِ أَحْمَدَ الْحَدَّادِ، وَمَنْ بَعْدَهُ، ثُمَّ انْتَقَلَ إِلَى الْكَرَجِ، وَاسْتَوطنَهَا، فَهِيَ الْيَوْمَ مَقَرُّ لَهُ، وَقَدْ حَدَّثَ عَنْهُ وَسَمِعَ مِنْهُ أَهْلُ الْبَلَدِ وَمَنْ وَرَدَ إِلَيْهِ.

كَانَ رَجُلًا فَاضِلًا، وَسَمِعَ وَكُتِبَ بِحَظِّهِ الْكَثِيرَ، وَحَصَلَ فِي بِلَادِ الْجَبَلِ وَاسْتَوطنَ بَرْوَجَرْدَ (204)، وَتَأَهَّلَ بِهَا، وَصَنَّفَ تَصَانِيفَ فِي الْأَدَبِ مِنْهَا كِتَابُ (شَرْحِ الْإِيضَاحِ) لِأَبِي عَلِيٍّ الْفَارَسِيِّ وَكِتَابُ : (شَرْحِ الْيَمِينِي) لِأَبِي النَّضْرِ الْعُتْبِيِّ (205) وَكِتَابُ فِي الْبَلَاغَةِ، وَغَيْرُ ذَلِكَ، وَأَقَامَ هُنَاكَ إِلَى أَنْ دَخَلَ التُّرْ

(202) ترجم له أيضا ابن الديبشي في تذييله 2 : 242 وابن المستوفي في تاريخ إربل (ص 171 من هذا المجموع) وابن عبد الملك في الذيل والتكملة 5 : 644-645 والصفدي في الوافي بالوفيات 2 : 104 والقفطي في المحمدون من الشعراء : 336-359 والسيوطي في بغية الوعاة.

(203) هو أبو عبد الله محمد بن سعيد مصنف الكتاب الذي جعله ذيلًا على تاريخ ابن السمعاني وهو من ذيل تاريخ بغداد للخطيب البغدادي. انظر ترجمته في وفيات الأعيان 4 : 394-395 وفي حاشية المحقق سرد لمصادر ترجمته.

(204) بلدة بين همدان والكرج، انظر فيها معجم البلدان.

(205) هو أبو النصر محمد بن عبد الجبار العتبي وكتابه «اليمينى» في سيرة يمين الدولة محمود بن سبكتكين. انظر الوافي بالوفيات 3 : 215 والوفيات 5 : 179.

— لَعَنَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى — الْبِلَادَ فَقَتَلُوهُ فِي جُمْلَةٍ مَنْ قَتَلُوا، وَذَلِكَ فِي شَهْرِ رَجَبِ سَنَةِ سَبْعِ عَشْرَةِ وَسِتِّ مِئَةٍ.

أُنْشَدَنِي أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ سَعِيدٍ الْوَاسِطِيُّ⁽²⁰⁶⁾، قَالَ : كَتَبْتُ إِلَى أَبِي عَبْدِ اللَّهِ الزُّهْرِيِّ حِينَ قَدِمَ إِلَى بَغْدَادَ بِهَذِهِ الْأُيَاتِ :

إِذَا عُدَّ أَهْلُ الْفَضْلِ وَالْعِلْمِ وَالْخَيْرِ فَحَيَّهَلَا بِالْحَافِظِ الْعَالِمِ الزُّهْرِيِّ
فَتَى جَمَعَ الْآدَابَ وَالنُّسُكَ وَالتَّقَى وَفَاقَ بَيْنِي الْأَيَّامِ فِي النُّظْمِ وَالنَّشْرِ
وَأَتَّقَنَ عِلْمَ النَّقْلِ عَنْ كُلِّ حَافِظٍ وَأَسْنَدَ مَا يَرْوِيهِ عَنْ ثِقَةٍ خَبِرَ
لَقَدْ شَرُفَتْ بَغْدَادُ إِذْ حَلَّ أَرْضَهَا وَتَاهَتْ بِهِ فَخْرًا عَلَى الْأَنْجُمِ الزُّهْرِ
وَزَادَ بِهِ فَخْرًا فَتَى ظَلَّ خِدْنَهُ وَلَاذَ بِهِ يَوْمًا، وَإِنْ قَلَّ فِي الدَّهْرِ

قَالَ : وَكَتَبَ إِلَيَّ عَلَى هَذِهِ الْأُيَاتِ جَوَابًا عَلَى وَزْنِهَا وَقَافِيَتَهَا :
أَيَا فَاضِلًا فَوْقَ السَّمَاكِينِ قَدْرُهُ إِذَا عُدَّ أَهْلُ الْفَضْلِ وَالْعِلْمِ وَالْخَيْرِ
أَتَتْنِي مِنْ أُبْكَارِ فِكْرِكَ خُصْرُدُ مَتَى ضَلَّ سَارٍ فِي الدُّجَى فِيهَا يَسْرِي
نَظَّمْتَ بِهَا الدُّرَّ النَّشِيرَ فَأَصْبَحْتَ لَهَا قِيَمَةٌ أَعْلَى وَأَعْلَى مِنَ الدُّرِّ
فَأَنْتَ إِمَامٌ لِلْجَمِيعِ مُبَرَّرُ تَفُوقَ جَمِيعِ النَّاسِ فِي النُّظْمِ وَالنَّشْرِ
تَقَدَّسَ إِذْ شَرَّفَتْهُ عَبْدُ نِعْمَةٍ بِحَيَّهَلَا بِالْحَافِظِ الْعَالِمِ الزُّهْرِيِّ
لَأَنْتَ مَيْمُونُ الطَّلِيعَةِ مَا جَدَّ وَخَبِرَ نَبِيلُ عَالِمٍ أَيَّمَا خَبِرَ
لَقَدْ شَرُفَتْ كُلُّ الْبِقَاعِ بِقُرْبِكُمْ وَسُدُّتُمْ بَيْنِي الْأَيَّامِ فِي الْبَدْوِ وَالْحَضَرِ
(6 : 133-136)

38 — مُحَمَّدُ بْنُ عُمَرَ الْعَمَّارِيُّ الْمَيُورُقي⁽²⁰⁷⁾

هَلْ لَلِّقَا مِنْ مَوْعِدٍ بِالْأَغْيَدِ الْمُقَلَّدِ

(206) انظر ترجمته في فلائد الجمان 7 : 233.

(207) لعله منسوب إلى الفقيه أبي عبد الله محمد بن عمار الميورقي صاحب القصيدة الطويلة في وصية ابنه حسن. ولم يزد ابن الشعار في ترجمته هنا على هذه القصيدة التي يمدح فيها من يُدعى بالمؤيد ولعله المترجم عند الديلمي (15 : 357).

أَمَّا تَرَانِي مِنْ هَوَا
وَأَنْتَ غَنِّي مُلْتَهِي
تَلْعَبُ بِي لَعَبَ الصَّبَا
مَهْمَا تَشَكَّيْتُ لَكَ الْوَجْهَ —
فَلَا أَنَا بِمُقْصِرٍ
لَحَظْتُكَ لِي مَثَاقِفُ
وَقَدْ جَمَعْتَ نَفَرَةَ الْ—
وَلَيْسَ لِي مِنْكَ حِمِي
فَقَالَ لِي كُنْ آمِنَا
إِنَّ الْمُؤَيَّدَ الَّذِي آسَا
أَشْهَرُ أَهْلِ الْأَرْضِ فِي
أَقْدَمُهُمْ فِي شَرَفِ الْ—
أَطْوَلُهُمْ يَدَ نَدَى
أَعَزُّهُمْ جَارًا وَأَوْ
أَمَّا سَمِعْتَ فَضْلَهُ
وَأَنَّهُ يَنْطِقُ عَنْ
أَمَّا سَمِعْتَ مَدْحَهُ
هُوَ الْكَبِيرُ قَدْرُهُ
كَمْ مِنْ يَدٍ لَهُ عَلَى
دَامَتْ لَهُ النِّعْمَةُ وَالسَّ—
كَ فِي الْمُقِيمِ الْمُقْعِدِ
فِي حُبِّكَ الْمُجَدِّدِ
بِقُدِّكَ الْمُوَوِّدِ
تَقُلْ إِلَى غَدِ
وَأَنْتَ لَسْتَ مُسْعِدِي
عَنْ خَدِّكَ الْمُزَرِّدِ
ظَنِّي وَبَطْشَ الْأَسَدِ
إِلَّا جَمَى الْمُؤَيَّدِ
وَأَبْشِرْ بِنَيْلِ الْمَقْصِدِ
تَنْجَدْتَ خَيْرَ مُنْجِدِ
مَكَارِمِ وَسُودِدِ
أَصْلٍ وَطِيبِ الْمُحْتَدِ
أَوَّلُهُمْ فِي مَشْهَدِ
فَاهُمْ بِحُسْنِ مَوْعِدِ
يُرَوِّى بِكُلِّ بَلَدِ
بَحْرِ عُلُومٍ مُزِيدِ
فِي فَمٍ كُلِّ مُنْشِدِ
فِي صُورَةِ الْمُقْتَصِدِ
هَذَا الْوَرَى كَمْ مِنْ يَدِ
غَدُ دَوَامِ الْأَبَدِ

(6 : 145-146)

39 — مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ

أَبْنُ أَبِي الْقَاسِمِ مُحَمَّدُ بْنُ عُمَرَ بْنِ سُلَيْمَانَ بْنِ الْحَسَنِ بْنِ إِدْرِيسَ بْنِ يَحْيَى
الْمُعْتَلِي بْنِ عَلِيِّ الْعَالِي بْنِ حَمُودِ بْنِ مَيْمُونِ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ عُمَرَ بْنِ عُبَيْدِ اللَّهِ

بْنِ عُمَرَ بْنِ إِدْرِيسَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْحَسَنِ بْنِ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ
أَبُو جَعْفَرٍ الْإِدْرِيسِيُّ (208) الْحَسَنِيُّ الْمِصْرِيُّ، وَجَدُّهُ الْمُعْتَلِيُّ (209) هُوَ الْخَارِجُ
بِالْغَرْبِ وَالْمُسْتَوَلِيُّ عَلَى بِلَادِ الْأَنْدَلُسِ.

وَأَبُو جَعْفَرٍ نَسَابَةُ الْأَشْرَافِ بِالْذِّيَّارِ الْمِصْرِيَّةِ، صَنَّفَ فِي عُلُومِ الْقُرْآنِ
وَالْأَحَادِيثِ النَّبَوِيَّةِ وَاللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ وَالتَّوَارِيخِ وَفُنُونِ الْأَدَابِ وَالْعُلُومِ مُصَنَّفَاتٍ
جَلِيلَةٍ، وَلَهُ مَثُورٌ وَمَنْظُومٌ وَمُزْدَوِجٌ وَرَجَزٌ وَمُخَمَّسٌ وَخُطْبٌ وَرِسَائِلٌ وَشِعْرٌ كَثِيرٌ.

كَانَتْ وَلَادَتُهُ فِي يَوْمِ الْجُمُعَةِ سَابِعَ عَشَرَ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ سَنَةِ ثَمَانٍ وَتِسْعِينَ
وخمسة مئة، وَهُوَ مِنْ أَتْبَةِ الْعُلَمَاءِ فِي عَصْرِهِ كَبِيرُ الشَّانِ، عَالِمٌ، وَلَمْ أَظْفَرْ بِشَيْءٍ
مِنْ شِعْرِهِ إِلَّا مَا أَذْكُرُهُ، أَنْشَدَنِي أَبُو حَامِدٍ بِشَرِّ بْنِ حَامِدٍ التَّبْرِيزِيِّ (210) الْفَقِيهُ
الشَّافِعِيُّ، قَالَ : أَنْشَدَنِي الشَّرِيفُ أَبُو جَعْفَرٍ الْحَسَنِيُّ لِنَفْسِهِ :

كُلُّ الْعُلُومِ سِوَى عِلْمِ الْكِتَابِ وَمَا يَرَوَى عَنِ الْمُصْطَفَى وَسِوَأْسُ إِبْلِيسَ
وَلِلنُّصُوصِ سِوْفٌ قَطٌّ مَا ضَرَبَتْ إِلَّا وَطَارَتْ بِهَا رُوسُ الْمَقَائِيسِ
وَمَالِكٌ أَشْهَرُ فِيمَا ذَكَرْتُ، وَمَا أَذْرِي لِهَذَا خِلَافًا لِابْنِ إِدْرِيسَ

وَأَنْشَدَنِي أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الظَّاهِرِ بْنِ هِبَةَ اللَّهِ بْنِ الْيَمِينِي بِحَلَبِ،
قَالَ : أَنْشَدَنِي الشَّرِيفُ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ الْإِدْرِيسِيُّ يَصِفُ كِتَابَ
الْأَحْكَامِ (211) الَّذِي صَنَّفَهُ الْقَاضِي بِهِاءُ الدِّينِ ابْنُ شَدَّادٍ :

(208) لهذا الشريف الإدريسي ترجمة وذكر في لسان الميزان 5 : 262 وحسن المحاضرة 1 : 238
والطالع السعيد : 297-298 ومن آثاره أنوار علوم الأجرام، في الكشف عن أسرار
الأهرام الذي ينقل عنه العمري في المسالك، والمفيد في أخبار الصعيد. وراجع الاعلام
للزركلي 7 : 78 ومعجم المؤلفين 3 : 414.

(209) هو يحيى بن علي الحمودي، انظر فيه البيان المغرب 3 : 131-132 واعمال الاعلام :
132.

(210) ترجمته في طبقات الشافعية الكبرى 8 : 133-134 والعقد الثمين 3 : 371-575.

(211) لابن شدداد كتاب ملجأ الحكام، عند التباس الأحكام وكتاب دلائل الأحكام وهما
مخطوطان، والأخير منهما هو المقصود هنا، انظر نقلاً عنهما في وفيات الأعيان 7 : 87
وطبقات الشافعية 8 : 362.

بِدَلَايِلِ الْأَحْكَامِ ذِي الْإِحْكَامِ عَلِمَتْ مَعَالِمُ شِرْعَةِ الْإِسْلَامِ
وَتَبَيَّنَ السَّنُّ الَّذِي وَضَحَتْ بِهِ سُنُّ الْهُدَى مَنْشُورَةَ الْأَعْلَامِ
فَتَأَلَّفَتْ أَنْوَارُهُ لِلْمُهْتَدِي وَتَدَفَّقَتْ أَنْوَارُهُ لِلظَّامِي
تَصْنِيفُ مَنْ بَهَرَ الْأُيُمَّةَ عِلْمُهُ وَأَخْتَصَّ بِالْإِجْلَالِ وَالْإِكْرَامِ
قَاضِي الْقَضَاةِ أَبِي الْمَحَاسِنِ يُوسُفُ فَخِرَ الْعِرَاقِ جَمِيعِهِ وَالشَّامِ
(6 : 296-298)

40 — مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ عَلِيٍّ

ابنُ مُحَمَّدٍ بنِ عَلِيٍّ اليَحْصُوبِيِّ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الْقَرْمُونِيُّ (212) الْأَنْدَلُسِيُّ. كَانَ طَوِيلًا مِنَ الرِّجَالِ خَفِيفَ الرُّوحِ مُدَاعِبًا مُعَاشِرًا نَزَلَ دِمَشْقَ، وَخَالَطَ صُدُورَهَا، وَاتَّصَلَ بِأَمَائِلِهَا وَكَانَ طُولَ ذَهْرِهِ لَمْ يَزَلْ مَكْشُوفَ الرَّأْسِ مَا وَضَعَ عَلَى رَأْسِهِ عِمَامَةً وَلَا قَلَنْسُوَةً، وَيَعْتَنِي بِالتَّصَوُّفِ وَطَرِيقَةِ التَّوَكُّلِ، وَيَمِيلُ إِلَى السِّيَاحَةِ وَالْفُقَرَاءِ وَلَبَسَ الصُّوفَ، وَكَانَ لَهُ شِعْرٌ حَسَنٌ وَفِيهِ أَدَبٌ وَفَضْلٌ.

حَدَّثَنِي أَبُو الْفَضْلِ عُمَرُ بْنُ عَلِيٍّ بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ هُبَيْرَةَ (213)، قَالَ : رَأَيْتُهُ بِدِمَشْقَ، وَمَدَحَ وَالِدِي بِهِذِهِ الْأَبْيَاتَ :

يَا طَالِبًا مُضْنَى الزَّمَنِ	إِلَى الْوَزِيرِ أَبَا الْحَسَنِ
تَلَقَّى الْمَكَارِمَ وَالنُّهَى	وَالْخُلُقَ وَالْخُلُقَ الْحَسَنَ
مَا مِثْلُ نَجْلِ هُبَيْرَةٍ	لَا بِالشَّامِ وَلَا الْيَمَنِ
فَإِذَا ظَفَرْتُ بِحَبْلِهِ	ظَفَرْتُ يَمِينُكَ بِالْمَنِ
وَرَكَنْتَ مِنْهُ إِلَى مَدَى	طَوْدٍ تَرَفَّعَ عَنْ قُنْ

(212) روى عنه ابن ظافر الأزدي في بدائع البدائع أخباراً متعدّدة في شعراء الأندلس وأشعارهم (بدائع البدائع : 73، 74، 163، 196، 318، 379، 384. وروى عنه كذلك القفطي في كتابه المحمّدون من الشعراء : 364، 365 وله ذكر في نفح الطيب 2 : 118.
(213) ترجم له ابن الشعار في السفر الخامس : 429.

يَا أَيُّهَا الشَّمْسُ الَّذِي حَازَ الْفَرَائِضَ وَالسُّنَنُ
يَا فَخْرَ بَعْدَادَ الَّذِي أَضْحَتْ لِمَجْدِكُمْ سَكَنُ
إِنْ لَمْ تَكُنْ أَنْتَ الَّذِي تُرْجَى لِمَكْرَمَةٍ فَمَنْ !؟

ومنها :

لَا زِلْتَ مِنْ رَبِّبِ الْحَوَا دِثٍ لَا بِسَاءَ أَوْقَى الْجُنَنِ
(6 : 458-459)

41 — مُحَمَّدٌ بْنُ عَلِيٍّ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سُلَيْمَانَ

ابن علي بن عبد الحميد بن أبي العافية أبو عبد الله البلنسي العمري (214)، من أولاد عمر بن الخطاب رضي الله عنه، رأيته شاباً طويلاً أشقر أزرق العينين بمدينة إربل في أوائل رجب سنة ثمان وعشرين وست مئة. وهو من أهل القرآن والمعرفة بالنحو والأدب. وذكر أنه قرأ العربية على أبي الحجاج يوسف بن محمد الأندي (215) وعلى ذنبه قطعة صالحة من أشعار الأندلسيين، وله تصانيف في الأدب عدد لي أسماءها منها كتاب : (النكت العربية في شرح الجزولية)، وكتاب : (الشافي في علم العروض والقوافي)، وكتاب : (الروض الممطور، في أوصاف الخمر، وما يتعلق بها من الشذور)، وله شعر مليح وقول عذب، وسألته عن مولده، فقال : ولدت سنة ثمان وثمانين وخمس مئة، أنشدني لنفسه :

وْمُهْفَهْفِ سَفَكَ الدَّمَاءَ بِلَحْظِهِ جَارَتْ عَلَى كَلْفِي بِهِ فَتَكَائُهُ
رَقَّتْ مَحَاسِنُ وَجْهِهِ، فَكَائِمَا مَاءُ الْحَيَا عَذِبَتْ بِهِ وَجَنَائُهُ
رَشَاءً إِذَا أَهْدَى السَّلَامَ بِمُقْلَةٍ وَلَّى وَقَدْ عَبِثَتْ بِنَا لَحْظَائُهُ

(214) لم أقف له على ترجمة في مصدر آخر.

(215) لعله المترجم في صلة الصلة : 415 وفيها : الأبدى.

نَمَّ الْعِذَارُ عَلَى مُورِدٍ خَدَّهُ
نَشْوَانُ لَكِنْ مِنْ خُمَارِ جُفُونِهِ
أَنْتَ الْكَمَالُ وَغُصْنُ قَدِّكَ نَاعِمٌ
الْحُسْنُ مَالٌ، وَالزَّكَاةُ فَرِيضَةٌ
وَأُنْشِدْنِي أَيْضاً لِنَفْسِهِ :

يَا سَيِّدًا سَادَ الْوَرَى قَسَمًا بِمَنْ
جَرَحْتَ ظُبَى الْحَاظِ جَفْنِكَ مُهْجَتِي

وَأُنْشِدْنِي لِنَفْسِهِ أَيْضاً، وَكَانَ قَدْ أَهْدَى إِلَيْهِ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ شُرْبَةَ مَاءٍ :

يَا خَيْرَ مَنْ كَتَبَتْ يُمْنَاهُ بِالْقَلَمِ
تُعْضِي الْعُيُونُ حَيَاءً مِنْ مَهَابَتِهِ
أَهْدَيْتَ لِي شُرْبَةَ مَا إِنْ شَرِبْتُ بِهَا
شَرَّفْتَنِي بِأَلَّتِي تَحْيَا النُّفُوسُ بِهَا
بِالْوَرْدِ قَدْ طُبِّتَ، لَكِنْ نَوَافِجُهَا
لَا زِلْتُ فِي نِعْمَةٍ تَتَرَى مُجَدَّدَةً

وَأَخِيرَ مَنْ قَدْ غَدَا يَمْشِي عَلَى قَدَمِ
بَحْرِ الْعُلُومِ وَبَحْرِ الْجُودِ وَالْكَرَمِ
مَاءً سِوَى حُبِّكَ الْمَفْرُوضِ فِي الْأُمَمِ
سُقِيتَ مِنْ كُلِّ عَذْبٍ بَارِدٍ شَبِمْ
طَيِّبَتِهَا مِنْكَ بِالْأَخْلَاقِ وَالشِّيمِ
عَلَيْكَ مَا لَاحَ بَذَرٌ فِي دَجَى الظُّلَمِ
(7 : 137-139)

42 — مُحَمَّدُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ إِبْرَاهِيمَ

ابْنُ الْحُسَيْنِ بْنِ سُرَاقَةَ أَبُو الْقَاسِمِ بْنُ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ الْأَنْصَارِيِّ الشَّاطِئِيِّ (216).
كَانَتْ وَلَادَتُهُ فِيمَا أَخْبَرَنِي مِنْ لَفْظِهِ بِشَاطِئَةِ فِي شَهْرِ اللَّهِ رَجَبِ سَنَةِ اثْنَتَيْنِ
وَتِسْعِينَ وَخَمْسٍ مِئَةٍ وَهُوَ شَابٌّ طَوِيلٌ أَيْضُ اللَّوْنِ تَعْلُوهُ صُفْرَةٌ، خَفِيفُ
الْعَارِضَيْنِ، نَحِيفُ الْبَدَنِ. ذَكَرَ لِي أَنَّهُ مِنْ أَتْبَاءِ الْقُضَاةِ الْفُقَهَاءِ، حَفِظَ الْقُرْآنَ

(216) ترجمته في فوات الوفيات 2 : 306-307 والوافي بالوفيات 1 : 208 ونفح الطيب 2 :
63-65 وغيرها، وستأتي ترجمة الأربلي له ضمن هذا المجموع (ص 192).

الكَرِيمَ وَتَفَقَّهُ عَلَى مَذْهَبِ الْإِمَامِ مَالِكِ بْنِ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. رَحَلَ إِلَى مَدِينَةِ السَّلَامِ فِي طَلَبِ الْحَدِيثِ فَلَقِيَ بِهَا جَمَاعَةً مِنْ مَشَايِخِهَا الْعُلَمَاءِ كَأَبِي حَفْصٍ عُمَرَ بْنِ كَرَمِ بْنِ الْحَسَنِ الدِّينَوْرِيِّ، وَأَبِي عَلِيٍّ الْحَسَنِ بْنِ الْمُبَارَكِ بْنِ مُحَمَّدٍ الزَّيْدِيِّ، وَأَبِي الْفَضْلِ عَبْدِ السَّلَامِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ بِلَالٍ الدَّاهِرِيِّ وَغَيْرِهِمْ مِنْ هَذِهِ الطَّبَقَةِ.

قَدِمَ إِرْبِلَ، وَنَزَلَ بَدَارِ حَدِيثِهَا، وَقَرَأَ عَلَى شَيْخِنَا أَبِي الْخَيْرِ بَدَلِ بْنِ أَبِي الْمَعْمَرِ ابْنِ إِسْمَاعِيلَ التَّبْرِيزِيِّ⁽²¹⁷⁾ كِتَابًا كَثِيرَةً مِنَ الْأَحَادِيثِ وَالتَّفْسِيرِ، شَاهَدَتْهُ بِهَا فِي رَبِيعِ الْأَوَّلِ سَنَةِ سِتٍّ وَعِشْرِينَ وَسِتِّ مِائَةٍ فَوَجَدَتْهُ رَجُلًا فَاضِلًا شَيْخًا عَاقِلًا سَالِمًا ذَا دِينَ وَعَفَافٍ، وَبَشِيرٍ وَوَقَارٍ عَلَى مِنْهَاجِ الْمُتَقَدِّمِينَ مِنَ الْعُلَمَاءِ مُوَظَّبًا عَلَى الْإِسْتِغَالِ بِالْعِلْمِ وَتِلَاوَةِ الْقُرْآنِ، ثُمَّ إِنَّهُ جَيِّدُ الْمَعْرِفَةِ بِمَعَانِي الشُّعْرِ صَالِحُ الْفِكْرِ فِي حَلِّ التَّرَاجِمِ، لَهُ شِعْرٌ حَسَنٌ، أَنُشِدَنِي لِنَفْسِهِ :

إِلَى كَمْ أُمْنِي النَّفْسَ مَا لَا أَنَالُهُ	فِيَذْهَبُ عُمْرِي، وَالْأَمَانِي لَا تُقْضَى
وَقَدْ مَرَّ لِي خَمْسٌ وَعِشْرُونَ حِجَّةً	وَلَمْ أَرْضَ فِيهَا عِيشَتِي، فَمَتَى أَرْضَى؟
وَأَعْلَمُ أَنِّي — وَالثَّلَاثُونَ مُدَّتِي —	حَرٌّ بِمَعَانِي اللَّهِ أَوْسِعُهَا رَفُضًا
فَمَاذَا عَسَى فِي هَذِهِ الْخَمْسِ أَرْتَجِي	وَوَجَدِي إِلَى أَوْبٍ مِنَ الْعُمْرِ قَدْ أَفْضَى
فَيَا رَبَّ عَجِّلْ لِي حَيَاةً لَذِيذَةً	وَالْأَفْبَادُ بِي إِلَى الْعَمَلِ الْأَرْضِيِّ ⁽²¹⁸⁾

وَأَنُشِدَنِي لِنَفْسِهِ مَا كَتَبَهُ إِلَى بَعْضِ مُلُوكِ الْمَغْرِبِ⁽²¹⁹⁾ :

لِقَاؤِكَ عَيْدٌ بِالنَّجَاحِ بِشِيرُ	وَتَقْبِيلُ يُمْنِي رَاحَتِكَ حُبُورُ
بِهَآؤِكَ فِي لَحْظِ الْمَوَاسِمِ مَوْسِمُ	وَنَشْرُكَ فِي رِيَا الْعَبِيرِ غَبِيرُ
وَمَا عَادَنَا مِنْ بُعْدِنَا غَيْرُ وَافِدٍ	يَحُولُ عَلَيْهِ الْحَوْلُ ثُمَّ يَزُورُ

(217) سبق ذكره.

(218) هذه الأبيات في الفوات والوافي وتاريخ إربل ونفح الطيب.

(219) هو موسى كما في البيت الثامن من القصيدة ويبدو أن المقصود هو السيد أبو عمران بن أبي عبد الله بن أبي يعقوب بن عبد المومن وهو مخدوم ابن حريق أستاذ ابن سراقه، انظر الذيل والتكملة 5 : 275، 276 والإحاطة 3 : 275.

لَهُ أَمَلٌ فِي لَثْمِ لُقْيَاكَ مُدْرِكٌ
سَرَى نَحْوَكُمْ مِذَّامٍ أَوَّلُ جَاهِدًا
فَبَشْرَاهُ وَفَى النَّفْسَ مِلءَ فُؤَادِهَا
وَنَاجَيْتُ نَفْسِي وَالْهَوَى يَنْعَثُ الْهَوَى
أَتَرَكَ مُوسَى لَيْسَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ
فَمِلْتُ بِوَدِّي وَأَنْحِيَاشِي وَهَمَّتِي
وَأُفِقْتُ أَنِّي إِنْ أَخَذْتُ بِحَبْلِكُمْ
هُمَا مُشْنَى الْأَعْنَاقِ نَحْوَ عَلَائِهِ
وَمِنْهَا :

يُنُوبُ عَنِ الدَّرِّ النَّفِيسِ كَلَامُهُ
إِذَا صَفَرَتْ أَيْدِي السَّحَابِ فَكْفُهُ
وَمَا نَابَ عَنْ جَذْوَى يَدَيْهِ بُحُورُ
سَحَابٌ بِآفَاقِ السَّمَاحِ دُرُورُ
(7 : 158-161)

43 - مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى بْنُ مَعْنَصِرٍ

أَبْنُ أَبِي مُضَرَ بْنِ بَكْسَاسٍ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي عَلِيٍّ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الْمَغْرِبِيُّ
الْقُسْطَنْطِينِيُّ (220) هُوَ مِنْ قُسْطَنْطِينَةَ الْهَوَاءِ (221) مِنْ بِلَادِ الْمَغْرِبِ، شَاهَدَتْهُ شَابًا
أَسْمَرَ اللَّوْنَ لَطِيفَ الْخِلْقَةِ بِمَدِينَةِ إِرْبِلَ فِي صَفَرِ سَنَةِ ثَمَانٍ وَعِشْرِينَ وَسِتِّ مِائَةٍ
مُتَفَقِّهَا، وَفِيهِ دِبَانَةٌ وَصَلَاخٌ، أَتَشَدَّنِي لِنَفْسِيهِ :
إِنْ جُزْتُ بِالْعَرَصَاتِ مِنْ يِيرِينَ (222) فَأَشْرَحَ غَرَامًا كَادَ أَنْ يِيرِنِي
لَأَهْلِيلِ ذَاكَ الْحَيِّ، وَابْتُثَ عِنْدَهُمْ وَجَدِي وَبَعْضَ صَبَابَتِي وَأَنِينِي

(220) ستأتي ترجمة الاربلي له ضمن هذا المجموع (ص 190).

(221) راجع في قسطنطينة : الاستبصار : 165-166 والروض المعطار : 480-481.

(222) ييرين : جهة مشهورة برملها الذي لا تدرك أطرافه، وهي أيضا اسم قرية من قرى حلب، معجم البلدان.

وَقُلْ: الْمُتَيْمُّ عَنْ هَوَاكُم مَّا سَلَ
يَخْنِي جَوَانِحَهُ عَلَى جَمْرِ الْعَصَا
مُذْ حَلَّ بِالْحَذْبَاءِ (223) قَدْ عَلِقَ الضَّنَى
وَأُنْشَدَنِي أَيْضاً لِنَفْسِهِ :

لَوْ كُنْتُ تَعْلَمُ مَا يُجِنُّ فُؤَادِي
لَكِنَّ قَلْبِكَ مَا أَلَمَّ بِهِ الْهَوَى
لَأَخَذْتُ فِي وَصْلِي وَتَرَكِ عِنَادِي
فَجَهِلْتُ مَا يَلْقَاهُ قَلْبِي الصَّادِي
(7 : 215-216)

44 — مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ

ابْنُ مَالِكٍ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الطَّائِي (224) مِنْ أَهْلِ جَيَّانَ مَدِينَةٍ مِنْ مُدُنِ
الْمَغْرِبِ (225). اسْتَوْطَنَ مَحْرُوسَةَ حَلَبَ، شَابُّ فَاضِلٌ حَافِظٌ لِلْقُرْآنِ الْكَرِيمِ
يَشْدُو طَرَفًا جَيِّدًا مِنْ عِلْمِ الْعَرَبِيَّةِ، تُوْفِّي فِي الثَّانِي عَشَرَ مِنْ شَعْبَانَ سَنَةِ اثْنَتَيْ
عَشْرَةَ وَسِتِّ مِائَةٍ بِدِمَشْقَ، وَدُفِنَ بِسَفْحِ جَبَلِ قَاسِيُونِ مِنَ الْعَدِ... أَنْشَدَنِي لِنَفْسِهِ
مُلْغِزًا بِاسْمِهِ وَهُوَ سَلَمَانُ :

يَعْرِ ذِكْرُ اسْمٍ مَنْ أَهْوَى بِلَفْظِ سَلِ
وَيُعْقِبُ الْيَأْسَ بَاقِي اللَّفْظِ مِنْهُ كَمَا
وَأُنْشَدَنِي لِنَفْسِهِ مُلْغِزًا فِي الشُّكْرِ :

مَا اسْمٌ بِإِجْمَاعِ الْبَرِيَّةِ وَاجِبُ
وَإِذَا تَقَلُّهُ لَدَى تَصْحِيفِهِ
وَإِذَا يُخَفُّ مُصَحِّفًا فَحَرَامُ (226)
فَهُوَ الْحَلَالُ الْحُلُو، كَيْفَ يُرَامُ؟ (227)

(223) هي مدينة الموصل.

(224) يتفق في اسمه ونسبه وبلده مع ابن مالك النحوي المشهور وهو غيره.

(225) جيان مدينة مشهورة في الأندلس، وتكتب اليوم Jaen.

(226) يعني الشُّكْر.

(227) يعني الشُّكْر.

وَأُنْشِدْنِي أَيْضاً لَهُ يُلْغِزُ بِكَلِمَةٍ مَال :

إِسْمُ هَذَا الَّذِي أَلْفَتْ هَوَاهُ فِعْلٌ قَلْبِي يُسَمَّى إِذَا هُوَ فِعْلٌ
كُلُّهُ فِي آخِرِ أَحْرَفِهِ بَا دِ إِذَا مَا عَكَسْتَهُ حِينَ تَتْلُو
وَإِذَا صَارَ أَوَّلًا مِنْهُ ثَانٍ فَهُوَ مَعْنَى مَا آمَلْ عَنْهُ يَسْلُو
وَإِذَا أَوَّلَ تَأَخَّرَ مِنْهُ فَهُوَ وَصَفٌ لِكُلِّ مَنْ عَنْهُ يَخْلُو

وَأُنْشِدْنِي أَيْضاً لِنَفْسِهِ فِي أَمْرَةٍ اسْمُهَا عَيْنٌ يُلْغِزُ بِهَا :

عَجِبْتُ لِلْفِظِ فِي اكْتِمَالِ حُرُوفِهِ يُبَيِّنُ مَعْنَى ثُلْثُهُ عَنْهُ يُعْرِبُ
وَفِي الثُّلُثِ الثَّانِي دَلَالَاتُ أَرْبَعٍ وَفِي الثُّلُثِ الْبَاقِي دَلِيلَانِ فَاَعْجَبُوا

وَأُنْشِدْنِي لِنَفْسِهِ مَا كَتَبَهُ إِلَى نَجْمِ الدِّينِ أَبِي الْفَضْلِ الْيَاسِرِ بْنِ الْيَاسِرِ الْإِرْبِلِيِّ

الْفَقِيهِ الشَّافِعِيِّ :

وَفَتِيَّةٌ صَدَقَتْ فِيهِ — هُمُ الْآمَانِيُّ ظُنُونًا
وَنَآوَلَتْهُمْ يَدَاهَا — مِنَ الْأَيَادِي فُنُونًا
وَحَاوَلُوا أَنْ يَنَالُوا — وَجْهَ التَّهَانِي الْمَصُونَا
لَكِنْ لِإِذْرَاكِ هَذَا — بِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَا
فَفُضَّ خَتَمَ رِضَاهُمْ — لِكِي يَقْرُوا عُيُونَا

(7 : 269-270)

45 — مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ أَحْمَدَ

[أَبْن] الْعَرَبِيِّ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ⁽²²⁸⁾ : الشَّيْخُ الْعَارِفُ الْحَاتِمِيُّ الطَّائِي مِنْ ذُرِّيَةِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ حَاتِمِ الطَّائِي كَانَتْ وَلَادَتُهُ بِمَدِينَةِ مُرْسِيَّةٍ فِي أَيَّامِ الْأَمِيرِ أَبِي عَبْدِ

(228) توجد ترجمته في مصادر متعددة ومنها على سبيل المثال : الذيل والتكملة 6 : 493-498 ونفح الطيب 2 : 161-184، وقد ذكر الدكتور إحسان عباس عدد من مصادر ترجمته في الحاشية. ومن الدراسات القديمة التي كتبت عنه دراسة اسين بلايوس التي ترجمها عبد الرحمن بدوي.

آلله مُحَمَّد بن سَعْد بن مَرْدَنِيْش سَنَة سِتِّيْن وَخَمْس مِئَة، وَكَانَتْ وَفَاتُهُ يَوْمَ الثَّانِي وَالْعِشْرِيْنَ مِنْ رَبِيعِ الْآخِر بِدِمَشَق، وَذُفِنَ بِجَبَلِ قَاسِيُون بِثَرِيَةِ الْقَاضِي رُكْنِ الدِّين، وَذَلِكَ فِي سَنَة ثَمَانٍ وَثَلَاثِيْنَ وَسِتِّ مِئَة. سَمِعَ الْحَدِيثَ عَلَى أَبِي مُحَمَّد عَبْدَ آلله بن عُبَيْدِ آلله الْحَجَرِي⁽²²⁹⁾، وَأَبِي عَبْدِ آلله مُحَمَّد بن سَعِيد بن زَرْقُون⁽²³⁰⁾، وَأَبِي الْحُسَيْنِ يَحْيَى بن الصَّايغِ السَّبْتِي⁽²³¹⁾، وَمُحَمَّد بن قَاسِم بن عبد الكريم الْفَاسِي⁽²³²⁾، وَجَمَاعَة سِوَاهُمْ.

وَكَانَ أَهْلُهُ أَجْنَاداً فِي خِدْمَةِ الْمُسْتُولِينَ عَلَى الْبِلَادِ، وَبَقِيَ مُدَّةً جُنْدِيّاً، ثُمَّ رَجَعَ عَنِ الْجُنْدِيَّةِ فِي سَنَةِ ثَمَانِيْنَ وَخَمْسِ مِئَة، وَحَدَّثَنِي مِنْ لَفْظِهِ، قَالَ : كَانَ سَبَبَ انْتِقَالِي عَنِ الْجُنْدِيَّةِ، وَتَبْذِي لَهَا، وَسُلُوكِي هَذِهِ الطَّرِيقَةَ وَمِيلِي إِلَيْهَا أَنَّي خَرَجْتُ صُحْبَةَ مَخْدُومِي الْأَمِيرِ أَبِي بَكْرٍ بنِ يُونُسَ بنِ عَبْدِ الْمُؤْمِنِ بنِ عَلِي⁽²³³⁾ بِقَرْطَبَةِ قَاصِدِينَ الْمَسْجِدِ الْجَامِعِ، فَنَظَرْتُهُ فِي رُكُوعٍ وَسُجُودٍ وَخُشُوعٍ كَثِيرٍ الْإِبْتِهَالِ إِلَى رَبِّهِ عَزَّ وَجَلَّ، فَخَطَرَ لِي خَاطِرٌ أَنْ قُلْتُ فِي نَفْسِي : إِذَا كَانَ هَذَا مَلِكُ الْبِلَادِ خَاضِعاً مُتَذَلِّلاً يَصْنَعُ هَذَا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ تَعَالَى عَزَّ وَجَلَّ فَمَا الدُّنْيَا بِشَيْءٍ، فَفَارَقْتُهُ مِنْ ذَلِكَ الْيَوْمِ، وَمَا عُدْتُ رَأْيَتُهُ أَبَداً، ثُمَّ لَزِمْتُ هَذِهِ الطَّرِيقَةَ. وَهُوَ رَجُلٌ لَهُ قَدَمٌ فِي الرِّيَاضَةِ وَالْمُجَاهِدَةِ، وَكَلَامٌ عَلَى لِسَانِ أَهْلِ التَّصَوُّفِ مَوْصُوفٌ بِالتَّقْدِيمِ وَالْمَكَانِ عِنْدَ جَمَاعَةٍ مِنْ أَهْلِ هَذَا الشَّانِ، وَلَهُ أَصْحَابٌ وَمُرِيدُونَ وَتَلَامِيذٌ وَصَنَّفَ تَصَانِيفَ كَثِيرَةً وَتَوَالِيفَ جَمَّةً، سَكَنَ بِلَادَ الرُّومِ مَلْطِيَّةَ وَقُونِيَّةَ، وَطَافَ الْبِلَادَ، وَدَخَلَ بَغْدَادَ، ثُمَّ سَكَنَ بِأَخْرَةِ دِمَشَقَ، وَلَهُ كَلَامٌ حَسَنٌ فِي الْحَقِيقَةِ، يَأْتِيهِ مِنْ غَيْرِ اشْتِغَالٍ بِالْعِلْمِ، وَقَدْ رَزَقَهُ اللَّهُ تَعَالَى خَاطِراً

(229) توجد ترجمته في مصادر مغربية ومشرقية، انظر سردها في التكملة للمندري 1 : 217-218 والوافي 17 : 575 وصلة الصلة 3 : 119-123.

(230) ترجمته في الذيل والتكملة 6 : 203 وفي حاشية المحقق ذكر لمصادر أخرى.

(231) ترجمته في الذيل والتكملة 8 : 413-420 وقد ذكرت في الحاشية بعض مصادر ترجمته.

(232) ترجمته في الذيل والتكملة 8 : 352-356 وانظر تعريفنا به في معلمة المغرب 8 : 2569-2571.

(233) أقدر أنه السيد أبو يحيى أخو يعقوب المنصور وقد ذكر هنا بكنيته.

مُتَوَقِّدًا فَانْثَالَ عَلَيْهِ هَكَذَا الْكَلَامُ انْثِيالًا، وَوُفَّقَ فِي اسْتِثْبَاتِهِ تَوْفِيقًا عَجِيبًا مِمَّا حَيَّرَ
الْعُقُولَ عِنْدَ سَمَاعِهِ، وَسَلَبَ الْقُلُوبَ فِي إِيرَادِهِ. شَاهَدَتْهُ بِمَحْرُوسَةِ حَلَبَ فِي
يَوْمِ الْأَرْبَعَاءِ سَادِسِ رَبِيعِ الْأَوَّلِ سَنَةِ خَمْسٍ وَثَلَاثِينَ وَسِتِّ مِئَةِ شَيْخًا يَخْضِبُ،
وَقَرَأَتْ عَلَيْهِ جَمِيعَ مَا تَضَمَّنَتْهُ هَذِهِ الْأُورَاقُ، وَأَنْشَدْنِيهَا، فَمِنْ شِعْرِهِ عَلَى طَرِيقِ
الْعَارِفِينَ :

أَلَا يَا حَمَامَاتِ الْأَرَاكَةِ وَالْبَانِ تَرْفَقْنَ لَا تَنْدُبْنَ بِالنُّوحِ أَشْجَانِي
تَرْفَقْنَ لَا تَنْدُبْنَ بِالنُّوحِ وَالْبُكَاءِ وَمِنْ عَجَبِ الْأَشْيَاءِ ظَنِّي مُبْرَقَّعَ
وَمَرْمَاهُ مَا بَيْنَ التَّرَائِبِ فِي الْحَشَا لَقَدْ صَارَ قَلْبِي قَابِلًا كُلَّ صُورَةٍ
وَبَيْتٍ لِأَصْنَامٍ، وَكَعْبَةٍ طَائِفٍ أَدِينُ بِدِينِ الْحُبِّ أَنِّي تَوَجَّهْتُ
وَأَنْشَدْنِي لِنَفْسِهِ :

قَالَتْ: عَجِبْتُ لِصَبٍّ مِنْ مَحَاسِينِهِ فَقُلْتُ: لَا تَعْجِبْنِي مِمَّا تَرَيْنَ فَقَدْ
يَخْتَالُ مَا بَيْنَ أَزْهَارِ بُسْتَانِ أَبْصَرْتَ نَفْسَكَ فِي مِرَاةِ إِنْسَانٍ (234)

وَمِنْ نَظْمِهِ فِي الْمَقَامَاتِ مِنَ الْفُتُوحَاتِ الْمَكِّيَّةِ فِي التَّوْبَةِ، وَأَنْشَدْنِيهِ :

الاعْتِرَافُ مَتَابُ كُلِّ مُحَقِّقٍ وَبِهِ إِلَهُ الْحَقِّ يَشْرَحُ صَدْرَهُ
رَضِيَّ إِلَهُ عَنِ الْمُخَالَفِ مِثْلَمَا رَضِيَ إِلَهُ عَنِ الْمَوَافِقِ أَمْرَهُ
مَاذَا كَبِيرٌ أَنْ يَنَالَ مَنَالَهُ لَا سِيَّمَا أَنْ كُنْتَ تُعْرِفُ سِرَّهُ
مِنْ عَيْنٍ مُنْتَبِهٍ يَنَالَ مُخَالَفٍ مَا نَالَهُ مِنْ كُنْتَ تَجْهَلُ قَدْرَهُ (235)

(234) هي بتمامها في ديوان ترجمان الأشواق : 40-44.

(235) هما في ترجمان الأشواق : 39.

(236) انظر الفتوحات المكية.

وقال أيضا، وأنشدنيه :

هُبُوطُ مَكَانٍ، لَا هُبُوطُ مَكَائَةٍ لِيَلْقَى بِهِ نُورًا وَمُلْكًا مُخْلَدًا
كَمَا قَالَ مَنْ أَغْوَاهُ صَدَقًا لَكُونِهِ رَأَاهُ كَلَامًا مِنْ إِلَهٍ مُسَدَّدًا (237)

وقال في الخلوة، وأنشدنيه :

خَلَوْتُ بِمَنْ أَهْوَى، فَلَمْ يَكْ غَيْرَنَا وَلَوْ كَانَ غَيْرِي لَمْ يَصِحَّ وَجُودُهَا
إِذَا أَحْكَمْتُ نَفْسَ شُرُوطِ انْفِرَادِهَا فَإِنَّ نَفُوسَ الْخَلْقِ طُرًّا عَبِيدُهَا
وَلَوْ لَمْ يَكُنْ فِي نَفْسِهَا غَيْرُ نَفْسِهِ لَجَادَتْ بِهَا جُودًا عَلَى مَنْ يُفِيدُهَا (238)

وأخبرنا أبو عبد الله مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ الْعَرَبِيِّ، قال : كُنْتُ أَطُوفُ
بِالْبَيْتِ، فَطَارَ قَلْبِي، وَهَزَنِي حَالُ أَغْرِفُهُ، فَخَرَجْتُ مِنَ الْبَلَاطِ مِنْ أَجْلِ النَّاسِ،
وَطُفْتُ عَلَى الرَّمْلِ وَذَلِكَ بِاللَّيْلِ، فَحَضَرْتَنِي آيَاتٌ، فَأَنْشَدْتُهَا أَسْمِعُ بِهَا نَفْسِي،
وَمَنْ يَلِينِي لَوْ كَانَ هُنَاكَ أَحَدٌ، وَهِيَ :

لَيْتَ شِعْرِي هَلْ دَرَوَا أَيَّ قَلْبٍ مَلَكُوا
وَفُؤَادِي لَوْ دَرَى أَيَّ شِعْبٍ سَلَكُوا
أَتَرَاهُمْ سَلِمُوا أَمْ تَرَاهُمْ هَلَكُوا
حَارَ أَرْبَابُ الْهَوَى فِي الْهَوَى وَارْتَبَكُوا

فَلَمْ أَشْعُرْ إِلَّا بِضَرْبَةٍ بَيْنَ كَتِفِي بِكَفِّ أَلَيْنَ مِنَ الْخَزْرِ، فَالْتَفْتُ فَإِذَا بِجَارِيَةٍ
مِنْ بَنَاتِ الرُّومِ لَمْ أَرَأْ أَحْسَنَ وَجْهًا وَلَا أَغْذَبَ مَنْطِقًا، وَلَا أَرْقَ حَاشِيَةً، وَلَا
الطَّفَ مَعْنَى، وَلَا أَذَقَ إِشَارَةً، وَلَا أَطْرَفَ مُحَاوَرَةً مِنْهَا، قَدْ فَاقَتْ زَمَانَهَا ظَرْفًا
وَجَمَالًا وَمَعْرِفَةً، فَقَالَتْ : يَا سَيِّدِي كَيْفَ قُلْتَ ؟ فَقُلْتُ :

لَيْتَ شِعْرِي هَلْ دَرَوَا أَيَّ قَلْبٍ مَلَكُوا ؟

فَقَالَتْ : عَجَبًا مِنْكَ، وَأَنْتَ عَارِفُ زَمَانِكَ، تَقُولُ مِثْلَ هَذَا، لَيْسَ كُلُّ مَمْلُوكٍ
مَعْرُوفًا، وَهَلْ يَصِحُّ الْمَلِكُ إِلَّا بَعْدَ الْمَعْرِفَةِ وَتَمْنِي الشُّعُورَ يُوْذَنُ بَعْدَمَهَا، وَالطَّرِيقُ

(237) المصدر نفسه.

(238) المصدر نفسه.

لِسَانُ صِدْقٍ فَكَيْفَ يَجُوزُ لِمِثْلِكَ هَذَا ؟ قُلْ يَا سَيِّدِي ! فَمَاذَا قُلْتَ بَعْدَهُ ؟
فَقُلْتُ :

وَفُؤَادِي لَوْ دَرَى أَيَّ شَعْبٍ سَلَكَوْا ؟

فَقَالَتْ : يَا سَيِّدِي، الشَّعْبُ الَّذِي بَيْنَ الشَّغَافِ وَالْفُؤَادِ هُوَ الْمَانِعُ لَهُ مِنَ الْمَعْرِفَةِ
بِهِ، فَكَيْفَ يَتَمَنَّى مِثْلَكَ مَا لَا يُمَكِّنُ الْوَصُولَ إِلَيْهِ، وَالطَّرِيقُ لِسَانُ صِدْقٍ فَكَيْفَ
يَجُوزُ لِمِثْلِكَ هَذَا يَا سَيِّدِي، فَمَاذَا قُلْتَ بَعْدَهُ ؟ فَقُلْتُ :

أَتَرَاهُمْ سَلِمُوا أَمْ تَرَاهُمْ هَلَكُوا ؟

قَالَتْ : أَمَّا هُمْ فَسَلِمُوا، وَلَكِنْ اسْأَلْ عَنْكَ يَنْبَغِي أَنْ تَسْأَلَ نَفْسَكَ : هَلْ
سَلِمْتَ أَمْ هَلَكْتَ يَا سَيِّدِي ؟ فَمَا قُلْتَ بَعْدَهُ ؟ فَقُلْتُ :

حَارَ أَرْبَابُ الْهَوَى فِي الْهَوَى وَآرَبَكُوا

فَصَاحَتْ وَقَالَتْ : وَاعْجَبًا، كَيْفَ لِلْمَشْغُوفِ فَضْلَةٌ يَحَارُ بِهَا وَالْهَوَى شَأْنُهُ
التَّغْمِيمُ يُخَدِّرُ الْحَوَاسَّ، وَيُذْهِبُ الْعُقُولَ، وَيُدْهَشُ الْحَوَاطِرَ، وَيَذْهَبُ بِصَاحِبِهِ فِي
الذَّاهِبِينَ فَأَيْنَ الْحَيَرَةُ هُنَا ؟ أَوْ مِنْ هُنَا بَاقٍ يَحَارُ وَالطَّرِيقُ لِسَانُ صِدْقٍ، وَالتَّجَوُّزُ
مِنْ مِثْلِكَ غَيْرُ لَاقٍ. قُلْتُ : يَا بِنْتَ الْخَالَةِ، مَا اسْمُكِ ؟ قَالَتْ : قُرَّةُ الْعَيْنِ، فَقُلْتُ
لِي ثُمَّ سَلِمْتَ وَأَنْصَرَفْتَ، ثُمَّ إِنِّي عَرَفْتُهَا بَعْدَ ذَلِكَ، وَعَاشَرْتُهَا، فَرَأَيْتُ لَهَا مِنْ
لَطَائِفِ الْمَعَارِفِ مَا لَا يَصِفُهُ وَاصِفٌ (239).

وَحَدَّثَنِي بِمَدِينَةِ حَلَبٍ فِي يَوْمِ الْأَرْبَعَاءِ سَادِسِ رَبِيعِ الْأَوَّلِ سَنَةِ خَمْسٍ
وِثَلَاثِينَ، قَالَ : كُنْتُ مُجَاوِرًا بِمَكَّةَ سَنَةً تِسْعَ وَتِسْعِينَ وَخَمْسَ مِائَةٍ فَرَأَيْتُ فِي
مَنَايِمِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَاعِدًا عَلَى الدَّكَّةِ الَّتِي تَلِي بَابَ أَجْيَادِ الْأَقْرَبِ إِلَى بَابِ
الْحَزُورَةِ وَوَجْهُهُ مُسْتَقْبِلُ الرُّكْنِ الْيَمَانِيِّ، وَرَجُلٌ يَقْرَأُ عَلَيْهِ كِتَابَ الْبُخَارِيِّ وَهُوَ
مُحَمَّدُ بْنُ خَالِدِ الصَّدْفِيِّ التُّلُمَسَانِي وَأَنَا قَاعِدٌ بَيْنَ يَدَيْهِ ﷺ قَدْ ضَرَبْتُ بِذَقْنِي
عَلَى رُكْبَتِهِ ﷺ أَتَطَّلُعُ فِي وَجْهِهِ، فَقُلْتُ لَهُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ : الْمُطَلَّعَةُ ثَلَاثًا فِي
مَجْلِسٍ وَاحِدٍ هَلْ يَرْجِعُ طَلَاقُهَا إِلَى وَاحِدَةٍ أَوْ هِيَ ثَلَاثٌ كَمَا قَالَ ؟ قَالَ لِي رَسُولُ
اللَّهِ ﷺ : هِيَ ثَلَاثٌ كَمَا قَالَ، لَا تَحِلُّ لَهُ حَتَّى تُنْكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُ، فَقُلْتُ لَهُ :

(239) النص بتمامه في مقدمة ترجمان الأشواق : 11-12 مع اختلاف يسير.

يا رسول الله، إن بعض العلماء يردّها إلى واحدة، فقال لي ﷺ : أولئك حكموا بما وصل إليهم وأصابوا، قلت له : يا رسول الله ما أريد في هذه المسألة إلا ما تدين الله تعالى أنت به ما لو وقع منك فعلت به، فقال لي : هي ثلاث كما قال لا تحل له حتى تنكح زوجاً غيره يردّها ثلاثاً، ثم بسط يديه ودعا بهديه الكلمات : «اللهم أسمعنا خيراً، وأطلعنا خيراً، وارزقنا اللهم العافية وأدمها لنا واجمع اللهم قلوبنا على التقوى ووفقنا لما تحبه وترضاه، وخواتم البقرة». واستيقظت⁽²⁴⁰⁾، وحديثي أيضاً أبو عبد الله ابن العربي، قال : رأيتُه ﷺ في هذا التاريخ، فقلت يا رسول الله، الله تعالى يقول : ﴿وَالْمُطَلَّاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ﴾ والقرء عند العرب من الأضداد يطلّقونه على الحيض وعلى الطهر، وأنت أعرف بما أنزل عليك، فما أراد الله بالقرء هنا ؟ فقال ﷺ : إذا فرغ قروها فافرغوا عليها الماء، وكلّوا ممّا رزقكم الله، قلت يا رسول الله : هذا هو الحيض فتبسّم، وقال لي : إذا فرغ قروها فافرغوا عليها الماء، وكلّوا ممّا رزقكم الله، فعاودت عليه فإذا هو الحيض يا رسول الله، فأعاد علي وهو يتبسّم إذا فرغ قروها فافرغوا عليها وكلّوا ممّا رزقكم الله واستيقظت⁽²⁴¹⁾.

أنشدني أبو عبد الله محمد بن العربي لنفسه :

خَلِيلِي غُوجَا بِالْكَثِيبِ وَعَرَّجَا	عَلَى لَعْلَعٍ وَاطْلُبْ مِيَاهَ يَلْمَلَمِ
فَإِنَّ بِهَا مَنْ قَدْ عَلِمْتَ وَمَنْ لَهُمْ	صِيَامِي وَحَجِّي وَاعْتِمَارِي وَمَوْسِمِي
مُخَصَّبُهُمْ قَلْبِي لِرَمِي جِمَارِهِمْ	وَمَنْخَرُهُمْ نَفْسِي وَمَشْرَبُهُمْ دَمِي
فَيَا حَادِي الْأَجْمَالِ إِنْ جِئْتَ حَاجِرًا	فَقِفْ بِالْمَطَايَا سَاعَةً ثُمَّ سَلِّمْ
وَنَادِ الْقَبَابِ الْحُمْرَ مِنْ جَانِبِ الْجَمَى	تَحِيَّةَ مُشْتَاكِ إِلَيْكُمْ مُتِيْمِ
فَإِنْ سَلَّمُوا فَاهْدِ السَّلَامَ مَعَ الصَّبَا	وَإِنْ سَكَتُوا فَارْحَلْ بِهَا وَتَعَلَّمِ
إِلَى نَهْرِ عَيْسَى حَيْثُ حَلَّتْ رِكَابُهُمْ	وَحَيْثُ الْخِيَامِ الْبَيْضُ مِنْ جَانِبِ الْفَمِ
وَنَادِ بِدَعْدِ الرَّبَابِ وَفَرْتَنِي	وَهِنْدِ وَسَلَمِي ثُمَّ لُبْنَى وَزَمْزَمِ

(240) راجع الفتوحات المكية.

(241) المصدر نفسه.

وَسَلُّهُنَّ هَلْ بِالْحَلْبَةِ الْعَادَةِ الَّتِي

وَأُنْشِدْنِي أَبُو عَبْدِ اللَّهِ لِنَفْسِهِ :

سَلَامٌ عَلَى سَلَمِي وَمَنْ حَلَّ بِالْحِمَى
وَمَاذَا عَلَيْهَا أَنْ تَرُدَّ تَحِيَّةً
سَرَوْا وَظِلَامُ اللَّيْلِ أَرْخَى سُدُولَهُ
أَحَاطَتْ بِهِ الْأَشْوَاقُ شَوْقًا وَأَرْصَدَتْ
فَأَبَدَتْ ثَنَائِيهَا، وَأَوْمَضَ بَارِقُ
وَقَالَتْ: أَمَا يَكْفِيهِ أَنِّي بِقَلْبِهِ

وَأُنْشِدْنِي أَيْضًا لِنَفْسِهِ :

وَزَا حَمْنِي عِنْدَ اسْتِلَامِي أَوَانِسُ
حَسْرَتَنَ عَنْ أَنْوَارِ الشُّمُوسِ وَقُلْنَ لِي
فَكَمْ قَدْ قَتَلْنَا بِالْمَحْصَبِ مِنْ مِنًى
وَفِي سَرْحَةِ الْوَادِي، وَأَعْلَامِ رَامَةٍ
أَلَمْ تَرِ أَنَّ الْحُسْنَ يَسْلُبُ مَنْ لَهُ
فَمَوْعِدُنَا بَعْدَ الطَّوَافِ بِزَمْزَمِ
هُنَالِكَ مَنْ قَدْ شَفَّهُ الْوَجْدُ يَشْتَفِي
إِذَا خَفَنَ أَسْدَلْنَ الشُّعُورَ فَهِنَّ مَنْ

تُرِيكَ سَنَا الْبَيْضَاءِ عِنْدَ التَّبَسُّمِ (242)

وَحَقُّ لِمِثْلِي رِقَّةٌ أَنْ يُسَلِّمَا
عَلَيْنَا وَلَكِنْ لَا اخْتِكَامَ عَلَى الدُّمَى
فَقُلْتُ لَهَا: صَبًّا غَرِيبًا مُتِيَّمَا
لَهُ رَاشِقَاتِ النَّبْلِ أَيْبَانَ يَمَّمَا
وَلَمْ أُذِرْ مَنْ شَقَّ الْحَنَادِسَ مِنْهُمَا
يُشَاهِدُنِي فِي كُلِّ وَقْتٍ أَمَا أَمَا (243)

أَتَيْنَ إِلَى التَّطَوَّافِ مُعْتَجِرَاتِ
تَوَرَّغَ فَمَوْتُ النَّفْسِ فِي اللَّحْظَاتِ
نُفُوسًا أَيْبَاتٍ لَدَى الْجَمَرَاتِ
وَجَمْعٍ وَعِنْدَ النَّفْرِ مِنْ عَرَفَاتِ
عَفَافٍ، فَيُدْعَى سَالِبُ الْحَسَنَاتِ
لَدَى الْقُبَّةِ الْوُسْطَى لَدَى الصَّخَرَاتِ
بِمَا شَاءَهُ مِنْ نِسْوَةٍ عَطِرَاتِ
غَدَائِرَهَا فِي الْحُفِّ الظُّلُمَاتِ (244)

وَأَخْبَرَنِي ابْنُ الْعَرَبِيِّ، قَالَ : أَنُشِدْنِي بَعْضُ الْفُقَرَاءِ بَيْتًا مُفْرَدًا لَا يَعْرِفُ أَحَدًا، وَهُوَ :

كُلُّ الَّذِينَ رَجَوْا نَوَالِكَ أُمِطُّوا مَا كَانَ بَرَقُكَ خُلْبًا إِلَّا مَعِي
فَاعْجِبْنِي مَغْزَاهُ، وَقَفُّوتُ مَعْنَاهُ، فَعَمَلْتُ أَيْبَاتًا جَعَلْتُهُ وَاحِدًا مِنْهَا :

(242) ترجمان الأشواق : 20-24.

(243) نفسه : 25-27.

(244) نفسه : 32-34.

قَفْ بِالطَّلُولِ الدَّارِسَاتِ بِلَعْلَعٍ
 قَفْ بِالذِّيَارِ وَنَادِيهَا مُتَعَجِّباً
 عَهْدِي بِمَثَلِي عِنْدَ بَانَكَ قَاطِئاً
 «كُلُّ الَّذِينَ رَجَوْا نَوَالَكَ أُمِطُوا
 قَالَتْ نَعَمْ، قَدْ كَانَ ذَاكَ الْمُلتَقَى
 إِذْ كَانَ بَرَقِي مِنْ بُرُوقِ مَبَاسِمٍ
 فَاعْتَبْتُ زَمَاناً مَا لَنَا مِنْ حِيلَةٍ
 فَعَذَرْتُهَا لَمَّا سَمِعْتُ جَوَابَهَا
 وَسَأَلْتُهَا لَمَّا رَأَيْتُ رُبُوعَهَا
 هَلْ أَخْبَرْتُكَ رِيَاحُهُمْ بِمَقِيلِهِمْ
 حَيْثُ الْخِيَامُ الْبَيْضُ تُشْرِقُ لِلَّذِي
 وَأُنْشِدَنِي لِنَفْسِهِ أَيْضاً :

وَأَنْدَبْتُ أَحِبَّتَنَا بِذَاكَ الْبَلَقِ
 مِنْهَا بِحُسْنِ تَطَلُّقٍ بِتَفَجُّعٍ
 ثَمَرَ الْقُدُودِ وَوَرْدَ رَوْضٍ أُيْنَعٍ
 مَا كَانَ بَرَقُكَ خُلْباً إِلَّا مَعِي
 فِي ظِلِّ أَفْنَانِي بِأَطْيَبِ مَوْضِعٍ
 وَالْيَوْمَ بَرَقِي لَمْعُ هَذَا الْيَرْمَعِ
 فِي دَفْعِهِ، مَا ذَنْبُ مَنْزِلٍ لَعْلَعٍ
 تَشْكُو كَمَا أَشْكُو بِقَلْبٍ مُوجِعٍ
 مَسْرَى الرِّيَّاحِ الدَّارِسَاتِ الْأَرْبَعِ
 قَالَتْ: نَعَمْ، قَالُوا بِذَاتِ الْأَجْرَعِ
 تَحْوِيهِ مِنْ تِلْكَ الشُّمُوسِ الطَّلَعِ (245)

يَيْنَ النَّقَا وَلَعْلَعٍ
 تَرَعَى بِهَا فِي خَمَرٍ
 مَا طَلَعَتْ أَهْلَةً
 إِلَّا وَدِدْتُ أَنَّهَا
 وَلَا بَدْتُ لَامِعَةً
 إِلَّا اشْتَهَيْتُ أَنَّهَا
 يَا دَمْعَتِي وَأَنْسَكِبِي
 وَأَنْتَ يَا حَادِي اتِّعِدْ
 قَدْ فَنَيْتُ مِمَّا جَرَتْ
 فَارْحَلْ إِلَى وَادِي اللَّوَى
 إِنَّ بِهِ أَحَبِّي
 وَنَادِيهِمْ مَنْ لِفَتَى

ظَبَاءُ ذَاتِ الْأَجْرَعِ
 خَمَائِلًا وَتَرْتَعِي
 بِأُفُقِ ذَاكَ الْمَطْلَعِ
 مِنْ حَذَرٍ لَمْ تَطْلَعِ
 مِنْ بَرَقِ ذَاكَ الْيَرْمَعِ
 لَمَّا بَنَّا لَمْ تَلْمَعِ
 يَا مُقْلَتِي لَا تُقْلَعِي
 فَالنَّارُ بَيْنَ أَضْلَعِي
 خَوْفِ الْفِرَاقِ أَذْمُعِي
 مَرْتَعِيهِمْ وَمَصْرَعِي
 عِنْدَ مِيَاهِ الْأَجْرَعِ
 ذِي لَوْعَةٍ مُودَّعِ

رَمَتْ بِهِ أَشْجَانُهُ
يَا قَمْرًا تَحْتَ دُجَى
وَزَوْدِيهِ نَظْرَةً
أَوْ عَلَّيْهِ بِالْمُنَى
مَا هُوَ إِلَّا مَيِّتٌ
فَمَتُّ يَأْسًا وَأَسَى
مَا صَدَقَتْ رِيحُ الصَّبَا
قَدْ تَكْذِبُ الرِّيحُ إِذَا

وأنشدني أيضا :

أَطَارِحُ كُلَّ هَاتِفَةٍ بِأَيْكِ
فَتَبْكِي إِلْفَهَا مِنْ غَيْرِ دَمْعٍ
أَقُولُ لَهَا - وَقَدْ سَمَحْتَ جُفُونِي -
أَعِيْذُكَ بِالَّذِي أَهْوَاهُ عِلْمُ

وَقَالَ : وَأَنْشَدْنِيهِ :

عِنْدَ الْكُتَيْبِ مِنْ جَبَالِ زُرُودٍ
صَرَغِي وَهُمْ أَبْنَاءُ مَلْحَمَةِ الْوَعَى
فَكَتَّ بِهِمْ لَحْظَاتِهِمْ وَحَبَّذَا

وَقَالَ، وَأَنْشَدْنِيهِ :

ثَلَاثُ بُدُورٍ لَمْ يُزَنَّ بِرِيَّةٍ
خَسِرْنَ عَنْ أَمْثَالِ الشُّمُوسِ إِضَاءَةً
وَأَقْبَلْنَ يَمْشِينَ الرَّوِيدَا كَمَثَلِ مَا

يَهْمَاءَ رَسْمٍ بَلَقَعَ
خُذْ مِنْهُ شَيْئًا وَدَعِ
مَنْ خَلَفَ ذَاكَ الْبَرْقِعَ
عَسَاهُ يَحْيَا وَيَعْيِي
بَيْنَ النَّقَا وَلَغْلَعِ
كَمَا أَنَا فِي مَوْضِعِي
حِينَ أَتَتْ بِالْخُدَعِ
تُسْمَعُ مَا لَمْ تَسْمَعْ (246)

عَلَى فَنٍّ بِأَفْنَانِ الشُّجُونِ
وَدَمْعُ الْحُزَنِ يَهْمِلُ مِنْ جُفُونِي
بِأَذْمُعِهَا تُخَبِّرُ عَنْ شُؤُونِي
وَهَلْ قَالُوا بِأَفْيَاءِ الْغُصُونِ (247)

سَيِّدٌ وَأُسْدٌ مِنْ لِحَاظِ الْغَيْدِ
أَيْنَ الْأَسُودُ مِنَ الْعُيُونِ السُّودِ
تِلْكَ الْمَلَا حَظُّ مَنْ بَنَاتِ الصَّيِّدِ (248)

خَرَجْنَ إِلَى التَّنْعِيمِ مُعْتَجِرَاتِ
وَلَكِنَّ بِالْإِهْلَالِ مُعْتَمِرَاتِ
تَمْشِي الْقَطَا فِي الْحُفِّ الْحَبَرَاتِ (249)

(246) نفسه : 117-122.

(247) نفسه : 144.

(248) نفسه : 145.

(249) نفسه : 146.

وقال، وأنشدنيهِ :

نَفْسِي الْفِدَاءُ لِيَبْضِرَ خُرْدُ غُرْبِ
مَا تَسْتَدِلُّ إِذَا مَا تَهْت خَلْفَهُمْ
وَلَا دَجَا بِي لَيْلٍ مَا بِهِ قَمَرٌ
وَأَتَمَّا حِينَ أَمْشِي فِي رِكَابِهِمْ
غَازِلْتُ مِنْ غَزَلِي مِنْهُنَّ وَاحِدَةً
إِنْ أَسْفَرْتُ عَنْ مُحَيَّاها أَرْتِكَ سَنَى
نَلْشَمْسُ غُرَّتْهَا وَاللَّيْلِ طُرَّتْهَا
فَنَحْنُ فِي اللَّيْلِ فِي ضَوْءِ النَّهَارِ بِهِ
لَعَيْنَ بِي عِنْدَ لَثَمِ الرُّكْنِ وَالْحَجَرِ
إِلَّا بِرِيحِهِمْ مِنْ طَيِّبِ الْأَثَرِ
إِلَّا ذَكَرْتُهُمْ فَسِرْتُ فِي الْقَمَرِ
فَاللَّيْلِ عِنْدِي مِثْلَ الشَّمْسِ فِي الْبَكْرِ
حَسَنَاءُ لَيْسَ لَهَا أُخْتُ مِنْ الْبَشَرِ
مِثْلَ الْغَزَالَةِ اشْرَاقاً بِلَا غَبَرِ
شَمْسٌ وَلَيْلٌ مَعاً مِنْ أَعْجَبِ الصُّورِ
وَنَحْنُ فِي الظُّهْرِ فِي لَيْلٍ مِنَ الشَّعْرِ (250)

وقال، وأنشدنيهِ :

بَيْنَ الْحَشَا وَالْعُيُونِ النَّجْلِ حَرْبٌ هَوَى
وَالْقَلْبُ مِنْ أَجْلِ ذَاكَ الْحَرْبِ فِي حَرْبِ
لَمَيَاءُ لَعْنَاءُ مَغْسُولٌ مُقْبَلُهَا
شَهَادَةُ النَّحْلِ مَا تَلْقَى مِنَ الضَّرْبِ
رَيَّا الْمَخْلُخَلَ دَيُّجُورٌ عَلَى قَمَرٍ
فِي نَحْدَهَا شَفَقٌ غُصْنٌ عَلَى كُثْبِ
حَسَنَاءُ حَالِيَةٌ لَيْسَتْ بِغَانِيَةٍ
تَفْتَرُّ عَنْ بَرْدِ ظَلَمٍ وَعَنْ شَنْبِ
تَصُدُّ جِدًّا، وَتَلْهُو بِالْهَوَى لَعْبًا
وَالْمَوْتُ مَا بَيْنَ ذَاكَ الْجِدِّ وَاللَّعِبِ
مَا عَسَعَسَ اللَّيْلُ إِلَّا جَاءَ يَعْقُبُهُ
تَنْفُسُ الصُّبْحِ مَعْلُومٌ مِنَ الْحَقْبِ
وَلَا تَمُرُّ عَلَى رَوْضِ رِيَّاحٍ صَبَا
تَحْوِي عَلَى كَاعِبَاتِ خُرْدِ غُرْبِ

(250) نفسه : 152-153.

إِلَّا أُمَالَتْ وَنَمَّتْ فِي تَنَسُّمِهَا
 بِمَا حَمَلْنَ مِنَ الْأَزْهَارِ وَالْقُضْبِ
 سَأَلْتُ رِيحَ الصَّبَا عَنْهُمْ لِتُخْبِرَنِي
 قَالَتْ: وَمَا لَكَ فِي الْأَنْخَبَارِ مِنْ أَرْبٍ؟
 فِي الْإِبْرَقَيْنِ وَفِي بَرَكَ الْغَمَادِ وَفِي
 بَرَكَ الْعَمِيمِ تَرَكْتُ الْحَيَّ عَنْ كَثْبِ
 لَا تَسْتَقِلُّ بِهِمْ أَرْضٌ، فَقُلْتُ لَهَا:
 أَيْنَ الْمَفَرُّ وَخَيْلُ الشَّوْقِ فِي الطَّلَبِ
 هَيْهَاتَ لَيْسَ لَهُمْ مَعْنَى سِوَى خَلْدِي
 فَحَيْثُ كُنْتُ يَكُونُ الْبَدْرُ فَأَرْتَقِبِ
 أَلَيْسَ مَطْلَعُهَا وَهَمِي وَمَغْرِبُهَا
 قَلْبِي فَقَدْ نَالَ شَوْمُ الْبَانِ وَالْغَرْبِ
 مَا لِلْغُرَابِ نَعِيقٌ فِي مَنَازِلِنَا
 وَمَا لَهُ فِي نِظَامِ الشَّمْلِ مِنْ نَدَبٍ (251)

وقال، وأنشدنيهِ :

ضَاقَ لِمَا حَمَلْتِيهِ الْفَضَا	حَمَامَةُ الْبَانِ بِذَاتِ الْغَضَا
مَنْ ذَا الَّذِي يَجْرُعُ مَرَّ الْقَضَا	مَنْ ذَا الَّذِي يَحْمِلُ شَجْوَ الْهَوَى
يَا لَيْتَ مَنْ أَمْرَضَنِي مَرَضَا	أَقُولُ مَنْ وَجِدَ وَمَنْ لَوْعَةٍ
مُسْتَخْفِيًّا مُعْتَجِرًا مُعْرِضَا	مَرَّ بِبَابِ الدَّارِ مُسْتَهْزِئَا
أَضَرَّ بِي مَنْ كَوْنِهِ أَغْرَضَا (252)	مَا ضَرَّنِي تَعْجِيرُهُ إِنَّمَا

وقال، وأنشدنيهِ :

وَقَفَ عَلَى الْبَائَةِ بِالْمَدْرَجِ	يَا حَادِي الْعِيسِ بِسَلْعِ عَرَجِ
يَا سَادَتِي هَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ فَرَجِ	وَنَادِيهِمْ مُسْتَغْطِفًا مُسْتَطَفًا

(251) نفسه : 170-168.

(252) نفسه : 172-171.

بِرَامَةٍ بَيْنَ النَّقَا وَحَاجِرٍ
يَا حُسْنَهَا مِنْ طِفْلَةٍ غُرَّتْهَا
لَوْلُوءٌ مَكْنُونَةٌ فِي صَدَفٍ
يَحْسِبُهَا نَاطِرُهَا ظَنِّي نَقَى
كَأَنَّهَا شَمْسٌ ضُحَى فِي حَمَلٍ
إِنْ حَسَرَتْ بَرَّقَعَهَا أَوْ سَفَرَتْ
نَادَيْتُهَا بَيْنَ الْحِمَى وَرَامَةٍ
مَنْ لِفَتَى مُتِيهِ فِي مَهْمَةٍ
مَنْ لِفَتَى دَمَعَتُهُ مَغْرَقَةٌ
مَنْ لِفَتَى زَفَرَتُهُ مُحْرَقَةٌ
قَدْ لَعِبْتُ أَيْدِي الْهَوَى بِقَلْبِهِ

وقال، وأنشدنيه :

أَلَا يَا نَسِيمَ الرِّيحِ بَلَغَ مَهَا نَجْدٍ
وَقُلْ لِفَتَاةِ الْحَيِّ مَوْعِدُنَا الْحِمَى
عَلَى الرَّبُوءِ الْحَمْرَاءِ مِنْ جَانِبِ الصَّوَى
فَإِنْ كَانَ حَقًّا مَا تَقُولُ وَعِنْدَهَا
إِلَيْهَا فَفِي حَرِّ الظَّهِيرَةِ نَلْتَقِي
فَتَلْقِي وَنَلْقِي مَا تُلَاقِي مِنَ الْهَوَى
الْأَضْغَاثُ أَحْلَامٌ، أُبْشِرِي مَنَامَةٍ
لَعَلَّ الَّذِي سَاقَ الْأَمَانِي يَسُوقُهَا

وقال، وأنشدنيه :

أَلَا هَلْ إِلَى الزُّهْرِ الْحِسَانِ سَبِيلُ
وَهَلْ لِي بِخَيْمَاتِ اللَّوَى مِنْ مُعَرَّسٍ

جَارِيَةٌ مَقْصُورَةٌ فِي هَوْدَجٍ
تُضِيءُ لِلطَّارِقِ مِثْلَ السَّرْجِ
مَنْ شَعِرٍ مِثْلَ سَوَادِ السَّبَجِ
مَنْ جِيدُهَا وَحُسْنِ ذَاكَ الْغَنَجِ
قَاطِعَةٌ أَقْصَى مَعَالِي الدَّرَجِ
أَزْرَتْ بِأَنْوَارِ الصَّبَاحِ الْأَبْلَجِ
مَنْ لِفَتَى حَلٍّ بَسَلَعٍ يَرْتَجِي
مَوْلَاهُ مُدْلَلُهُ الْعَقْلِ شَجِي
أَسْكَرَهُ خَمْرٌ بِذَاكَ الْفَلَجِ
تَيَّمَهُ جَمَالُ ذَاكَ الْبَلَجِ
فَمَا عَلَيْهِ فِي الَّذِي مِنْ حَرَجٍ (253)

بِأَنِّي عَلَى مَا يَعْلُمُونَ مِنَ الْعَهْدِ
غَدِيَّةَ يَوْمِ السَّبْتِ عِنْدَ رَبِّي نَجْدِ
وَعَنْ أَيْمَنِ الْإِفْلَاجِ وَالْمَعْلَمِ الْفَرْدِ
إِلَيَّ مِنَ الشَّوْقِ الْمُبْرَحِ مَا عِنْدِي
بِخَيْمَتِهَا سِرًّا عَلَى أَصْدِقِ الْوَعْدِ
وَمِنْ شِدَّةِ الْبَلَاوَى وَمِنْ أَلَمِ الْوَجْدِ
أَنْطِقُ زَمَانٍ كَانَ فِي نُطْقِهِ سَعْدِي؟
عَيْنَانَا فِيهِدِي رَوْضُهَا لِي جَنَى الْوَرْدِ (254)

وَهَلْ لِي عَلَى آثَارِهِنَّ دَلِيلُ
وَهَلْ لِي إِلَى ظِلِّ الْأَثِيلِ مَقِيلُ

(253) نفسه : 173-175.

(254) نفسه : 189-190.

فَقَالَ لِسَانُ الْحَالِ يُخْبِرُ أَنَّهَا
وَدَادِي صَحِيحٌ فَيْكَ يَا غَايَةَ الْمُنَى
تَعَالَيْتُ مِنْ بَذْرِ عَلَى الْقُطْبِ طَالِعِ
فَدَيْتِكَ يَا مَنْ عَزَّ حُسْنًا وَنَحْوَةً
فَرَوْضُكَ مَطْلُوعٌ وَوَرْدُكَ يَانِعٌ
وَزَهْرُكَ بَسَامٌ وَغُصْنُكَ نَاعِمٌ
وَظَرْفُكَ قَتَانٌ، وَطَرْفُكَ صَارِمٌ

وقال، وأنشدنيه :

لِطَبِيبَةٍ ظَنِي ظُبًا صَارِمٍ
وَفِي عَرَفَاتٍ عَرَفْتُ الَّذِي
وَلَيْلَةً جَمَعُ جُمِعْنَا بِهَا
يَمِينُ الْفَتَاةِ يَمِينُ فَلَا
مُنَى بِمَنَى نِلْتُهَا لَيْتَهَا
تَوَلَعْتُ فِي لَعْلَعٍ بِالنَّيِّ
رَمْتُ رَامَةً وَصَفْتُ بِالْصَفَا
وَشَامْتُ بَرِيقًا عَلَى بَارِقِ
وَوَاضَتْ مِياهُ الْغَضَا مِنْ غَضَا
وَبَانَتْ بِبَانِ النَّقَا فَاَنْتَقَتْ
وَأَضَتْ بِذَاتِ الْأَضَا الْقَهْقَرَى
بِذِي سَلَمٍ أَسْلَمْتُ مُهْجَتِي
حَمْتُ بِالْحَمَى وَلَوْثُ بِاللَّوَى
وَفِي عَالَجٍ عَالَجْتُ أَمْرَهَا
نَحُورُنَّهَا خَارِقٌ لِلْسَمَاءِ

تَقُولُ: تَمَنُّ مَا إِلَيْهِ سَبِيلُ
وَقَلْبِي مِنْ ذَاكَ الصَّحِيحِ عَلِيلُ
وَلَيْسَ لَهُ بَعْدَ الطَّلُوعِ أَفُولُ
فَلَيْسَ لَهُ بَيْنَ الْحِسَانِ عَدِيلُ
وَحَسَنُكَ مَعْشُوقٌ عَلَيْهِ قَبُولُ
تَمِيلُ لَهُ الْأَرْوَاحُ حَيْثُ يَمِيلُ
بِهِ فَارِسُ الْبَلَوَى عَلَيَّ يَصُولُ (255)

تَجَرَّدَ مِنْ طَرْفِهَا السَّاحِرِ
تُرِيدُ، فَلَمْ أَكُ بِالصَّابِرِ
كَمَا جَاءَ فِي الْمَثَلِ السَّائِرِ
تَكُنْ تَطْمِئِنُّ إِلَى غَادِرِ
تَدُومُ إِلَى الزَّمَنِ الْآخِرِ
تُرِيكَ سَنَا الْقَمَرِ الزَّاهِرِ
وَحَجَرْتُ الْحَجَرَ بِالْحَاجِرِ
بِأَسْرَعٍ مِنْ خَطَرَةِ الْخَاطِرِ
بِأَضْلَعِهِ مِنْ هَوَى سَاحِرِ
لَا إِلَهَ مَكْنُونَةٍ الْفَاحِشِ
حَذَارًا مِنَ الْأَسَدِ الْخَادِرِ
إِلَى لَحْظِهَا الْفَاتِكِ الْفَاتِرِ
كَعُطْفَةِ جَارِحِهَا الْكَاسِرِ
لَتَفَلْتُ مِنْ مَخْلَبِ الطَّائِرِ
فَيَسْمُوُ اعْتِلَاءً عَلَى النَّاضِرِ (256)

(7 : 279-298)

(255) نفسه : 191-192.

(256) نفسه : 193-195.

46 — مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ

ابْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَحْمَانَ الْبَكْرِيِّ الشَّرِيشِيِّ الْأَنْدَلُسِيِّ (257)، كَانَ مَوْلَدُهُ تَقْدِيرًا فِي سَنَةِ سِتٍّ مِئَةٍ، سَمِعَ الْحَدِيثَ الْكَثِيرَ بِالْأَنْدَلُسِ وَدِيَارِ مِصْرَ وَالْحِجَازِ وَالشَّامِ وَبَغْدَادَ، وَاسْتَظْهَرَ الْقُرْآنَ الْكَرِيمَ، وَقَرَأَ عِلْمَ الْأَدَبِ وَالْعَرَبِيَّةِ عَلَى جَمَاعَةٍ.

تَرَبَّى بِالْأَنْدَلُسِ، وَقَرَأَ فِقْهَ الْإِمَامِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنْشَدَنِي لِنَفْسِهِ يَلْتَمِسُ مِنْ إِنْسَانٍ كِتَابَ التَّلْقِينِ (258) عَلَى مَذْهَبِ الْإِمَامِ مَالِكٍ بْنُ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَخْرَهُ عَنْهُ، وَكَانَ قَبْلَ ذَلِكَ قَدْ أَعَارَهُ إِيَّاهُ، ثُمَّ كَتَبَ لَهُ رُقْعَةً يَعْتَذِرُ إِلَيْهِ فِي الْمَنْعِ :

مَا إِنْ وَجَدْتُ — أَطَالَ اللَّهُ عُمرَكَ — لِي مِنْ مَنَعِكُمْ مِنِّي التَّلْقِينَ مَوْجِدَةً قَدْ طَالَ مَا كَانَ عِنْدِي وَانْتَفَعْتُ بِهِ وَفِي الصَّمِيرِ لَكُمْ وَدٌّ وَمَنْزِلَةٌ إِذَا الصَّدَاقَةُ صَحَّتْ مِنْ أَخِي ثِقَةٌ

وَأَنْشَدَنِي أَيْضًا لِنَفْسِهِ، مِنْ قَصِيدَةٍ (259) :

لَقَدْ سَارَ فِينَا سِيرَةً عُمرِيَّةً إِذَا مَا انْتَضَى لِلخُطْبِ يَقْظَانَ عَزَمِهِ فَفِي الْحَرْبِ لِلْأَعْدَاءِ بِالْقَهْرِ قَاسِمٌ لِكُلِّ بُيُوتِ اللَّهِ وَالْعِلْمِ عَامِرٌ وَأَذْهَبَ عَنَّا الْجَوْرَ فَالْعَدْلُ قَائِمٌ غَدَتْ عَزَمَاتُ الدَّهْرِ وَهِيَ نَوَائِمٌ وَفِي السَّلَامِ لِلْأَمْوَالِ بِالرَّفْقِ قَاسِمٌ وَكُلُّ بُيُوتِ الشَّرِّ وَالْجَهْلِ هَادِمٌ

وَأَنْشَدَنِي أَيْضًا لِنَفْسِهِ :

هَلَاً عَلَيْكَ كَمَا كَلَفْتَ جَمِيلاً يَا وَاصِلِي بِالْهَجْرِ إِنَّكَ قَاتِلِي أَيْحِلُّ قَتْلُ الصَّبِّ فِي شَرْعِ الْهَوَى أَنْ تُؤَلِّيَ الصَّبَّ الْمَشُوقَ جَمِيلاً هَلَاً لَوْصِلِكَ أَنْ يَكُونَ وَصُولاً لَا، وَالَّذِي قَدْ أَنْزَلَ التَّنْزِيلَ

(257) له ترجمة جيدة في الوافي بالوفيات 2 : 131-132 وبغية الوعاة 1 : 44.

(258) كتاب التلقين للقاضي عبد الوهاب، وهو من كتب الفقه المشهورة.

(259) لعلها في مدح الملك الناصر الذي كان يحضر دروسه في الرباط الناصري وهو واقفه.

حَزَنِي مِنْ الْجَفَنِ الْعَلِيلِ كَأَنَّهُ
يَا مَالِكاً رَقَ الْأَنَامِ بِحُسْنِهِ
أَوْ مَا تَرَقُّ لِمُذْنِفٍ وَمُتِّمٍ
أَضْنَاهُ طُولُ الشَّوْقِ حَتَّى أَنَّهُ
أَلَفَ السُّهَادَ مَعَ الضَّنَى فَجُفُونُهُ
يَرَعَى النُّجُومَ إِلَى الصَّبَاحِ وَيَنْشِي
فَوْحَقُ حُسْنِكَ وَالصَّبَابَةِ إِنِّي
لَكِنْ أَخَافُ عَلَيْكَ إِنْ أَتَلَفْتَنِي
هَذَا دَمِي لَكَ يَا ظَلُومُ أَبَحْتُهُ
أَقْسَمْتُ أَنَّكَ فِي جَمَالِكَ وَاحِدٌ

قَدْ صَيَّرَ الْجِسْمَ الصَّحِيحَ عَلِيلاً
مَا بَالُ طَرْفِكَ لِلْعَبِيدِ قُتُولاً
أَضْحَى بِحُبِّكَ هَائِماً مَحْبُولاً
مَا إِنْ يَبِينُ لِمُبْصِرِهِ نُحُولاً
مَا إِنْ تَذُوقُ مِنَ الْمَنَامِ قَلِيلاً
حَتَّى الْمَسَاءِ بِذِكْرِكُمْ مَشْغُولاً
مَا خِفْتُ مَوْلَى بِالْهَوَى مَقْتُولاً
إِذْ كَانَ شَخْصُكَ فِي الْفُؤَادِ نَزِيلاً
أَوْ مَا تَخَافُ لَدَى الْحِسَابِ جَلِيلاً
مَا إِنْ أَرَى لَكَ فِي الْمِلَاحِ مَثِيلاً
(7 : 307-309)

47 — مُحَمَّدُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ أُمَيَّةَ

إِبْنُ عَلِيٍّ بْنِ خَلْفٍ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الْعَبْدَرِيُّ (260) مِنْ أَهْلِ مَيُوزَقَةَ مِنْ بِلَادِ
الْأَنْدَلُسِ شَابٌّ أَشْقَرُ قَصِيرٌ مِنْ حُفَاطِ الْقُرْآنِ الْعَزِيزِ، زَعَمَ أَنَّهُ دَرَسَ قَدْرًا مِنْ
عِلْمِ الْعَرَبِيَّةِ وَأَتَقَنَهُ، نَزَلَ حَلَبَ وَاسْتَوطنَهَا يَسْتَرْزِقُ مِنَ الْوَرَاقَةِ وَالنَّسْخِ، وَذَكَرَ
أَنَّهُ وُلِدَ سَنَةَ عَشْرٍ وَسِتِّ مِائَةٍ وَيَقُولُ الشَّعْرُ، أَنَشَدَنِي لِنَفْسِهِ بِحَلَبٍ، وَكَتَبَهُ لِي
بِحَظِّهِ فِي سَنَةِ أَرْبَعِينَ وَسِتِّ مِائَةٍ :

عُجَّ بِالْكَيْبِ الْمُسْتَهَامِ وَسُرَّ بِهِ
وَأَنْشَدَ فُؤَاداً ضَلَّ فِيهِ، وَقُلْ لَهُ
وَاسْفَحْ بِسَفْحِ الْأَبْرَقِينَ وَتُرْبِهِ
فَلَعَلَّهُ تُقْضَى لِبَانَةُ نَفْسِهِ
يَا مَدْنَفًا عَيْتَ السَّقَامِ بِجِسْمِهِ
مُتِّمًا نَحْوَ الْعَقِيقِ وَسُرَّ بِهِ
لَيْسَ الْمُتِّمُ آمِنًا فِي سِرْبِهِ
سَحَبَ الدَّمُوعِ عَلَى تَشْتُّ حِزْبِهِ
مَنْ قَبْلَ أَنْ يَقْضِيَ بِلُوعَةِ حَبِّهِ
وَمُتِّمًا لَعِبَ الْغَرَامِ بِلُبِّهِ

(260) لم أقف على ترجمة له في مصدر آخر.

وَطَوَى السَّرُورَ لِبَيْنِهِمْ يَوْمَ التَّوَى
خَفَضُ — فَدَيْتُكَ — زَفْرَةً أَبْدَيْتَهَا
كَئِىَ لَا يُقَالُ مِنَ الصَّبَابَةِ قَدْ صَبَا
وَمُهَفَّفِهِ، مَلِكُ الْقُلُوبِ بِحُسْنِهِ
لَدِنِ الْمَعَاطِفِ كَالْقَضِيبِ إِذَا انْتَنَى
سَلِسِ الْمَقَالِ مِنَ اللَّطَافَةِ سَهْلِهِ
يَقْرِى الْمُعْنَى سَلْوَةً وَتَجَهُمَا
أَهْدَى السَّقَامِ لَجْسِمِهِ وَلَطَرَفِهِ
يَا لَأَتَمَّ الصَّبِّ الشَّجِي فِي حُبِّهِ
شَتَانَ بَيْنَكُمَا تَبَيْتُ مُنْعَمًا

وقال أيضا :

سَلَامٌ يُبَارِي الْمِسْكَ وَالْمَنْدَلِ الرُّطْبَا
عَلَيْكُمْ يَبْتُ الشَّوْقَ مِنِّي إِلَيْكُمْ
تَحِيَّةُ نَائِي الدَّارِ وَالْأَهْلِ مَا قَضَى
يَجْنُ إِذَا هَبَّ النَّسِيمُ صَبَابَةً
وَيَسْتَنْجِدُ الصَّبْرَ الْجَمِيلَ إِذَا جَرَى
لَعَمْرِي مَا تَأْخِيرُ كَتَبِي عَنْ قَلِي
وَلَكِنْ رَيْبَ الدَّهْرِ يَا صَاحِبَ مُوَلَعٍ
تُطَوِّحُهُ أَيْدِي التَّوَى عَنْ أَهْلِيلِهِ
لَحَا اللَّهُ مِنْ لَا يَقْبَلُ الْعَذْرَ مِنْ أَخٍ
عَلَيْكُمْ سَلَامٌ اللَّهُ مَا جَنَّ غَاسِقٌ
وَمَا شَرَّقَتْ شَمْسُ النَّهَارِ وَأَشْرَقَتْ

وله أيضا :

أَشْمُ مُحَيًّا يُجْتَلَى وَجْهُهُ أَغْيَدُ
وَأَحْسَنُ زَهْرٍ يُجْتَنَى وَرْدُ خَدِّهِ

طَيِّ الْأَدِيبِ اللُّوْذَعِيِّ لِكُتْبِهِ
وَتَلَاَفَ جَفْنِكَ مِنْ إِسَالَةِ غَرْبِهِ
وَتَضَرَّمَتْ حُرْقُ الْجَوَى فِي قَلْبِهِ
وَسَبَى الْعُقُولَ بَيْتِهِهِ وَبِعُجْبِهِ
حُلُوِ الْمَرَاشِفِ وَالْمَقْبَلِ عَذْبِهِ
عَسِرِ الْوِصَالِ مِنَ الْقَطِيعَةِ صَعْبِهِ
وَيَظُلُّ يُعْمَلُ فِكْرُهُ فِي خِلْبِهِ
فَرَطُ السُّهَادِ وَصَدُّهُ عَنْ قُرْبِهِ
أَقْصِرْ بُلَيْتَ بَدَائِهِ مِنْ عَتْبِهِ
وَيَبْتُ مَلْتَبَ الْحَشَا مِنْ كَرْبِهِ

وَنَشَرَ نَسِيمِ الرُّوضِ عَنْ زَهْرِهِ هَبَا
وَيَمْنَحُكُمْ مَخْضَ الْمَوَدَّةِ وَالْقُرْبَا
لَهُ وَطَرًا لَكِنْ قَضَى نَحْبَهُ نَحْبَا
إِلَيْكُمْ، وَسَلَّ الْبَرْقُ مِنْ وَمُضِيهِ عَضْبَا
حَدِيثُكُمْ يَوْمًا فَهَاجَ لَهُ كَرْبَا
وَلَا مَلَلٍ مِنِّي فَأَسْتَوْجِبُ الْعَتْبَا
بِتَشْتِيتِ شَمْلِ الْمَرْءِ تَبًّا لَهُ تَبَّا
فَتَرَمِي بِهِ شَرْقًا، وَطَوْرًا بِهِ غَرْبَا
وَيُوسِعُهُ عَفْوًا وَإِنْ قَارَفَ الذُّبَا
وَمَا حَنَّ شَوْقًا عَاشِقٌ أَوْ رَعَى الشُّهْبَا
وَمَا صَدَّ أَحْوَى الْمَاقِ عَنْ مَدْنَفِ عَجْبَا

وَأَحْلَى حَدِيثَ لَا يُمَلُّ عَتَابُهُ
وَأَعَذَّبُ وَرْدَ يُسْتَلَدُّ رُضَابُهُ

وله أيضاً :

خَلِيلِي لَوْ مَا فِي الْهَوَى الصَّبُّ أَوْ دَعَا
وَهَلْ يَرْعَوِي فِي الْحُبِّ حَرَّانُ قَدْ غَدَا
وَهَلْ يَسْتَطِيعُ الْوَالَهُ الصَّبُّ سَلْوَةً
وَأُودَعَ مَا بَيْنَ الْجَوَانِحِ جَذْوَةً
وَقَلْقَلْ أَحْشَاءَ الْمُتَيْمِّمِ لَوْعَةً
يَهِيمُ بِجِرَانِ الْعَذِيبِ إِذَا سَرَى
تُمَارِجُهُ أَنْفَاسُهُمْ، فَكَأَنَّمَا
فَلَيْسَ وَإِنْ عَنَّفْتُمَا عَنْهُ مُقْلَعَا
مَنْ الْوَجْدِ لَا يُصْنَعِي إِلَى الْعَذْلِ مِسْمَعَا
وَقَدْ بَانَ مَنْ يَهْوَاهُ عَنْهُ وَوَدَّعَا
فَضَرَّمَهَا دَاعِي التَّفَرُّقِ إِذَا دَعَا
فَأَصْبَحَ مَذْغُورَ الْفُؤَادِ مُفَجَّعَا
نَسِيمٌ عَلَيْكَ مِنْهُمْ مُتَضَوِّعَا
تَحْمَلُ مِسْكَاً أَذْفَرَا فِيهِ مَوْدَعَا
(7 : 367-370)

48 — نَاهِضُ بْنُ إِدْرِيسِ الْوَادِاشِي⁽²⁶¹⁾

يُنْسَبُ إِلَى وَادِ آش مِنْ أَعْمَالِ غَرْنَاطَةِ كَانَ شَاعِرَ قُطْرِيهِ، وَأَشْعَرَ مِنْ ذَكَرٍ فِي
عَصْرِهِ، يَقُولُ فِي [قَصْرِ] السَّيِّدِ أَبِي يَحْيَى :
أَلَا حَبْدَا الْقَصْرِ الَّذِي آرْتَفَعَتْ بِهِ
هُوَ الْمَصْنَعُ الْأَعْلَى الَّذِي أَنْفَ الثَّرَى
فَأَرْكَبَ مَتْنِ النَّهْرِ عِزًّا وَرِفْعَةً
فَلَا زَالَ مَعْمُورَ الْجَنَابِ وَبَابُهُ
عَلَى الْمَاءِ مِنْ تَحْتِ الْحِجَارَةِ أَقْوَاسُ
وَرَفَعَهُ عَنْ لَثْمِهِ الْمَجْدُ وَالْبَاسُ
وَفِي مَوْضِعِ الْأَقْدَامِ لَا يُوجَدُ الرَّاسُ
يَغْصَرُ وَحَافِي أَفْقَهُ الدَّهْرُ أَغْرَاسُ
(9 : 137)

49 — هَاشِمُ بْنُ حَبِيبِ الْوَلِيدِ⁽²⁶²⁾

الْأَدِيبُ الْفَقِيهُ النَّحْوِيُّ الْخَطِيبُ الْمُقْرِيءُ الزَّاهِدُ الْبَيْغِيُّ يُنْسَبُ إِلَى بَيْغُو⁽²⁶³⁾

(261) انظر فيه المغرب لابن سعيد 2 : 145 ونفع الطيب 1 : 470، 5 : 70-71.

(262) لم أقف عليه فيما رجعت إليه من المظان.

(263) بيغه (بالامالة) أو باغه مدينة أندلسية تقع بين قرطبة وغرناطة. انظر فيها المغرب 2 : 154

ومعجم البلدان (باغه) والروض المعطار : 122 وتسمى اليوم PRIEGO.

وهي قلعة حصينة من أعمال غرناطة. كان أبو الوليد يتولى خطابتها، وكان رجلاً من خيار عباد الله الصالحين وأوليائه الأبرار العاملين، قارئاً للقرآن الكريم، كثير التلاوة له زاهداً متعبداً متفناً في كل فضل، قيماً بالعلوم الدينية والأدبية لا يقعد عن شيء منها بل يقوم بها أحسن قيام، وكان قد تصدّر لقراءتها، وإفادتها، والناس يغشونه، ويأتون إليه ويقرؤون عليه، ويستفيدون منه ويأخذون عنه، فتخرج به خلق كثير، وكان له مع ذلك النصيب الوافر والحظ الوافي في قرض الشعر، وقال منه قصائد مطولات، ومقاطيع مستحسنات، ومات مقتولاً استشهد على أيدي الفرنج في سنة اثنين وعشرين وست مئة رضي الله عنه (264).

أنشدني الشيخ أبو العباس أحمد بن محمد بن علي الأسدي البيغي (265) المقيء بحلب المخروسة في سنة ثمان وأربعين وست مئة، قال: أنشدني الشيخ الأستاذ الزاهد أبو الوليد هاشم بن حبيب البيغي لنفسه من قصيدة أولها:

بَانَ الْخَلِيطُ وَزُودُوكَ غَرَامَا فَأَبْتُ جُفُونَكَ أَنْ تَذُوقَ مَنَامَا
وَحَشَوَا فُؤَادَكَ لَوْعَةً لَا تَقْضِي وَنَأَوْا بِصَبْرِكَ ظَاعِنِينَ ظَلَامَا

ومنها:

نَادَيْتُ دَارَهُمْ، أَدَاراً لَمْ تَزَلْ أَلْقَى بِهَا الْغِزْلَانَ وَالْآرَامَا
يَا مَعَهْدَ اللَّذَاتِ يَا مُلْقَى الْمُنَى كُنْتُ الشِّفَاءَ فَقَدْ رَجَعْتَ سَقَامَا
يَبْكِي حَمَامُ الْأَيْكَ طَوَّلَ حَنِينِهِ وَلَرُبَّ مُشْتَاقٍ يَهْجُ حِمَامَا

وله أشعار كثيرة إلا أنني لم يقع إلي شيء منها غير ما أثبتته.

(9 : 185-186)

(264) في هذه السنة استولى الفتن على باغهم بمساعدة المعروف بالبياسي والعياذ بالله. انظر الروض المعطار: 122 ويبدو أن المترجم كان ممن استشهدوا في هذه الحادثة.

(265) لم أقف له على ترجمة، ويبدو أنه هو مصدر ابن الشعر في ترجمة بلدي.

50 — الهَيْثَمُ بْنُ جَعْفَرٍ

أَبُو الْمُتَوَكِّلِ الْإِشْبِيلِيُّ⁽²⁶⁶⁾ الْأَدِيبُ الْفَاضِلُ الشَّاعِرُ، مِنَ الْمُجِيدِينَ فِي عِلْمِ
الْأَدَبِ وَنَظْمِ الشُّعْرِ بِقُطْرِهِ، يَفُوقُ أَهْلَ زَمَانِهِ فَضْلاً وَفَهْماً وَفَصَاحَةً وَرَجَاحَةً.
وَمِنْ شِعْرِهِ مَا قَالَهُ عَلَى لِسَانِ غَيْرِهِ :

بَارِضَ رَيَّةَ⁽²⁶⁷⁾ أَوْطَانِي وَأَوْطَارِي وَلِي هَوًى فِيهِمْ عَارٍ مِنَ الْعَارِ
سَمِيَّ يَخْيِي وَلَكِنْ فِي لَوَاحِظِهِ عَصَا الْكَلِيمِ، فَمَاذَا صُنْعُ سَحَارِ
وَقَوْلُهُ، وَهُوَ أَوَّلُ شِعْرِ قَالَهُ فِي الْمَكْتَبِ :

هَلْ تَبَدَّى فِي النَّاسِ وَجْدٌ كَوَجْدِي بِهِلَالِ الْمَلَّاحِ يَخْيِي بَنِي رُشْدٍ
لَا حَ عُذْرِي لِلَّهِ مَا بِي مِنْ غَزَالٍ يَشِبُّ وَجْداً بِوَجْدِ
بَذُرٍ تَمَّ بَدَا فَقُلْتُ تَعَالَى جَدُّ رَبِّ أَهْدَاكَ يَا رَبِّ سَعْدِ

أَرَادَ بِقَوْلِهِ : اللّاهِي مِنَ اللّهُو. (9 : 323-324)

51 — يَحْيَى بْنُ أَحْمَدَ بْنِ يُوسُفَ بْنِ أَحْمَدَ

أَبُو زَكْرِيَا الْوَاعِظُ الْخُشْنِي⁽²⁶⁸⁾ مِنْ أَهْلِ غَرْنَاطَةَ ذَكَرَهُ الصَّاحِبُ الْوَزِيرُ أَبُو
الْبَرَكَاتِ الْمُسْتَوْفِي فِي تَارِيخِهِ⁽²⁶⁹⁾ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى وَقَالَ : وَرَدَ إِرْبِلَ، وَعَقَدَ بِهَا
مَجَالِسَ الْوَعِظِ، وَكَانَ لَهُ مِنَ الْعَامَّةِ قَبُولٌ عَظِيمٌ، كَانَ يَجِيءُ النَّاسُ أَكْثَرَ مَجَالِسِهِ،
فَيَتَكَفَّفُهُمْ، وَصَلَّهُ الْفَقِيرُ إِلَى رَحْمَةِ اللَّهِ تَعَالَى أَبُو سَعِيدٍ كُوكْبُورِي ابْنُ عَلِيٍّ بَكْتِكِينَ
بِصِلَةٍ وَأَرَادَ السَّفَرَ، فَأَمَرَ الْعَامَّةَ أَنْ يَطْلُبُوا مِنَ السُّلْطَانِ أَنْ يُقِيمَ عِنْدَهُمْ، فَأَجَابَهُمْ

(266) ترجمته في التكملة رقم 2023 والمغرب 1 : 258 واختصار القدح : 158 ورايات
المبرزين : 18 وبرنامج الرعياني : 191-195.

(267) أرض رَيَّة هي مالقة، ورية بالعجمية معناها الملكة.

(268) في تاريخ إربل : الحسنی.

(269) توجد ترجمة المذكور هنا لابن المستوفي ضمن هذا المجموع (ص 177).

إِلَى ذَلِكَ فِي خَامِسِ جُمَادَى الْآخِرِ مِنْ سَنَةِ تِسْعِ عَشْرَةِ وَسِتِّ مِئَةٍ، ثُمَّ قَالَ :
 أَنَشْدَنِي لِنَفْسِهِ مِنْ قَصِيدَةٍ طَوِيلَةٍ اِتَّزَمَ فِي اثْنَائِهَا الْإِثْنَانِ بِكَلِمَاتٍ مُنَوَّرَةٍ ذَكَرَهَا
 لِي تَبِينُ إِذَا كُتِبَتْ بِلَوْنٍ غَيْرِ الْمِدَادِ يَقُولُ مِنْهَا :

يَا دَوْحَةَ الْبَابِ مِنْ شَرْقِي كَاطِمَةٍ	سَقَاكِ مِنْ عِبْرَاتِ السُّحُبِ هَتَّانُ
لِسَاكِنِيكِ عَلَيْنَا خِدْمَةٌ وَلَنَا	عَلَيْهِمْ بِالْوَفَا عَهْدٌ وَإِيمَانُ
كَمْ أَعْدَلُ الْقَلْبِ فِي تَذْكَارِهِ لَهُمْ	دَنُّوا فَلَمَّا دَنَا وَصَلِي بِهِمْ بَانُوا
هُمْ عَلَّمُونِي الْهَوَى مَا كُنْتُ أَعْرِفُهُ	حَتَّى إِذَا وَلَجُوا بِأَبِ الْهَوَى نَخَانُوا
هُمْ الَّذِينَ بِسِحْرِ اللَّحْظِ قَدْ سَفَكُوا	دَمَ الْهُمَامِ وَشَرَعُ الْحُبِّ اذْعَانُ
فَإِنْ وَضَعْتُ يَدِي بِالصَّدْرِ أَكْتُمُ مَا	بِالْقَلْبِ غَادَرَهُ صَبْرٌ وَكِتْمَانُ

(9 : 364-365)

52 — يَحْيَى بْنُ إِسْحَاقَ

الْأَمِيرُ أَبُو زَكَرِيَّا الْمَيُورُقِيُّ (270) صَاحِبُ مَيُورَقَةِ وَوَدَّانَ كَانَ مَشْهُورًا بِالْبَاسِ
 وَالشَّجَاعَةِ بَطْلًا مِنَ الْأَبْطَالِ مِقْدَامًا فِي الْحُرُوبِ جَوَادًا سَخِيًّا، أَدِيبًا بَلِيغًا، شَاعِرًا
 فَصِيحًا، لَمْ يَقْعُ إِلَيَّ مِنْ شِعْرِهِ غَيْرُ بَيْتٍ مُفْرَدٍ مِنْ قَصِيدَةٍ، وَهُوَ :
 حَفِيتُ نَحِيلُنَا، وَعَزَّتْ عَلَيْنَا فَجَعَلْنَا لَهَا الْخُدُودَ نَعَالًا (270م)
 (9 : 367)

(270) من الأمراء المعروفين ببني غانية وكانوا ولاية على ميورقة في آخر عهد المرابطين فلما قامت
 دولة الموحدين كانوا شجى في حلقها وشنوا عليها الغارات في افريقية والمغرب الأوسط،
 وكان ليحيى المترجم هنا ووالده إسحاق دور كبير في هذه الغارات، وفي الرسائل الموحدية
 والمعجب والبيان المغرب والروض المعطار ورحلة التجاني ذكر لهما وانظر كذلك تحفة القادم
 ونفح الطيب.

(270م) بعد هذا بياض في الأصل تقديره نحو نصف صفحة.

53 - يَحْيَى بْنُ أَبِي بَكْرٍ بْنِ مَكِّي

أَبُو زَكْرِيَا الْكَاتِبُ التَّمِيمِي (271) مِنْ أَهْلِ بَجَايَةِ مِنْ بِلَادِ الْمَغْرِبِ كَانَ يَكْتُبُ لِبَعْضِ بَنِي عَبْدِ الْمُؤْمِنِ الْمُسْتُولِينَ يَوْمئِذٍ عَلَى الْبِلَادِ الْمَغْرِبِيَّةِ، وَكَانَ مِنَ الْأَفَاضِلِ فِي زَمَانِهِ أَدْباً وَكِتَابَةً وَقَوْلًا لِلشُّعْرِ وَحِفْظًا لِلأَشْعَارِ ذَا حَظٍّ جَزِيلٍ مِنْ عِلْمِ اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ.

حَدَّثَنِي أَبُو مُحَمَّدٍ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ يُوسُفَ الْفَرَّيَانِي بِحَلَبٍ، قَالَ : اتَّفَقَ أَنْ اجْتَمَعَ جَمَاعَةٌ مِنْ غُلَمَانِ صَاحِبِ الْمَغْرِبِ وَخَوَاصِّهِ يَرْمُونَ بِالنَّشَابِ، فَبَيْنَمَا هُمْ فِي ذَلِكَ إِذْ أَقْبَلَ الْأَمِيرُ حِينُذٍ، ثُمَّ قَصَدَ الْقِرْطَاسَ، فَأَزَالَهُ مِنْ مَكَانِهِ، وَوَضَعَ يَدَهُ عِوَضَهُ، وَقَالَ لِلرُّمَاقَةِ أَيُّكُمْ أَصَابَ يَدِي دَفَعْتُ إِلَيْهِ أَلْفَ دِينَارٍ، فَأَشَارَ إِلَيْهِ بَعْضُ الْحَاضِرِينَ، وَقَالَ : أَعِيدُكَ أَيُّهَا الْأَمِيرُ مِنَ السُّوءِ، هَذَا لَا يُمْكِنُ وَإِنَّمَا نَجْعَلُ مَوْضِعَ يَدِ الْأَمِيرِ الْهَدَفَ وَيُرْمَى، فَأَزَالَ يَدَهُ مِنْ ذَلِكَ، فَأَبْتَدَرَ أَحَدُ الْغُلَمَانِ، وَرَمَى، فَأَصَابَ الْهَدَفَ الَّذِي وَضِعَ، فَدَفَعَ إِلَيْهِ الْأَمِيرُ أَلْفَ دِينَارٍ، فَقَالَ أَبُو زَكْرِيَا بَدِيهَا فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ، وَكَانَ حَاضِرًا ذَلِكَ كُلَّهُ :

يَا خَامِسَ الْخُلَفَاءِ (272) الرَّاشِدِينَ عَسَى
عَلَّمَتْهَا الْبَسُطُ لِلْجَدْوَى لِسَائِلِهَا
لَمْ يُقْصِدِ السَّهْمُ إِلَّا كَيْ يُعَرِّفَنَا
شَكْوَايَ تَقْبِضُ فِي الْأَيْدِي وَتَقْتَرِضُ
حَتَّى مِنَ السَّهْمِ يَصْنَعِي لَيْسَ تَقْبِضُ
هَذَا الْإِمَامُ الَّذِي فِي كَفِّهِ الْغَرَضُ

وَأُنْشَدَنِي أَبُو زَكْرِيَا أَيْضًا مِنْ شِعْرِهِ :
بَكَيْتُ، فَمَا أَغْنَى الْبِكَاءُ، وَلَا أَجْدَى
وَمَا فَرْقَةُ الْأَحْبَابِ إِلَّا رَزِيَّةٌ
هُمْ أَوْرَثُوا قَلْبِي الصَّبَابَةَ وَالْجَوَى
أَيَا هِنْدُ لَا كَانَ الْفِرَاقُ وَيَوْمَهُ
فَكَيْفَ، وَقَدْ أَهْدَى لِي الْبَيْنُ مَا أَهْدَى
تُبِيدُ الْفَتَى هَمًّا، وَتَقْتُلُهُ وَجْدًا
وَهُمْ أَوْرَثُوا عَيْنِي الْمَدَامَعَ وَالسُّهْدَا
فَقَدْ طَالَ مَا شَقَّ الْقُلُوبَ وَمَا هَذَا

(271) له ترجمة في الذيل والتكملة 8 : 409.

(272) خامس الخلفاء الموحدين هو يوسف المستنصر، وقد ولي الخلافة، وسنه عشرة أعوام، والحكاية تدل على ذلك أيضا.

نَسِيرُ وَمَا نَذْرِي لِفُرْقَتَنَا مَدَى
 أَيَا هِنْدُ إِنِّي غَيْرُ رَاضٍ بِسَلْوَةٍ
 وَلَوْ كَانَ لِي بَدْءٌ عَنِ الْبُعْدِ وَالنَّوَى
 أَيَا هِنْدُ لَوْ أَبْصَرْتُ شَوْقِي وَلَوْ عَتِي
 أَعْنَدُكَ أَنِّي فِي بُحُورٍ مِنَ الْأَسَى
 فَهَاتِيكَ حَالِي وَالْدِيَارُ قَرِيبَةٌ
 سِوَى أَنَّ هَذَا الْبَيْنَ مَا بَيْنَنَا جَدًّا
 وَلَا نَافِضٌ وَدًّا، وَلَا نَاقِضٌ عَهْدًا
 أَقَمْتُ وَلَكِنْ لَمْ أَجِدْ عَنْهُمَا بُدًّا
 لَجَدَدْتُ لِي حُبًّا وَأَشْفَقْتُ لِي وَدًّا
 غَرِيقٌ، وَلَمْ أَبْلُغْ لَهَايَتَهَا حَدًّا
 فَكَيْفَ إِذَا مَا أَزْدَدْتُ عَنْ دَارِكُمْ بُعْدًا؟

54 — يَحْيَى بْنُ سُلَيْمَانَ بْنِ شَاوُولَ

أَبُو زَكَرِيَّا الْحَرِيزِيُّ⁽²⁷³⁾ الْيَهُودِي مِنْ أَهْلِ طَلِيطَلَةَ، كَانَ شَاعِرًا قَوِيَّ الْقَرِيحَةِ غَزِيرَ الْمَادَّةِ، لَهُ شَعْرٌ كَثِيرٌ فِي الْمَدْحِ وَالْهَجَاءِ، وَكَانَ بَذِيءَ اللِّسَانِ، نَحِيبَ الطَّوِيَّةِ، مَا مَدَحَ أَحَدًا إِلَّا وَعَادَ هَجَاءَهُ، وَصَنَّفَ مُصَنَّفَاتٍ بِاللِّسَانِ الْعِبْرِيِّ كَثِيرَةً، مِنْهَا (كِتَابُ الْمَقَامَاتِ)، وَمَقَامَةٌ مَفْرَدَةٌ سَمَّاها (الرَّوَضَةُ الْأَنْيَقَةُ) بِاللِّسَانِ الْعَرَبِيِّ، وَكَانَ ذَا قُدْرَةٍ فِي الشَّعْرِ، وَكَانَ يَعْمَلُ قَصَائِدَ أَنْصَافِ أَيْبَاتِهَا الْأُولَى بِالْعِبْرِيِّ، وَالْأَنْصَافِ الْآخِرُ بِالْعَرَبِيِّ، وَكَانَ قَدْ طَافَ الْبُلْدَانَ، وَجَالَ فِي أَقْطَارِهَا ثُمَّ سَكَنَ بِأَخْرَةَ حَلَبَ، وَلَمْ يَزَلْ بِهَا إِلَى أَنْ مَاتَ لَيْلَةَ الْأَرْبَعَاءِ لِلَّيْلَةِ بَقِيَتْ مِنْ ذِي الْقَعْدَةِ سَنَةً اثْنَتَيْنِ وَعِشْرِينَ وَسِتِّ مِئَةٍ.

وَقَدْ ذَكَرَهُ الصَّاحِبُ الْوَزِيرُ أَبُو الْبَرَكَاتِ الْمُسْتَوْفِي رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى وَقَالَ :
 وَرَدَ إِرْبِلَ فِي الْعَشْرِ مِنْ مُحَرَّمٍ مِنْ سَنَةِ سَبْعِ عَشْرَةٍ وَسِتِّ مِئَةٍ، وَحَدَّثَنِي
 أَنَّ اسْمَهُ بِالْعِبْرَانِيَّةِ يَهُوذَا، وَإِنَّمَا نَقَلَهُ إِلَى الْعَرَبِيَّةِ، وَكَانَ طَوِيلًا مِنَ الرُّجَالِ أَشِيبَ
 نَظًّا، سَأَلْتُهُ عَنْ مَوْلَدِهِ، فَقَالَ : عُمَرِي إِلَى هَذِهِ السَّنَةِ خَمْسٌ وَخَمْسُونَ سَنَةً،

(273) هو مترجم مقامات الحريري إلى اللغة العبرية وواضع المقامات العبرية على غرارها. وتوجد حوله دراسات بالعبرية وغيرها ويبدو أن هذه الترجمة لم تكن معروفة لدى دارسيه.

(274) لا توجد هذه الترجمة في القسم المطبوع من تاريخ إربل.

فَانْظُرْ مَتَى يَكُونُ مَوْلَدِي، ثُمَّ حَسَبَ مَعِيَ، فَأَخْطَأَ فِي تَنْزِيلِهِ، وَسَكَنَ بَيْنَ ظَهْرَانِي
الْفَرَنْجِ، وَكَلَامُهُ مَغْرِبِي، قَرِيبُ عَهْدٍ بِالْخُرُوجِ مِنْ بَلَدِهِ، تَرَاهُ كَأَنَّهُ يَغْتَرِيهِ سَهْوٌ،
وَكَنتُ أُخْبِرْتُ بِوُرُودِهِ، وَأَتْنِي عَلَيْهِ رَجُلٌ مِنَ الْيَهُودِ. وَأَنْشَدَنِي، قَالَ : أَنْشَدَنِي
الْحَرِيزِي لِنَفْسِهِ فِي التَّارِيخِ الْمُقَدِّمِ ذِكْرُهُ :

أَمَّا إِنَّهُ لَوْلَا مُحَجَّجَةُ الْخِذْرِ وَلَيْلِ طَرَقَتْ الْحَيَّ فِي بَرْدَةِ الدُّجَى
سَرَيْتُ إِلَيْهَا، حِينَ هَوَمَ قَوْمُهَا تُحِيطُ بِهَا بِيضُ الصَّوَارِمِ وَالْقَنَا
وَتَغُرُّ الْمَنَايَا بِاسْمٍ عَنْ أَسْنَةٍ وَقَدْ بَرَزَتْ فِي حُلَّةٍ ذَهَبِيَّةٍ
جَنَيْتُ بِهَا فِي جَنَّةِ الْحُسَيْنِ زَهْرَهَا لَثَمْتُ بِهَا هَيْفَاءَ رَيْمِيَّةِ الطَّلَا
لَمَّا فَضَحَتْ هَذِي الْمَدَامُ مِنْ سَرِي فَنَمْنَمَ بُرْدُ الْأَفَقِ بِالْأَنْجَمِ الزُّهْرِ
كَمِثِلِ حَبَابِ اسْتِدَارَ عَلَى خَمْرِ وَأَسَدٌ مِنَ الْأَبْطَالِ دَامِيَةُ الظَّفَرِ
وَيُسْفَرُ عَنْ حَدٍّ مِنَ السَّيْفِ مُحَمَّرٌ كَمَا اشْتَبَكَتْ زُهْرُ النُّجُومِ عَلَى الْبَدْرِ
بِمُخْصَبَةِ الْأَرْدَافِ مُجْدِيَةِ الْخَصْرِ مَدَامِيهِ الْأَمَى حَبَابِيَةِ الثَّغْرِ

ثُمَّ قَالَ أَبُو الْبَرَكَاتِ : هَذَا مَنْقُولٌ مِنْ قَوْلِ الْمُعْتَمِدِ مُحَمَّدِ بْنِ عِبَادٍ مَلِكِ
الْأَنْدَلُسِ :

وَكَمَ لَيْلَةٌ قَدْ بَتُّ أَنْعَمَ جَنْحَهَا بِمُخْصَبَةِ الْأَرْدَافِ طَيِّبَةِ النَّشْرِ (275)

(عاد شعر الطليطلي) :

وَبَتْنَا بِفَرْشِ الْوَصْلِ لَيْلًا وَفَوْقَنَا وَقَدْ لَاحَ وَجْهُ الصُّبْحِ حُسْنًا كَأَنَّهُ
تَبَسَّمَ لِلْقُصَادِ جُودًا وَكَفَّهُ وَلِلسَّيْفِ فِي يُمْنَاهُ لَمَحٌ كَأَنَّهُ
بِحَدِيثِهِ آثَارُ النَّجِيمِ كَأَنَّهَا مَلِيكَ يَلُودُ الْمَلِكِ مِنْهُ بِأَصِيدِ
عَلَيْهِ يَمِينٌ أَنْ تَجُودَ يَمِينُهُ لِحَافٍ فِرَاشٍ مَرْقَّتُهُ يَدُ الْبَحْرِ
بَشَاشَةٌ وَجْهِ الْمَلِكِ ذِي النَّائِلِ الْعَمْرِ تَبَسَّمَ فِيهَا النَّصْلُ عَنْ مَبْسَمِ الثَّغْرِ
شِهَابٌ بِهَا يَنْقُضُ أَوْ قَدَرٌ يَجْرِي شَقَائِقُ نُعْمَانٍ عَلَى ضِفَّتِي نَهْرٍ
صَقِيلِ فَرْنَدِ الْحَمْدِ وَالْعَرْضِ وَالْبَشْرِ بِيَذِلِ الْيَدِ الْعَذْرَاءِ وَالْفَتَكَةِ الْبَكْرِ

(275) هذا البيت من قصيدة المعتمد التي أولها :

أَلَا حَيَّ أَوْطَانِي بِشَلْبِ أبا بَكْرٍ وَسَلَّهَنْ هَلْ عَهْدُ الْوِصَالِ كَمَا أَذْرِي

بِعَزْمٍ يَهْدُ الطُّودَ هَذَا وَنَجْدَةَ تَهْزُ قُدُودَ السُّمْرِ فِي كِلِّ حُمْرِ

قال أبو البركات : إلى هاهنا أنشدني ولم أسمع منه، وأنشدته عنه قوله :
وَذِي قَلَمٍ إِنْ صَالَ يَوْمًا بِكَفِّهِ نَسِيتَ بِهِ فِعْلَ الرَّدِينِيهِ السُّمْرِ
بَيَاضُ مَعَانِيهِ بِسُودِ سَطُورِهِ يُرِيكَ صَبَاحَ الْوَصْلِ فِي لَيْلَةِ الْهَجْرِ
لَبِيبٌ فَمَا تَذَرِي أَرَأَيَْا لِحَادِثِ يُدَبِّرُ أُمَّ سَهْمًا إِلَى غَرَضٍ يَبْرِي
تَقْسَمُهُ جُودٌ يَفِضُ وَهَمَّةٌ فَمِنْ مَنَهْلٍ غَمْرٍ وَمِنْ جَبَلٍ وَغْرِ
رَمِيتَ بِأَمَالِي إِلَيْهِ وَإِنَّمَا حَمَلْتُ بِهَا الْمَرْعَى الْجَدِيبَ إِلَى الْقَطْرِ

وأنشدني، قال : أنشدني الحريري لنفسه يمدح السلطان الملك الأشرف شاه
أرمنَ مظفر الدين أبا الفتح موسى بن أبي بكر بن أيوب⁽²⁷⁶⁾ رحمه الله تعالى :
بِسُيُوفٍ عَزَمْتَكَ الْقَضَاءُ يَصُولُ وَمَضَاءُ بِأَسِكَ فِي يَدِيهِ نُصُولُ
لِفِرْنِدٍ سَيْفِكَ مِنْ بَهَائِكَ رَوْنُقُ بِكَلِيمَا مَاءِ الْجَلَالِ يَجُولُ
قَدْ حُزْتُ بِأَسِكَ مَعَ نَدَى لَكَلِيمَا أَبَدًا سَيْوْفٌ تَنْبَرِي وَسُيُولُ
فَلَقَدْ ثَنَيْتَ الْلَيْثَ وَهُوَ فَرِيَسَةٌ وَلَقَدْ تَرَكْتَ الْغَيْثَ وَهُوَ بَخِيلُ
وَلَمَّا ذَكَرْتَ عَلَى الْعَدَا يَوْمَ الْوَعَى مِنْ ذَكَرَكَ نَفْسَ الْكِمَاةِ تَسِيلُ
مَا لِي وَشَرَحَ خِلَالَكُمْ فَخِلَالَكُمْ كَالصَّبْحِ لَا يُبْقَى عَلَيْهِ دَلِيلُ
لَكِنْ وَصَفَكَ مَفْحَمَ أَهْلِ النَّهْيِ سَيَانُ فِيهِ عَالَمٌ وَجَهْلُولُ
قَالَ الْعَدَى مَا لِلْيَهُودِ وَلِلنَّدَى فَأَجَبْتَهُمْ أَخْطَاكُمْ التَّخْصِيلُ
مَا شَقَّ مُوسَى بَحْرَ جُودٍ لِلْوَرَى إِلَّا لِيَعْبُرَ فِيهِ إِسْرَائِيلُ

وأنشدني أبو الفتح محمد بن أبي الخير ابن أبي المعمر بن إسماعيل التبريزي
باربل رحمه الله تعالى قال : أنشدني أبو زكريا يحيى بن سليمان الحريري لنفسه :
أَرْضٌ سَقَتْ غِيْطَانَهَا أَغْطَانَهَا وَزَهَتْ عَلَى كُثْبَانِهَا قُضْبَانَهَا
سَلَبَتْ فَوَادِي حُورَهَا وَنُحُورَهَا وَسَطَّتْ بِنَا وَلِدَانَهَا وَلِدَانَهَا
ثَمَلَتْ بِكَأْسٍ عُقَارَهَا أَزْهَارَهَا حَتَّى اغْتَدَى جِرَانَهَا رِيحَانَهَا

(276) انظر ترجمة الملك الأشرف موسى الأيوبي المدوح بهذه القصيدة والتي قبلها في وفيات
الأعيان 5 : 330-336.

وَلَيْسَ جَلَا آثَارَهَا آذَارَهَا
وَالشَّمْسُ بِالْجَمَلِ الْمُنِيرِ تَزِينَتْ
وَكَوَاعِبُ سَلَتْ صَوَارِمَ لَحِظَهَا
وَلَقَدْ تَلَأْ دُرُّهَا بِنُحُورِهَا
فَتَكَتْ بِالْبَابِ الْكُماةِ فَسَيْفُهَا
لَمْ تَبْقِ شَخْصاً بِالْبَسِيطَةِ سَالماً
خَوْدٌ نُفُورٌ نَافَرَتْ أَقْرَاطُهَا
فَاشْرَبَ بِأَرْضِ غَازِلَتِهَا مُزْنَةً
فَتَعَاشَقَتْ وَتَعَانَقَتْ أَفْنَانُهَا
وَتَصَاحَبَتْ وَتَجَاوَبَتْ أَطْيَارُهَا
وَتَنَسَّمَتْ وَتَبَسَّمَتْ أَيَّامُهَا
بِمُدِيرِهَا وَمُنِيرِهَا وَمُجِيرِهَا
بِحَكِيمِهَا وَعَمِيمِهَا وَكَرِيمِهَا
دَوْحُ الْمُنَى عَذْبُ الْجَنَى عَالِي السَّنَا
فَتَجَدَّدَتْ بَيْنَهُ أَيَّامُهَا
جَادَتْ يَدَاهُ حَيَا نَدَاهُ عَلَى النَّفُو
لَيْثُ الشَّرَى غَيْثُ الْوَرَى نَجْمُ الشَّرَى
فَجَمَالُهُ أَعْمَالُهُ وَنَوَالُهُ
شَهْمٌ غَدَا هَدْيُ الْهُدَى أَنْ أَوْقَدَا
بِجَنَابِهِ نَشَرَ الْهُدَى رَايَاتِهِ
عَزَمَ سَمَا بَارَى السَّمَا مَاضِي الشَّبَا
يَا كَامِلاً بَلْ فَاضِلاً يَا فَاعِلاً
إِنْعَمَ بَعِيدٌ بَلْ سَعِيدٌ فِي مَزِيدٍ
لَكَ فِي الْمَآثِرِ دَوْلَةٌ بَلْ صَوْلَةٌ

فَلَقَدْ حَوَى أَحْسَانُهَا نِيسَانُهَا
لَمَّا رَأَتْ مَا زَانَهَا مِيزَانُهَا
فَكَأَنَّهَا أَجْفَانُهَا أَجْفَانُهَا
وَزَهَا بِجِيدِ قِيَانِهَا عِقْيَانُهَا
مِنْ طَرْفِهَا، وَسَنَانُهَا وَسَنَانُهَا
إِلَّا سَبَى إِنْسَانُهَا إِنْسَانُهَا
وَحَلَتْ بِهَا خِلَانُهَا خِلَانُهَا
فَكَأَنَّهَا هَتَّانُهَا فَتَّانُهَا
وَتَصَافَحَتْ وَتَنَاوَحَتْ أَغْصَانُهَا
وَتَدَاوَلَتْ وَتَبَادَلَتْ أَلْحَانُهَا
وَتَهَلَّلَتْ وَتَكَلَّلَتْ أَرْمَانُهَا
وَمُعِيرِهَا حُسْنًا جَلَاهُ عِيَانُهَا
وَزَعِيمِهَا عُقْدَتْ لَهُ تَيْجَانُهَا
سَحَبُ الْغَنَى يُرَوِّى بِهَا ظَمَانُهَا
وَتَوَطَّطَتْ بِعَلَائِهِ أَرْكَانُهَا
سِرٌّ وَمَا انْجَلَى حَتَّى انْجَلَى جِرْمَانُهَا
نَارُ الْقَرَى تَغْشُو لَهَا ضِيْفَانُهَا
أَمْوَالُهُ سَوَالُهُ خُزَّانُهَا
نَارُ النَّدَى قَلْبُ الْعِدَا قُرْبَانُهَا
فَحَكَى قُلُوبَ عُدَاتِهِ خَفَقَانُهَا
مَهْمَى الظُّبَا لَيْسَ الدَّمَى غَرْبَانُهَا
مَا قَصَّرَتْ عَنْ فِعْلِهِ أَعْيَانُهَا
يَدٌ مِنْ أَيْدٍ أَيْنَعَتْ أَفْنَانُهَا
بَلْ جَوْلَةٌ حَازَ الْمَدَى فُرْسَانُهَا
(9 : 453-460)

55 — يَحْيَى بْنُ عَبْدِ الْوَاحِدِ

ابن عُمَر بن يَحْيَى الأمير أَبُو زَكْرِيَا ابن أَبِي مُحَمَّد الهَنْتَاتِي (277) ملك إفريقية ذكره صاحب الدُرَّة الفائقة في محاسن الأفارقة، وَأَثْنَى عَلَيْهِ جَمِيلاً، وَقَالَ عَقَبَ تَرْجَمَةَ أَبِيهِ الشَّيْخِ أَبِي مُحَمَّدٍ : «وَمِنْهُمْ وَلَدُهُ الطَّاهِرُ النَّجِيبُ الزَّكِيُّ الْأَرِيبُ السَّلْطَانُ الْأَعْظَمُ الْمَلِكُ الْهَمَامُ الْمُؤَيَّدُ الْمُعَانُ الْمَنْصُورُ الْمُظْفَرُ لَمْ يَرِثِ الْمَجْدَ عَنْ كِلَالَةٍ، وَلَكَّانَ الْمُلْكُ خُلِقَ إِلَّا لَهُ، هَيْبَةٌ تَنْسِفُ الْجِبَالَ نَسْفًا، وَرَحْمَةٌ تَسْعُ أَهْلَ الْأَرْضِ حَنَانًا وَعَطْفًا، وَشَجَاعَةٌ يَنْشِي بِهَا الدَّهْرُ عَنْ غَزَائِمِهِ، وَصَرَامَةٌ بَطَلَتْ مَلَكَ الْمَوْتِ السَّلَامَةَ مِنْ صَوَارِمِهِ، مَعَ ذِكَايَ كَالنَّارِ، وَخُلُقٍ أَلِينٍ مِنَ الْمَاءِ الْجَارِ، وَأَدَبٍ أَغْضَ مِنَ الرِّيَاضِ، وَنَظْمٍ وَنَثْرٍ أُسْحَرَ مِنَ الْحَدَقِ الْمَرَاضِ، أُمَّ إفريقية وَقَدْ نَجَمَ فِيهَا النِّفَاقُ، وَقَامَتِ الْفِتْنَةُ عَلَى سَاقٍ، وَخَلَّتْ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالرِّجَالِ، وَرِيعَ

(277) هو مؤسس الدولة الحفصية، له ترجمة أيضا في فوات الوفيات 2 : 632-633 وأخباره مبسطة في كتب التاريخ ومنها البيان المغرب والعبر وغيرهما، وانظر على الخصوص الفارسية : 112 وتاريخ الدولتين : 23-32 أما كتاب الدرة الفائقة فهو للتيفاشي ويعتبر في عداد الكتب المفقودة، وهذه الترجمة المنقولة منه تقدم أنموذجا لكتابة الترجمة عند التيفاشي وقد كان الأستاذ المرحوم محمد إبراهيم الكتاني أعطاني صورة من أوراق تشتمل على طائفة من أخبار أبي زكرياء وأشعاره وهي كما يلي : 1 — قصيدة يائية طويلة في سياسة مُلْكِهِ وأحواله مع العرب وأولها :

سلوا في التواريخ العصور الماضية أَلَاقَتْ لَدَيْهَا مِثْلَ مَا فِي زَمَانِيَا
وهي تناهز للتسعين بيتا. 2 — قصيدة يائية تقع في أزيد من سبعين بيتا. 3 — أخرى رائية في ثلاثين بيتا. 4 — أخرى رائية أيضا في مخاطبة شيخ من العرب اسمه حامد بن يزيد. 5 — قطعة يائية في العرب وغدرهم. 6 — قصيدة رائية طويلة يذكر فيها وقائعه ووقائع الملوك السابقين. 7 — قطعة شينية في العرب. 8 — قطعة يائية في الغزل. 9 — قصيدة ميمية في الغزل أيضا. 10 — قصيدة ميمية أخرى في الغزل كذلك. 11 — تحميس. 12 — قصيدة يذكر فيها وقعة يوم غيلان.

هذا وقد ذكر ابن قنفذ في الفارسية (112) أن أبا زكرياء «كان معدوداً من العلماء وفي الشعراء النبلاء وله شعر مندون» ومن الغريب أن ابن الأبار ذكر في الحلة السيرة (2 : 279-292) بعض شعراء البيت الحفصي ولم يعد أبا زكرياء منهم وأغلب الظن أن هذا الشعر الذي ينسب إلى بعض هؤلاء هو من نظم كتابهم على ألسنتهم.

فِيهَا فِي الْخُدُورِ رَبَّاتُ الْحِجَالِ، فَأَمَّنَ سِرْبَهَا، وَأَزَالَ خَوْفَهَا وَجَدْبَهَا، وَأَعَادَ
 [خَصْبَهَا]، وَضَرَبَ بِعَرَبِهَا بَرَبَرَهَا، وَبَرَبَرَهَا عَرَبَهَا، حَتَّى فَرِحَ بَعْضُهُمْ بِبَعْضٍ،
 وَجَعَلَ الذَّنَابَ وَالنَّقَدَ تَرْدُ فِي حَوْضٍ، وَجَنَّدَ الْأَجْنَادَ وَرَتَّبَ بَيْتَ الْمَالِ، وَبَسَطَ
 عَلَى تُخُومِ الْمَشْرِقِ يَدَهُ الْيُمْنَى وَعَلَى تُخُومِ الْمَغْرِبِ يَدَهُ الشِّمَالِ، فَأَمَّنَ السَّبِيلَ
 مِنْ بَابِ ثُونِسَ إِلَى ثَغْرِ الْأَسْكَندَرِيَّةِ غَايَةِ الْأَمَانِ، وَقَطَعَ دَابِرَ الْمُفْسِدِينَ عَرْضاً
 مِنْ ثُونِسَ إِلَى أَبْوَابِ تَلْمَسَانَ، فَدَانَتْ لَهُ الْبَرَبُرُ وَالْعَرَبُ وَهُمَا الْمُتَمَرِّدَانِ عَلَى
 الْمُلُوكِ فِي الْقَدِيمِ وَالْحَدِيثِ مِنَ الزَّمَانِ، وَصَارَتِ الْأَنْدَلُسُ تَسْتَصْرِخُهُ وَالْمَغْرِبُ
 الْأَقْصَى يَطْلُبُ مِنْهُ الْأَمَانَ، ثُمَّ أُنْشِدَ مِنْ خَمْرِيَاتِهِ :

وُضِعَتْ فِي الزُّجَاجِ فَالْتَهَبَتْ وَكَسَتْهُ بَرْقاً مِنَ اللَّهَبِ
 وَعَلَا فَوْقَهَا الْحَبَابُ فَلَمْ تُبْصِرِ الْعَيْنُ مِثْلَ ذَا الْعَجَبِ
 ضَرَمُ النَّارِ فَوْقَهُ بَرْدٌ كَأَنَّ عَنْهُ مِنْهُ فِي النَّسَبِ
 مِثْلَ دُرِّ الْجَمَانِ نَظْمُهُ نَاطِمٌ فَوْقَ عَسْجِدِ الذَّهَبِ

وَقَالَ أَيْضاً :

حَنَانِيكَ رِفْقاً كَمْ تُطِيلُ صَبَابِي وَتَذْكِي غَرَاماً أَوْهَنَ الْصَّبِّ حَمْلُهُ
 تَقْطَعُ وَجداً إِذْ تَنْفَسُ زَفَرَةً الْأَخْبَابَنَا بِالْجَزَعِ وَالْعَيْسُ مَعْرِقُ
 أَجْدُكُمَا هَلْ لِلْمَشُوقِ لَدَيْكُمَا وَهَلْ تَذْكُرَانِ الْعَهْدَ وَالْعَهْدُ نَارُحُ
 أَمَالِكَةُ قَلْبِ الْعَمِيدِ تَعْطُفُأُ عَلَى هَائِمٍ أَعْيَاهُ حَمْلُ غَرَامِهِ
 فَلَمْ يُبْقِ فِيهِ الْبَيْنُ إِلَّا تَنْفُساً وَلَمْ يُبْقِ مِنْهُ الشَّوْقُ إِلَّا تَوْهُمًا

(10 : 6-9)

56 — يَحْيَى بْنُ غَانِمٍ

أَبْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ يُوسُفَ بْنِ صَالِحٍ أَبُو زَكْرِيَا الْخَزْرَجِيُّ (278) مِنْ أَهْلِ
غَرْنَاطَةَ. كَانَ رَجُلًا مِنْ أَهْلِ الْقُرْآنِ وَالْأَدَبِ وَيَقُولُ شِعْرًا لَا بَأْسَ بِهِ، أَنُشِدَنِي
مَنْ شِعْرَهُ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ يُوسُفَ بْنِ مُحَمَّدٍ الْإِشْبِيلِيُّ الْبَرْزَالِيُّ (279) رَحِمَهُ
اللَّهُ تَعَالَى بِحَلَبَ، قَالَ : أَنُشِدَنِي أَبُو زَكْرِيَا يَحْيَى بْنُ غَانِمٍ بْنِ مُحَمَّدٍ الْخَزْرَجِيِّ
الْغَرْنَاطِيِّ لِنَفْسِهِ :

خَلِيلِي مَا لِلْوَالِدِ الْمُتَغَرَّبِ بِأَرْضِكُمَا قَدْ فَاتَهُ كُلُّ مَطْلَبِ
خَلِيلِي قَوْلًا وَالْحَدِيثُ كَمَا حَكَّوْا شُجُونًا وَدَهْرِي سَاخِرٌ بِكُمَا وَبِي
هَلِ الزَّمَنُ الْمَاضِي بِمَا قَدْ مَضَى بِهِ يَعُودُ وَلَوْ مِنْ كُلِّهِ بِالتَّقَرُّبِ

ومنها في المديح :

سَأَصْرَفُ آمَالِي إِلَى ذُرْوَةِ الْعُلَا وَأَوْقُفُهَا بِالْأُسْعَدِ بْنِ مُقَرَّبِ (280)
هُوَ الْمُلْجَأُ الْمُفْضِي إِلَى كُلِّ غَايَةٍ بَجْدٍ وَجَدَ أَشْرَبًا بِتَهْدِ
إِمَامٍ هَدَى أَحْيَا بِهِ اللَّهُ شِرْعَةً مَنْ آلَدِينَ قَدْ نِيَطَتْ إِلَى خَيْرِ مَذْهَبِ
وَمَهْمَا دَجَا لَيْلُ الْخِلَافِ لِشُبُهَةِ فَارَاوَهُ تَجَلُّو دُجَى كُلِّ غَيْهَبِ
أَيَا مَنْ لَهُ الْقَيْتُ كُلُّ مَقَالِدِي وَجِئْتُ إِلَيْهِ سَبَسَبًا بَعْدَ سَبَسَبِ
وَعَوَّلْتُ فِي تَوْمِي عَلَى يَقْظَاتِهِ فَهَنْ زُلَالِي إِنْ تَكَدَّرَ مَشْرِبِي

(278) لم أقف على ذكر له فيما رجعت إليه من المظان.

(279) هو الحافظ الرِّحَالُ الملقب في المشرق بزكي الدين. له ترجمة في الوافي بالوفيات 5 : 262 وفي حاشية المحقق ذكر لمصادر ترجمته.

(280) وصفه ابن سعيد في الغصون اليبانة (89) بأنه «شيخ علماء الاسكندرية» وجاء في مستفاد الرحلة للتجيبى ما يلي (52) : «الشيخ الامام الحافظ العدل أبو القاسم عبد الرحمن بن أبي الحسن مقرب بن عبد الكريم بن الحسن بن عبد الكريم بن مقرب الكندي السكوني التجيبى الاسكندري المالكي.. ووفاته بها (الاسكندرية) يوم السبت لإحدى عشرة ليلة خلت من صفر ثلاث وأربعين وستمائة» وانظر سنداً يرويه الماقرى شيخ ابن عبد الملك عن هذا الفقيه المحدث بالإجازة في الذيل والتكملة 1 : 259، 8 : 379 وانظر فيه أيضا المقتطف لابن سعيد : 219.

أَجْرُنِي فَإِنَّ الدَّهْرَ مَا قَدْ عَلِمْتُهُ وَهَذِي اللَّيَالِي أُولِعْتُ بِالتَّقَلُّبِ
بَقِيتَ مَدَى الْأَيَّامِ تُرْجَى وَتُنْقَى وَلَا زِلْتُ ذُخْرَ الْوَالِهِ الْمُتَغَرَّبِ
وَدُمْتُ دَوَامَ الدَّهْرِ فِي خَفْضِ عَيْشَةٍ وَتَبْلِيغِ آمَالٍ وَرَفْعَةِ مَنْصِبِ

وَأُنْشِدُنِي أَيْضاً قَالَ : أَنُشِدُنِي أَبُو زَكَرِيَاءَ لِنَفْسِهِ :

الْحَمْدُ لِلَّهِ نَسْتَدِيمُ بِهِ دَوَامَ عَافِيَةِ الْمَوْلَى وَرَاحَتَهُ
وَالشُّكْرُ لِلَّهِ شُكْرًا نَسْتَزِيدُ بِهِ فِي عُمْرِهِ وَنَهْنِيهِ إِقَالَتَهُ
يَا مَنْ بِهِ وَعَوَافِيهِ أَضَاءَ لَنَا وَجْهَ الزَّمَانِ وَأُولَانَا سَمَاحَتَهُ
إِنَّ الزَّمَانَ أَرَانَا مِنْ تَصَرُّفِهِ عَجَائِبًا أُحْكَمَتْ فِيْنَا إِرَادَتَهُ
وَلَمْ يَزَلْ يَا سَلِيلَ الْمَجْدِ يَضْرِبُنَا ظَهْرًا لِبَطْنِ وَيُولِينَا نِكَائَتَهُ
وَلَيْتَهُ إِذْ سَطَا أَبْقَى وَلَوْ رَمَقًا نَأْوِي إِلَيْهِ وَنَسْتَسْقِي بُلَائَتَهُ
وَمِثْلُكُمْ مَنْ شَكَا مِثْلِي إِلَيْهِ وَمَنْ يُشْكِي الْغَرِيبَ وَيُرْعِيهِ رِعَايَتَهُ
يَا مَنْ أَنَارَ مَنَارَ الْعَدْلِ فِي نَفْرِ كُلِّ إِلَى ضِدِّهِ قَدْ مَدَّ رَاحَتَهُ
بَقِيتَ لِلْحَقِّ تُعْلِيهِ وَدُمْتُ أَبَا مُحَمَّدٍ لِلْعُلَا تُعْلِي إِشَادَتَهُ
مَا أُمَّ وَجْهَةَ بَيْتِ اللَّهِ مُعْتَمِرٌ يَمْحُو بِخَطْوِ مَطَايَاهُ خَطِئَتَهُ

وَنَقَلْتُ مِنْ خَطِّهِ قَوْلَهُ يَمْدَحُ الصَّاحِبَ الْإِمَامَ كَمَالَ الدِّينِ أَبَا الْقَاسِمِ عُمَرَ
ابْنَ أَحْمَدَ بْنِ هَبَةَ اللَّهِ بْنِ أَبِي جَرَادَةَ الْفَقِيهَ الْحَنْفِيَّ الْعُقَيْلِيَّ (282) :

لَوْلَا مُلَاحَظَتِي عُيُونَ الْعَيْنِ مَا كُنْتُ أَقْنَعُ فِي الْعُلَى بِالْذُّونِ
وَلَقَدْ يُقَالُ سَلَا وَلَوْ كَانَ الَّذِي قَالُوهُ مَا اسْتَنْجَزْتُ وَعَدَ ضَنِينِ
قُلْ لِلْغَوَانِي قَدْ كَبُرَتْ عَنِ الصَّبَا وَغَدَتْ دَوَاعِي شَاخَتِي تَدْعُونِي
وَتَرَكْتُ لِلشَّوْقِ الدِّيَارَ وَأَهْلَهَا وَقَصَدْتُ مُتَجِعًا كَمَالَ الدِّينِ
رَبُّ الْحِمَى الْأَحْمَى الَّذِي نَزَّاهُ أَلْفَوْهُ بَيْنَ قَرَارَةٍ وَمَعِينِ
وَالْعَالِمُ الصَّدْرُ الَّذِي بِفَنَائِهِ مَاوَى الْغَرِيبِ وَرَاحَةَ الْمُسْكِينِ

(281) من الصعب معرفة هذا الممدوح المذكور بكنيته فقط.

(282) هو ابن العديم مؤلف بغية الطلب في تاريخ حلب، وقد تقدم ذكره.

وَالْمُنْتَقَى مِنْ سَادَةِ مَا مِنْهُمْ
 طَلَّقَ الْمُحْيَا سَيِّدَ مُتَوَاضِعٍ
 وَإِلَيْكَهَا يَا ابْنَ الْعَدِيمِ عَجَالَةً
 مُتَحَيِّرٌ مَا إِنْ يَرَى مُسْتَحْسِنًا
 وَقِيَتْ أَسْبَابَ الْفِرَاقِ وَدُمْتَ فِي
 وَبَقِيَتْ فِي حَلَبٍ عَلَى رَغَمِ الْعَدَى
 إِلَّا مَكِينٌ يَتَّصِلُ لِمَكِينِ
 بَادِي السَّكِينَةِ شَامِخُ الْعَرْنِينِ
 مِنْ ذِي غَرَامٍ وَإِلَيْهِ مَحْزُونِ
 وَكَأَنَّهُ فِي عَقْدِهِ التَّسْعِينَ
 دَعَا وَلَا حُمِلَتْ مِثْلُ شُجُونِي
 فِي كُلِّ نَحْطٍ مُنْجِدِي وَمُعِينِي
 (10 : 39-42)

57 - يَحْيَى بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ عَلِيٍّ

ابن مُجَاهِدِ بْنِ مُجَاهِدِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ سَعِيدِ بْنِ خَلْفِ بْنِ عُبَيْدِ اللَّهِ
 ابْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ سَمَاعَةَ بْنِ سَلَمَةَ بْنِ مَارِزِ بْنِ مَالِكِ أَبُو زَكَرِيَاءَ
 الْخَزْرَجِيُّ⁽²⁸³⁾، مِنْ أَهْلِ تِلْمَسَانَ، مِنْ بِلَادِ الْعَرَبِ نَزَلَ حَلَبَ وَسَكَنَهَا وَأَدَّبَ
 سُلْطَانَهَا الْمَلِكُ النَّاصِرُ صَلَاحُ الدِّينِ يُوسُفُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ غَازِي، خَلَدَ اللَّهُ مُلْكَهُ.
 شَاهَدَتْهُ بِحَلَبَ الْمَخْرُوسَةِ بِمَجْلِسِ الصَّاحِبِ الْوَزِيرِ مُؤَيِّدِ الدِّينِ أَبِي نَصْرِ إِبْرَاهِيمَ
 ابْنِ يُوسُفَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ الشَّيْبَانِيِّ⁽²⁸⁴⁾، أَدَامَ اللَّهُ إِقْبَالَهُ فِي رَبِيعِ الْأَوَّلِ سَنَةَ خَمْسٍ
 وَثَلَاثِينَ وَسِتِّ مِئَةٍ، وَسَأَلَتْهُ عَنْ وَلَادَتِهِ، فَقَالَ : لَا أَتَحَقَّقُهَا، غَيْرَ أَنَّ لِي الْآنَ
 ثَمَانِيًا وَثَلَاثِينَ سَنَةً، وَهُوَ مِنْ أَهْلِ الْأَدَبِ وَالْفَضْلِ، وَيَحْفَظُ الْقُرْآنَ الْكَرِيمَ، وَيَقُولُ
 الشُّعْرَ الْحَسَنَ، أَنَشِدَنِي لِنَفْسِهِ يَمْدَحُ الصَّاحِبَ مُؤَيِّدَ الدِّينِ أَبَا نَصْرِ الشَّيْبَانِي أَسْعَدَهُ
 اللَّهُ تَعَالَى :

سُرُورُكَ مَا هَبَّ النَّسِيمُ يَدُومُ وَعِزُّكَ مَمْدُودُ الرُّوَاقِ عَمِيمُ

(283) لم أقف عليه في غير هذا المصدر؛ والملك الناصر الذي كان هذا الفقيه التلمساني مؤدبا له هو آخر ملوك بني أيوب (627-659هـ) انظر ترجمته في الاعلام للزركلي 9 : 331-330.

(284) هو أخو الوزير جمال الدين ابن القفطي المؤرخ المعروف. انظر ترجمته في الوافي بالوفيات 6 : 172 والمراجع المذكورة في الحاشية.

وَسَعْدُكَ ضَافٍ وَالْمُؤْمَلُ طَوْعُهُ
تَنَّتْ نَحْوَكَ الشُّهُبُ الْجَوَارِي سَعُودَهَا
وَمَنْ كَانَتْ الْعَلْيَاءُ بَعْضُ خِلَالِهِ
لَكَ الْخَيْرُ مَا ذَرَتْ شَوَارِقُ أَوْ سَرَى
يَمُرُّ عَلَى زَهْرِ الرِّيَاضِ مُغْلَسًا
وَمَا طَرَبِي مِنْ سَاجِعٍ فَوْقَ أُيْكَةٍ
وَيَعْتَادُنِي عَيْدُ الْأَمَانِي الَّتِي خَلَتْ
بِاطْرَبَ مِنِّي وَالْمُؤَيَّدُ كَافِلٌ
فَتَى وَشَحَّ الْعَلْيَاءُ فَاحْتَلَّ رُتْبَةً
عَلَا، فَعَلَا نَادِيهِ أَبْهَجُ مِيسَمٍ
إِذَا خَطَّ فِي طَرَسٍ أَقَرَّتْ لَزْهَرِهِ
وَيَنْظُمُ فِي سِلْكِ الْكَلَامِ فَرَايِدًا
إِلَيْهِ تَنَاهَى الْفَضْلُ وَالْفَضْلُ لَمْ يَزَلْ
عَلَيْكَ بِهِ مَعْنَى يُكَسِّبُكَ الْغِنَى
يُسَرُّ بِنُجْحِ الْحَاجِّ مِنْ كُلِّ قَاصِدٍ
لَهُ خُلُقٌ رَاقٍ أَرَقُّ شَمَائِلًا
تُدَاوِي بِهِ مَرْضَى الْهُمُومِ لِأَنَّهُ
أُمُولَايَ خِلْنَا فِي مَعَالِيكَ غِبْطَةً
تَهْنُ بِهَا فِدَاً، وَطُلَّ وَاسْمُ سَيِّدًا
وَدُمَّ مَا بَدَا نَجْمٌ، وَأَيْنَعُ مُثَمِّرٌ

وَأُنْشِدُنِي لِنَفْسِهِ فِي الْغَزْلِ :

وَمُنَزَّهُ الْأَوْصَافِ عَنْ نُظَرَائِهِ
طَاوِي الْحَشَا أَلَمَى كَأَنَّ جُفُونَهُ
مَا رُمْتُ مِنْهُ نَظْرَةً إِلَّا آتَشَنِي
بَيْنَ الْقُلُوبِ وَبَيْنَهَا حَرْبٌ مَتَى

وَعَيْشُكَ صَافٍ وَالزَّمَانُ حَدِيدٌ
وَجَدُّكَ فِيهَا بِالثَّبَاتِ زَعِيمٌ
تُشِيرُ إِلَيْهِ بِالسُّعُودِ نُجُومٌ
نَسِيمٌ صَبَاً قَدْ عَنَبَرْتُهُ غُيُومٌ
تَصِحُّ بِهِ الْأَنْفَاسُ وَهُوَ سَقِيمٌ
يَذْكُرُنِي عَهْدَ الصَّبَا فَأَهْيِمُ
وَشَمْلٌ لَذَاذَاتِي بِهِنَ نَظِيمٌ
ذَوِي الْفَضْلِ يُخَيِّ ذَكَرَهُمْ وَيَقِيمُ
حَوَاهَا لَهُ [وَجْهٌ] أَغْرُ وَسِيمٌ
وَسَادَ فَشَادَ الْمَجْدُ وَهُوَ فَطِيمٌ
وَزَهْرٌ مَعَانِيهِ الْحِسَانُ فَهُومٌ
لَهَا فِي قُلُوبِ الْحَاسِدِينَ كُلُّومٌ
لَهُ وَعَلَيْهِ لِلثَّنَاءِ رُسُومٌ
فَقَلَّ امْرُؤٌ بِالْمَكْرَمَاتِ يَقُومُ
وَيَرْتَأَخُ لِلْعَافِينَ حَيْثُ يُقِيمُ
مِنْ الْمَاءِ إِذَا مَا صَفَّقْتُهُ نَسِيمٌ
إِذَا جَالَسْتُهُ الرُّوحُ فَهِيَ حَسُومٌ
بِأَنَّ مُعَالِيكَ الْغَبَى ذَمِيمٌ
فَمَا لَكَ بَيْنَ الْخَافِقِينَ قَسِيمٌ
وَمَا ضَاعَ مِنْ وَادِي الْأَرَاكِ شَمِيمٌ

سَلَبَ الْعُقُولَ بِحُسْنِهِ وَبَهَائِهِ
فِي الذَّبِّ عَنْهُ صِرْنٌ مِنْ رُقْبَائِهِ
مِنْهَا الْفُؤَادُ مُضَرَّجاً بِدِمَائِهِ
يَرْتَو، وَمَا إِنْ هُنَّ مِنْ أَعْدَائِهِ

لَنْ تَفْعَلَ الْبَيْضُ الرَّقَاقُ وَلَا الْقَنَا
يَرْتَوُ فِيكُمْ، ثُمَّ يَجْبُرُ كَلِمَهُ

وَأَنْشَدَنِي أَيْضًا قَوْلَهُ فِي غَلَامٍ شَهَرَ سَيْفًا :

وَمُهَفَّهٍ سَاجِي الْجُفُونِ أَحْمَهَا
شَهَرَ الْحُسَامِ [أَمَامَنَا] كَيْمَا يَرِي
أَنْشَدْتُهُ لَمَّا رَأَيْتُ فَعَالَهُ :

وَأَنْشَدَنِي لِنَفْسِهِ فِي غَلَامٍ كَاتِبٍ :

أَنَامِلُهُ نَحَطْتُ بِسِحْرِ كَأَنَّمَا
فَمِنْ يَدِهِ سَطَّرَ عَلَى الطُّرْسِ مُغْرِبٌ
لَوَاحِظُهُ تُمَلِي عَلَيْهِ فِيرْسُمُ
وَمِنْ لَحْظِهِ سَطَّرَ بِقَلْبِي مُعْجَمُ

وَأَنْشَدَنِي لَهُ فِي الشَّمْعَةِ :

وَبَاكِئٍ لَمْ تَعْرِفِ الْحُزْنَ وَالْأَسَى
تَكَادُ بَأَنَّ تَقْضِي لَفَيْضِ دُمُوعِهَا
وَلَا شِدَّةَ الْأَهْوَالِ كَيْفَ مِرَاسُهَا
وَتَحْيَا إِذَا فِي الْحَيْنِ يَقْطَعُ رَأْسُهَا

وَأَنْشَدَنِي لِنَفْسِهِ فِي الْبَنْفَسَجِ :

كُلُّ الْأَزَاهِرِ إِنْ حَسُنَ نَضَارَةُ
أَهْوَاهُ دُونَ جَمِيعِهِنَّ لِأَنَّهُ
فَهَوَى فُؤَادِي دُونَهُنَّ بَنْفَسَجُ
يَحْكِي خُذُودًا بِالْعِضَاضِ تُضْرَجُ

(10 : 52-56)

58 - يَحْيَى بْنُ مُعْطَى

ابن عبد الثور بن علي بن نصر بن يلول بن تاشفين بن علي بن بزيغ بن
حنيفة أبو الحسين النحوي الأديب الشاعر الزواوي⁽²⁸⁵⁾، وزواوة قبيلة، وكان
من أهل بجاية، وكانت ولادته في جبل يعرف بجرجرا.

(285) ترجمته في معجم الأدباء 6 : 2831 وفي حاشية المحقق سرد لمصادر متعددة في ترجمته،
ولعل ترجمة ابن الشاعر هذه أوسع ما كتب عنه.

قرأ علم النحو والعربية بالمغرب على جماعة منهم ابن الحداد وغيره، ثم ارتحل إلى الديار المصرية، واشتغل على أبي محمد عبد الله ابن بري، وسمع الحديث على عبد الحق صاحب كتاب (الأحكام) ثم عاد إلى المغرب وجد في طلب العلم بعد أن حفظ القرآن الكريم، وله نحو ثلاث عشرة سنة على الشيخ أبي موسى عيسى بن عبد العزيز بن يلبخت الجزولي النحوي بالجزائر، ثم رجع، ودخل ديار مصر في سنة اثنتين وثمانين وخمسمائة قصداً للقاء أبي محمد ابن بري، فوجده لا يتفع به، لأنه عجز عن الإقراء، وأقام بالاسكندرية يشتغل بالفقه مدة عامين، ثم رحل إلى الشام، فكان اشتغاله على أبي اليمن زيد بن الحسين بن زيد الكندي يسمع عليه كتب الأدب والقراءات ثم إنه أثر العزلة عن الناس والافتراد بنفسه فوضع كتباً منها (شرح الجمل) على سبيل الاملاء، وكان من أقدر الناس على المنظوم وصنعة الرجز فإنه نظم قصيدة في القراءات السبع، وكتاباً مضمونهُ المثلث نظماً وهو على صورة الرجز مزدوج، وأخذ نفسه بنظم كتاب (الصّحاح) لأبي نصر اسماعيل ابن حماد الجوهري، فنظم أكثره، ونظم الفاظ (الجمهرة) من جنس خطبة كتاب (الفصيح) لأبي العلاء المعري، وله مقدمة تُعرف بالفصول مشورة، ومقدمة تُعرف بالذرة الألفية منظومة كملحة أبي محمد الحريري، وله مقدمة تُعرف بالقبس في علم العروض منظومة، وبدأ في منظومة جامعة سماها (الغاية في النحو)، وله كتاب في جمع أبيات سيبويه باختصار منظوم يجعل بازاء كل بيت [بيتاً] له يضمُّهُ ما استشهد به فيه، وله في العروض نحو ذلك، وله قصائد مطوّلات، وغير ذلك ثم فارق دمشق وسافر إلى الديار المصرية، واتصل بالسُلطان الملك الكامل ناصر الدين أبي المعالي محمد بن أبي بكر ابن أيوب، فأقبل عليه، وقربه، وحظي عنده ثم لم تطل به الأيام حتى عاجلته منيته، وذلك في سنة تسع وعشرين وست مائة.

وحدثني الإمام أبو القاسم عمر بن أحمد بن أبي جرادة الفقيه الحنفي، قال : اجتمع بابي الحسين يحيى بن معطي بن عبد النور النحوي، فأشدني من شعره وشعر غيره، وكان شيخاً حسناً عدلاً من عُدول دمشق يرجع إلى دين وورع، وأشدني، قال : أشدني أبو الحسين لنفسه :

وَلَمَّا رَأَيْتُ الْقَلْبَ مِنْكَ مُقْسَمًا تَخَيَّرْتُ لِي قَلْبًا يُطِيقُ جَفَاكَ
 أَيَحْسُنُ بِي أَنْ أُمْنَحَ الْوَدَّ مَنْ لَهُ هُنَا شَبَّحَ وَالْقَلْبُ مِنْهُ هُنَاكَ
 مُرَاعَاةُكَ الْخَلَّ الْقَدِيمَ مُرُوءَةً فَدَعْنِي لِخَلِّ أَصْطَفِيهِ سِوَاكَ
 وَمَنْ وَجَدَ الدُّرَّ النَّفِيسَ فَبَاعَهُ بِبَخْسٍ فَلَا يَرْبَحُ بِصَفْقَةٍ ذَاكَ
 وَأُنْشِدَنِي قَالَ : أَنُشِدَنِي لِنَفْسِهِ لُغْزًا فِي الْكَعْبَةِ حَمَا اللَّهُ تَعَالَى حَوَزَتَهَا
 وَحَرَسَهَا :

وَلَمَّا تَبَدَّى لِي مِنَ السَّجْفِ حَاجِبٌ وَمُقَلَّةٌ لَيْلَى مِنْ وَرَاءِ نِقَابِهَا
 بَعَثْتُ رَسُولَ الدَّمْعِ بَيْنِي وَبَيْنَهَا لِتَأْذَنَ فِي قُرْبِي وَتَقْبِيلِ بَابِهَا
 فَمَا أَذِنَتْ إِلَّا بِإِيْمَاضِ طَرْفِهَا وَلَا سَمَحَتْ إِلَّا بِلِثْمِ ثُرَابِهَا
 وَأُنْشِدَنِي، قَالَ : أَنُشِدَنِي لِنَفْسِهِ، وَقَدْ أَشْرَفَ عَلَى مَدِينَةِ الرَّسُولِ ﷺ :
 نَزَلْنَا عَنِ الْأَكْوَارِ نَمْشِي مَهَابَةً وَلَوْ كَانَ إِنْصَافًا فَرَشْنَا خُدُودَنَا
 وَمَاذَا عَلَيْكُمْ أَنْ تُرِيقَ دُمُوعَنَا وَنُجْرِي فِي تِلْكَ الْعُيُونِ عُيُونَنَا

وَأُنْشِدَنِي أَبُو سَعْدٍ قَيْسُ بْنُ عُمَرَ بْنِ عَمْرِو الْغَرَابِلِيِّ الدَّمَشْقِيِّ، قَالَ : أَنُشِدَنِي
 أَبُو الْحُسَيْنِ يَحْيَى بْنُ مُعْطِي بْنِ عَبْدِ الثَّوْرِ النَّحْوِيُّ الزَّوَاوِيُّ لِنَفْسِهِ :
 رَأَى الْقَوْمُ بِي فَضْلًا يُعَادِيهِ نَقْصُهُمْ فَمَالُوا إِلَى ذِي الْجَهْلِ وَالشَّكْلِ أَقْرَبُ
 بِهِائِمُ لَا تُصْنَعِي إِلَى شَدْوٍ مَعْبِدٍ وَتُصْنَعِي إِلَى جَافِي الْحُدَاةِ فَتَطْرُبُ
 وَأُنْشِدَنِي أَبُو السَّعَادَاتِ أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنُ يُونُسَ الْهَمَامِي الْوَاسِطِيُّ النَّحْوِيُّ
 الْفَقِيهُ الشَّافِعِيُّ بِإِزْبَلٍ، قَالَ : قَرَأْتُ عَلَى الشَّيْخِ أَبِي الْحُسَيْنِ يَحْيَى بْنِ مُعْطِي
 الزَّوَاوِيِّ النَّحْوِيِّ بِدَمَشْقَ لِنَفْسِهِ كِتَابَ (الدُّرَّةِ الْأَلْفِيَّةِ) مِنْ تَصْنِيفِهِ، وَرَأَيْتُ خَطَّهُ
 بِالْقِرَاءَةِ عَلَيْهِ فِي ظَهْرِ الْكِتَابِ [وَأَوَّلُهَا] :

يَقُولُ رَاجِي رَبِّهِ الْغَفُورِ يَحْيَى بْنُ مُعْطِي بْنِ عَبْدِ الثَّوْرِ
 الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا بِأَحْمَدٍ دِينًا لَهُ ارْتَضَانَا
 فَلَمْ يَزَلْ يَنْمِي بِهِ الْإِسْلَامُ حَتَّى اسْتَبَانَتْ لِلْهُدَى أَعْلَامُ
 مُؤِيدًا مِنْهُ بِخَيْرِ الْكُتُبِ وَخِيَا إِلَيْهِ بِلِسَانِ عَرَبِي
 لِكُونِهِ أَشْرَفَ مَا بِهِ نَطَقَ كَمَا الرَّسُولُ خَيْرُ مَخْلُوقٍ خُلِقَ

صَلَّى عَلَيْهِ اللَّهُ ثُمَّ سَلَّمَ
وَبَعْدُ فَالْعِلْمُ جَلِيلُ الْقَدْرِ
فَأَبْدَأُ بِمَا هُوَ الْأَهَمُّ فَأَلْأَهَمُّ
فَإِنَّ مَنْ يَتَّقِنُ بَعْضَ الْفَنِّ
وَذَا حَدَا إِخْوَانُ صِدْقٍ لِي عَلَى
أَرْجُوزَةٍ وَجِيزَةٍ فِي النَّحْوِ
لِعِلْمِهِمْ بِأَنَّ حِفْظَ النَّظْمِ
لَأَسِيَّامًا مَشْطُورُ بَحْرِ الرَّجَزِ
أَوْ مَا يُضَاهِيهِ مِنَ السَّرِيعِ
فَقُلْتُ غَيْرَ آمِنٍ مِنْ حَاسِدٍ
بِأَلِ رَبِّي فِي الْأُمُورِ أُغْتَصِمُ

وَالِهِ وَصَحْبِهِ وَكَرَّمَا
وَفِي قَلِيلِهِ نَفَادُ الْعُمَرِ
فَالْحَازِمُ الْبَادِيءُ فِيمَا يَسْتَتِمُ
يَضْطَرُّ لِلْبَاقِي وَلَا يَسْتَغْنِي
أَنْ اقْتَضَوْا مِنِّي لَهُمْ أَنْ أَجْعَلَا
عِدَّتُهَا أَلْفَ خَلَّتْ مِنْ حَشْوِ
وَفُقِ الذِّكْيِ وَالْبَعِيدِ الْفَهْمِ
إِذَا بَنِي عَلَى اَزْدِوَاجٍ مُوجَزِ
مُزْدَوِجِ الشُّطُورِ كَالْتَّصْرِيعِ
أَوْ جَاهِلٍ أَوْ عَالِمٍ مُعَانِدِ
الْقَوْلِ فِي حَدِّ الْكَلَامِ وَالْكَلِمِ

وَهَذَا الْقَدْرُ فِيهِ كِفَايَةٌ وَمَقْنَعٌ مِنْهَا :

وَأُنْشِدُنِي أَبُو إِسْحَاقَ إِبْرَاهِيمُ ابْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ الْإِسْكَندَرِيُّ بِالْمَوْصِلِ
قَالَ : قَالَ : أَنُشِدُنِي أَبُو الْحُسَيْنِ يَحْيَى بْنُ مُعْطِي بْنِ عَبْدِ النَّوْرِ النَّحْوِيُّ لِنَفْسِهِ
مِنْ قَصِيدَةٍ يَمْدَحُ بِهَا الْمَلِكَ الْأَمَّجَدَ مَجْدَ الدِّينِ أَبَا الْمُظَفَّرِ بَهْرَامِ شَاهِ بْنِ فَرَخِ
شَاهِ بْنِ شَهْنَشَاهِ بْنِ أَيُّوبَ بْنِ شَادِي صَاحِبَ بَغْلَبَك :

ذَهَبَ الشَّبَابُ وَرَيُّ الْعُمَرِ الشَّهِي
وَجَلَا بِهِ لَيْلُ الذَّوَائِبِ فَجْرُهُ
وَأَطَارَ نَسْرُ الشَّيْبِ غَرْبَانَ الصَّبَا
وَوَهَتْ قُوَى الْأَمَالِ مِنْهُ وَمَا وَهَتْ
قَالَتْ أُمَامَةُ وَالْعِمَارُ يَرُوقُهَا
مَا تُنْكِرِينَ مِنَ الصَّبَاحِ جَلَا الدُّجَى
سُودَ الْعُيُونِ بِمَدْمَعٍ بَيَّضْنَ لِي
وَنَعِيبُ أَغْرِبَةَ الْحُدَاةِ بَيْنَهَا
وَبَوَارِحُ الْبَرْحِ اسْتَطَارَ لَهَا الْحِجْجِي
فَسَخَا لَهُ دَمْعُ الْغَمَامِ بِوَابِلِ
فَأَتَى الْمَشِيبُ وَرَوْتُقُ النَّوْرِ الْبَهِي
وَأَتَى بِنَاهُ مَنْ نُهَاهُ مُمُورُهُ
فَنَعَبْنَ فِي أَثَرِ الشَّبَابِ الْمُتَنَهِي
هِمَمٌ أَبْنَى عَلَى الْحَوَادِثِ أَنْ تَهِي
بِئْسَ الثَّغَامُ تَحِيَّةٌ لِلْمُزْدَهِي
وَخِضَابُ اسْحَمٍ بِالْمَلَابِ الْأَمْقَه
سُودَ الذَّوَائِبِ وَالسُّرَى فِي الْمَهْمِ
فَإِذَا زَجَرَتْ الْوَصْلَ قَالَتْ : مَهْ مَهْ
فَرَقًا فَنَادَتْهُ السَّوَانِحُ صَهْ صَهْ
مِنْ غَيْرِ مِضْحَاكِ الْبُرُوقِ مُقَهَّقِهِ

فَتَفَاوَحَتْ أَزْهَارُهُ وَتَنَافَوْحَتْ أَطْيَارُهُ بِمَوْلُودٍ وَمَوْهُوهِ
وَافْتَرَّ ثَغْرُ الْأَقْحَوَانِ بِدُرِّهِ لِعَقِيقٍ مَطْلُودٍ الشَّقِيقِ مُطْلَلِهِ

وَمِنْهَا فِي الْمَدِيحِ :

مَلِكٌ تَظَلُّ الشَّمْسُ تَرْصُدُ وَجْهَهُ نَظَرَ الْمُحِبِّ إِلَى الْحَبِيبِ الْمُتَهَيِّ
إِنْ كَانَ فِي أَفْقِ السَّمَاءِ قَدْ انْجَلَتْ شَمْسُ الْمَعَالِي فِي سَنَاهَا فَهُوَ هِيَ

وَفِي آخِرِهَا قَوْلُهُ :

زَادَتْ عَلَى مِئَةِ وَتَيْفٍ خَمْسَهَا (285م)

لَمَّا تَكَمَّى فِي السَّلَاحِ عَنَتْ لَهُ جِبَهَاتُ صَيْدٍ قَبْلَهُ لَمْ تَعْقِهِ
وَدَعَاكَ مَجْدُ الدِّينِ دِينَ مُحَمَّدٍ لِلنَّصْرِ عِلْمًا بِالشُّجَاعِ الْأُمَرِ

(95-87 : 10)

59 - يُوسُفُ بْنُ مُحَمَّدٍ

أَبُو الْحَجَّاجِ الْأَنْصَارِيُّ الْمَنْصَفِيُّ⁽²⁸⁶⁾، وَالْمَنْصَفُ قَرْيَةٌ مِنْ قُرَى بَلَنْسِيَّةَ⁽²⁸⁷⁾
الشَّيْخُ الزَّاهِدُ الصَّالِحُ كَانَ مِنْ عِبَادِ اللَّهِ الصَّالِحِينَ وَأَوْلِيَائِهِ الْمُتَّقِينَ حَافِظًا لِلْقُرْآنِ

(285م) بياض في الأصل.

(286) انظر في أبي الحجاج المنصفي كتاب المغرب لابن سعيد (2 : 354) قال فيه : «زاهد مشهور سكن مدينة سبتة وأدركه والدي» ووارد له مثالين من شعره، وذكره أيضا في رايات المبرزين : 135 وذكره المقرئ في نفح الطيب مرتين وفي أزهار الرياض مرتين كذلك وقال إن له رحلة حج فيها ومال إلى علم التصوف وله فيه أشعار حملت عنه وأورد ما قاله في وصف بليونش وما أمر به أن يكتب على قبره (نفح الطيب 3 : 595، 4 : 336 وأزهار الرياض 1 : 35، 36) وأما قبره المذكور فقد كان يقع بمقبرة أحجار السودان وفيه يقول مؤلف اختصار الأخبار : قبر الشيخ الصالح الصوفي العارف ذي المنظومات الربانية والتأينات الحسينية الحاج الشهير الشهيد يوسف المنصفي الأنصاري البلنسي نزيل سبتة».

(287) في المغرب لابن سعيد : «كتاب الخصر الأهيف، في حُلَى قرية المنصف، من قرى بلنسية، منها أبو الحجاج يوسف المنصفي».

الْعَزِيزِ فَفِيهَا عَالِمًا نَبِيهَا شَاعِرًا بَارِعًا مُفْلِقًا جَلِيلَ الْقَدْرِ بِلَدِهِ مُبَرِّزًا فِي عِلْمِ الْأَدَبِ
وَالْعَرَبِيَّةِ، وَنَظَمَ وَأَفْرَدَ مِنْ شِعْرِهِ مُجَلَّدَةً فِي الْإِمَامِ الشَّهِيدِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ الْحُسَيْنِ
ابْنِ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِمَا يَشْتَمِلُ عَلَى مَرَاتِيهِ وَاسْتُشْهِدَ بِسَبْتَةِ
بَعْدَ صَلَاةِ الصُّبْحِ بِدَارِهِ، وَذَلِكَ فِي سَنَةِ ثَمَانٍ وَسِتٍّ مِائَةٍ رَحِمَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ.

أُنْشَدَنِي أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ عَبْدِ الْوَاحِدِ
الْأَوْسِيِّ السَّبْتِيِّ مِنْ لَفْظِهِ وَحِفْظِهِ بِحَلَبَ قَالَ، أُنْشَدَنِي الشَّيْخُ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ
ابْنُ يُونُسَ بْنِ مُحَمَّدٍ الْمَنْصَفِيِّ الْأَنْصَارِيِّ قَالَ أُنْشَدَنِي وَالِدِي الْإِمَامُ الزَّاهِدُ أَبُو
الْحَجَّاجِ يُونُسُ بْنُ مُحَمَّدٍ لِنَفْسِهِ :

بَيْنَ جَرَعَاءِ اللَّوَى وَالْأَثَلَاتِ
لِيَنِي عُذْرَةَ دَاءٍ لَمْ يَزَلْ
الظُّبَا السُّمُرُ بِهِ سُمُرُ الْقَنَا
أَيُّهَا الْآمِلُ نَجْدًا دُونَهُ
لَا تَشِمُ بَارِقَهُمْ مُلْتَفِتًا
بَرْقُ ثَغْرِ خُلْبٍ تَحْسِبُهُ
لَا وَرَكِبِ نَزَلُوا أُمَّ الْقُرَى
وَاسْتَقْلُوا بِالْهَدَايَا بُكْرَةَ
لَا أَطِيعُ الْحُبَّ جَهْلًا بَعْدَمَا
يَا حَمَامًا بِالْحِمَى أَرْقُهُ
ذَاتُ جِيدٍ إِنْ بَدَا تَحْسِبُهُ
لَمْ تَزَلْ تُرْسِلُ مَا تَكْرَعُهُ
وَاسْتَدَارَتْ وَالْهَوَى يَقْتَادُهَا
بَانَ مُرْتَادًا لَهَا فِي مَرْقَبٍ
وَارْتَوَتْ مِنْ دَمِهَا مَقْصَعَةٌ
أَنَا أَوْلَى مِنْكَ بِالْحُزْنِ عَلَى
أَعْدِ السَّجْعَ فَإِنِّي دَنِفُ
إِنْ يَكُنْ شَجُوكَ مِنْ فَقْدِ لَهَا

مَرْبَعٌ لِلَّحْظِ فِيهِ فَتَكَاتُ
بِالْعُيُونِ الدُّعَجِ مَحْمِيَّ الْجِهَاتِ
وَالْمَهَا الْبَيْضُ بِهِ بَيْضُ الظُّبَاتِ
مَسْلُوكٌ أَبْعَدُ مَا فِيهِ النَّجَاةُ
رُبَّ جِدٍّ يَبْنِي هَزْلٍ وَالتِّفَاتِ
كَمْ سَقَى الدَّمْعُ بِهِ مِنْ وَجَنَاتِ
وَأَحْلُوا الْمَشْعَرَيْنِ الْيَعْمَلَاتِ
عَرَفَتْ عَرَفَ شَذَاهَا عَرَفَاتِ
غَيْرَتْنِي بِالْمَشِيبِ الْخَفِرَاتِ
فَقَدْ زَغَبَ بِالْفَلَا مُرْتَهَنَاتِ
قُزْحًا أَثَرَ سَحَابٍ هَاطِلَاتِ
مِنْ سِقَاءٍ أَوْكَأَتْهُ اللَّهَوَاتِ
أَغْلَبُ الشُّوقِ اشْتِيَاقُ الْأُمَّهَاتِ
وَلَا فَرَاخَ الْقَطَا مِنْهَا يَيَاتِ
يَا لَفَرَاخٍ عَلَيْهَا ثَاكِلاتِ
فَقَدْ أَيَّامَ الشَّبَابِ السَّالِفَاتِ
وَأَعَزَّ سَمْعِي تِلْكَ النِّعَمَاتِ
فَكَذَا الدَّهْرُ اجْتِمَاعُ وَشَتَاتِ

مَنْصَفِي تَدْعِي الزَّهْدَ وَقَدْ عَلِقَتْ مِنْكَ أَكُفُّ الشَّهَوَاتِ
وَبِفُؤْدَيْكَ مَشِيبٌ نَّاصِعٌ لَكَ فِيهِ لَوْ تَذَكَّرْتَ عِظَاتِ
إِسْأَلَ اللَّهِ إِلَيْهِ تَوْبَةً قَابِلَ التَّوْبِ مُجِيبَ الدَّعَوَاتِ
وَعَلَى الْمُخْتَارِ مِنْ صِفَوْتِهِ أَحْمَدَ الطَّاهِرِ أَزْكَى الصَّلَوَاتِ
(10 : 495-497)

60 — يُوسُفُ بْنُ مُحَمَّدٍ

أَبْنِ مَحْمُودِ بْنِ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ يُوسُفِ بْنِ الْمُثَنَّمِ (288) كَانَ شَابًا
ذَكِيًّا مُتَوَقِّدًا لَهُ خَطٌّ حَسَنٌ وَتَرْسُلٌ قَرِيبٌ وَشِعْرٌ مَطْبُوعٌ، وَكَانَ بَدِيءَ أَلْسَانِ
خَبِيثُهُ كَثِيرَ الْهَجْرِ أَفْحَشَ شُعْرَاءَ زَمَانِهِ هَجْوًا، وَكَانَتْ لَهُ الْيَدُ الْبَيْضَاءُ فِي الْهَجَاءِ
نَظْمًا وَنَثْرًا، وَكَانَتْ فِيهِ قِحَةٌ وَقَلَّةٌ حَيَاءٍ، هَجَا النَّاسَ وَنَفْسَهُ وَأَبَاهُ وَإِخْوَتَهُ وَأَقَارِبَهُ،
وَكَانَ أَبُوهُ مِنْ بِلَادِ الْمَغْرِبِ، وَتَوَلَّى قِضَاءَ طَبَرِيَّةَ مِنْ بِلَادِ الشَّامِ مُدَّةً، وَمَوْلِدُ
يُوسُفَ بِدِمَشْقَ وَنَشَأَ بِسُمَيْسَاطِ (289) وَبِهَا تُوفِّيَ فِي حُدُودِ سَنَةِ سِتٍّ وَعِشْرِينَ
وَسِتِّمِائَةٍ وَلَمْ يَكُنْ عُمُرُهُ غَيْرَ خَمْسٍ وَعِشْرِينَ سَنَةً لَا يَزِيدُ عَلَى ذَلِكَ. وَلَهُ دِيْوَانُ
شِعْرِ مَجْمُوعٍ.

أُنْشَدَنِي الْمَوْلَى الْأَمِيرُ الْكَبِيرُ الْعَالِمُ صَلَاحُ الدِّينِ أَبُو الْمُظَفَّرِ يُوسُفُ بْنُ
مُوسَى بْنِ يُوسُفَ بْنِ أَيُّوبَ بْنِ شَادِي (290) بِحَلَبِ الْمَحْرُوسَةِ بِمَنْزِلِهِ الْمَعْمُورِ
أَدَامَ اللَّهُ أَيَّامَهُ قَالَ : أُنْشَدَنِي يُوسُفُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ الْمُثَنَّمِ لِنَفْسِهِ يَهْجُو قَبِيلَتَهُ
الْمُثَنَّمَةَ بِبِلَادِ الْمَغْرِبِ :
قَالُوا جُدُودُكَ أَقْيَالُ مُلْثَمَةٍ لَا تَهْجُهُمْ قُلْتَ هَجْوِي مِدْحَةً لَهُمْ

(288) انظر بغية الطلب 10 : 444 والروض المعطار : 138.

(289) سُمَيْسَاطُ : مدينة على شاطئ الفرات في طرف بلاد الروم (ياقوت).

(290) تقدّم ذكره.

كَانُوا يُنَاكُونَ مُرَدًّا فَالْتَحَوْا فَخَشُوا أَنْ يَكْرَهُ الشَّعْرَ الْعُشَّاقُ فَالْتَمَمُوا (291)

وَمِنْ شِعْرِهِ مَا كَتَبَهُ إِلَى صَدِيقٍ لَهُ يُقَالُ لَهُ أَبُو عَلِيٍّ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ
الْعَطَّارِ، وَكَانَ مُقِيمًا بِالْبِيرَةِ فِي خِدْمَةِ الزَّاهِرِ دَاوُدَ بْنِ يُوسُفَ مُتَصَرِّفًا فِي الْيَهُودِ،
وَكَانَ يُوسُفُ بْنُ الْمُثَنَّمِ يَتَرَدَّدُ مِنْ سُمَيْسَاطَ إِلَى الْبِيرَةِ وَيَنْزِلُ فِي دَارِ صَدِيقِهِ
أَبِي عَلِيٍّ بْنِ الْعَطَّارِ، فَأَتَى مَرَّةً فَلَمْ يَجِدْ أَبَا عَلِيٍّ حَاضِرًا فَتَزَلَّ عَلَى عَادَتِهِ وَسَأَلَ
عَنْهُ فَقَالَ لَهُ بَعْضُ أَقَارِبِهِ إِنَّهُ قَدْ عَرَضَ لَهُ حُمَى وَقَدْ ذَهَبَ إِلَى ظَاهِرِ الْبَلَدِ إِلَى
بُسْتَانٍ لَهُ فَكَتَبَ إِلَيْهِ يَقُولُ :

لَا تَحْسِبِ الْقَلْبَ مِنْ شَوْقِي إِلَيْكَ خَلِي وَأَنْتَ تَعْلَمُ مَا عِنْدِي إِلَيْكَ كَمَا
وَقِيلَ شَكْوَاكَ مِنْ حُمَى وَمَا فَهِمُوا وَلَا تَرَى بَعْدَ هَذَا الْبُوسَ ثَانِيَةً
أَبَا عَلِيٍّ مَعَاذَ اللَّهِ لَا وَعَلِي
قَلْبِي عَلِيمٌ بِمَا قَدْ كَانَ عِنْدَكَ لِي
هَذَا حَرَارَةٌ فِكْرٍ مِنْكَ مُشْتَعِلٍ
«وَرُبَّمَا صَحَّتِ الْأَجْسَادُ بِالْعِلَلِ» (292)

وَكَتَبَ إِلَيْهِ مَرَّةً ثَانِيَةً وَقَدْ أَتَى عَلَى عَادَتِهِ وَلَمْ يَجِدْهُ فِي الدَّارِ وَكَانَ فِي ظَاهِرِ
الْبَلَدِ فِي الْبُسْتَانِ وَكَانَتْ عَادَتُهُ إِذَا جَاءَ مِنْ سُمَيْسَاطٍ يُقِيمُ أَيَّامًا كَثِيرَةً وَلَا شَكَّ
أَنَّهُ آجَتَّازَ تِلْكَ الْمَرَّةَ مُسْتَعْجِلًا فَقَالَ :

شَوْقِي إِلَيْكَ أَبَا عَلِي تَفْصِيلُهُ لَمْ يُجْمَلِ
مَا هَكَذَا عَوْدَتِي مِنْ مَنَّةٍ وَتَفْضُلِ
أَيُّجُوزُ أَنْ تَمْضِي وَلَمْ تَطْرُقَ بِرَحْلِكَ مَنَزَلِي
حَاشَاكَ أَنْ تَمَلَّ مَوْدَّةَ صَاحِبٍ لَكَ أَوَّلِ

وَلَهُ وَقَدْ عَمِلَ فِي الْمَلِكِ الزَّاهِرِ قَصِيدَةً مَدْحٍ وَأَنْشَدَهُ إِيَّاهَا وَكَانَ مِنْ عَادَتِهِ
أَنْ يَرَسِمَ لَهُ بِخُلْعَةٍ وَنَفَقَةٍ فَأَرْسَلَ لَهُ عَلَى يَدِ صَاحِبِهِ أَبِي عَلِيٍّ بْنِ الْعَطَّارِ نَفَقَةً

(291) كأنه قلب قول القائل فيهم :

قَوْمٌ لَهُمْ دَرَكُ الْعُلَا فِي جَنِيرٍ وَإِنْ اتَّمَمُوا صَنْهَاجَةً فَهُمْ هُمْ
لَمَّا حَوَوْا إِحْرَازَ كُلِّ فَضِيلَةٍ غَلَبَ الْحَيَاءُ عَلَيْهِمْ فَتَلَمَّسُوا
وانظر ما ورد في هجاء المثلثين أيضا كتاب زاد المسافر : 78.

(292) هذا شطر بيت للمتنبي.

بِغَيْرِ خُلْعَةٍ فَلَمَّا أَتَاهُ بِهَا قَالَ يَا صَاحِبِي : لَوْ أَنَّهَا أَلْفُ دِينَارٍ مَا ظَهَرْتُ عَلَى بَغِيرِ
خُلْعَةٍ فَأَرَدْتُهَا وَأَتَيْتَنِي بِخُلْعَةٍ بِغَيْرِ نَفَقَةٍ، فَقَالَ لَهُ : اْعْمَلْ شَيْئاً يَكُونُ مَعِيَ مِفْتَاحَ
الْكَلَامِ فِي ذَلِكَ فَقَالَ ارْتَجِلاً :

يَا مَلِكَ الْعَالَمِ يَا مَنْ فَخَّارُهُ أَصْلًا وَذُرِّيَّةُ
لِبْسَتِي بِتَشْرِيفِكَ فِي عَوْدَتِي أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَلْفِ مِصْرِيَّةِ
فَلَمَّا أَوْصَلَهَا الْمَذْكُورُ إِلَى الْمَلِكِ الزَّاهِرِ وَأَنْشَدَهُ الْبَيْتَيْنِ أَمَرَ لَهُ بِخُلْعَةٍ سَنِيَّةٍ
مَعَ النَّفَقَةِ.

وَقَالَ يَهْجُو الْعِمَادَ بْنَ النُّورِيِّ قَاضِي الْبِيرَةِ وَكَانَ الْمَذْكُورُ عِنْدَ الْمَلِكِ الزَّاهِرِ
فَحَضَرَ شَكْوَى بَيْنَ نَفَرَيْنِ : أَحَدُهُمَا سَارِقٌ وَالْآخَرُ زَانٍ فَتَوَسَّطَ الْقَاضِي لِلزَّانِي
بِالْحَصْبِ وَلِلسَّارِقِ بِالْقَتْلِ :

قُلْ لِعِمَادِ الدِّينِ يَا قَاضِيَا يَحْكُمُ فِي الْبِيرَةِ بِالطَّبْعِ
يَحْكُمُ لِلْسَّارِقِ مِنْ عِلْمِهِ بِالْحَصْبِ وَلِلزَّانِي بِالْقَطْعِ
مَذْهَبُ أَبِي إِدْرِيسَ قَدْ أَصْبَحَتْ أَرْكَائُهُ هَادِمَةً الرَّبْعِ
لَوْ أَنَّ لِلْمَذْهَبِ عَيْنًا بَكَتْ عَلَى الَّذِي قَدْ تَمَّ بِالشَّرْعِ
(10 : 497-502)

61 - يُونُسُ بْنُ مُوسَى أَبُو الْوَلِيدِ الْأَنْصَارِيُّ⁽²⁹³⁾

مِنْ أَهْلِ سَلَا، مِنْ بِلَادِ الْمَغْرِبِ، كَانَ شَاعِراً مُتَّجِعاً، صَارَ إِلَيَّ مِنْ شِعْرِهِ
هَذِهِ الْقَصِيدَةُ يَمْدَحُ بِهَا الْأَمِيرَ شَمْسَ الدِّينِ مُحَمَّدَ بْنَ قُلَيْجٍ الْحَلَبِيَّ :
أُمَلِّتْ سَمْعِي مِنْ عَذْلِ بَتْنَدِيدٍ فَبَعْضَ شَأْنِكَ مِنْ لَوْمٍ وَتَفْنِيدٍ
قَدْ كُنْتُ تَبْقَى وَإِنْ لَمْ تَبْقَ مِنْ شَفَقٍ لَوْ كَانَ قَلْبُكَ فِي أَحْشَاءِ مَعْمُودٍ
لَا دَرٌّ دُرُّكَ مِنْ لَاحِ أَلْحَ عَلَى ضَعْفِي، وَجَارَ عَلَى لِينِي بِتَشْدِيدِ

(293) لم أقف له على ذكر فيما رجعت إليه من مصادر.

أَمَا نَهَاكَ ضَنْيَ وَجْدٍ مُنِيتُ بِهِ
فِي ذِمَّةِ اللَّهِ نَفْسٌ مَا يُذَمُّ لَهَا
وَفِي رِضَى الْحُبِّ قَلْبٌ قَلْبَتُهُ عَلَى
سَنَحْنِ يَوْمِ الْكُتَيْبِ الْفَرْدِ مِنْ كُتَيْبٍ
يَخْفِضُنْ فِي الْمَشْيِ مِنْ خَطْوٍ وَقَدْ رُفِعَتْ
بَيْضٌ أَوَانِسُ فِي سِرْبٍ أَوَانِسُهُ
بُدُورٌ حُسْنِ حَوْتُهُنَّ الْخُدُورُ وَقَدْ
يَحْمِلُنْ دُرّاً ثَوَى فِيهِنَّ مِنْ صَدَفٍ
يَا لِلْبَرَاقِعِ كَمْ فِيهِنَّ مِنْ قَمَرٍ
وَمِنْ عُيُونٍ نَفْسُ السُّحْرِ فِي كَبِدِي
عَدِمْتُ صَبْرِي إِنِّي قَدْ وَجَدْتُ بِهِ
فَكَيْفَ أَبْقَى عَلَى مَا بِي وَهَذَا رَمَقِي
أَمَّا الْفِرَاقُ فَأَرَمِي فِي الثَّوَى وَرَمَى
وَلَجَّ فَابْتَزَّ أَوْطَانِي وَأَوْطَانِي
بُعْدٌ مِنَ الْمَغْرِبِ الْأَقْصَى لِمَشْرِقِهِ
كَأَنَّ فِي كُلِّ قُطْرٍ لِي مَدَى أَرْبِ
تَغْرُبُ وَمَشِيبُ نَازِلٍ وَأَسَى
وَسَاءَعَنِي، أَنَّ عُمْرِي ضَاعَ أَكْثَرُهُ
وَلَا حِمْدُ رَحِيلِي لَا وَلَا زَمَنِي

أَبْلَى شَبَابِي مِنْ سُقْمٍ بِتَبْدِيدِ
خُلُقٍ، وَإِنْ عَزَّ مِنْ طَرْفٍ وَمِنْ جِيدِ
جَمْرِ الْغَضَا خَطَرَاتُ الْخُرْدِ الْغِيدِ
وَمَا سَمَحْنَ لَنَا إِلَّا بِتَبْعِيدِ
حُمُرِ الْقَبَابِ عَلَى الْحُمْرِ الْجَلَاعِيدِ
شَرْدَنَ نَوْمِي عَنْ عَيْنِي بِتَسْهِيدِ
أَشْرَقَنَ فِي الْكُتَيْبِ مِنْ قُضْبٍ أَمَالِيدِ
طَافَ بِبَحْرِ سَرَابٍ غَيْرِ مَوْزُودِ
سَارٍ وَسِرٌّ جَمَالٍ فَوْقَ تَوْرِيدِ
كَالَسَمِّ تَجْنِيهِ مِنْ بِنْتِ الْعِنَاقِيدِ
مَا ضَلَّ مِنْ جَزَعٍ عَنِّي وَتَبْلِيدِ
يَفْنَى بِفَنَيْنِ مَعْدُومٍ وَمَوْجُودِ
خَدَّيْ مِنْ قَيْضِ أَجْفَانِي بِتَخْدِيدِ
مَوَاطِيءِ الْعَسْفِ مِنْ هَمٍّ وَتَنْكِيدِ
يَقْرُبُ الْعَيْسَ مِنْ وَخْدٍ وَمِنْ بِيدِ
لَا يَقْتَضِي بِسَوَى الْمَهْرِيَّةِ الْقُودِ
قَرَحٌ، وَفَقْدُ حَبِيبٍ غَيْرِ مَرْدُودِ
بَيْنَ الْأَنَامِ وَلَمْ أَظْفَرْ بِمَقْصُودِ
حَتَّى حَلَلْتُ بِشَمْسِ الدِّينِ مَحْمُودِ

وَقَالَ أَبُو النَّجْمِ فَرَقْدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ ظَافِرٍ بْنُ عَبْدِ الْوَاحِدِ الْكِنَانِيُّ
الإِسْكَندَرِيُّ، أَنشَدَنِي أَبُو الْوَلِيدِ يُونُسُ بْنُ مُوسَى الْأَنْصَارِيُّ السَّلَاوِيُّ لِنَفْسِهِ لَمَّا
رَجَعَ الْمَلِكُ الظَّاهِرُ غِيَاثُ الدِّينِ غَازِي بْنُ يُونُسَ (294) مِنْ مُحَاصَرَةِ دِمَشْقَ إِلَى
حَلَبَ حَائِباً وَكَانَ مَعَهُ ابْنُ الْحُصَيْنِ الْوَزِيرُ وَابْنُ أُخْتِهِ النَّظَّامُ أَبُو الْوَلِيدِ مُحَمَّدُ
ابْنُ الْحُسَيْنِ الطُّغْرَايُّ (295)، وَكَانَ أُخْوَلُ وَالْقَاضِي بِهِاءُ الدِّينِ أَبُو الْمَحَاسِنِ

(294) انظر ترجمة هذا الملك في وفيات الأعيان 4 : 6.

(295) انظر ترجمته في طبقات الشافعية الكبرى 8 : 360-362.

يُوسُفُ بْنُ رَافِعٍ بْنِ تَمِيمٍ الْمُوصِلِيُّ وَيَعْرِفُهُ الْفُقَهَاءُ بِالْأَحْمَرِ، وَكَانَ الْوَزِيرُ ابْنُ
الْحُصَيْنِ أَحْمَرَ الْعَيْنَيْنِ :

قُلْ لِلْمَلِكِ الظَّاهِرِ اسْتَبْصِرِ دُهِيتَ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ تَشْعُرِ
بِالْأَجْهَرِ الْمَطْرُودِ مِنْ وَاسِطِ وَالْأَحْوَلِ الْمَشْتُومِ وَالْأَحْمَرِ
ثَلَاثَةٌ لَوْ بَرَزُوا دَفْعَةً لِلشَّمْسِ أَوْ لِلْبَدْرِ لَمْ تَظْهَرِ
وَلَوْ تَوَلَّى وَاحِدٌ مِنْهُمْ تَذِيرَ ذِي الْقَرْنَيْنِ لَمْ يُنْصَرِ
الْأَجْهَرُ : الَّذِي لَا يَنْظُرُ إِلَى الشَّمْسِ.

(10 : 572)

62 - يَزِيدُ بْنُ صَقْلَابٍ

أَبُو بَكْرٍ الْمَرْبِيُّ⁽²⁹⁶⁾، كَانَ رَجُلًا كَبِيرَ الْقَدْرِ جَلِيلَ الْمَنْزِلَةِ، سَمَحًا ذَا مُرُوءَةٍ
وَأَرْيَحِيَّةٍ، وَكَانَ مُشَارِفَ الدِّيَوَانِ بِالْمَرْيَةِ، وَيَرْجِعُ إِلَى آدَبٍ وَفَضْلِ وَنَبَاهَةٍ وَمَعْرِفَةٍ،
وَقَوْلِ الشُّعْرِ الرَّائِقِ الْحَسَنِ، أَخْبَرَنِي الشَّيْخُ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ الْحَسَنِ بْنِ
مُحَمَّدٍ الْفَاسِي الْمُقَرِّي بِحَلَبَ، قَالَ : شَاهَدْتُ يَزِيدَ بْنَ صَقْلَابٍ فِي سَنَةِ اثْنَتَيْنِ
وَسِتٍّ مِئَةٍ بِالْمَرْيَةِ، وَهُوَ يَتَوَلَّى الْإِشْرَافَ بِدِيَوَانِهَا وَذَكَرَهُ ذِكْرًا جَمِيلًا، وَوَصَفَهُ
وَصَفًا حَسَنًا، وَقَالَ : «لَمْ يَكُنْ فِي زَمَانِهِ أَكْرَمَ مِنْهُ نَفْسًا وَلَا أَجْوَدَ كَفًّا» هَذَا
آخِرُ كَلَامِهِ. أَنَشَدَنِي الصَّاحِبُ الْوَزِيرُ أَبُو الْبَرَكَاتِ الْإِزْبِلِيُّ بِهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ،
قَالَ أَنَشَدَنِي أَبُو الرُّوحِ عَيْسَى بْنُ مُحَمَّدٍ التَّاكُرْتِيُّ الْقُرْطُبِيُّ، قَالَ أَنَشَدَنِي يَزِيدُ
ابْنُ صَقْلَابٍ لِنَفْسِهِ :

أَهْدَى التَّحِيَّةَ بِالْإِشَارَةِ وَاضِعًا بَعْدَ التَّحِيَّةِ فَوْقَ أَصْبُعِهِ فَمَا
فَعَجِبْتُ مِنْهُ ثُمَّ قُلْتُ لِصَاحِبِي أَتَرَاهُ سَلَّمَ أَمْ تَرَاهُ تَخْتَمًا
وَلَهُ أَشْعَارٌ وَرَسَائِلُ لَمْ يَقَعْ إِلَيَّ مِنْهَا شَيْءٌ غَيْرُ مَا ذَكَرْتُهُ.

(10 : 575)

(296) انظر ترجمته وطائفة من أشعاره في تحفة القادم : 124، 135، 136، 173، 178، 180
وقف عند الحاشية رقم 1 في ص 178.

تراجم مغربيّة
من تأتخ إربل لابن المستوفي

1 — أبو عبد الله الزُّهري

هُوَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ سُلَيْمَانَ الزُّهْرِي الْأَنْدَلُسِي⁽¹⁾، وَرَدَّ إِرْبِلَ وَسَمِعَ شَيْخَنَا أَبَا الْمُظْفَرِ الْمُبَارَكِ بْنِ طَاهِرِ الْخُزَاعِي. وَرَحَلَ فِي طَلَبِ الْحَدِيثِ إِلَى نِشَاوُور⁽²⁾ وَغَيْرِهَا. وَكَانَ أَقَامَ بِالْمَوْصِلِ مُدَّةً فِي طَلَبِ الْحَدِيثِ، وَسَمِعَ وَكَتَبَ، وَهُوَ إِلَى الْآنَ — كَمَا ذَكَرَ لِي — بِلَادَ الْعَجَمِ⁽³⁾. وَسَمِعَ شَيْوْخَ بَغْدَادَ، وَلَقِيَ بِأَصْبَهَانَ جَمَاعَةً مِنْ أَصْحَابِ أَبِي عَلِيٍّ ابْنِ الْحَدَّادِ.

أُنْشَدَنِي، قَالَ : أُنْشَدَنِي أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ سَعِيدِ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ زَرْقُونِ الْأَنْصَارِي⁽⁴⁾ قَالَ : أُنْشَدَنِي أَبُو طَاهِرِ ابْنِ أَبِي الرُّكْبِ⁽⁵⁾ :

جَاءَتْكَ مِنْ عُدَدِ الْعُلَا زَنْجِيَّةٌ فِي حُلَّةٍ مِنْ حِلْيَةٍ تَبَخْتَرُ
سَوْدَاءَ صَفَرَاءَ الْحُلِيِّ كَأَنَّهَا جُنْحٌ تُطَرِّزُهُ نُجُومُ تَزْهَرُ
حُمِلَتْ بِأَصْفَرٍ مِنْ نِجَارِ حُلِيِّهَا تُخْفِيهِ أحياناً وَحِيناً يَظْهَرُ
خَرَسَانُ إِلَّا حِينَ يَرْضَعُ دَرَهَا فَتَرَاهُ يَنْطِقُ مَا يَشَاءُ وَيُخْبِرُ⁽⁶⁾

وَأُنْشَدَنَا لِنَفْسِهِ فِي أَبِي مُحَمَّدَ عَبْدِ الْقَادِرِ الرَّهَّائِي⁽⁷⁾ :

(1) ترجمته أيضا في قلائد الجمان 6 : 133-136 (ص 117 من هذا المجموع) وفي الذيل والتكملة 5 : 644-645 والذيل لابن الديلمي 2 : 242 والوافي بالوفيات 2 : 104 والمحمدون للقفطي 336-359 وبغية الوعاة 1 : 25-26.

(2) هي نيسابور، والعامّة تسميها نساوور كما في معجم البلدان لياقوت.

(3) يقصد بها هنا بلاد فارس.

(4) ترجمته ومصادرهما في الذيل والتكملة 6 : 203-208.

(5) ترجمته ومصادرهما في تحفة القادِم : 34-36 (د. إحسان عباس) وفيه بعض مرويات ابن زرقون الأب عن ابن أبي ركب.

(6) الأبيات في تحفة القادِم أيضا مع شيء من الاختلاف في الرواية.

(7) محدث مشهور. انظر ترجمته ومصادرهما في تكملة النقلة 2 : 332.

أَتَيْتُ الرَّهَآوِيَّ فِي دَسْتِهِ فَأَلْفَيْتُ شَخْصاً لَيْمّاً وَخِيماً
فَلَيْسَ الْفَتَى مَنْ حَوَى مَنْصِباً وَلَكِنْ مَنْ حَازَ مَجْداً وَخِيماً
وَأُنْشَدَنِي أَبُو الْحَسَنِ عَلِيُّ بْنُ شَمَّاسٍ الصَّاحِبُ، قَالَ : أَنْشَدَنِي الزُّهْرِيُّ بِالكَرَجِ
لِنَفْسِهِ، وَكَانَ أَقَامَ بِهَا وَتَاهَلَ بِهَا :
أَنَا مَأْسُورٌ بِحَيْطَانِ الْكَرَجِ فِي عَنَاءٍ أَسْأَلُ اللَّهَ الْفَرَجَ
لَيْسَ بِالْمَغْبُوطِ مَنْ يَسْكُنُهَا إِنَّمَا الْمَغْبُوطُ مَنْ مِنْهَا خَرَجَ
شَرَحَ «كِتَابُ الْإِيضَاح»⁽⁸⁾ وَكِتَابُ «الْعُتْبِيِّ الْيَمِينِي»⁽⁹⁾، قَتَلَهُ التُّرْ
بُورُوجُرد⁽¹⁰⁾ فِي / شَهْرِ رَجَبِ سَنَةِ سَبْعِ عَشْرَةِ وَسِتْمِائَةِ.

2 — ابْنُ هِلَالَةَ الْمَغْرِبِي

هُوَ أَبُو مُحَمَّدٍ عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنِ الْحُسَيْنِ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ هِلَالَةَ الْمَغْرِبِي
الْأَنْدَلُسِي وَيُعرفُ بِابْنِ هِلَالَةَ⁽¹¹⁾. وَأُخْبِرَنِي مَسْعُودُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ التَّكْرُورِيُّ⁽¹²⁾
غَلَامُهُ، إِنَّ مَوْلَدَهُ بِطَبِيرَةِ⁽¹³⁾ مِنَ الْأَنْدَلُسِ. وَحَدَّثَنِي أَبُو الْخَيْرِ بَدَلُ بْنُ أَبِي

-
- (8) هُوَ كِتَابُ الْإِيضَاحِ لِأَبِي عَلِيٍّ الْفَارَسِيِّ وَكَانَ لِلْأَنْدَلُسِيِّينَ عُنَايَةً بِدَرْسِهِ وَشَرْحِهِ.
- (9) هُوَ كِتَابٌ فِي تَارِيخِ بَيْتِ الدَّوْلَةِ مُحَمَّدُ بْنُ سَبْكْتَكِينٍ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْجَبَّارِ الْعُتْبِيُّ وَقَدْ «أَدْرَجَ» فِيهِ دَقَائِقَ عَرَبِيَّةٍ وَلَطَائِفَ دِينِيَّةٍ وَلِهَذَا شَرْحُهُ أَكْثَرَ مِنْ شَارِحٍ، رَاجِعُ كَشْفِ الظُّنُونِ.
- (10) بَلَدَةٌ بَيْنَ هَمْدَانَ وَبَيْنَ الْكَرَجِ، وَفِي الْمَطْبُوعِ : «قَتَلَهُ التُّرْ وَجُرد» وَلَسْتُ أَدْرِي كَيْفَ وَقَعَ مُحَقِّقُ الْكِتَابِ فِي هَذَا الْغَلَطِ.
- (11) تَرْجَمْتُهُ أَيْضاً فِي التَّكْمِلَةِ (رَقْمُ 1769) وَمَعْجَمُ الْبُلْدَانِ (مَادَّةُ طَبِيرَةِ) وَقَالَ فِيهِ يَاقُوتُ : صَاحِبُنَا أَبُو مُحَمَّدٍ، وَانْظُرْ كَذَلِكَ شَذَرَاتُ ابْنِ الْعِمَادِ 5 : 78 وَيَبْدُو أَنَّ لَابْنَ هِلَالَةَ الْمُتَرْجِمَ هُنَا عِلَاقَةٌ بِابْنِ هِلَالَةَ النَّائِرِ بِطَبِيرَةِ عِنْدَ نِهَآيَةِ حُكْمِ الْمُؤَخِّدِينَ بِالْأَنْدَلُسِ، وَقَدْ يَدُلُّ عَلَى ذَلِكَ أَنَّهُ كَانَ لَهُ غَلَامٌ يَرِافِقُهُ، انْظُرْ نَفْحَ الطَّيِّبِ 1 : 301-302.
- (12) نِسْبَةٌ إِلَى التَّكْرُورِ، وَتَطْلُقُ عَلَى بِلَادٍ وَشَعْبٍ التَّكْرُورِ فِي السُّودَانِ الْغَرْبِيِّ، وَالتَّكْرُورُ مَعْدُودٌ مِنْ مَمْلَكَةِ مَالِي الْقَدِيمَةِ.
- (13) طَبِيرَةُ مَدِينَةٌ مَعْرُوفَةٌ فِي غَرْبِ الْأَنْدَلُسِ وَاسْمُهَا الْيَوْمَ Tavera.

المُعَمَّر، إِنَّهُ أُخْبِرَ بِوَفَاتِهِ بِالْبَصْرَةِ فِي رَمَضَانَ سَنَةِ سَبْعِ عَشْرَةِ وَسِتْمِائَةِ، وَحَدَّثَنِي غَيْرُهُ، أَنَّهُ تُوفِّيَ فِي تَاسِعِ رَمَضَانَ بِالْبَصْرَةِ وَدُفِنَ بِهَا.

رَحَلَ فِي طَلَبِ الْحَدِيثِ إِلَى نَيْسَابُورَ وَخُوارِزْمَ وَغَيْرَهُمَا، وَسَمِعَ مِنْ مَشَايِخِهَا، وَحَصَلَ جُمْلَةٌ مِنْ أُصُولِهَا، وَعَادَ فُورَدَ إِرْبِلَ فِي ...، وَسَمِعَ عَلَى الْفَقِيرِ أَبِي سَعِيدِ كُوكَبُورِيِّ بْنِ عَلِيِّ بْنِ بُكْتُكَيْنِ مُسْنَدَ أَهْلِ الْبَيْتِ — عَلَيْهِمُ السَّلَامُ — وَسَافَرَ إِلَى دِمَشْقَ لِسَمَاعِ كِتَابِ تَارِيخِهَا الَّذِي أَلْفَهُ أَبُو الْقَاسِمِ عَلِيُّ بْنُ الْحَسَنِ بْنِ هَبَةَ اللَّهِ ابْنِ عَسَاكِرَ، وَوَصَلَهُ بِجُمْلَةٍ وَأَنْفَذَ لَهُ مِثْلَهَا إِلَى دِمَشْقَ، وَصَارَ ذَلِكَ لَهُ رَسْمًا عَلَى صَدَقَتِهِ.

3 — الْفَقِيه الصَّنَهَاجِي

هُوَ أَبُو الْخَيْرِ مُعَاذُ بْنُ عَلِيٍّ بْنُ يُونُسَ بْنِ الْمَنْصُورِ⁽¹⁴⁾ الْفَقِيه الْمَغْرِبِي الصَّنَهَاجِي. وَرَدَ إِرْبِلَ فِي / سَنَةِ ثَلَاثٍ وَتِسْعِينَ وَخَمْسِمِائَةٍ. كَانَ يَلْبَسُ لِبَسَ الصُّوفِيَّةِ، مَخْتَصِرَ الثِّيَابِ. حَدَّثَنِي فِي صَفَرٍ مِنْ سَنَةِ ثَلَاثٍ وَتِسْعِينَ وَخَمْسِمِائَةٍ — وَأَكْثَرَ اللَّفْظِ لِي — قَالَ : حَدَّثَنِي غَيْرُ وَاحِدٍ مِمَّنْ أَدْرَكَ عَبْدَ الْمُؤْمِنِ أَمِيرَ الْمَغْرِبِ، قَالَ : كَانَ عَبْدَ الْمُؤْمِنِ رَجُلًا عَالِمًا وَرِعًا فَقِيهًا. وَكَانَ لَا يَخْلُو مَجْلِسَهُ مِنَ الْعُلَمَاءِ بِكُلِّ فَنٍ مِنْ فُنُونِ الْعِلْمِ، وَمَتَى خَاضُوا فَنًا خَاضَ مَعَهُمْ فِيهِ كَأَحَدِهِمْ. فَاتَّفَقَ أَنْ حَضَرَ مَجْلِسَهُ خَلَقَ كَثِيرٌ مِنَ الْعُلَمَاءِ وَالْفُقَهَاءِ وَالشُّعْرَاءِ، فَجَرَتْ مَسْأَلَةٌ فَسَكْتُوا لِاسْتِمَاعِ كَلَامِهِ. فَقَالَ لَهُمْ : لِمَ لَا تَتَكَلَّمُونَ ؟ فَأَبْتَدَرَ أَحَدُهُمْ فَقَالَ : ﴿لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا﴾. فَسَمِعَهُ بَعْضُ مَنْ كَانَ حَاضِرًا، فَكَتَبَ فِي الْحَالِ رَقْعَةً لَطِيفَةً، فِيهَا :

يَا ذَا الَّذِي قَهَرَ الْعِبَادَ بِسَيْفِهِ مَاذَا يَصُدُّكَ أَنْ تَكُونَ إِلَهَا ؟
أَنْطَقَ بِهَا فِيمَا ابْتَدَعْتَ فَإِنَّهُ لَمْ يَبْقَ شَيْءٌ لَمْ تَقُلْهُ سِوَاهَا

(14) لم أقف له على ترجمة في مصدر آخر.

ثُمَّ أَلْقَاهَا فِي غُمارِ الْمَجْلِس، مِنْ غَيْرِ أَنْ يَعْلَمَ أَحَدٌ. فَلَمَّا قَامُوا لَمَحَهَا عَبْدُ الْمُؤْمِنِ فَدَعَا بِهَا وَاعْتَقَدَ أَنَّهَا لِمَظْلُومٍ أَوْ طَالِبِ حَاجَةٍ. فَلَمَّا قَرَأَهَا أَمَرَ بِكُلِّ مَنْ يُعْرِفُ بِقَوْلِ الشَّعْرِ أَنْ يُحْبَسَ، فَحُبِسَ جَمَاعَةٌ كَثِيرَةٌ. فَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ قَائِلُهَا، لَمْ يَرِ أَنْ يُؤْخَذَ بِهِ غَيْرُهُ مِمَّنْ لَيْسَ لَهُ ذَنْبٌ، فَطَالَعَ عَبْدُ الْمُؤْمِنِ بِذَلِكَ. فَدَعَاهُ فَلَمَّا وَقَفَ بَيْنَ يَدَيْهِ، قَالَ لَهُ : «مَا الَّذِي دَعَاكَ إِلَى هَذَا ؟» فَأَعْلَمَهُ أَنَّهُ فَعَلَهُ غَيْرَةً عَلَى دِينِهِ، وَلَمْ يَرْضَ مَا خُوطِبَ بِهِ مِنْ قَوْلِ الْقَائِلِ : «لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا»، إِذْ هَذَا خِطَابُ الْمَلَائِكَةِ لِلَّهِ — جَلَّ وَعَلَا — فَقَالَ : يَا شَيْخَ مِثْلِكَ مَنْ نَبَّهَ عَلَى حَسَنِ وَنَهَى عَنْ مَكْرُوهٍ، وَوَصَلَهُ بِصَلَةِ حَسَنَةٍ، وَلَمْ يَهْجِهْ مَا خَاطَبَهُ بِهِ مِنْ قَوْلِهِ : «انْطِقْ بِهَا فِيمَا ابْتَدَعْتَ»، وَلَا أَنْكَرَهُ عَلَيْهِ.

4 — البرزالي⁽¹⁵⁾

مُحَمَّدُ بْنُ يُوسُفَ الْبَرْزَالِي، مِنْ طَلَبَةِ الْحَدِيثِ الَّذِينَ سَافَرُوا فِيهِ، دَخَلَ بِلَادَ الْعَجَمِ، وَسَمِعَ الْكَثِيرَ، وَهُوَ مِنْ أَهْلِ إِشْبِيلِيَّةَ.

5 — أَبُو مُحَمَّدٍ عَبْدِ اللَّهِ الْأَنْصَارِيُّ

هُوَ أَبُو مُحَمَّدٍ عَبْدِ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ مُحَمَّدٍ الْمِينَارِيِّ⁽¹⁶⁾ بْنُ عَلِيِّ بْنِ هِشَامِ بْنِ عَلِيٍّ الْأَنْصَارِيِّ السَّلَاوِيِّ، مِنْ مَدِينَةِ سَلَا مِنْ أَقْصَى بِلَادِ الْمَغْرِبِ.

(15) هذه ترجمة مختصرة جداً هنا، وهي مطوّلة في التكملة لابن الأبار (رقم 1012) وقد تتبّع محقق تاريخ إربل مصادر ترجمة البرزالي (2 : 502-503) ولهذا الإمام المحدث الذي استقر بالشام خلف أصبحوا من أهل دمشق منهم بهاء الدين البرزالي الوافي 5 : 264 وأبو محمد القاسم البرزالي.

(16) كذا في المطبوع ولعلها الميناري أو الفنزاري.

وَرَدَ إِزْبِلَ وَسَكَنَ دَارَ الْحَدِيثِ بِهَا. سَأَلَتْهُ عَنِ الْمِينَارِي، فَقَالَ : مَنْسُوبٌ إِلَى مَدِينَةٍ تُسَمَّى «مِينَارَةَ»⁽¹⁷⁾. عِنْدَهُ مِنْ كُلِّ فَنٍّ طَرَفٌ مِنْهُ.

أُنْشَدَنِي لِنَفْسِهِ :

أَحْبَابَ قَلْبِي، هَلْ سَبِيلٌ إِلَيْكُمْ ؟ فَجِسْمِي عِنْدِي وَالْفَوَادُ لَدَيْكُمْ
وَأِنْ لَمْ يَكُنْ ذَنْبٌ فَرَدُّوا تَحِيَّتِي فَقَدْ طَالَ مَا قَلْتُ: السَّلَامُ عَلَيْكُمْ

وَأُنْشَدَنِي لِلسَّيِّدِ أَبِي إِسْحَقَ بْنِ عَبْدِ الْمُؤْمِنِ⁽¹⁸⁾ :

كَيْفَ التَّصَبُّرُ وَالْأَشْوَاقُ تَزْدَادُ وَالذَّارُ تَنْأَى وَمَا لِلْوَصْلِ مِيعَادُ
وَالدَّهْرُ قَدْ عَاقَ عَنْ لُقْيَاكُمْ جَسَدًا وَالْبَيْنُ جَيْشٌ لَهُ الْأَفْكَارُ أَجْنَادُ⁽¹⁹⁾
فَكَلَّمَا قَرُبْتُ مِنِّْي دِيَارُكُمْ يَنْأَى الْمَزَارُ كَأَنَّ الْقُرْبَ إِبْعَادُ
وَكَلَّمَا رُمْتُ أَنْ أَنْسَى تَذَكُّرُكُمْ تَأْبَى الطَّبَاعُ فَمَا تَنْفَكُ تَزْدَادُ
فَالْقَلْبُ فِي حُرْقٍ وَالْجَفْنُ فِي أَرْقٍ وَلِلْجَوَانِحِ⁽²⁰⁾ إِصْدَارٌ وَإِيرَادُ
وَالدَّمْعُ يُزْرِي بِقَطْرِ الْمُزْنِ وَابِلُهُ وَلِلْبَلَابِلِ⁽²¹⁾ إِبْرَاقٌ وَإِرْعَادُ⁽²²⁾

6 — أَبُو عَبْدِ اللَّهِ السَّلَاوِي⁽²³⁾

هُوَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ مُوسَى بْنِ عِمْرَانَ بْنِ سُلَيْمَانَ الْقَيْسِيِّ مِنْ سَلَا،

⁽¹⁷⁾ لعلها تحريف فنزارة، وهي مدينة كانت قرية من سلا، انظر وصف إفريقيا للوزان : 209-210.

⁽¹⁸⁾ ذكر المؤرخون أن السيد أبا إسحاق إبراهيم بن عبد المؤمن كان واليا على قرطبة ولكنهم لم يذكروا أنه قال شعرا كما أن من تتبعوا أمراء الموحدين الشعراء لم يعدوه منهم، والأبيات موجودة في ديوان الأمير أبي الربيع ص 66 مع شيء من الاختلاف في الرواية.

⁽¹⁹⁾ في ديوان أبي الربيع : والبين جيش والأفكار أجناد.

⁽²⁰⁾ في الديوان : وللبلابل.

⁽²¹⁾ في الديوان : وللجوانح.

⁽²²⁾ بعد هذا البيت أربعة أبيات في الديوان.

⁽²³⁾ لم أقف له على ترجمة في مصدر آخر.

أَقْصَى بِلَادِ الْمَغْرِبِ⁽²⁴⁾. وَوَجَدْتُ بِخَطِّهِ : يُعْرِفُ بِأَبْنِ السَّرَاجِ. وَرَدَ إِرْبِلَ
وَسَكَنَ دَارَ الْحَدِيثِ بِهَا.

أُنْشِدَنِي لِنَفْسِهِ :

أَلَا يَا غَزَالَ السَّرْبِ هَلْ فِيكَ مَطْمَعٌ لُمُحْتَرِقِ الْأَحْشَاءِ دَامِي الْمَحَاجِرِ
بِهِ ظَمًا بَرْحٌ وَوِرْدُكَ وَرْدُهُ فَمَاذَا تَرَى فِي رِيِّ ظَمَانٍ شَاكِرٍ ؟
تَعْرِضُ يَصْطَادُ الظُّبَاءُ فَصِيدْنَهُ وَلَا شَرَكٌ إِلَّا عِيُونُ الْجَاذِرِ
كَأَنَّ فُؤَادِي — كَلَّمَا لَاحَ بَارِقٌ وَهَبَّ نَسِيمٌ — فِي قَوَادِمِ طَائِرِ⁽²⁵⁾

وَأُنْشِدَ لِأَبِي زَيْدٍ الْفَازَازِيِّ الْمَرَاكُشِيِّ⁽²⁶⁾، قَالَ : سَمِعْتَهُ مِنْ لَفْظِهِ :

لَعَمْرِي لَقَدْ ظَنُّوا الظَّنُّونَ وَأَيَقَنُوا بِيَعُضِ إِشَارَاتٍ تَنَمُّ عَنْ الصَّبِّ
فَقَالُوا اكْشِفُوا بِالْبَحْثِ عَنْ أَصْلِ وَجْدِهِ فَلَا فَلَكَ إِلَّا يَدُورُ عَلَى قُطْبِ
سَلْوِهِ وَرَاعُوا لَفْظَهُ مِنْ خِطَابِهِ لَتُفْهَمَ عَنْ فَحْوَاهِ دَاعِيَةُ الْحُبِّ
وَقَوْمٍ رَأَوْا مِنِّي مُخَادَعَةَ الْهَوَى أَشَدَّ عَلَيْهِمْ مِنْ مُخَادَعَةِ الْحَرْبِ
يَقَرُّ قَرَارُ السِّرِّ عِنْدِي كَأَنَّهُ غَرِيبُ دِيَارٍ قَالَ : فِي وَطَنِي حَسْبِي
أَلَا بِأَبِي مِنْ جُمْلَةِ الْغَيْدِ وَاحِدٌ فَهَلْ عَلِمُوا ذَاكَ الْغَزَالَ مِنَ السَّرْبِ ؟
قُتِلْتُ فَلَا وَاللَّهِ أَذْكَرُ قَاتِلِي فَأُخَذَ قِصَاصِي مِنْهُ بَيْنَ يَدَيَّ رَبِّي⁽²⁷⁾

(24) هكذا كان يظن بعض الجغرافيين القدماء، ومنهم ياقوت الحموي.

(25) مأخوذ من قول قيس بن الملوح :

كَأَنَّ الْقَلْبَ لَيْلَةٌ قِيلَ يَغْدِي بَلِيلِي الْعَامِرِيَّةُ أَوْ يَسْرَاحُ
قَطَاةٌ عَزَّهَا شَرَكُ فَبَاتَتْ، تَجَاذِبُهُ وَقَدْ عَلِقَ الْجَنَاحُ.

(26) هكذا نسبه صاحب الترجمة بناءً على مكان وفاته، ونسبه بعضهم إلى قرطبة التي ولد فيها، ونسبته الفازازية تدل على مغربيته، وقد ترجم ابن عبد الملك لأخيه أبي عبد الله في قسم الغرباء وهم الداخلون إلى الأندلس من أهل المغرب وغيرهم.

(27) هذه القطعة من شعر أبي زيد الفازازي جديدة وهي تضاف إلى الموجود من شعره في برنامج الرعييني والذيل والتكملة وغيرهما وقد ظهر جزء مخطوط في مكتبة ليدن بهولندا يشتمل على طائفة من شعره ونثره، وكنت حصلت على صورة منه بعد أن نشرت السفر الثامن من الذيل والتكملة ولذلك لم أتمكن من الاستفادة منه في المقابلة، وقد نشر هذا الجزء مؤخرًا بتقديم وتحقيق السيد عبد الحميد الهرامة، ولا توجد فيه القطعة الواردة هنا.

7 — الواعظ المغربي

هو أبو زكريا يحيى بن أحمد بن يوسف بن أحمد الحسني الأندلسي
الغرناطي^(27م) ورد إربل وعقد بها مجالس الوعظ، وكان له من العامة قبول عظيم،
كان يجيء الناس أكثر مجالسه ويتكفّفهم. وصله الفقير أبو سعيد كوكبوري بصلة،
وأراد السفر فأمر العامة أن يطلبوا من السلطان أن يقيم عندهم، فأجابهم إلى ذلك.

في خامس جمادى الآخر من سنة تسع عشرة وستمائة، أنشدني لنفسه :
يا دوحة البان من شرقي كاظمة سقاك من عبرات السحب هتان
لساكنيك علينا خدمة ولنا عليهم بالوفا عهد وأيمان
كم أعذل القلب في تذكاره لهم دنوا فلما دنا وصلي لهم بانوا
هم علموني الهوى ما كنت أعرفه حتى إذا ولجوا باب الهوى خائوا
هم الذين بسحر اللحظ قد سفكوا دم الهمام وشرع الحب إذعان
فإن وضعت يدي بالصدر اكتم ما بالقلب غادره صبر وكتان
وهي كما ذكر طويلة، التزم في أثنائها الإتيان بكلمات مستورة ذكرها لي تبين
إذا كتبت بلون غير المداد.

8 — المغربي الطنجي

هو أبو عبد الله محمد بن إبراهيم بن يوسف الطنجي^(28م)، من أهل الورع.
أنشدني أبو العباس أحمد بن أبي القاسم الإسكندري، قال : أنشدني الطنجي
لنفسه بإربل :

يا طنجة جمعت ريماً وغزلاناً ثراك جامعة شملي كما كانا ؟

(27م) تقدمت ترجمة ابن الشعار له ص 145.

(28) لم أقف له على ترجمة في مصدر آخر.

لَعِنُ أَنَا عَشْتُ حَتَّى تَرْتَوِي مُقْلِي مِمَّنْ أَحَبَّ بِهَا أَهْلًا وَجِيرَانَا
لَأَشْكُرَنَّ إِلَهَ الْعَرْشِ خَالِقَنَا وَأَقْطَعُ الدَّهْرَ تَسِيحًا وَقُرَانَا
وَأُنْشِدُنِي الْقَيْسِي، قَالَ : أَنُشِدَنَا مُحَمَّدَ بْنَ إِبْرَاهِيمَ لِنَفْسِهِ، يَقُولُهَا بِلَادِ
الرُّومِ (29) حِينَ أَرَادَ الْخُرُوجَ مِنْهَا :
تَرَكْتُ بِلَادَ الرُّومِ وَالْقَلْبَ مُوقِنٌ وَمَا زَالَ مُوَلَّى الْخَلْقِ يَحْمِي وَيُحْسِنُ
بِلَادَ بِهَا الْفُسَاقُ قَدْ بَلَغُوا الْمُنَى تَرَى الْحَمْرَ فِي الْأَسْوَاقِ وَالْفُحْشَ يُعْلَنُ
فَلَا يَقْبَلُ اللَّهُ صَلَاةَ امْرِئٍ بِهَا كَمَا جَاءَ نَصٌّ فِي الْحَدِيثِ مَبِينُ

9 — ابن خَوْلَةَ

هُوَ أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ أَحْمَدِ السُّلَمِيِّ، أَبُو جَعْفَرٍ الْمَغْرِبِيِّ الْأَنْدَلُسِيِّ، يُعْرَفُ
بِابْنِ خَوْلَةَ (30)، مِنْ أَهْلِ غَرْنَاطَةَ، شَرْقِي الْأَنْدَلُسِ. فِيهِ فَضْلٌ، رَحَلَ إِلَى بَغْدَادَ
وَبِلَادِ فَارِسَ وَكِرْمَانَ وَالْغُورَ وَغَزَنَةَ (31)، وَقِطْعَةً مِنْ بِلَادِ الْهِنْدِ، وَدَخَلَ سَمَرْقَنْدَ،
وَسَكَنَ هَرَاةَ. وَامْتَدَحَ الْمُلُوكَ وَاكْتَسَبَ مَالًا، وَرَوَى فِي تَطَوُّافِهِ. قَالَ ابْنُ
الدَّبِيشِيِّ : أَنُشِدَنِي لِنَفْسِهِ، وَأَجَازَ لِي ابْنُ خَوْلَةَ كِتَابَةً :

إِذَا مَا الدَّهْرُ بَيَّتَنِي بِجَيْشٍ طَلِيعَتُهُ اهْتِمَامٌ وَاكْتِثَابُ
شَنَنْتُ عَلَيْهِ مِنْ جَلْدِي كَمِينًا أَمِيرَاهُ الذُّبَالَةُ وَالْكَتَابُ
وَبْتُ أَنْصُ مِنْ شِيمِ اللَّيَالِي عَجَائِبَ فِي حَقَائِقِهَا ارْتِيَابُ
أُرِيدُ بِهَا التَّسْلِي مُسْتَرِيحًا وَلَيْسَ عَلَى الزَّمَانِ بِهَا عِتَابُ
قَالَ ابْنُ الدَّبِيشِيِّ : سَأَلْتُهُ عَنْ مَوْلِدِهِ، فَقَالَ : فِي شَهْرِ رَمَضَانَ سَنَةِ ثَلَاثَ

(29) تطلق بلاد الروم على مدن ملطية وغيرها من المدن المتاخمة للشام.

(30) له ترجمة أيضا في الوافي بالوفيات 8 : 145 والتكملة لابن الصابوني ص 89.

(31) كرمان : تطلق على البلاد المتصلة ببلاد فارس وعلى مدينة كرمان قصبته، وغزنة : مدينة من مدن خوارزم، والغور : جبال وولاية بين هراة وغزنة.

وَحَمْسِينَ وَخَمْسُمِائَةَ بَغْرَنَاطَةَ. وَبَلَعْنَا أَنَّهُ قَتَلَهُ الْكُفَّارُ⁽³²⁾ بِهَرَاةٍ فِي رَبِيعِ الْأَوَّلِ
سَنَةِ ثَمَانِ عَشْرَةٍ وَسِتِّمِائَةٍ.

10 — أَبُو الرُّوحِ الْأَنْدَلُسِي

هُوَ أَبُو الرُّوحِ عِيسَى بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ مُوسَى بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ عَبْدِ
اللَّهِ ابْنِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ خَلِيلِ الْحَمِيرِيِّ الْأَنْدَلُسِيِّ⁽³³⁾، مِنْ تَاكُرُّنَا⁽³⁴⁾ — بَضْمُ الْكَافِ
وَالرَّاءِ وَتَخْفِيفُهَا وَشَدُّ النَّونِ — مِنْ نَظَرِ قُرْطُبَةٍ. وَرَدَّ إِرْبِلَ فِي ثَامِنِ شَوَّالٍ مِنْ
سَنَةِ سَبْعٍ وَعِشْرِينَ وَسِتِّمِائَةٍ. شَابَ خَفِيفَ الْعَارِضَيْنِ وَاللَّحْيَةِ، ذَكِي لَطِيفِ
الْأَخْلَاقِ فَاضِلٍ.

أَنْشَدَنَا لِنَفْسِهِ فِي مَحَلٍّ⁽³⁵⁾، قَالَ : وَأَتَمَمْتُهَا عَلَى بَيْتِ أَنْشَدَهُ لِنَفْسِهِ مُحَمَّدُ ابْنُ
الْمَفْرُضِ الْمِصْرِيِّ — بِالْفَاءِ وَالضَّادِ الْمُعْجَمَةِ — وَهُوَ :
بَرَكَاتُ يَحْكِي الْبَدْرَ عِنْدَ تَمَامِهِ حَاشَاهُ بَلْ شَمْسُ الضُّحَى تَحْكِيهِ
[فَقُلْتُ] :

هَذَا الْكَمَالُ فَقُلْ لِمَنْ قَدْ عَابَهُ حَسَدًا، وَآيَةُ كُلِّ شَيْءٍ فِيهِ
لَمْ تَذُو إِحْدَى زَهْرَتَيْهِ وَإِنَّمَا كُمُلْتُ بِذَلِكَ مَلَاخَةَ التَّشْبِيهِ
فَكَأَنَّهُ رَامٍ يُغْلَقُ جَفْنَهُ لِيُصِيبَ بِالسَّهْمِ الَّذِي يَرْمِيهِ

(32) يقصد بالكفار التتر، جاء في الروض المعطار : «وفي سنة ثمان عشرة وستمئة نزل التتر على
هراة، وهي إحدى أمهات خراسان فاستولوا عليها وقتلوا منها خلقاً عظيماً، وجرى التتر
على عادتهم المذمومة من قتل الأطفال والعبث وقتلوا في جامعها المشهور بالخير من العلماء
والصالحين والمنقطعين عدداً كثيراً».

(33) له ترجمة أيضاً في قلائد الجمان 5 : 473-474 ونفح الطيب 2 : 606-607 وراجع
ص 103 من هذا المجموع.

(34) تَاكُرُّنَا : كورة جبلية في الأندلس منها مدينة رندة.

(35) كذا في المطبوع، وفي نفح الطيب أن الشعر قيل في غلام اسمه بركات.

أُنشِدْنِي لِنَفْسِهِ فِي كَاتِب :

إِنْ أُوْدَعَ الطُّرْسَ مَا وَشَّاهُ خَاطِرُهُ
وَإِنْ تَهَدَّدَ فِيهِ أَوْ يَعِدُ كَرَمًا

وَأُنشِدْنِي لِنَفْسِهِ :

أَوْصِيْتُ قَلْبِي أَنْ يَفِرَّ عَنِ الصَّبَا
فَأَجَانِبْنِي: لَا تَخْشَ مِنِّي بَعْدَمَا
حَتَّى إِذَا نَادَى الْحَبِيبُ رَأْيَتَهُ
كَذْبَالَةٍ أَخْمَدَتْهَا فَإِذَا ذَنَا

وَأُنشِدْنِي لِنَفْسِهِ فِي أَضْحِيَةِ سَوْدَاء :

يَا رَبِّ أَضْحِيَةِ سَوْدَاءَ حَالِكَةٍ
تَخَالُ بَاطِنَهَا فِي اللَّوْنِ ظَاهِرَهَا

وَأُنشِدْنَا لِنَفْسِهِ :

سَفَرْتُ عَنْ حُرِّ وَجْهِ أَوْ جَلَوْتُ ذُكَاً
قَوْلًا لِخَصَرِيهِ لَمْ يَظْلِمَكُمَا كَفَلُ
رُحْمَاكَ هَذِهِدُ فُؤَادِي لِمَ تُعَذِّبُهُ
بَلْ أَنْتَ مِلْءُ جُفُونِي وَالْفُؤَادِ مَعَاً
فَيَا جِبَالَ ضُلُوعِي أُوْبِي مَعَهُ

وَأُنشِدْنَا لِنَفْسِهِ :

يَا قَلْبُ مَا لَكَ لَا تُفِيقُ مِنَ الْهَوَى
الْكُلُّ ذِي وَجْهِ جَمِيلٍ حَنَّةُ

أَبْدَى لَعَيْنَيْكَ أَزْهَاراً وَأُسْحَاراً
بَثَّ الْبَرِيَّةَ آجَالاً وَأَعْمَاراً⁽³⁶⁾

ظَنًّا بِأَنِّي قَدْ دَعَوْتُ سَمِيعَا
أَفَلَتَ مِنْ شَرِّكَ الْعَرَامِ وَقُوعَا
أَوَى إِلَيْهِ مُلَبِّياً وَمُطِيعَاً
مِنْهَا الضَّرَامُ تَعَلَّقَتْهُ سَرِيعَاً⁽³⁷⁾

لَمْ تَرَعْ فِي الْبَيْدِ إِلَّا الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ
فَهَيَّ الْغَدَاةَ كَرْنَجِي إِذَا كَفَرَاً⁽³⁸⁾

وَفَرَعَ نَاصِيَةَ أُسْبَلْتُ أَوْ حَلَكَا
الْحَسَنُ أَخْصَبَهُ وَالْحِسُّ أَنْحَلَكَا
وَمَا دَعَاهُ الْهَوَى يَوْمًا فَأَهْمَلَكَا
وَأَنْتَ آيَةُ قَلْبِي آيَةُ سَلَكَا
وَيَا نَسِيمَ الْجَوَى سِرْ حَيْثُ أَرْسَلَكَا

أَوْ مَا يَقْرُ بِكَ الزَّمَانَ قَرَارُ
وَلِكُلِّ عَهْدٍ سَالِفٍ تَذْكَارُ

(36) البيتان في نفع الطيب أيضاً.

(37) الأبيات في نفع الطيب أيضاً.

(38) البيتان في نفع الطيب أيضاً.

(39) الأبيات في نفع الطيب أيضاً.

وأنشدنا لنفسه :

وَزَائِرِ زَارِنِي وَاللَّيْلِ مُعْتَكِرٍ وَالطَّيِّبُ يَفْضَحُهُ وَالْحَلِيُّ يُشْهَرُهُ
أَمْسَكْتُ قَلْبِي عَنْهُ وَهُوَ مُضْطَرَبٌ وَالشَّوْقُ يَبْعَثُهُ وَالصَّوْنُ يَزْجَرُهُ
فَبْتُ أَصْدَى إِلَى مَنْ لَا يُحَلِّئُنِي وَالْوَرْدُ صَافٍ وَلَا شَيْءٌ يُكَدِّرُهُ
تَرَاهُ عَيْنِي وَكَفِّي لَا تُلَامِسُهُ حَتَّى كَأَنِّي فِي الْمِرَاةِ أَنْظُرُهُ (39م)

وأنشدني للإمام أبي عمرو بن غِيَاث الأندلسي الشريشي (40)، قَالَ : سَمِعْتُهُ
يَنْشُدُ لِنَفْسِهِ :

صَبَوْتُ وَهَلْ عَارٌّ عَلَى الْحُرِّ إِنْ صَبَا ؟ وَقِيدَ بَعْشَرِ الْأَرْبَعِينَ إِلَى الصَّبَا
وَقَالُوا: مَشِيبٌ، قُلْتُ وَاعْجَبًا لَكُمْ أَيْنَكُرُ صُبْحٌ قَدْ تَخَلَّلَ غَيْهَبَا ؟
وَلَيْسَ مَشِيبًا مَا تَرُونَ وَإِنَّمَا كُتِمَتِ الصَّبَا مِمَّا جَرَى عَادَ أَشْهَبَا (41)

وكان من الديانة في غاية، ومن الدُّعَابَةِ [بلا نهاية]. ومَاتَ فِي عَشْرِ التَّسْعِينَ
سَنَةً عَشْرِينَ وَسِتَّمِائَةً.

وأنشدنا، قَالَ : أَنُشِدْنَا أَبُو عمرو :

أُودِعَ فُؤَادِي حُرْقًا أُودِعَ نَفْسَكَ تُودِي أَنْتَ فِي أَضْلُعِي
أَمْسِكْ سِيَهَامَ اللَّحْظِ أَوْ فَارِمَهَا أَنْتَ بِمَا تَرْمِي مُصَابٌ مَعِي
مَوْقِعُهَا الْقَلْبُ وَأَنْتَ الَّذِي مَسْكَنُهُ فِي ذَلِكَ الْمَوْضِعِ (42)

وأنشدنا، قَالَ : أَنُشِدْنَا أَبُو الْحَسَنِ مُطَرِّف (43) مِنْ أَهْلِ غَرْنَاطَةِ — وَيُقَالُ
أَغْرِنَاطَةِ — :

أَنَا صَبٌّ كَمَا تَشَاءُ وَتَهْوَى شَاعِرٌ مَا جِنُّ كَرِيمٍ جَوَادُ

(39م) انظر ص 36 من هذا المجموع.

(40) ترجمته في تحفة القادِم والمصادر المحال عليها : 181.

(41) الأبيات في تحفة القادِم وغيرها.

(42) الأبيات في نَفْحِ الطَّيِّبِ أَيْضًا.

(43) ترجمته ومصادرهما في تحفة القادِم : 143.

سَنَّةٌ سَنَهَا قَدِيمًا جَمِيلٌ وَأَتَى الْمُحَدَّثُونَ مِثْلِي فَزَادُوا (44)
وَأُنْشَدْنَا، قَالَ : أَنْشَدْنَا مُطَرَّفَ لِنَفْسِهِ :

وَفِي فُرُوعِ الْأَيْكِ وَزُقْ إِذَا بَلَّ النَّدى أَعْطَفَهَا تَسْجَعُ
أَوْ هَزَّهَا تَفْحُ نَسِيمِ الصَّبَا شَاقَكَ مِنْهَا غَرْدٌ مُبْدِعُ
كَأَنَّمَا أَمَكْنَهُ مِنْبَرٌ وَهُوَ خَطِيبٌ فَوْقَهَا مِصْقَعُ
إِنْ شَبَّهَا فِي طَرَفٍ لَوْعَةٌ جَرَى لَهَا فِي طَرَفٍ مَذْمَعُ (45)

قال : أَخَذَهُ مِنْ قَوْلِ عَبْدِ الْوَهَّابِ بْنِ عَلِيٍّ الْمَالِقِيِّ الْخَطِيبِ (46) :
كَأَنَّ فُؤَادِي وَطَرَفِي مَعَا هَمَّا طَرَفَا غُصْنٍ أَخْضَرِ
إِذَا اشْتَعَلَ النَّارُ فِي جَانِبٍ جَرَى الْمَاءُ فِي الْجَانِبِ الْآخِرِ

وَأُنْشَدْنَا لِأَبِي عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدَ بْنِ إِدْرِيسَ، شَهْرَ بَابِ مَرَجِ الْكُحْلِ (47)، مِنْ
جَزِيرَةِ شُقْرٍ مِنْ شَرْقِ الْأَنْدَلُسِ، مَنْ نَظَرَ بِلَنَسِيَّةٍ، وَسَمِعَهُ مِنْ فِلَقٍ فِيهِ لِنَفْسِهِ :
وَعِنْدِي مِنْ مَعَاطِفِهَا حَدِيثٌ يُخْبِرُ أَنَّ رِيْقَتَهَا مُدَامُ
وَفِي أَعْطَافِهَا السَّكْرَى دَلِيلٌ وَلَا ذُقْنَا وَلَا زَعَمِ الْهُمَامُ
تَعَالَى اللَّهُ مَا أَجْرَى دُمُوعِي وَأَطْرَيْنِي إِذَا غَنَّى الْحَمَامُ (48)

وَأُنْشَدْنَا، قَالَ : أَنْشَدَنَا أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الْمَذْكُورُ، وَكَتَبَ بِهِ إِلَى أَبِي عَمْرٍو بْنِ
غِيَاثِ الْمَذْكُورِ :

أَبَا عَمْرٍو مَتَى تَقْضِي اللَّيَالِي بِلُقْيَاكُمْ وَهَنْ قَصَصْنِ رِيشِي
أَبْتُ نَفْسِي هَوًى إِلَّا شَرِيشًا وَيَا بُعْدَ الْجَزِيرَةِ مِنْ شَرِيشِ (49)

سَأَلَتْهُ عَنْ مَوْلِدِهِ، فَقَالَ : وَلَدْتُ فِي ذِي الْحِجَّةِ مِنْ سَنَةِ تِسْعِينَ وَخَمْسِمِائَةٍ

(44) البيتان من قطعة موجودة في المغرب لابن سعيد.

(45) القطعة موجودة أيضا في نفح الطيب نقلاً عن ابن المستوفي.

(46) ترجمته في الذيل والتكملة 5 : 75-94.

(47) ترجمته في الذيل والتكملة 6 : 110-117.

(48) الأبيات في زاد المسافر : 82 ونفح الطيب 5 : 53.

(49) البيتان في زاد المسافر والذيل والتكملة وغيرهما.

فِي تَاكُرُّنَا الْمَذْكُورَةِ قَبْلَ. وَأُنْشَدَنِي — أَيَّدَهُ اللَّهُ — مِنْ حَفْظِهِ وَكَتَبَهُ لِي بِخَطِّهِ،
 قَالَ : أُنْشَدَنِي الشَّيْخُ الْفَاضِلُ الْحَافِظُ أَبُو الْحَسَنِ رِضَا بْنُ أَحْمَدَ الْمَالِقِيِّ
 الْهَمْدَانِي⁽⁵⁰⁾، قَالَ : أُنْشَدَنِي أَبُو عَبْدِ اللَّهِ النَّفْزِي⁽⁵¹⁾، قَالَ : أُنْشَدَنِي خَالِي غَانِمُ
 الْأَدِيبِ⁽⁵²⁾ لِنَفْسِهِ :

الصَّبْرُ أَوْلَى بِوَقَارِ الْفَتَى مِنْ قَلْقِي يَهْتِكُ سِتْرَ الْوَقَارِ
 مَنْ لَزِمَ الصَّبْرَ عَلَى حَالِهِ كَانَ عَلَى أَيَّامِهِ بِالْخِيَارِ⁽⁵³⁾
 وَأُنْشَدَنِي أَيْضاً عَنْهُ بِالسَّنَدِ الْمَذْكُورِ :

صَيَّرَ فُؤَادَكَ لِلْمَحْبُوبِ مَنَزَلَةً سَمَّ الْخِيَاطَ مَجَالاً لِلْمُحَيِّينِ
 وَلَا تُسَامَحْ بَغِيضاً فِي مُوَاصَلَةٍ فَقَلَّ مَا تَسْعُ الدُّنْيَا بَغِيضِينَ⁽⁵⁴⁾

وَأُنْشَدَنِي، قَالَ أُنْشَدَنِي الشَّيْخُ الْفَاضِلُ أَبُو مُوسَى عَيْسَى بْنُ يُوْنُسَ الْغَسَّانِي
 بَبْرَجَةٍ — حَرَسَهَا اللَّهُ — مِنْ مُدُنِ الْأَنْدَلُسِ، عَنْ ذِي الْمَعَارِفِ ابْنِ شَرَفٍ
 لِنَفْسِهِ :

مَوَاعِيدُكُمْ لَمْ تَدُنْ إِلَّا تَبَاعَدَتْ وَلَا أَطْمَعْتُ إِلَّا وَأَعْقَبَهَا الْيَأْسُ
 كَمَا لَاحَ فِي الْمِرَاةِ شَخْصٌ لِنَازِلِ قَرِيباً وَلَكِنْ لَيْسَ يُذْرِكُهُ اللَّئِمْسُ
 وَأُنْشَدَنِي عَنْهُ أَيْضاً، وَلِنَفْسِهِ :

صَنَمٌ مِنَ الْكَافُورِ بَاتَ مُعَانِقِي فِي بُرْدَتَيْنِ تَعْفُفٍ وَتَكْرُمِ
 وَذَكَرْتُ فِي حِينَ الْوِصَالِ صَدُودَهُ فَجَرْتُ بَقَايَا أَذْمُعِي كَالْعَنْدَمِ
 فَطَفِقْتُ أَمْسَحُ مُقْلَتِي بِجِيدِهِ إِذْ عَادَةُ الْكَافُورِ إِمْسَاكُ الدَّمِ⁽⁵⁵⁾

(50) ترجمته في تحفة القادم : 110-111 والوافي بالوفيات 14 : 131 والمغرب 1 : 426.

(51) هو أبو عبد الله محمد بن سليمان النفزي، ترجمته في التكملة : 487 وغاية النهاية 2 : 148.

(52) هو أبو محمد غانم بن الوليد المالقي، وترجمته وأخباره في عدد من المصادر، ومنها كتاب الصلة لابن بشكوال والذخيرة وغاية النهاية ومعجم الأدباء وبغية الوعاة ونفع الطيب.

(53) البيتان في نفع الطيب 3 : 398.

(54) البيتان في بدائع البدائ : 366 ونفع الطيب 3 : 265، 398، 447، 596، 4 : 28.

(55) هذه الأبيات نسبها ابن دحية في المطرب (71) لأبي عبد الله ابن شرف، ونسبها العماد في الخريدة إلى أبي الفضل وذكر أنها تروى أيضاً لأبيه.

وَأُنْشِدْنِي، قَالَ : أُنْشِدْنِي الْإِمَامَ الثَّقَةَ أَبُو الْحَسَنِ ثَابِتُ بْنُ ثَابِتٍ
الْكَلَاعِي (56)، قَالَ : أُنْشِدْنِي الْإِمَامَ أَبُو الْفَضْلِ بْنُ أَبِي الْحَجَّاجِ الْأَعْلَمَ (57)
لِنَفْسِهِ :

وَعَشِيَّةٌ كَالسَّيْفِ إِلَّا حَدَّهُ بَسَطَ الرَّبِيعُ بِهَا لِنَعْلِي خَدَّهُ (58)
عَاطِيَتْ كَأْسَ الْأَنْسْرِ فِيهَا وَاحِدًا مَا ضَرَّهُ إِنْ كَانَ جَمْعًا وَخَدَّهُ (59)

وَأُنْشِدْنِي، قَالَ : أُنْشِدْنِي أَيْضًا بِالسَّنَدِ الْمَذْكُورِ، عَنْ الْإِمَامِ الْحَافِظِ الْمُجْتَهِدِ
أَبِي مُحَمَّدٍ ابْنِ حَزْمٍ، لِنَفْسِهِ فِي تَمَامٍ :

أَنْتُمْ مِنَ الْمِرَاةِ فِي كُلِّ مَا ذَرَى وَأَقْطَعُ بَيْنَ النَّاسِ مِنْ قُضْبِ الْهِنْدِ
كَأَنَّ اللَّيَالِيَّ وَالْمَنَائِيَّ تَعَلَّمَا تَحْيَلُهُ فِي الْقَطْعِ بَيْنَ ذَوِي الْوُدِّ (60)

وَأُنْشِدْنِي، قَالَ : أُنْشِدْنِي الشَّيْخَ الْفَاضِلَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ السَّبْتِي بِدَارِهِ
بِالْمَرْيَةِ (61) لِنَفْسِهِ — قَالَ : وَالْبَيْتُ الْأَوَّلُ أُنْشِدْتُهُ فِي النَّوْمِ — :

يُخْبِرُكَ الدَّمْعُ وَهُوَ مَاءٌ بَأَنَّ عَيْنَ الْمُحِبِّ عَيْنُ
وَيَنْكُرُ الْخِلُّ قَوْلَ صَبٍّ لَا بَخْلَتْ بِالْبُكَاءِ عَيْنُ
هَلْ أَثَرُ الدَّمْعِ مُضْمَجِلٌ إِنْ ثَبَّتْ لِلْبُكَاءِ عَيْنُ
فَقُلْ لِنَجْلَاءٍ قَدْ تَحَامَتْ بَصَارِمٍ لَمْ يَصُغُّهُ قَيْنُ
ذُودِي ظُبَا اللَّحِظِ مِنْ قَرِيبٍ لَا حَانَ بِالْبُعْدِ مِنْكَ حَيْنُ
وَانْتَرَجِي مِنْ ذُرَى عَذُولٍ فَالْقُرْبُ مِنْ سَاحَتِيهِ شَيْنُ

(56) من المقرئين والنحويين المشهورين في زمنه وعليه درس ابن مالك صاحب الألفية وغيرها، وترجمته في التكملة 1 : 236 وبغية الوعاة 1 : 482 ونفع الطيب 2 : 231.

(57) أبو الفضل جعفر هو حفيد الأعلام وليس ابنه كما ذكر هنا، انظر أخباره وأشعاره على سبيل المثال في المغرب 1 : 396-397 ومطمح الأنفس : 64 ونفع الطيب 4 : 31-35، 73-74.

(58) في المطبوع : لشغلي.

(59) البيتان في نفع الطيب 4 : 74.

(60) البيتان في طوق الحمامة : 58 وقد ذكر ابن حزم أنهما من قطعة.

(61) لم أتمكن من معرفته الآن.

عَيْرَ أَهْلِ الْهَوَى بِسُقْمِ وَالسُّقْمِ عِنْدَ الْمُحِبِّ زَيْنُ
إِنِّي وَدِينِ الْهَوَى لِبَاكٍ يَنْشُرِ دَمْعَ أَجْرَاهُ يَيْنُ
فَمَا قَضَى الْبَعْضُ مِنْ حَقْوٍ عَلَيَّ مِنْهَا لِلْوَجْدِ دَيْنُ

وَأُنْشَدْنَا، قَالَ : أَنُشَدْنَا الشَّيْخُ الْفَاضِلُ الْمُعَمَّرُ أَبُو عَيْسَى لُبِّ بْنِ مُحَمَّدٍ (62)،
قَالَ : أَنُشَدَنِي الْفَاضِلُ أَبُو إِسْحَاقَ بْنِ خَفَاجَةَ الْجَزِيرِي — جَزِيرَةَ شَقْرِ مِنْ
الْأَنْدَلُسِ — لِنَفْسِهِ :

وَعَشِيَّ أَنْسِ أَضْجَعْتَنِي نَشْوَةً فِيهِ تُمَهِّدُ مَضْجَعِي وَتُدْمِثُ
نَحَلْتُ عَلَيَّ بِهَا الْأَرَاكَةَ ظِلًّا وَالْغُصْنَ يُصْغِي وَالْحَمَامُ يُحَدِّثُ
وَالشَّمْسُ تَجْنَحُ لِلْغُرُوبِ مَرِيضَةً وَالرَّعْدُ يَرْقِي وَالْغَمَامَةُ تَنْفُثُ (63)

وَأُنْشَدَنِي، قَالَ : أَنُشَدَنِي لِنَفْسِهِ أَيْضًا، وَعَنْهُ :

يُدِيرُ لِلْأَعْيُنِ مِنْ وَجْهِهِ كَعَبَةً حُسْنٍ حَيْثُ مَا دَارَا
وَلِي بِهِ عَيْنٌ مَجُوسِيَّةٌ تَعْبُدُ مِنْ وَجْنَتِهِ نَارًا (64)

وَأُنْشَدَنِي، قَالَ : أَنُشَدَنِي لَهُ أَيْضًا، وَعَنْهُ :

كَلَّمَا مَرَّ قَاصِرًا مِنْ خُطَاهُ يَتَهَادَى كَمَا يَمُرُّ الْغَمَامُ
سَلَّمَ الْغُصْنَ وَالْكَثِيبُ عَلَيْنَا فَعَلَى الْغُصْنِ وَالْكَثِيبِ السَّلَامُ (65)

وَعَنْهُ بِالسُّنْدِ الْمَذْكُورِ :

تَعَلَّقَتْهُ رِيَّانَ مِنْ خَمَرِ رِيْقِهِ لَهُ رَشْفُهَا دُونِي وَلِي دُونُهُ السُّكْرُ
تَرَفَّرَقَ مَاءُ مُقْلَتَيَّ وَوَجْهُهُ وَيُذَكِّي عَلَى قَلْبِي وَوَجْنَتِهِ الْجَمْرُ
فَلِي وَلَهُ مِنْ وَجْهِهِ وَمَدَامِعِي عَلَى وَجْهِهِ رَوْضٌ وَفِي وَجْنَتِي نَهْرُ
وَلَا عَجَبٌ إِنْ فَاحَ نَشْرًا وَهَذِهِ مَحَاسِنُهُ فِي غُصْنِ قَامَتِهِ زَهْرُ
أَرْقُ نَسِيبِي فِيهِ رِقَّةٌ حُسْنِهِ فَلَمْ أَدْرِ أَيَّ قَبْلَهَا مِنْهُمَا السُّحْرُ

(62) أديب من أهل شاطبة، له ترجمة في التكملة، رقم 350 والذيل والتكملة 5 : 579.

(63) الأبيات في الديوان ص 285.

(64) البيتان من قصيدة وردت مرتين في الديوان ص 12 ص 125-126.

(65) هما في الديوان ص 62.

وَطَبْنَا مَعًا شِعْرًا وَتَغْرًا كَأَنَّمَا لَهُ مَنْطِقِي تَغْرٌ وَلِي تَغْرُهُ شِعْرٌ⁽⁶⁶⁾
 وَأُنْشَدَنِي، قَالَ : أَنُشَدَنِي الْإِمَامُ السَّيِّدُ الْفَاضِلُ الثَّقَّةُ، أَبُو عَلِيٍّ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ
 الْمَجِيدِ بْنِ عُمَرَ الْأَزْدِيِّ⁽⁶⁷⁾، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ الرَّصَافِيِّ⁽⁶⁸⁾ لِنَفْسِهِ :
 وَمُهَفِّفٍ كَالْغُصْنِ إِلَّا إِنَّهُ تَحْيِيرُ الْأَلْبَابِ عِنْدَ لِقَائِهِ
 أَضْحَى يَنَامُ وَقَدْ تَحَبَّبَ خَدُّهُ عَرَقًا، فَقُلْتُ : الْوَرْدُ رُشٌّ بِمَائِهِ⁽⁶⁹⁾
 وَعَنْهُ بِالسَّنَدِ الْمَذْكُورِ :

بَدَا الشَّفَقُ الْبَادِي بُعِيدَ أَصِيلٍ يُجَرُّ بِالْآفَاقِ حُمَرٌ ذُيُولُ
 وَفِي عَرْضِهِ الْأَقْصَى هَلَالٌ كَأَنَّمَا يَجْرُرُ مِنْهُ النَّسْرُ ضِلَعٌ قَتِيلٌ⁽⁷⁰⁾
 وَعَنْهُ بِالسَّنَدِ الْمَذْكُورِ :

وَمُرْقَرٍ الشَّطِّينَ تَحَسَّبَ أَنَّهُ مَسَايِلُ مِنْ دُرَّةٍ لَصَفَائِهِ
 فَأَثَّ عَلَيْهِ مَعَ الظَّهيرةِ سَرَحَةٌ صَدِثَتْ لَفِيئَتِهَا غَلَالَةٌ مَائِهِ
 فَتَرَاهُ أَبْيَضَ فِي غِلَالَةِ سُمْرَةٍ كَالدَّارِعِ اسْتَلْقَى بِظِلِّ لَوَائِهِ⁽⁷¹⁾
 وَأُنْشَدَنِي، قَالَ : أَنُشَدَنِي أَيْضًا بِالسَّنَدِ الْمَذْكُورِ، وَقَدْ رَأَى صَبِيًّا يَلُّ عَيْنِيهِ
 بِرِيقِهِ لِيَرَى أَنَّهُ يَيْكِي :

عَذِيرِي مِنْ جَذْلَانِ يَيْكِي كَابَةٌ
 وَأَضْلَعُهُ مِمَّا يَحَاوِلُهُ صِفْرٌ
 يَلُّ مَاقِي زَهْرَتِيهِ بِرِيقِهِ
 وَيَحْكِي الْبُكَاءَ عَمْدًا كَمَا ابْتَسَمَ الزَّهْرُ

(66) القطعة في الديوان ص 353.

(67) له ترجمة مطولة في الذيل والتكملة 5 : 450-454 وانظر حاشية المحقق في ذكر مصادر ترجمته.

(68) هو الشاعر الأندلسي المعروف وقد جمع شعره ونشره الدكتور إحسان عباس وطبع مرتين.

(69) البيتان في الديوان، وعجز البيت الأول فيه :

سَلْتُ الثَّنِي التَّوَمَ عَنْ أَثْنَائِهِ

(70) لا يوجدان في الديوان.

(71) رواية هذه الأبيات هنا مختلفة عن رواية الديوان ص 27.

أَيُّهُمْ أَنَّ الدَّمْعَ بَلَّ جُفُونَهُ
وَهَلْ عُصِرَتْ يَوْمًا مِنَ النَّرْجِسِ الْخَمْرُ⁽⁷²⁾

وَأُنْشَدَنِي، قَالَ : أُنْشَدَنِي الْفَاضِلُ أَبُو الْمُتَوَكِّلِ الْهَيْثَمُ بْنُ جَعْفَرِ الْإِسْبِيلِيِّ
الْأَنْدَلُسِيِّ⁽⁷³⁾ لِنَفْسِهِ عَلَى لِسَانٍ غَيْرِهِ :

بَارِضَ رِيَّةَ⁽⁷⁴⁾ أَوْطَانِي وَأَوْطَارِي وَلِي هَوًى فِيهِمْ عَارٍ عَنِ الْعَارِ
سَمِيٍّ يَحْيَى وَلَكِنْ فِي لَوَاحِظِهِ عَصَا الْكَلِيمِ فَمَاذَا صُنْعُ سَحَارٍ ؟

وَأُنْشَدَنِي لِنَفْسِهِ : قَالَ : وَهُوَ أَوَّلُ شِعْرِ قَلْتُهُ فِي الْمَكْتَبِ :

هَلْ تَبَدَّى فِي النَّاسِ وَجْدٌ كَوَجْدِي بِهِلَالِ الْمِلَاحِ يَحْيَى بْنُ رُشْدٍ
لَاخَ عُذْرِي لِلَّهِ⁽⁷⁵⁾ مَابِي⁽⁷⁵⁾ مِنْ غَزَالٍ يَشْبُ وَجْدًا بِوَجْدِي
بَدْرٌ تَمَّ بَدَا فَقُلْتُ : تَعَالَى جَدُّ رَبِّ أَهْذَاكَ يَا بَدْرُ سَعْدِ

كَذَا أُنْشَدَهُ : «للاه»، قَالَ : وَأَرَدْتُ اللَّاهِي مِنَ اللّهُو، فَقُلْتُ غَيْرَهُ، قَالَ :
كَذَا قَلْتُهُ.

وَأُنْشَدَنِي لِنَفْسِهِ :

سَلَامٌ لِسَاعَاتِ التَّلَاقِ مِنَ الْهَوَى
مَحَلًّا وَأَيَّامِ الشُّبَابِ مِنَ الْعُمَرِ
أَخْصُ بِهِ مَعْنَى الْكَمَالِ وَشَخْصَهُ
وَسَبَّاقَ غَايَاتِ الْفَضَائِلِ وَالْفَخْرِ
أَبَا الْبَرَكَاتِ الْأَلْمَعِيِّ الَّذِي غَدَا
[بِطَلْعَتِهِ] يُرْبِي عَلَى الشَّمْسِ وَالْبَدْرِ⁽⁷⁶⁾

(72) الأبيات في الديوان : 67.

(73) أديب معروف بسعة الحفظ والافتقار في فنون الشعر، انظر فيه تحفة القادم : 166.

(74) رية هي مالقة.

(75) ورد محرفاً في الأصل، وراجع ص 145.

(76) يبدو أن أبا البركات المذكور في البيت الأخير هو ابن المستوفي الإربلي مؤلف الكتاب.

وَأُشَدَّنِي لِنَفْسِيهِ :

يَا مَاجِدًا مَلَأَ الزَّمَانَ فَضِيلَةً وَسِيَادَةً تَخْتَالُ تَحْتَ سُودِ
إِنِّي رَجَوْتُكَ لِلزَّمَانِ فَإِنَّهُ زَمَنُ أَلَحَّ عَلَيَّ بِالتَّكِيدِ
وَعَدِمْتُ صَبْرِي، فَادْرِكْنِي إِنِّي يَا كَعْبَةَ الْأَمَالِ حِلْفُ فَقِيدِ⁽⁷⁷⁾

11 — أَبُو عَلِي الْأَنْدَلُسِي

هُوَ أَبُو عَلِي الْحَسَنُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ الْحَسَنِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ الْوَاحِدِ بْنِ عَبْدِ السَّيِّدِ⁽⁷⁸⁾، من حصن بيرة⁽⁷⁹⁾ — بفتح الباء الموحدة وتسكين الياء المثناة من تحت وبالراء المهملة — شرقي الأندلس. وَرَدَ إِرْبِلُ فِي ذِي الْقَعْدَةِ مِنْ سَنَةِ سَبْعٍ وَعِشْرِينَ وَسِتْمِائَةَ، وَكَانَ وَرَدَ إِرْبِلَ يُعْرِفُ الْفَقِيرَ إِلَى اللَّهِ — تَعَالَى — أبا سَعِيدِ كوكبوري بن علي⁽⁸⁰⁾، خَبر مَيُورَقَةَ الَّتِي أَخَذَهَا الْفَرَنْجُ غَنُوةً، وَاسْتِغَاثَةَ الْأَسْرَى بِهِ لَفَكَكَ مَا يُقَدِّرُ اللَّهُ فَكَاكِهِ، فَأَجَابَ إِلَى ذَلِكَ، وَقَالَ : أَنَا أَحَقُّ مَنْ يُلَبِّي دَعْوَتَهُمْ⁽⁸¹⁾. وَحَدَّثَنِي أَنَّ الْفَرَنْجَ نَزَلُوهَا فِي شَوَّالٍ مِنْ سَنَةِ سِتٍّ وَعِشْرِينَ وَسِتْمِائَةَ، وَمَلِكُهُمُ الْبَرْشَنُونِيُّ⁽⁸²⁾. وَكَانَ ابْنُ هُودٍ لَمَّا اسْتَوَلَى عَلَى الْأَنْدَلُسِ خَافَ

(77) يبدو أن هذه الأبيات في مدح أبي البركات أيضاً.

(78) لم أقف له على ترجمة في مصدر آخر.

(79) بيرة Vera من مدن مملكة غرناطة التي وصفها ابن الخطيب في معيار الاختيار، وهي — كما ذكر هنا — تقع في شرق مملكة غرناطة.

(80) هو السلطان مظفر الدين صاحب إربل وقد كان مشهوراً بفعل الخيرات وكثرة الصدقات ومنها إنفاقه على افتكاك أسرى المسلمين من أيدي الكفار. انظر ترجمته في وفيات الأعيان 4 : 113-121.

(81) لا نعرف هل رجع هذا المترجم إلى الأندلس أم لا ولا نعرف كذلك هل أنفق ما قد يكون دفع إليه من مال في وجهه أم لا، ومهما يكن من أمر فإن الخبر يدل على التراحم الذي كان بين المسلمين، ومثل صنيع صاحب إربل ما عرف عن السلطان سيدي محمد بن عبد الله الذي كان يسعى في فكاك أسرى المسلمين.

(82) أي البرشلوني نسبة إلى برشلونة، والمقصود به خايمي الأول ملك أرغون.

صاحبُ مَيُورَقَة، وَهُوَ أَبُو يَحْيَى عَلَى مَيُورَقَة مِنْ أَجْنَادِهَا — وَكَانُوا مِنْ
الْأَنْدَلُس — فَقَتَلَ مِنْهُمْ خَلْقاً، وَهَرَبَ مَنْ هَرَبَ إِلَى الْجِبَالِ وَالْحُصُونِ، وَخَلَتْ
الْمَدِينَةُ مِنْ كَثِيرٍ مِنْ أَهْلِهَا، فَتَزَلَّ عَلَيْهَا الْبَرْشَنُونِ وَحَاصَرَهَا فِي شَوَالِ سَنَةِ سِتِّ
وَعِشْرِينَ وَسِتِّمِائَةٍ، وَتَسَلَّمَهَا فِي أَوَّلِ يَوْمٍ مِنْ شَهْرِ يَنِّيَرٍ مِنْ سَنَةِ سَبْعٍ وَعِشْرِينَ
وَسِتِّمِائَةٍ⁽⁸³⁾.

أُنْشَدْنَا لِنَفْسِهِ فِي أَوَاخِرِ ذِي الْقَعْدَةِ مِنْ سَنَةِ سَبْعٍ وَعِشْرِينَ وَسِتِّمِائَةٍ :
يَا مَاجِداً يُجَلِّي بَغْرَةَ وَجْهِهِ سُدَفَ الْخُطُوبِ عَلَى الْقُلُوبِ فَتُجَلِّي
وَمُعَوِّداً قَبْضَ الْيَمِينِ وَبَسْطَهَا إِسْدَاءَ عَارِفَةٍ وَجَلُوءَ مُشْكِـلِ
وَابْنِ الْأَكَابِرِ كَابِراً عَنْ كَابِرِ لَمْ يُخِطْ آخِرُهُمْ طَرِيقَ الْأَوَّلِ
يَا أَيُّهَا الْخَبْرُ السَّنِيُّ الْمُرْتَضَى مِنْ مَحْتَدِ الشَّرَفِ الْفَصِيحِ الْأَطُولِ
قوله : «الفصيح» من المعاظلة مع ما قبله وما بعده.

كَانَتْ لِعَبْدِكَ فِي لِقَائِكَ بُشْرَةٌ يَرْجُو أَدَامَتَهَا مَعَ الْمُسْتَقْبَلِ
وَعَلَيْكَ بَعْدَ اللَّهِ مُعْتَمِدِي بِهَا وَنَدَاكَ يَمْحُو كُلَّ خَطْبٍ مُعْضِلِ
وَإِذَا تُوسِّمُ لِلْعَظِيمِ بِفَضْلِهِ نَجَحْتُ لَدَيْهِ مَطَالِبُ الْمُتَوَسِّلِ⁽⁸⁴⁾

وَأُنْشَدْنَا، قَالَ : أُنْشَدْنَا الْإِمَامَ الْحَقِّقَ، بَقِيَّةَ السَّلَفِ فخر الدين أبو الحسن علي
ابن أحمد الحرَّالِي⁽⁸⁵⁾ التَّجِيبِي الْأَنْدَلُسِي، ثُمَّ الْمَرَاكِشِي، لِنَفْسِهِ بِمَحْرُوسَةِ الْقَاهِرَةِ
فِي جَارِيَةٍ لَهُ سَوْدَاءُ اسْمُهَا «رَشِيقَةٌ» :

وَهَوِيْتُ نَجْلَاءَ الْعُيُونِ غَرِيرَةً لَا تَنْشِي نَحْوَ الْوِصَالِ تَوْحُّشًا
مِثْلَ الْغَزَالَةِ نَالَهَا صَيَّادُهَا فَلَهَا نِفَارُ جِهَالَةٍ عَمَّا يَشَا
مَهْلًا أَغْصَنَ الْبَانِ مِيلِي لِلْجَنَى عَطْفًا وَعُودِي لِلتَّائِسِ يَا رَشَا

(83) انظر تفصيل الكلام على كاتبة ميورقة في دراستنا، أبو المطرف أحمد بن عميرة المخزومي :
287-292.

(84) يبدو أن المخاطب بهذه الأبيات هو ابن المستوفي الإربلي مؤلف الكتاب، وقد كان وزيراً لدى
السلطان مظفر الدين صاحب إربل.

(85) ترجمة الحرَّالِي موجودة في مصادر متعددة، ومنها نفح الطيب 2 : 187-190.

فبديع شخصك من فؤادي صنعه
 إن كنت غصن نقاً فروضك ناظري
 أرشيقة الأوصاف حسناً كاسمها
 ما لي سواك وما لغيرك قيم
 وأنشدنا، قال : أنشدنا علي بن أحمد لنفسه :

بأبي من له من البذل منع
 يلبس الأنس معلماً [بجفاء]
 ويملّ الاوام منه بكأس
 فله في جنى التواصل معنى
 وله في الوصال لمحة صد
 [ثم] يخفي الدنو في طي بعد
 مازجاً سورة العقار بشهد
 جمع الضد فيه لطفاً بضد⁽⁸⁶⁾

12 — محمد بن يحيى المغربي

هو أبو عبد الله محمد بن يحيى بن معنصر بن أبي مضر بن يكساس بن
 علي بن أبي علي المغربي⁽⁸⁷⁾ قسطنطيني، قال : وتعرف بقسطنطينية الهواء⁽⁸⁸⁾
 التلكتاتي الحميري، ولد بها سنة أربع وستمائة. ورد إربل في صفر من سنة ثمان
 وعشرين وستمائة.

أنشدنا لنفسه في تاسع ربيع الأول :

إن جرت بالعرصات من يرين
 لأهيل ذاك الحي واثت عندهم
 وقل المتيم عن هواكم ما سلاً
 يخني جوارحه على جمر الغضا
 فاشرخ غراماً كاذ أن يريني
 وجدي وبعض صبابتي وأيني
 دنف وبالعبرات غير ضنين
 ويئن أنه عاشق محزون

(86) لم أقف على هذه الأشعار في مصدر آخر.

(87) له ترجمة في عقود الجمان لابن الشعار، راجع ص 125 من هذا المجموع.

(88) هكذا تسمى في كتب البلدان، وسميت كذلك لعلوها.

مُدَّ حَلٌّ بِالْحَدْبَاءِ⁽⁸⁹⁾ قَدْ عَلِقَ الضُّنَا
بِجَوَارِ مَنْ رَفَضَ الدِّيَانَةَ وَالتَّقَى
حُمِّلْتُ فَوْقَ الْوُسْعِ مِنْهُمْ بَعْدَمَا
وَأُنْشَدْنَا لِنَفْسِهِ :

لَوْ كُنْتُ تَعْلَمُ مَا يُجِنُّ فُؤَادِي
لَكِنَّ قَلْبَكَ مَا أَلَمَّ بِهِ الْهَوَى
وَأُنْشَدْنَا، قَالَ : أَنُشَدْنَا شَيْخِي أَبُو الْعَبَّاسِ أَحْمَدَ بْنَ مُحَمَّدٍ الشَّرِيشِي
الْمُرَّاكِشِي لِنَفْسِهِ :

لَوْ لَمْ تَكُنْ سُبُلَ الْعَلَاءِ بَعِيدَةً
لَتَوَارَدَ الضِّدَّانُ : أَرْبَابُ الْعُلَا
لَا تُنْتَحَى إِلَّا بِعَزْمَةٍ مَاجِدٍ
وَالْأَرْدَلُونَ عَلَى مَجَرٍّ وَاحِدٍ

وَأُنْشَدْنَا، قَالَ : أَنُشَدْنَا أَبُو الْعَبَّاسِ لِنَفْسِهِ :

تُكَلِّفْنِي كَيْثَمَانَ أَمْرٍ صَبَابَتِي
وَتَحْشَى عَلَيْهَا إِنْ شَهَرْتُ بِحُبِّهَا
فَتَهْجُرْنِي وَالْهَجْرُ لَا شَكَّ قَاتِلِي
وَقَالُوا: أَمَا تَشْفِي فُؤَادَكَ مِنْ جَوَى
وَأَنْتَ — كَمَا قَدْ قِيلَ — فِي الطَّبِّ أَوْحَدُ
فَقُلْتُ لَهَا: إِنَّ الصَّبَابَةَ حُكْمُهَا
وَعِنْدِي إِذَا حَدَّثْتُ نَفْسِي سَلْوَةً
وَبَايَعْتُهَا طَوْعاً فَلَسْتُ أُقِيلُهَا
وَفِي مُقْلَتِي عُثْوَانُهَا وَدَلِيلُهَا
مَقَالَةٌ أَهْلُ الْحَيِّ أَنِّي خَلِيلُهَا
وَإِنْ مُتُّ قَالُوا إِنَّ هَذَا قَتِيلُهَا
وَرُوحَكَ مِنْ بَلَوَى مُذِيبٍ غَلِيلُهَا
تُبَاشِرُ أَدْوَاءَ الْوَرَى وَتُزِيلُهَا
مَعَ السُّقْمِ أَنْ لَا يَسْتَفِيقَ عَلَيْهَا
غَرَامٌ يُنَافِيهَا وَشَوْقٌ يُحِيلُهَا
وَلَوْ أَنَّهَا جَارَتْ وَلَا أُسْتَقِيلُهَا

مَعْنَصِر — بفتح الميم والعين والتون مُشَدَّدة، والرَّاء مُهْمَلَةٌ — وذكر أَنَّهُ من
قَبِيلَةٍ من حَمِيرٍ تُدْعَى «تُلُكَّاتَةَ»، مَضْمُومَةُ التَّاءِ الْأُولَى الْمُثَنَاءِ وَاللَّامُ، مُشَدَّدة
الكَافِ، وَبَعْدَ الْأَلِفِ تَاءٌ مُثَنَاءٌ.

(89) الحدباء هي الموصل.

(90) انظر فيه الذيل والتكملة 1 : 387.

13 — أبو القاسم الأنصاري

هُوَ مُحَمَّدُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ الْحُسَيْنِ بْنِ سُرَّاقَةَ الْأَنْصَارِيِّ الْأَنْدَلُسِيِّ (91) مِنْ شَاطِئَةِ، مَالِكِي الْمَذْهَبِ، خَتَمَ الْقُرْآنَ الْكَرِيمَ، وَسَمِعَ الْحَدِيثَ عَلَى أَبِي خَفْصٍ عُمَرَ بْنِ كَرَمِ الدِّينَوْرِيِّ، وَأَبِي عَلِيٍّ الْحَسَنِ بْنِ الْمُبَارَكِ بْنِ مُحَمَّدِ الزَّيْدِيِّ، وَأَبِي الْفَضْلِ عَبْدِ السَّلَامِ بْنِ بَكْرَانَ بَيْغَدَادَ. وَأَخَذَ فِي قِرَاءَةِ كِتَابِ «الْبَسِيطِ» لِلْوَاحِدِيِّ عَلَى أَبِي الْخَيْرِ بَدَلِ بْنِ أَبِي الْمُعَمَّرِ. وَرَدَ إِرْبِلَ فِي شَهْرِ رَبِيعِ الْأَوَّلِ سَنَةِ سِتٍّ وَعِشْرِينَ وَسِتِّمِائَةَ. أَنْشَدَنِي لِنَفْسِهِ.

إِلَى كَمْ أُمْنِي النَّفْسَ مَا لَا تَنَالُهُ فَيَذْهَبُ عُمْرِي وَالْأَمَانِي لَا تُقْضَى ؟
وَقَدْ مَرَّ لِي خَمْسٌ وَعِشْرُونَ حِجَّةً وَلَمْ أَرْضَ فِيهَا عِيشَتِي فَمَتَى أَرْضَى ؟
وَأَعْلَمُ أَنِّي وَالثَّلَاثُونَ مُدَّتِي حَرَّ بَمَغَانِي اللَّهُ أَوْسَعُهَا رَفْضًا
فَمَاذَا عَسَى فِي هَذِهِ الْخَمْسِ أَرْتَجِي وَوَجَدِي إِلَى أَوْبٍ مِنَ الْعِشْرِ قَدْ أَفْضَى ؟
فَيَا رَبَّ عَجِّلْ لِي حَيَاةً لَذِيذَةً وَإِلَّا فَبَادِرْ بِي إِلَى الْعَمَلِ الْأَرْضَا

عَمِّي لَهُ أَبُو عَلِيٍّ حَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ بْنِ شَمَّاسِ الْإِرْبِلِيِّ بِحُرُوفٍ وَضَعَهَا عَلَى طَرِيقِ التَّرْجَمَةِ، قَوْلُهُ :

تِلْكَ نِعْمٌ لَوْ أَنْعَمْتُ بِوِصَالٍ لَشَكَرْنَا فِي الْوَصْلِ إِنْعَامَ نِعْمٍ
فَقَالَ :

بِأَبِي مَنْ أَرَادَ خَبْرَةَ فَهْمِي بِمُعَمِّيَ فِدَيْتُهُ مِنْ تَعَمِّي
فَانْجَلِي مَا عَمَاهُ عَنْ بَيْتِ شَعْرِي مُحْكَمٍ مِنْ أَرْقٍ مَعْنِي وَنَظْمِ
تِلْكَ نِعْمٌ لَوْ أَنْعَمْتُ بِوِصَالٍ لَشَكَرْنَا الْوِصَالَ إِنْعَامَ نِعْمٍ
وَأَنْشَدَنِي لِنَفْسِهِ :

لِقَاؤُكَ عِيدٌ بِالنَّجَاحِ بَشِيرُ وَتَقْبِيلُ يُمْنِي رَاحَتِيكَ حُبُورُ
بِهَؤُوكَ فِي لَحْظِ الْمَوَاسِمِ مَوْسِمُ وَنَشْرُكَ فِي رَيَا الْعَبِيرِ غَبِيرُ
وَمَا عَادَنَا مِنْ عِيدِنَا غَيْرُ وَافِدٍ يَحُولُ عَلَيْهِ الْحَوْلُ ثُمَّ يَزُورُ

(91) تقدمت ترجمته بين تراجم ابن الشعار السابقة ص 123.

له أَمَلٌ في لَثَمِ يُمْنَاكَ مُدْرِكٌ
 سَرَى نَحْوَكُمْ مُذْ عَامِ أَوَّلِ جَاهِدًا
 فَبَشَّرَاوَهُ فِي النَّفْسِ مَلَأُ فُؤَادَهَا
 وَنَاجَيْتُ نَفْسِي وَالْهَوَى يَبْعَثُ الْهَوَى
 أَتْرَكُ مُوسَى⁽⁹²⁾ لَيْسَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ
 فَمَلْتُ بُودِي وَأَنْحِيشِي وَهَمَّتِي
 وَأَيَّقَنْتُ إِنِّي إِنْ أَخَذْتُ بِجَبَلِكُمْ
 هُمَا مُنْشَى الْأَعْنَاقِ نَحْوِ عَلَائِهِ
 يَنْوُبُ عَنِ الدُّرِّ النَّفِيسِ كَلَامُهُ
 إِذَا صَفَرْتُ أَيْدِي السَّحَابِ فَكْفُهُ
 وَطَرَفٌ بَمَا يَرْنُو إِلَيْكَ قَرِيرٌ
 يَجُوبُ عِرَاصَ الْبَيْدِ وَهِيَ تَفُورُ
 سُرُورًا وَإِنْ أَعَيْتُ وَطَالَ مَسِيرُ
 فَطَال بِي التَّسْوِيفُ وَهَوَ غُرُورُ
 سَوَى لَيْلَةٍ إِنِّي إِذَا لَصَبُورُ
 إِلَيْكَ وَفِيهَا عَنْ سِوَاكَ نُفُورُ
 عَلَى رَيْبِ دَهْرِي مَنْ أَشَاءُ أُجِيرُ
 كَالْ بَاهُوءِ النَّفُوسِ جَدِيرُ
 وَمَا نَابَ عَنْ جَذْوَى يَدَيْهِ بُحُورُ
 سَحَابٌ بِآفَاقِ السَّمَاحِ دُرُورُ

مولده بشاطبة في رَجَبِ سَنَةِ اثْنَتَيْنِ وَتِسْعِينَ وَخَمْسِمِائَةٍ.

14 — أَبُو عَلِي الدَّكَّالِي

هُوَ أَبُو عَلِي الْحَسَنُ بْنُ أَبِي مُحَمَّدٍ عَبْدُ الصَّمَدِ بْنِ الْحُسَيْنِ بْنِ عَبْدِ الْحَلِيمِ
 ابْنِ أَبِي الْحَرْثِ — بِسَكُونِ الرَّاءِ — بْنِ عَتِيقِ اللَّهِ بْنِ يُوسُفَ الْمَاجَرِيِّ⁽⁹³⁾
 الدَّكَّالِي⁽⁹⁴⁾، مولده وَمَنْشَأُهُ بِمَدِينَةِ تُسَمَّى «أَسْفِي»⁽⁹⁵⁾ عَلَى سَاحِلِ مَرَّاكُشْ،
 وَهِيَ آخِرُ مَرَاسِي الْبَحْرِ الْمُحِيطِ، تَصِلُ إِلَيْهِ الْمَرَاقِبُ مِنْ بَرِّ الْأَنْدَلُسِ وَغَيْرِهَا
 مِنْ بِلَادِ الشَّرْقِ. وَرَدَ إِرْبِلَ فِي شَهْرِ رَبِيعِ الْأَوَّلِ مِنْ سَنَةِ سِتٍّ وَعِشْرِينَ وَسِتِّمِائَةٍ.
 شَابَ سَمِعَ الْحَدِيثَ بِالْمَغْرِبِ وَغَيْرِهِ. سَمِعَ عَلَى أَبِي الْخَيْرِ بَدَلِ بْنِ أَبِي الْمُعَمَّرِ.

(92) موسى المدوح في هذه القصيدة هو أحد السادة الموحدين وقد رجحنا أن يكون المقصود به أبو عمران بن أبي عبد الله بن أبي يعقوب بن عبد المومن، راجع ص 124.

(93) الماجري نسبة إلى بني ماجر وهم بطن من دكالة قديما، انظر دراستنا حول الماجريين.

(94) الدكالي نسبة إلى دكالة وهي قبيلة من القبائل المشهورة في المغرب.

(95) أسفي من مدن المغرب المشهورة ومراسيه المهمة.

أُنشِدْنِي لِنَفْسِهِ :

أَلَا مُبْلَغٌ عَنِّي صِحَابِي [بِمَا رَمَتْ]
وَحَبْرُهُمْ عَنِّي بِأَنِّي بَعْدَهُمْ
وَإِنِّي وَإِنْ شَطَطَتْ بِنَا الدَّارُ ذَاكَرٌ
وَأَدُّ رِسَالَتِي خُصُوصاً إِلَى الَّتِي
إِلَيْهَا انْتَمَتْ فِي الْوَصْفِ لَيْلِي وَعِنْدَهَا
لَدَيْهَا فُؤَادِي مُوثَّقٌ فِي حَبَالِهَا
تُقَلِّبُهُ فِي الْحُبِّ أَيُّ مُقَلِّبٍ
بِهَا إِنْ ذَكَرْتَهَا أَطِيبُ وَإِنْ أَنَا
بِهَا طَابَ عَيْشِي فِي صِبْيَانِي وَكُلُّ مَا
تَخَالُ ضِيَاءُ الشَّمْسِ مِنْ حُسْنِ وَجْهِهَا
تُمِيتُ وَتُحْيِي تَارَةً بِسَيُوفِهَا
وَتَرْمِي بِسَهْمٍ صَائِبٍ عَنِ لِحَاطِهَا
أُبْرِجِي لَنَا فِيهَا التَّلَاقِي فَنَرْتَجِي
عَلَيْهَا سَلامُ اللَّهِ فِي كُلِّ بُقْعَةٍ

نَوَى فِي فُؤَادِي بَعْدَهُمْ مِنْ عَجَائِبِ
مُقِيمٍ عَلَى وَلَائِهِمْ غَيْرُ نَاكِبٍ
فَضَائِلُهُمْ [بَلْ] لَسْتُ عَنْهَا بِغَائِبٍ
بِهَا تَقْتَدِي فِي الْحُسْنِ كُلَّ الْكَوَاعِبِ
عَفَافٌ عَنِ الْفَحْشَا وَكُلِّ الْأَجَانِبِ
تَرُوحُ بِهِ أَوْ تَغْتَدِي غَيْرَ عَازِبٍ
عَلَى بُعْدِهَا مِنِّي بِأَقْصَى الْمَغَارِبِ
بَعِيدُ الْمَدَى عَنْهَا طَوِيلُ الْمَذَاهِبِ
يُرَادُ لَدَيْهَا فَاعْنِ عَنْ كُلِّ كَاعِبٍ
وَبَدَرَ الدُّجَى ثَاوٍ لَهَا فِي التَّرَائِبِ
مُحَدِّقَةٌ مِنْ بَيْنِ حَدِّ الْحَوَاجِبِ
تُصِيبُ بِهِ قَلْبَ الْمُحِبِّ الْمُصَاحِبِ
أَمْ الدَّهْرُ حَوْلُ بَيْنَنَا وَالْمَطَالِبِ ؟
بَعْدَ الرَّمَالِ وَالْحَصَى وَالْكَوَاعِبِ

وهذا شعر ينبغي أن يُطرح، ولكني
يقيم الرجال الأغنياء بأرضهم
كتبته لعرابة نسب قائله وبعده منزله :
وترمي النوى بالمقترين المراميا

مولده سنة أربع وتسعين وخمسمائة.

تراجم مغربيّة من بغية الطلب لابن العديم

1 - أحمد بن مسعود بن محمد

أبو العباس الأنصاري الخزرجي القرطبي الشافعي⁽¹⁾ تفقه على مذهب الشافعي وكان متفتناً في عدة من العلوم عارفاً بالحساب والفرائض عالماً بتفسير القرآن العزيز والقراءات والحديث والأصول واللغة والنحو والعروض وأنواع الأدب وكان ينظم شعراً جيداً وسافر إلى بلاد الهند وجال في الأقطار وقدم حلب سنة ستائة ثم سكن دُنيسر ودرّس بها الفقه على مذهب الشافعي رضي الله عنه بالمدرسة الشهابية وأقام بها إلى أن مات وكان له مصنفات حسنة مفيدة منها كتاب في علم الأصول في ثمان مجلدات سمّاه تقريب المطالب وكتاب القوانين في أصول الدين وكتاب في النحو وكتاب سمّاه الاختيار في علم الأخبار. روى عنه شيئاً من شعره أبو الفتح مسعود بن أبي الفضل النقاش الحلبي الشاعر⁽²⁾ وكان بينهما مقارضة بالشعر وأنشدته بحلب وأبو الحسن علي بن يوسف بن محمد الصفار المارديني الشاعر⁽³⁾ وأبو حفص عمر بن أحمد بن اللّمش الدّنيسري⁽⁴⁾.

قال أبو الفتح مسعود بن أبي الفضل النقاش الحلبي الشاعر ونقلته من خطه أو من خط من نقله عنه أنشدني أحمد بن مسعود الخزرجي لنفسه في يوم الخميس الحادي عشر من ربيع الآخر سنة ستائة بظاهر حلب :

أَعَانِقَهُ غُصْنًا وَأُثْمُهُ بَدْرًا وَأَرْشُفُ وَهْنًا مِنْ لَمَى فِيهِ نَحْمَرًا

(1) راجع ترجمة ابن الشعار له (ص 28 من هذا المجموع)، وفي هذه الترجمة فوائد جديدة.

(2) راجع ترجمته في بغية الطلب 10 : 295.

(3) ترجمة ابن الصفار المارديني مع الإحالة على مصادرها في الوافي 22 : 247.

(4) هو كمال الدين عمر بن الخضر الدنيسري الشافعي المولود في سنة 574هـ والمتوفى في حدود

640هـ، راجع ترجمته في الوافي بالوفيات 22 : 458 وعقود الجمان 5 : 360.

وَأَهْصِرُ مِنْهُ حِينَ تَثِيهِ نَشْوَةَ تَهَادَتْ بِهِ تَيْهًا وَمَاسَتْ بِهِ سُكْرًا
كَتْمَالٍ نُورٍ فِي ظَلَامٍ ذَوَائِبٍ إِذَا مَا تَوَارَتْ شَمْسُهُ أَطْلَعَ الْبَدْرَا
ومنها :

وَنَمَّتْ بِنَا فِي اللَّيْلِ أَنْوَارُ وَجْهِهِ فَمَدَّ عَلَيْنَا مِنْ ذَوَائِبِهِ سِشْرَا
ومن شعره مَا قَرَأْتُهُ فِي دِيْوَانِ شَعْرِ أَبِي الْفَتْحِ النَّقَّاشِ الْحَلْبِيِّ قَالَ : وَكَتَبَ
إِلَيَّ الشَّيْخُ وَجِيهُ الدِّينِ أَبُو الْعَبَّاسِ أَحْمَدُ بْنُ مَسْعُودٍ بْنُ مُحَمَّدٍ الْأَنْصَارِيِّ عِنْدَ قُدُومِهِ
مِنَ الْهِنْدِ وَتَزْوِلُهُ بِظَاهِرِ حَلَبَ بَعْدَ إِقَامَتِهِ أَيَّامًا لَا نَرَاهُ لاشتغاله بِتِجَارَتِهِ فِي سَنَةِ
سِتْمِئَةِ هَذِهِ الْأَيَّاتِ :

أَبَا الْفَتْحِ تَاجَ الدِّينِ لَا تَنْسَ وَدُنَا هَلُمَّ نَجِدْ بِالتَّذْكِيرِ عَهْدَنَا
فَقَدْ كَادَ قَلْبِي أَنْ يَطِيرَ بِقَالِي إِلَيْكَ اشْتِيَاقًا فَاشْفِ بِالْوَصْلِ وَجَدْنَا
وَأِنْ لَمْ تَكُنْ فِي الْوَصْلِ شَمْسًا لِعَائِقٍ فَكُنْ مِنْهُ بَدْرًا وَاطْلُعِ اللَّيْلُ عِنْدَنَا
فَقَالَ فِي جَوَابِهِ وَلَمْ يَذْكُرِ الْأَيَّاتِ.

أُنْشَدَنِي أَبُو السَّعَادَاتِ الْمُبَارَكُ بْنُ حَمْدَانَ الْمَوْصِلِيَّ (5) قَالَ أُنْشَدَنِي أَبُو الْحَسَنِ
عَلِيُّ بْنُ يُوسُفَ بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ الصَّفَّارِ الْكَاتِبِ الشَّاعِرِ الْمَارِدِيِّ بَارِبِلَ قَالَ أُنْشَدَنِي
أَبُو الْعَبَّاسِ الْخَزْرَجِيُّ لِنَفْسِهِ :

وَفِي الْوَجَنَاتِ مَا فِي الرُّؤُوسِ لَكِنْ لِرَوْنَقِ زَهْرَهَا مَعْنَى عَجِيبِ
وَأَعْجَبَ مَا التَّعَجَّبُ مِنْهُ أَنِي أَرَى الْبُسْتَانَ يَحْمِلُهُ قَضِيبِ
وَأُنْشَدَنِي أَبُو السَّعَادَاتِ قَالَ أُنْشَدَنِي أَبُو الْحَسَنِ قَالَ أُنْشَدَنِي أَبُو الْعَبَّاسِ مِنْ
شَعْرِهِ :

يَا ظَبِي سَنَجَارُ أَمَا تَرْتِي لِمَنْ قَدْ صَارَ مِنْ أَجْلِكَ فِي كَفِّ الْأَجَلِ
قَدْ كَانَ مَشْغُولًا بِدَرَسِ عِلْمِهِ فَالْيَوْمَ لَا عِلْمَ بَقِي وَلَا عَمَلِ
وَمِنْ جَيْدِ شِعْرِهِ قَوْلُهُ وَرَوَاهُ النَّقَّاشُ عَنْهُ :
رَاضٍ بِحُكْمِ هَوَاكَ وَاجِدٌ فَعَلَامَ أَنْتَ عَلَيَّ وَاجِدٌ

(5) هو ابن الشعار مؤلف عقود الجمان، راجع ص 125 من هذا المجموع.

مَا كَانَ لِي ذَنْبٌ سِوَى أَنِّي سَهَرْتُ وَأَنْتَ رَاقِدٌ
 نَقَلْتُ مِنْ خَطِّ أَبِي حَفْصِ عُمَرَ بْنِ الْخَضِرِ بْنِ اللَّيْثِ بْنِ أَلِذْؤَمِشِ التُّرْكِيِّ
 الْمُطَبِّبِ الدُّنَيْسَرِيِّ⁽⁶⁾ فِي كِتَابِهِ الَّذِي وَسَمَهُ بِحَلْيَةِ السَّرِيِّينَ، مِنْ خَوَاصِّ
 الدُّنَيْسَرِيِّينَ⁽⁷⁾ قَالَ فِي ذِكْرِ أَبِي الْعَبَّاسِ الْخَزْرَجِيِّ هُوَ أَوَّلُ مَنْ دَرَسَ بِالْمَدْرَسَةِ
 الشَّهَائِيَّةِ بِدُنَيْسَرٍ، فَقِيهٌ فَاضِلٌ مُتَفَنِّنٌ عَارِفٌ بِكَثِيرٍ مِنْ عُلُومِ الْأَصُولِ وَالْفَقْهِ وَالنَّحْوِ
 وَسَائِرِ الْأَدَابِ شَهِدَ لَهُ بِذَلِكَ جَمَاعَةٌ مِنَ الْعُلَمَاءِ قَالَ قَالَ لِي أَبُو مُحَمَّدٍ بْنُ عَرَبْدِ
 النَّحْوِيِّ كَانَ أَبُو الْعَبَّاسِ رَحِمَهُ اللَّهُ حَدِيدَ النَّظَرِ سَدِيدَ الْفِكْرِ عَجِيبَ الْفَقْرِ غَرِيبَ
 السَّيْرِ حَسَنَ التَّبَحُّرِ فِي الْعُلُومِ سَلِيمَ التَّصَوُّرِ فِيمَا يُبْدِي مِنَ الْمَثُورِ وَالْمَنْظُومِ جَيِّدَ
 الْفُكَاهَةِ مَتَزَيِّدَ النَّزَاهَةِ لَطِيفَ الشَّمَائِلِ ظَرِيفَ الْمَخَائِلِ لَمْ أَرِ فِي عُلَمَاءِ عَصْرِهِ
 وَمَعْشَرِهِ أَتَمَّ مِنْ بَحْثِهِ وَلَا أَدَقَّ مِنْ نَظَرِهِ وَلَهُ تَصَانِيفٌ فِي فُنُونٍ كَثِيرَةٍ وَشِعْرٌ كَثِيرٌ
 وَلَمْ يَظْهَرْ لَهُ عِنْدَنَا سَمَاعٌ حَدِيثٍ عَلَى طَرِيقِ الزَّوَائِدِ السَّيِّئَةِ بَلْ كَانَ يَذْكُرُ لَنَا أَنَّ
 لَهُ سَمَاعَاتٍ كَثِيرَةً وَقَدْ أَتَشَدَّنِي كَثِيرًا مِنْ شِعْرِهِ ثُمَّ قَالَ وَتُوفِّي رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى
 فِي سَنَةِ إِحْدَى وَسِتِّمِائَةِ بِدُنَيْسَرٍ وَدُفِنَ بِالْمَقْبَرَةِ الْقَبْلِيَّةِ بِهَا⁽⁸⁾.

(3 : 130-133)

2 - أَحْمَدُ بْنُ يُوسُفَ

أَبُو الْعَبَّاسِ التِّيفَاشِيُّ الْقَاضِي⁽⁹⁾ وَتِيفَاشُ⁽¹⁰⁾ قَرْيَةٌ مِنْ قُرَى قَفْصَةِ إِحْدَى بِلَادِ

- (6) تَقَدَّمَ ذَكَرَهُ، وَقَدْ قِيلَ فِيهِ فِي أَوَّلِ التَّرْجُمَةِ : عُمَرُ بْنُ أَحْمَدَ.
- (7) سَمَاهُ ابْنُ سَعِيدٍ وَالصَّفْدِيُّ وَمُرْتَضَى الزُّبَيْدِيِّ : تَارِيخُ دُنَيْسَرٍ وَأُورْدِ السَّخَاوِيِّ فِي الْإِعْلَامِ
بِالتَّوْبِيخِ اسْمُهُ كَمَا هُوَ هُنَا، وَهُوَ مِنْ مَطْبُوعَاتِ مَجْمَعِ اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ بِدَمَشَقِ.
- (8) انْظُرْ تَارِيخَ دُنَيْسَرِ.
- (9) تَعَدَّ هَذِهِ التَّرْجُمَةُ أَفْضَلَ مَا كَتَبَ عَنِ التِّيفَاشِيِّ قَدِيمًا وَفِي الْوَاقِعِ بِالْوُفَايَاتِ (8 : 288-291)
تَرْجُمَةٌ جَيِّدَةٌ لِلتِّيفَاشِيِّ أَيْضًا، وَتَعْتَبَرُ التَّرْجُمَةُ الَّتِي حَرَّرَهَا لَهُ الْمَرْحُومُ ح.ح. عَبْدُ الْوَهَّابِ مَثَلًا
مُمْتَازًا فِي التَّقَاطُفِ أَخْبَارِ الرَّجُلِ مِنْ تَأْلِيفِهِ الْمَخْطُوطَةِ وَالْمَطْبُوعَةِ، وَقَدْ تَوَسَّعَ الدُّكْتُورُ إِحْسَانُ
عَبَّاسٍ فِي تَتَبُعِ مَصَادِرِ تَرْجُمَتِهِ وَتَحْلِيلِ شَخْصِيَّتِهِ (مَقْدَمَةُ سُرُورِ النَّفْسِ).
- (10) ذَكَرَ صَاحِبُ الرُّوضِ الْمُعْطَارِ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَ الْأَرَبِسِ مَرَحَلَةٌ وَوَصَفَهَا وَنَصَّ عَلَى نَسَبَةِ التِّيفَاشِيِّ
إِلَيْهَا وَقَدْ ذَكَرَهَا أَيْضًا يَاقُوتٌ فِي مَعْجَمِهِ.

إفريقية وكان أبو العباس قاضي قفصة⁽¹¹⁾ وكان شيخاً حسناً فاضلاً عارفاً بالأدب وعلوم الأوائل وله شعر حسن ونثر جيد ومُصنّفات حسنة في عدّة فنون كثيرة ألفائدة اجتمعت به بالقاهرة وقد توجّهت إليها رسّولاً فوجدته شيخاً كيساً ظريفاً حريصاً على الاستفادة لما يُورده في تصانيفه ويودّعه مجاميعه وأوقفني على شيء من تصانيفه الحسان وأهدى إليّ بخطّه منها كتاباً وسمّه بالدرّة الفائقة في محاسن الأفارقة⁽¹²⁾ وأنشدني مقاطيع من شعره وذكر لي أنّه ولد بقفصة من بلاد إفريقية وأنّه خرج وهو صبي واشتغل بالديار المصريّة على شيخنا أبي محمد عبد اللطيف بن يوسف البغدادي⁽¹³⁾ ورحل إلى دمشق وقرأ بها على شيخنا أبي اليمن زيد بن الحسن الكندي⁽¹⁴⁾ وأحبّ المقام بها ثم إن نفسه اشتاقت إلى الوطن فعاد إلى قفصة ثم أنّه حنّ إلى المشرق وطالبتّه نفسه بالمقام بدمشق فباع أملاكه وما يثقل عليه حمّله وأخذ معه أولاده وزوجه وماله وركب البحر في مركب اتّخذه لنفسه ففرق أهله وأولاده وخلّص بحشاشة نفسه وخلّص عرب برقة بعض متاعه فخرج معهم متنكراً خوفاً منهم أن يهلكوه، ويأخذوا متاعه وسبقهم إلى الاسكندرية وتوسّل بعمل مقامة ذكر فيها ما جرى له في طريقه وعرف الملك الكامل أبو المعالي محمد بن الملك العادل أبي بكر بن أيوب ملك الديار المصريّة بذلك فكتب له إلى الاسكندرية في تخلص ماله فخلص له منه جُملة ثم إنه لما رحل الملك الكامل إلى آمد وافتتحها⁽¹⁵⁾ توجّه إلى دمشق ومنها إلى حلب ومنها إلى آمد فوجد الملك الكامل راجعاً إلى الديار المصريّة فعاد معه

-
- (11) من مدن تونس المشهورة، وفي الاستبصار والروض المعطار مادة كبيرة حولها.
- (12) كان هذا الكتاب معروفاً في المشرق، فقد ذكره ابن العديم هنا، ونقل عنه ابن الشعار ترجمة أبي زكرياء الحفصي، وقد ذكر في كشف الظنون وهدية العارفين وهو الآن مفقود.
- (13) هو العالم الموسوعي صاحب التصانيف المتعددة، انظر ترجمته في الوافي بالوفيات 2 : 19-16.
- (14) ترجمته في وفيات الأعيان 2 : 339 والوافي بالوفيات 15 : 50 وفي حاشية الترجمة فيهما إحالة على مصادر أخرى.
- (15) كان افتتاحها سنة 629 ودخلها الملك الكامل سنة 630. انظر ترجمة الملك الكامل في وفيات الأعيان 5 : 81.

إليها وشكره بها وذكر لي أنَّ مولده بِقَفْصَةٍ في سنة ثمانين وخمس مائة وأنَّ ولايتهُ الْقَضَاءُ كَانَتْ بَعْدَ رُجُوعِهِ مِنَ الْمَشْرِقِ إِلَيْهَا وَحَكَى لِي غَيْرُهُ أَنَّ سَبَبَ عَزْلِهِ عَنِ الْقَضَاءِ أَنَّهُ وَجَدَ فِي دَارِهِ خَمْرَ فَعَزَلَ بِسَبَبِ ذَلِكَ، وَسَمِعْتُ صَاحِبَنَا نَوْرَ الدِّينِ أَبَا الْحَسَنِ عَلِيَّ بْنَ مُوسَى بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ سَعِيدٍ يَحْكِي أَنَّ أَبَا الْعَبَّاسِ التِّيفَاشِيَّ لَمَّا حَصَلَ مَعَ عَرَبٍ بَرَقَةٍ وَخَافَ مِنْهُمْ كَتَمَ نَفْسَهُ وَسَأَلُوهُ مَنْ هُوَ وَمِنْ أَيْنَ هُوَ وَمَا صَنَعْتَهُ فَقَالَ لَهُمْ أَنَا قَوَادٍ فَقَالُوا : اللَّهُ الْأَحَدُ ! وَأَنْفُوا مِنْهُ وَكَانَ ذَلِكَ سَبَبَ خُلَاصِهِ مِنْهُمْ.

أُنْشِدَنِي شَرْفُ الدِّينِ أَبُو الْعَبَّاسِ أَحْمَدُ بْنُ يُوسُفَ التِّيفَاشِيَّ بِالْقَاهِرَةِ فِي أَبِي الْحَسَنِ عَلِيَّ بْنِ مُوسَى بْنِ سَعِيدٍ الْغُرْنَاطِيَّ يَشِيرُ إِلَى كِتَابِ أَبِي الْحَسَنِ الَّذِي جَمَعَهُ فِي مُحَاسِنِ الْمَغْرِبِ وَسَمَاءِ الْمَغْرِبِ :

سَعِدَ الْغَرْبُ وَازْدَهَى الشَّرْقُ عَجَبًا وَابْتَهَجَا بِمَغْرِبِ ابْنِ سَعِيدٍ
طَلَعَتْ شَمْسُهُ مِنَ الْغَرْبِ تُجَلَّى فَأَقَامَتْ قِيَامَةَ التَّفْنِيدِ
لَمْ يَدْعِ لِلْمُؤَرِّخِينَ مَقَالًا لَا وَلَا لِلرُّوَاةِ بَيْتَ تَشِيدِ
إِنْ تَلَاهُ عَلَى الْحَمَامِ تَغَنَّتْ مَا عَلَى ذَا فِي حُسْنِهِ مِنْ مَزِيدِ

وَأُنْشِدَنِي أَبُو الْعَبَّاسِ التِّيفَاشِيَّ لِنَفْسِهِ فِيهِ :

يَا طَيِّبَ الْأَصْلِ وَالْفَرْعِ الزَّكِيِّ كَمَا يَبْدُو جَنَّا ثَمَرٍ مِنْ أَطْيَبِ الشَّجَرِ
وَمِنْ خِلَائِقِهِ مِثْلُ النِّسِيمِ إِذَا يَهْفُو عَلَى الزَّهْرِ حَوْلَ النَّهْرِ فِي السَّحَرِ
وَمِنْ مُحْيَاةِ وَاللَّهِ الشَّهِيدِ إِذَا يَبْدُوا إِلَى بَصَرِي أَبْهَى مِنَ الْقَمَرِ
أَثْقَلْتُ ظَهْرِي بِرٍ لَا أَقُومُ بِهِ لَوْ كُنْتُ أَتْلُوهُ قُرْآنًا مَعَ السُّورِ
أَهْدَيْتَ لِي الْغَرْبَ مَجْمُوعًا بِعَالَمِهِ فِي قَابِ قَوْسَيْنِ بَيْنَ السَّمْعِ وَالْبَصَرِ
كَأَنِّي الْآنَ قَدْ شَاهَدْتُ أَجْمَعَهُ بِكُلِّ مَنْ فِيهِ مِنْ بَدْوٍ وَمِنْ حَضَرِ
نَعَمْ وَلَا قَيْتَ أَهْلَ الْفَضْلِ كُلَّهُمْ فِي مُدَّتِي هَذِهِ وَالْأَغْصُرِ الْآخِرِ
إِنْ كُنْتُ لَمْ أَرْهُمُ فِي الصَّدْرِ مِنْ عُمْرِي فَقَدْ رَدَدْتَ عَلَيَّ الصَّدْرَ مِنْ عُمْرِي
وَكُنْتُ لِي وَاحِدًا فِيهِ جَمِيعُهُمْ مَا يُعْجِزُ اللَّهَ جَمْعَ الْخَلْقِ فِي بَشَرِ
جَزَيْتَ أَفْضَلَ مَا يُجْزَى بِهِ بِشَرٍّ مَفِيدَ عَمَرٍ جَدِيدَ الْفَضْلِ مَبْتَكَّرِ

بَلَّغَنِي أَنَّ أَبَا الْعَبَّاسِ التِّيفَاشِي نَزَلَ الْمَاءَ إِلَى عَيْنَيْهِ فَعَمِيَ فَقَدَحَهُمَا وَابْصَرَ وَكُتِبَ
وَعُوفِي مِنْ ذَلِكَ ثُمَّ شَرِبَ مُسْهَلًا وَأَعْقَبَهُ بِآخِرِ فَمَاتَ بِذَلِكَ يَوْمَ السَّبْتِ ثَالِثَ
عَشَرَ مُحَرَّمِ سَنَةِ إِحْدَى وَخَمْسِينَ وَسِتَّمِائَةَ بِالْقَاهِرَةِ.

(3 : 309-312)

3 — خَالِصُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ خَالِصٍ

ابن عبد الله بن خالص أبو القاسم بن أبي العباس الغافقي الإشبيلي ثم
الشُّقْرِي⁽¹⁶⁾ قدم حلب وصحب بها محمد بن علي بن العربي⁽¹⁷⁾ وتوجه منها
صحبه إلى بلد الروم ولم يتفق لي به اجتماع حين ورد حلب وكان شاعراً مجيداً
كتب عنه رفيقنا رشيد الدين محمد بن الحافظ عبد العظيم المنذري⁽¹⁸⁾ وقرأت
بخطه أنشدني الشيخ الجليل الفاضل أبو القاسم خالص بن أبي العباس أحمد بن
خالص بن عبد الله بن خالص الغافقي الأندلسي الإشبيلي الأصل الشُّقْرِي المولد
مولده بجزيرة شُقر سنة تسع وثمانين وخمسمائة ظناً بالقاهرة في مُستهل
جمادى الآخرة سنة إحدى وأربعين وستمائة قال أنشدني الأديب أبو الحسن
علي بن أحمد بن حريق⁽¹⁹⁾ لِنَفْسِهِ بِمُرْسِيَّةٍ فِيمَا أَظُنَّ وَقَدْ سَمِعْتُ مِنْهُ كَثِيراً مِنْ
شعره :

يَا لَيْلَةً جَادَتْ الْأَمَانِي بِهَا عَلَى رَغَمِ أَنْفِ دَهْرِي

(16) في التكملة لابن الأبار (313) ترجمة لمن اسمه خالص الإشبيلي، كان مكتباً يقرئ القرآن
بإشبيلية وكان رجلاً صالحاً قال ابن الأبار : «أخذ عنه بعض شيوخنا وقال لي : توفي في
نحو الستائة» ويبدو أن بين هذا والمترجم له قرابة ما.

(17) هو الشيخ محيي الدين.

(18) له ترجمة في الوافي بالوفيات 3 : 264-265 وقد توفي شاباً سنة 644هـ أي بعد روايته
المذكورة هنا بثلاث سنوات.

(19) ترجمته مع الإحالة على بعض مصادرها في الذيل والتكملة 5 : 275-277 وانظر أيضاً
نفع الطيب 1 : 180، 2 : 116، 3 : 371، 409، 410، 464، 4 : 56، 112.

أَسْبَلَ فِيهَا عَلَى نَعْمِي يَقْصُرُ عَنْهَا طَوِيلُ شُكْرِي
إِذْ بَاتَ فِي مَنْزِلِي حَبِيبِي وَقَامَ فِي أَهْلِهِ بَعْدِي
فَبِتُّ لَا حَالَةَ كَحَالِي ضَجِيعَ بَذْرِ صَرِيعِ خَمْرِي
يَا لَيْلَةَ الْقَدْرِ فِي اللَّيَالِي لَأَنْتِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرِ (20)

ونقلت من خطه أيضا أنشدني أبو القاسم خالص المذكور لنفسه في التاريخ
أغلاؤه من قصيدة :

سَرَّتْ غُطْلًا خَوْفَ الْعُيُونِ الرَّوَاصِدِ وَجَرَسَ حُلِيِّي فِي الْفَضِيحَةِ جَاهِدِ
وَخَافَتْ تَفَرِّي اللَّيْلِ عَنْ صُبْحِ وَجْهِهَا فَلَاذَتْ وَلَمْ تَحْفَلْ بَارِسَالٍ وَارِدِ
وَلَوْلَا نَسِيمُ الرِّيحِ عَرَّفَ عَرَفَهَا لَنَيْلَ وَصَالٍ دُونَ وَاشٍ وَحَاسِدِ
وَكَمْ حِيلَةٍ لِلْهَائِمِ الصَّبِّ فِي الْهَوَى يَكِيدُ بِهَا وَالذَّهْرُ جَمُّ الْمَكَايِدِ
وَمَا زَالَ هَذَا الدَّهْرُ يِعْتَامُ بِالْمُنَى مُنَانًا وَيَسْقِينَا سَمَامَ الْأَسَاوِدِ
يُرِيدُ بِنَا مَا لَا تُرِيدُ سَفَاهَةً وَيُورِدُنَا لَا كَانَ شَرُّ الْمَوَارِدِ

ونقلت من خطه وأنشدنا لنفسه في ذم دمشق :
لَأَهْلَ دِمَشْقَ فِي الدُّنْيَا شَقَاءٌ بِسُكْنَاهَا وَهُونٌ غَيْرَ هَيْنِ
مَسَاكِنَ مِنْ مَسَاكِنِهِمْ وَإِنْ لَمْ يَحْسُوا وَهْيَ شَرُّ الشَّقَوَاتَيْنِ
فَإِنْ لَمْ تَغْتَفِرْ لَهُنَّ ذُنُوبَ بِهِ دَخَلُوا جَهَنَّمَ مَرَّتَيْنِ
تُوفِي أَبُو الْقَاسِمِ خَالِصُ بْنُ أَحْمَدَ....

(7 : 252-253)

4 - أَبُو النَّجَا الْأَنْدَلَسِي

من المشائخ الزهاد الصالحين الأولياء المعروفين أخبرني قطب الدين أبو عبد
الله محمد بن شيخنا أبي العباس أحمد بن علي القسطلاني (21) أن أبا النجاء

(20) توجد هذه القطعة أيضا في المغرب 2 : 319 ونفع الطيب 3 : 409-410.

(21) له ترجمة مطولة في الوافي 2 : 132-134 وانظر فيه الإحالة على بعض مصادر ترجمته.

الاندلسي حَجَّ وعَاد على العراق وقَدِمَ المَوْصِلَ واجتمع بها بقَضِيْبِ البَانِ(22) ووصلَ إلى الشَّامِ فدخَلَ حَلَبَ ودمشق ومضى إلى الدِّيَارِ المِصرِيَّةِ وسَكَنَ جَزِيرَةَ فُوقَةَ(23) وماتَ بها ودُفِنَ قال وَلَهُ بها عَقَبٌ. قَالَ لي أَبُو عبد الله بَلَّغْنِي عن الشَّيْخِ أَبِي النُّجَا أَنَّهُ لَمَّا حَجَّ وَقَدِمَ المَدِينَةَ جَاءَ إِلَى الشُّبَّاكِ الَّذِي عِنْدَ أَرْجُلِ الصَّحَابَةِ وَسَلَّمَ مِنْهُ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ وَلَمْ يَدْخُلِ الْمَسْجِدَ احْتِرَاماً لِلنَّبِيِّ ﷺ قَالَ وَكَانَ مُوسِراً فَكَانَ يُسَافِرُ بِالجَمَالِ الكَثِيرَةِ والأُحْمَالِ الكَبِيرَةِ وَكَانَ إِذَا دَخَلَ بِلْداً سَيرَ مِنْ يَحْطُبُ لَهُ امْرَأَةً وَيَسْتَأْجِرُ لَهُ دَاراً وَسَيرَ مَنْ يَكْتَرِي لَهُ للسَّفَرِ فَأَيُّ الأُمَرَاءِ تَيَسَّرَ لَهُ فَعَلَهُ مِنْ سَفَرٍ أَوْ إقَامَةٍ قَالَ وَكَانَ أَبُو النُّجَا مِنْ تَلَامِيذِ ابنِ العَرِيفِ(24) قَالَ وتوفي أَبُو النُّجَا بعد السبعين والخمس مائة بفوقة.

(: 384-385)

(22) من منصوِّفة عصره، انظر ترجمته في تاريخ إربل (ترجمة رقم 274) وراجع ما كتبه محقق الكتاب في القسم الثاني ص 576.

(23) قال ياقوت : بليدة على شاطئ النيل من نواحي مصر قرب رشيد.

(24) هو الصوفي الأندلسي أبو العباس أحمد بن العريف مؤلف كتاب محاسن المجالس التي نشرها أسين بلاسيوس وكتاب مفتاح السعادة الذي نشرته الدكتورة عصمت دندش.

تراجم مغربية
من مسالك الألبصار للعمري

1 — إبراهيم بن محمد الساحلي

المَعْرُوف بالطُّونِجِن أَبُو إِسْحَاق⁽¹⁾.

مَنْبَعُ زُلَالٍ عَذِبِ الْمَاءِ، قُطْبُ الْأَرْضِ وَالسَّمَاءِ، أَزْهَرُ نَجْمًا،....، فَفَاءَتْ لَهُ ظِلَالٌ، وَفَاتَ عَامُهُ كُلَّ قَمَرٍ وَهَلَالٍ.

قَدِمَ مِصْرَ وَنَزَلَ بِهَا عَلَى بَنِي الْأَثِيرِ⁽²⁾ فِي فَلَكٍ عِلَاءٍ، وَمَلَكَ بِهِمْ جَزِيلَ الْآءِ، وَجَرَتْ مَكَاتِبَاتُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ مَنْ لَادَ بِهِمْ مِنَ الْفَضْلَاءِ، وَمَتَّ إِلَى عَلَيْهِمْ⁽³⁾ بِالْوِلَاءِ، وَأَتَى دِمَشْقَ بِكُتُبٍ مِنْهُمْ إِلَيَّ، وَسَبَبِ كَرَمٍ مَوْقِعُهُ لَدَيَّ، وَمَدَحَنِي بِعِدَّةِ قَصَائِدٍ، وَتَرَدَّدَ إِلَيَّ مُدَّةَ أَيَّامٍ، وَرَأَيْتُ لَهُ بَيَانًا تُنْصَبُ مِنْهُ الْمَصَائِدُ، وَلِسَانًا لَهُ الْأَعْرَاضُ حَصَائِدُ، وَأَخَذَ مِنِّي كُتُبًا طَافَ بِهَا أَكْنَافَ الشَّامِ، وَطَارَ بِهَا إِلَى كُلِّ بَارِقٍ يُشَامُ، ثُمَّ عَادَ إِلَى مِصْرَ وَأَتَانِي دَاعِي السُّلْطَانِ إِثْرَ عَوْدِهِ فَأَتَيْتُ مِصْرَ فَوَجَدْتُهُ قَدْ غَابَ عَنْهَا غَيْبَ الْحَيْنِ، وَرَحَلَ لَا إِلَى أَيْنَ، لَا يُعْرَفُ مِنْ خَبَرِهِ إِلَّا مِثْلُ عَنَقَاءِ مُغْرِبٍ، أَوْ أُعْقَابِ نَجْمٍ مُغْرِبٍ، ثُمَّ وَافَتِ الْأَنْخَبَارُ بِأَنَّهُ قَصَدَ بِلَادَ التَّكْرُورِ⁽⁴⁾، وَقَضَى بِهَا مَا أَرَادَ مِنَ السُّرُورِ، وَقَالُوا — وَالْعُهُدَةُ عَلَى النَّاقِلِ — أَنَّهُ سَمَّ أَبْنَ الْكُؤَيْكِ⁽⁵⁾ حِينَ حَلَّ بِنَادِيهِ، وَجَزَاهُ وَلَكِنْ بِكُفْرِ أَيْادِيهِ، هَذَا عَلَى مَا حُكِيَ لِي

(1) انظر دراستنا حول إبراهيم الساحلي، وهي من منشورات معهد الدراسات الإفريقية (19).

(2) بنو الأثير أسرة حلبية الأصل استقرت في مصر وكان أفرادها في خدمة السلاطين المماليك.

(3) هو علاء الدين علي بن أحمد بن سعيد المعروف بابن الأثير (680-730 هـ) كان كاتب السر في عهد السلطان الناصر، انظر ترجمته في الدرر الكامنة 3 : 14-15.

(4) المقصود بها هنا بلاد مالي، وقد فصلنا الكلام على رحلته مع السلطان منسا موسى وإقامته في بلاطه في دراستنا عن الساحلي.

(5) ابن الكويك تاجر مصري من أسرة بني الكويك المشهورة في عصر المماليك، والمذكور هنا هو سراج الدين أحد كبار التجار من أهل الاسكندرية في وقته، وكان أقرض السلطان منسا موسى سلطان مالي ورجال حاشيته وذهب هو وولده إلى مالي ليقتضي ماله فأضافه الساحلي =

بِمِصْرَ مِنْ إِكْرَامِ ابْنِ الْكُؤَيْكِ لَهُ، إِذْ أَتَى مِصْرَ لَا يَمُصُّ بَلَلًا، وَلَا يَجِدُ مَا يَسُدُّ
خَلَلًا، وَلَا يَعُدُّ بَيْتًا يَأْوِي إِلَيْهِ إِلَّا رَأَهُ طَلَلًا، وَذَلِكَ قَبْلَ أَنْ يَغْلُقَ بِحِبَالَةِ بَنِي الْأَثِيرِ،
وَيُظْفَرَ بِحِبَاءِ ذَلِكَ الْمَدَدِ الْكَثِيرِ.

وَمِنْ شِعْرِهِ :

وَالْخَالُ نُقْطَةٌ مَرْكَزٍ فِي وَجْنَةٍ دَارَتْ عَلَيْهِ دَوَائِرُ الْأَحْدَاقِ

وَمِنْهَا :

فِي لَيْلَةٍ أَذْجَى وَأُذْجَنَ جَوْهَا
إِنْ أَطْلَعْتَ بَذْرًا أَنْزَتْ ثَلَاثَةً
يَا ظَبْيَ أُنْسٍ لَمْ يُرْغَ بِتَقْنُصٍ
أَنْيَ خَفِيتَ وَتَحْتَ شَعْرِكَ كَوْكَبٌ
بَيْنَا وَخَمَرْتُنَا لَمْ يَ فِي طَيْهَا
مُتَقَسِّمِينَ كُؤُوسَهَا فَالَسَّقِي مِنْ

لَيْلَانَ مِنْ صُدْغَيْكَ أَوْ أَشْوَاقِي
لِلشَّغْرِ أَوْ لِلْخَمْرِ أَوْ لِلْسَّاقِي
وَهَلَالَ أَفْقٍ لَمْ يُشْنُ بِمُحَاقٍ
لِلْخَدِّ مَطْلَعُهُ مِنَ الْأَطْوَاقِ
نَفْتُ الْحُبَابِ وَقُوَّةُ الدَّرِيَاقِ
أَخْلَاقُهَا وَالسُّكْرُ مِنْ أَخْلَاقِي

وَقَوْلُهُ مِنْ أُخْرَى :

تَالِقَ الْبَرْقُ مُجْتَازًا عَلَى إِضْمٍ
وَصَافَحَ السُّفْحَ مِنْ أَكْنَافِ كَاطِمَةٍ
بِحَيْثُ أُجْرَى دُمُوعِي فَوْقَ دِمْنَتِهِ
وَحَيْثُ أَوْطَأْتُ خَدِّي ثَرَبُهُ كَرَمًا
دَغْنِي وَتَجَدَّأْتُ أَنْادِيَهَا عَلَى نَحْرِي
وَأَسْأَلُ الرِّيحَ هَلْ جَرَّتْ مَطَارِفُهَا
عَاطَتْ كُؤُوسَ الْهَوَى صِرْفًا مُعْتَقَةً

فَبِتْ أَغْشُو لَوْقِدٍ مِنْهُ مُضْطَرِمٍ
وَسَالَمَ الدَّوْحَ مِنْ غَلِيَاءِ ذِي سَلَمٍ
مَاءٌ تَوَلَّدَ مِنْ لَفْحٍ وَمِنْ ضَرَمٍ
وَوَظَلْتُ أَقْفُو عَلَى آثَارِهِ بِفِمِي
مِنْ رَبْعِهَا فَأَنَاجِيهَا عَلَى صَمَمٍ
عَلَى الْمُحَصَّبِ أَوْ أُرْسَتْ عَلَى الْعَلَمِ
فَأُبْرَزْتُ حَبِيًّا يَطْفُو عَلَى لِمَمٍ

= فحدث أنه توفي في تلك الليلة فقيل إنه مات مسموما واتهم الساحلي بذلك ولكن ولد ابن الكويك قال : «إني أكلت معه ذلك الطعام بعينه فلو كان فيه سم لقتلنا جميعا لكنه انقضى أجله» انظر رحلة ابن بطوطة : 202 وقد كان ابن الكويك هذا تاجرا وعالما، انظر ترجمته في الدرر الكامنة 2 : 405 وترجمة ولده أبي جعفر في المصدر نفسه 4 : 24-25 وترجمة ولده الثاني أبي اليمن في المصدر نفسه 4 : 25، وانظر في وفاة سراج الدين ابن الكويك أيضا مسالك الأبصار 27 : 409.

وَمَالَ بِي عَنْ مُعَاطَةِ الصَّبَا زَمَنٌ
 وَاهَا لِعُمْرِ قَطَعْنَاهُ عَلَى خُدَعٍ
 قَضَيْتُ عُمْرِي وَعَيْنُ الْغَيِّ مُبْصِرَةٌ
 وَصَمَّ سَمْعِي كَانَ لَمْ يَأْتِهِ نَبَأُ
 فَا أَخَا الْعِيسَى يُزْجِيهَا مُحَلَاةٌ
 تَرَوِي بِدَمْعٍ مِنَ الْأَجْفَانِ مُنْبَجِسٍ
 مَذْ شَارَفَ الرُّكْبُ أَكْنَافَ الْعَقِيقِ وَمَا
 وَأُظْهِرَتْ طَيِّبَةُ الطَّيِّبِ الَّتِي نَسَمَتْ
 قِفَ بِالضَّرِيحِ وَمَا ضَمَّتْ صَفَائِحُهَا
 أَنْوَارُهُ غُرَّةً فِي الْمَجْدِ نِيرَةً
 وَلَاخَ مِنْ نُورِهِ مَعْنَى أَضَاءَ بِهِ

أَدَى إِلَى شَيْبَةٍ أَدَّتْ إِلَى هَرَمٍ
 مِنْ الْهَوَى وَأَضَعْنَاهُ عَلَى كَرَمٍ
 طَرِيقَ لَهْوِي وَزَهْوِي وَالرَّشَادُ عَمِي
 لِلدَّهْرِ حَدَّثَ عَنْ عَادٍ وَعَنْ إِرَمٍ
 لَمْ تَشْكُ مِنْ سَهَرٍ يَوْمًا وَلَا سَامٍ
 وَتَصْطَلِّي بِلَظَى فِي الْقَلْبِ مُضْطَرِمٍ
 أَرْقَ هَضْبَاهُ مِنْ بَابٍ وَمِنْ سَلَمٍ
 عَنْ ثَرِيَّةٍ حَلَّ فِيهَا أَشْرَفُ النَّسَمِ
 مِنَ النَّبِيِّ الرَّضِيِّ الطَّاهِرِ الشِّيمِ
 وَفَخْرُهُ شَمَمٌ فِي مَعْطَسِ الْكَرَمِ
 مَقَامُ آدَمَ... وَهُوَ فِي الْعَدَمِ.

2 — مُحَمَّدُ بْنُ مُحَمَّدٍ ابْنُ مُحَمَّدٍ الطَّائِي الْقَفْصِي

مَا نَهْنَهَ فِي الدَّأْبِ، وَلَا قَصَرَ بِهِ إِلَّا حِرْفَةُ الْأَدَبِ، قَدِمَ مِصْرَ وَأَقَامَ بِالْقَاهِرَةِ
 لَا تَسْعُهُ شَوَارِعُهَا، وَلَا تُجَرُّعُهُ مَشَارِعُهَا، وَهِيَ عَلَى مَجْمَعِ نَاسِهَا، وَمَسْبِعِ
 أَخْيَاسِهَا، لَا تُبَيِّتُهُ إِلَّا عَلَى سَعْبٍ، وَلَا تَسْكُنُ لَهُ إِلَّا عَلَى شَعْبٍ، كَانَ بِهَا
 يَسْتَجِدِّي بِالشَّعْرِ، وَلَا يُجَدِّي عَلَيْهِ رُخْصُ السَّعْرِ، وَكَانَ فِيهَا يَحْمَدُ كُلَّمَا التَّهَبَ،
 وَيَطْلُبُ نُحَاسَةً وَهُوَ يُنْفِقُ الذَّهَبَ، فَاهَا لِتَصَارِيفِ الْأَيَّامِ، وَإِخْوَاجِ الْكِرَامِ إِلَى
 اللَّثَامِ، فَلَقَدْ طُوِيَتْ بِهِ مَحَاسِنُ طَيِّ لَا بَلْ هُدَّتْ قَوَاعِدُهَا، وَهَدَّاتُ رَوَاعِدُهَا....
 وَمِنْ بَدِيعِ شِعْرِهِ قَوْلُهُ فِي السِّفِينَةِ⁽⁶⁾ الَّتِي عَلَى قُبَّةِ الْإِمَامِ الشَّافِعِيِّ رَحِمَهُ
 اللَّهُ :

(6) قُبَّةُ الْإِمَامِ الشَّافِعِيِّ مِنْ أَفْخَمِ الْقُبَابِ فِي مِصْرَ وَهِيَ مِنْ إِنْشَاءِ الْمَلِكِ الْكَامِلِ الْأَيْوُبِيِّ، وَمَاتَزَالُ =

سَقَى قُبَّةَ الشَّافِعِيِّ الْإِمَامِ مِنْ الْكَوْثَرِ الْأَغْنَى الْجَارِيَةِ
لَهُ قُبَّةٌ تَحْتَهَا سَيِّدٌ وَبَحْرٌ لَهُ فَوْقَهَا جَارِيَةٌ

3 - خَلَفَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ

ابْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ خَلَفَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ مُحَمَّدٍ الْغَافِقِيِّ الْقُبْتُورِيِّ (7)
الْأَصْلُ الْإِشْبِيلِيُّ الْمَوْلِدُ وَالْمَنْشَأُ.

هَبَّتْ بِمِصْرَ رِيحُهُ مَرَّةً عَلَى مَرَّةٍ، وَشَبَّتْ فِيهَا مَصَابِيحُهُ كَرَّةً عَلَى كَرَّةٍ، وَحَجَّ
فِي الْأُولَى يَلْطِمُ بِأَيْدِي الْعَيْسِ وَجْهَ السَّبَّسَبِ، وَيَطَأُ عَقَارِبَ اللَّيْلِ وَلَوْ أَنَّهُ بَزْبَانَاهَا
يُلْسَبُ، حَتَّى قَضَى نَفْسَهُ، وَتَطَوَّفَ بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ لَا يَخَافُ رَفَثَهُ، وَسَمِعَ عَلَيْهِ
هُنَاكَ مِنْ شِعْرِهِ، وَأَجِدُ عَلَى خَاطِرِي مِنْ ذِكْرِهِ، مِمَّا أَنْشَدَنَا شَيْخُنَا أَبُو حَيَّانَ
قَوْلَهُ :

وَاحْسَرْنَا لِأُمُورٍ لَيْسَ يَبْلُغُهَا مَا لِي وَهَنْ مَنَى نَفْسِي وَأَمَالِي
أَصْبَحْتُ كَأَلَالٍ لَا جَدْوَى لَدَيَّ وَمَا أَلَوْتُ جِدًّا وَلَكِنْ جَدِّي أَلَالِي

4 - جَعْفَرُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ (8)

مِنْ وَلَدِ إِدْرِيسِ الْمُتَايِدِ (9) بْنُ يَحْيَى الْمُعْتَلِي الْحَسَنِيِّ.

= السَّفِينَةُ فَوْقَهَا مَوْجُودَةٌ، وَيُقَالُ إِنَّهَا تَسَعُ قَدْرَ نِصْفِ أَرْدَبٍ لِإِطْعَامِ الطُّيُورِ وَهِيَ تَرْمِزُ كَمَا قَالَ
الشَّاعِرُ هُنَا إِلَى الْإِمَامِ الشَّافِعِيِّ الَّذِي كَانَ فِي عِلْمِهِ كَالْبَحْرِ.

(7) تَرْجُمَتُهُ أَيْضًا فِي الْوَافِي بِالْوُفَيَّاتِ 13 : 371-372، وَانْظُرِ الْمَصَادِرَ الْمَشَارَ إِلَيْهَا فِي الْحَاشِيَةِ
وَلَيْسَ فِيهَا الْمَسَالِكُ.

(8) هَذَا مِنَ الْأَدَارِسَةِ الَّذِينَ اسْتَقَرُّوا بِمِصْرَ، وَتَرْجُمَتُهُ فِي الْوَافِي بِالْوُفَيَّاتِ 11 : 151-152 وَفِي
مَصَادِرٍ أُخْرَى ذَكَرَهَا الْمُحَقِّقُ فِي الْحَاشِيَةِ وَلَيْسَ فِيهَا مَسَالِكُ الْأَبْصَارِ، وَقَدْ تَقَدَّمتْ تَرْجُمَةُ وَالِدِهِ
ضَمَّنَ هَذَا الْمَجْمُوعَ (ص 119).

(9) انْظُرْ فِي هَذَا الْمَلِكِ الَّذِي هُوَ الْمُتَايِدُ الْإِدْرِيسِيُّ الْحَمُودِيُّ الْإِعْلَامُ لِلزَّرْكَلِيِّ.

قَمَرٌ لَهُ أَدَبٌ يَكَادُ غُصْنُهُ يُهْتَصَرُّ، وَمَزْنُهُ يُعْتَصَرُّ، طَالَ بَاغُ قَصَائِدِهِ فَمَا فِيهَا
 قِصْرٌ، وَلَا جَفَفَ بَلَلٌ فِيهَا حَصْرٌ، إِلَى مَحَاسِنَ لَوْ نُشِرَتْ لَجَلَّتْ كُلُّ بَصَرٍ،
 وَلَحَلَفَتْ أَنْ تَدْعَ لِلزَّلَالِ إِلَّا مَا فَضَّلَ مِنْ خَصَرٍ عَلَى أَنَّهَا لَمْ تَحُلْ مِنْ كَلِمٍ
 بِهَا يُتَّصَرُّ، وَحِكْمٍ لَهَا طَرِيقٌ إِلَى الْقُلُوبِ مُخْتَصَرٌ، يَنْمِي فَرْعُهُ إِلَى مَلِكٍ كَانَ
 لَا يُحْرَمُ سَائِلُهُ، وَلَا يَعْظُمُ إِلَّا الْبَحْرُ وَنَائِلُهُ، نُكِسَتْ لَهُ رُؤُوسُ أَعْدَائِهِ الصُّغَرِ،
 وَأَمِنَتْ رَعِيَّتُهُ مِنَ الدُّعْرِ، وَغَلَّتْ مَهَابَتُهُ أَيْدِي الطُّغَاةِ فَلَمْ تَمْتَدَّ، وَالْأَنْتَ حَصَاةٌ
 تَأْلِبِهِمْ فَلَمْ تَشْتَدَّ، وَلَقَدْ كَانَ آمِلُهُ يَسْتَقْبِلُ الْعُمَرَ جَدِيداً، وَيَسْتَقْبِلُ النُّجُومَ عَدِيداً،
 وَيَسْتَقِرُّ حَيْثُ رَأَى الْمَرْعَى خِصْباً وَالظِّلَّ مَدِيداً، وَمِمَّا عَلَى ذِكْرِي مِنْ شِعْرِهِ
 مِمَّا أَشَدَّ شَيْخُنَا أَبُو حَيَّانَ قَوْلَهُ :

يَا أَهْيَلُ الْحَيِّ مِنْ كَاطِمَةٍ قَدْ لَقِينَا مِنْ هَوَاكُمُ نَصَبَا
 قُلُومُ جُزْ لَتَرَانَا بِالْحِمَى وَمَلَأْتُمُ حَيَّكُمُ بِالرُّقْبَا

5 - مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ الصَّدْفِيُّ الْإِشْبِيلِيُّ⁽¹⁰⁾

هُوَ الصَّدْفِيُّ الَّذِي لَا يُخْرِجُ إِلَّا الدَّرَّ الْيَتِيمَ، وَلَا يَوْمَنْ حَتَّى يُلْمَسَ جَانِبَ
 الْعَقْدِ النَّظِيمِ، مَا وَلَدَتْ مِثْلَهُ إِشْبِيلِيَّةٌ وَلَا أَكَنَّهُ دَهْرُهَا، وَلَا أَجَنَّهُ جَنَائِهَا وَلَا سَقَاهُ
 نَهْرُهَا، وَمِنْ شِعْرِهِ قَوْلُهُ مِنْ قَصِيدَةٍ أَوَّلُهَا :

مَا بِي مَوَارِدُ حُبِّي بَلْ مَصَادِرُهُ أَلْلَحْظُ أَوَّلُهُ وَاللَّحْدُ آخِرُهُ
 يُيَاشِرُ الْوَشْيَ مِنْ أَعْطَافِهِ بَشْراً يَكَادُ يَجْرَحُهُ قَوْلِي يُيَاشِرُهُ
 هُوَ الْحَدِيقَةُ لَكِنْ رُبَّمَا كَمَنْتُ مَكَانَ حَيَاتِهَا مِنْهُ غَدَائِرُهُ

(10) ترجمته في المغرب 1 : 263 وفي الحاشية ذكر لمصادر متعددة في ترجمته ولا ذكر للمسالك فيها.

6 — الكساد الإشبيلي⁽¹¹⁾

لِلَّهِ هُوَ مِنْ كَسَادٍ هُوَ النَّفَاقُ، وَوَاحِدٍ فِي طَرِيقِهِ عَلَى كَثْرَةِ الرَّفَاقِ، وَجَالِبٍ
 دُرٌّ وَقَفَ حَالُهُ حَتَّى عُرِفَ بِالْكَسَادِ، وَأَلْفَ الزَّمَانُ لَهُ الْكِيَادُ، لِأَنَّهُ لَمْ يُعْرِفْ لِمَا
 مَعَهُ قِيَمَةٌ، وَلَا وَجَدَ زَبُونٌ تَنْفُقَ عَلَيْهِ تِلْكَ الْفَرَايِدُ الْيَتِيمَةَ، وَلَهُ فِي مَلِيحِ حُلُقِ
 رَأْسِهِ لِيُكْسَى قُبْحًا، فَمَحَا لَيْلَهُ وَبَقِيَ كُلُّهُ صُبْحًا، مِمَّا أَنْشَدَهُ لَهُ شَيْخُنَا أَبُو حَيَّانَ :
 كَانَ مُوسَى كَهْلًا لَيْسَ لَيْلُهُ إِذْ يَتَبَدَّى الشَّعْرُ
 قَبْدًا مُذْ حَلَقُوا لِمَتَّهُ مِنْ مُحْيَاهُ صَبَاحُ مُسْفَرٍ
 كَانَ إِلَّا قَمْرًا تَحْتَ الدُّجَى فَانْجَلَى اللَّيْلُ وَلَا حَ الْقَمَرُ
 أَوْ كَزَهْرٍ فِي كَامٍ كَامٍ شَقَّتْ عَنْهُ فَنَمَ الزَّهَرُ

7 — مُحَمَّدُ بْنُ إِدْرِيسَ الْقَلْلُوسِي⁽¹²⁾

مِنْ أَهْلِ الْغَرْبِ، جَاَزَ الْأَنْدَلُسَ تَجْرِي بِهِ السُّفُنُ فِي مَوْجِ كَالْجِبَالِ، وَيَتَلَعَهُ
 تُعْبَانُ أَلِيمٌ وَمَا أَلْقَى لَهُ مِنْ عَصِيٍّ وَجِبَالٍ، حَتَّى عَلِقَ بِمَلِكٍ لَوْ رَامَ الْبَحْرُ أَنْ
 يَتَشَبَّهُ بِهِ لَرَامَ الشَّطْطَ، أَوْ دَنَا النَّجْمُ مِنْ رَبِّهِ لَحَلَّ أَشْرَفَ الْخِطْطِ، أَوْ اسْتَنَارَ
 الْمَحْدُودُ بِشُهُبِهِ لَتَجَلَّى حَظُّهُ الْغَطْطِ، أَوْ اتَّصَلَ الزَّمَانُ بِسَبَبِهِ لَمَا قُطَّ شَعْرُ لَيْلِهِ
 الْقَطْطِ، وَلَهُ شِعْرٌ فَائِقٌ، مِنْهُ مِمَّا أَنْشَدَهُ لَهُ شَيْخُنَا أَبُو حَيَّانَ :
 لَا تُنْكِرَنَّ تَشَارِيطاً بوجْتِيهِ فَإِنَّهَا أَثَرُ الْأَلْحَاطِ وَالْفِكَرِ
 فَطَالَمَا جُرِحَتْ بِاللَّحْظِ وَجَنْتُهُ وَالْجُرْحُ لَيْسَ لَهُ بُدٌّ مِنَ الْآثَرِ⁽¹³⁾

(11) ترجمته في المغرب أيضا 1 : 288 وفي الحاشية ذكر لمصادر ترجمته ماعدا المسالك.

(12) توجد ترجمته في الإحاطة وغيرها من المصادر المغربية، ومن المصادر المشرقية الوافي بالوفيات 2 : 184.

(13) مهد لهما الصفدي بقوله : «أنشدنا له الخطيب أبو عبد الله محمد بن رشيد النسبتي بالقاهرة قال : أنشدنا لنفسه في مشروط.

8 — مُحَمَّدٌ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ حَسَنٍ

ابن عامر التجيبي⁽¹⁴⁾

مِنْ أَهْلِ بَلَشَ، فَقِيهٌ طَالَمَا شَيَّدَ بِهِ دَرْسٌ، وَجُدَّدَ غَرْسٌ، رَحَلَ مِنْ الْأَنْدَلُسِ
إِلَى مِصْرَ وَسَكَنَ الْقَاهِرَةَ، وَقَصَرَ هَوَاهُ عَلَى رُبُوعِهَا الزَاهِرَةِ، وَنَزَلَ بِهَا فِي
الْمَدَارِسِ، وَنَزَّهَ بِبُحُوثِهَا فِي أَزْكَى الْمَغَارِسِ، وَكَانَ ظَاهِرَ الصَّلَاحِ، زَاهِرَ
الْمِصْبَاحِ، يُقَطِّعُ اللَّيْلَ إِحْيَاءً، وَيُعِيدُ أَمْوَاتَ الْقُلُوبِ أَحْيَاءً، وَمِنْ شِعْرِهِ مِمَّا أُتِّشِدَ
شَيْخُنَا أَبُو حَيَّانَ قَوْلُهُ فِي مَلِيحٍ لَهُ رَقِيبٌ أَحْوَلُ :

أَحْوَى الْجُفُونِ لَهُ رَقِيبٌ أَحْوَلُ الشَّيْءُ فِي إِدْرَاكِهِ شَيْئَانِ
يَا لَيْتَهُ تَرَكَ الَّذِي أَنَا مُبْصِرٌ وَهُوَ الْمُخَيَّرُ فِي الْغَزَالِ الثَّانِي

9 — أَبُو مُحَمَّدٍ عَبْدُ الصَّمَدِ

ابْنُ مُحَمَّدٍ التَّوَزَّرِيِّ⁽¹⁵⁾

شَابَّ تَشَبَّ مَعَهُ ذُكَاؤُهُ، وَبِهِبَ خَاطِرُهُ بِمَا يَتَوَقَّدُ بِهِ ذُكَاؤُهُ، يَتَوَسَّمُ كَالزَّرْعِ
زُكَاؤُهُ، وَيَتَبَسَّمُ أَثَرُ يَرَاعِهِ إِذَا جَدَّ بُكَاءُهُ، جَلِيسٌ مُمْتِعٌ الْمَذَاكِرَةِ، مُمْرِغٌ
الْمُحَاضِرَةِ، وَإِلَى أَنْ رَأَيْتُهُ سَنَةَ ثَمَانٍ وَثَلَاثِينَ وَسَبْعِمِائَةَ مَا بَقَلَ وَجْهُهُ بِنَبَاتِهِ، وَلَا
بَقِيَ لِلنَّجُومِ إِلَّا مَا لَفَظَ مِنْ أُبْيَاتِهِ، أَوْقَفَنِي عَلَى قِطْعٍ مِمَّا جَمَعَهُ لِلنَّاسِ، وَمَنَعَهُ
بِمَا يَحْمِي بِهِ ظُبِّي الْكِنَاسِ، ضَنَا تَعْتَرُّ بِهِ الْأَبْكَارُ، وَظَنَّا أَنْ يَحْصُلَ بِأَدَبِهِ الْمُشْعَشِعُ
الْإِسْكَارُ.

(14) ترجمته أيضا في الوافي بالوفيات 2 : 140 والصفدي يروي ما ذكره من خبره وشعره عن أبي حيان مثل العمري.

(15) لم أقف له على ذكر في مكان آخر.

أَتَى فِي الرِّكْبِ الْمَغْرِبِيِّ، لِحَجِّ الْبَيْتِ الْحَرَامِ وَزِيَارَةِ النَّبِيِّ، ثُمَّ كَرَّ رَاجِعاً،
وَعَرَبَ كَوَكْبَهُ الَّذِي أَشْرَقَ لَمَّا شَرَقَ طَالِعُهَا؛ وَكَتَبَ إِلَيَّ مُسْتَجِيزاً، كَلَاماً وَجِيزاً،
وَهُوَ : وَعَدَ سَيِّدِي... الدَّهْرَ وَأُبْنَاءَهُ، وَمُعْلِي صَرْحِ الْفَخَّارِ وَمُشِيدَ بِنَائِهِ،.....
وَهَبَهُ اللَّهُ عُمراً طويلاً، وَذِكْراً جَمِيلاً لَا يَنْغِي عَنْهُ تَحْوِيلاً، وَنَصْرَهُ نَصْراً عَزِيزاً
مُعْجَلاً، وَمِثْلَهُ مُوْجَلاً، بِإِجَازَةِ خَدِيمِهِ الْمُتَطَاوِلِ...

فَفِي الْوَقْتِ أَجَزْتُهُ، وَعَجَّلْتُ لَهُ الْوَعْدَ وَأَنْجَزْتُهُ، فَكَتَبَ إِلَيَّ :

وَصَلَّنِي أَعَزَّ اللَّهِ سَيِّدِي مِنْ إِجَازَتِهِ مَا تَهْتُ بِهِ عُجْباً وَفَرْحاً، وَمَشَيْتُ بِهِ
مُخْتِلاً مَرِحاً، إِذْ أَمْطَانِي كَاهِلَ الشَّعْرِى الْعُبُورِ، وَأَرَانِي وَجَوَارِي الْأَفْلَاحِ دُونِي
تُدُورُ، وَأَبَانَ لِي قُصُورَ شُكْرِي وَأَنَا جِدُّ شُكُورِ، وَقَامَ بِي فَتَهَضُّتُ عَلَى رَغَمِ
الْجِدِّ الْعُثُورِ، وَقَدْ يَجِدُ هَذَا الْمُصْطَنِعُ مَنْ يُقَرِّبُهُ، وَيَغَالِي هَذَا الْمُصْطَنِعُ وَلَا يَقْدِرُ
عَلَى أَزِيدَ مِنْ أَنَّهُ يُحِبُّهُ، وَلَوْلَا أَنَّهُ مِنْ حَرَكَةِ الْأَوْبَةِ عَلَى أَوْفَارِ، وَأَنَّهُ لَمْ يَأْنِ
لَهُ إِلَّا وَقْفَةُ مُجْتَازِ، لَقَرَنَ هَذِهِ الْبَرِيَّةَ إِلَى ذَلِكَ الْجَنَابِ بِمَدْحَةٍ يَطُولُهَا وَلَا يَبْلُغُ
قُصَارَاهَا، يَتَعَرَّضُ بِهَا الْآنَ لِمَنْ رَأَاهُ، وَسَيَتَأْتِي ذِكْرُهُ مِنْ ثَغْرِ الْأُسْكَندَرِيَّةِ الْمَحْرُوسِ
إِنْ أَقَامَ بِهَا الرِّكْبُ يَوْمَيْنِ، بِمَا يَخْلُو مِنْ زُورٍ وَمَيْنِ، وَالسَّلَامُ الْأَزْكَى، الْمُفْتَرُّ
كَالزَّهْرِ ضَحْكَاً، النَّاصِعُ طَيْبُهُ الْفَائِحُ بِالْعِطْرِ مَا سَحَبَتْ بِهِ جَلَابِيئُهُ، عَلَى ذَلِكَ
الْمَجْدِ الْأَشْرَفِ، وَالْجَنَابِ الْأَرْحَمِ الْأَرَأَفِ، وَرَحْمَةِ اللَّهِ وَبَرَكَاتِهِ.

وَكَتَبَ إِلَيَّ مِنَ الْإِسْكَندَرِيَّةِ كِتَاباً مَعَ قَصِيدَتِهِ الَّتِي جَهَّزَهَا، وَعَقِيلَتِهِ الَّتِي مِثْلُ
الْعُرُوسِ أَبْرَزَهَا كِتَاباً طَوِيلَهُ... بِهِ وَأَرْسَلَهُ، وَمِنْهُ : وَهِيَ قَصِيدَةُ بَنَى أَمْرُهُ عَلَى
إِطَالَتِهَا فَقَصَّرَهَا، وَعَلَى أَنَّهُ يَقْدِرُ بِهَا حَقَّ تِلْكَمُ الْجَلَالَةِ فَمَا قَدَّرَهَا وَتَوَهَّمَ أَنَّهُ
مُقَدِّمٌ بِهَا وَسَائِلُهُ فَأَخَّرَهُ لَمَّا رَأَى تَأَخَّرَهَا، عَلَى أَنَّ تِلْكَمُ السِّيَادَةَ أَشْرَفُ مِنْ كُلِّ
مَا يُقَالُ، وَتِلْكَمُ الْمَجَادَةُ أَعْظَمُ مِنْ جَمِيعِ مَا يَتَخَيَّلُهُ فِكْرٌ أَوْ يَدُورُ عَلَى بَالٍ،
وَمَا أَلْمَادِحُ لَهَا وَإِنْ أَطْنَبَ، وَالْوَاصِفُ لَهَا وَإِنْ خَيَّمَ عَلَى السُّهَى وَالْفَرْقِدِ وَطَنَّبَ،
إِلَّا مُقْصِراً غَيْرَ مَعْذُورٍ، وَشَاكِراً مُبَالِغاً غَيْرَ مَشْكُورٍ، لِأَنَّهَا لَا تُعْطَى حَقُّهَا وَلَا
تُؤْفَى، وَالسَّاكِتُ فِي مَقَامِ جَلَالَتِهَا أَبْلَغُ مِنَ الْمُتَكَلِّمِ فَإِنَّ نُورَ الشَّمْسِ لَا يَخْفَى.

10 — أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّد

أَبْنُ عَبْدِ الْوَاحِدِ الْعَقِيلِي⁽¹⁶⁾ الْبَيْرِي. مِنْ وَلَدِ عَقِيلِ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. كَانَ قَدْ بَلَغَنِي صِبْيَتُهُ، ثُمَّ سَوَّغَنِي الدَّهْرُ أَنِّي لَقَيْتُهُ، فَرَأَيْتُهُ عَذَبَ الْجَنَى، حُلُوَ الْمُنَى.

إِلَّا أَنَّهُ ذُو مَخَارِقَ يَحْلُبُ بِهَا الْعُقُولَ، وَيَسْلُبُ بِهَا صُرَّةَ الدَّرْهِمِ الْمَعْقُولَ، أُمُورٌ أَعْلَمَهَا لِلْإِغْرَابِ وَتَعْلَمَهَا مِنْ مَكْرِ الْغُرَابِ، وَرَاوَعٌ بِهَا مُرَاوَعَةَ الثَّغْلَبِ، وَغَاوَرٌ فِي طَلَبِهَا مُعَاوَرَةَ السَّلُوقِيِّ لِلْأَرْبِ.

قَدِمَ مِصْرَ يَوْفِرُ مِنَ الْبَلَاغَةِ عَمِيمٍ، وَوَقِرَ مِنَ الْإِفْلَاقِ مَا مِنْهُ وَمِنْ أَوْلَادِهِ بِهِ إِلَّا عَالِمٌ، وَسَحَرِ سَحَرُوا بِهِ أُعْيِنَ النَّاسَ وَاسْتَرْهَبُوهُمْ، وَخَلَبُوهُمْ فِي وَسْطِ بُيُوتِهِمْ وَسَلَبُوهُمْ، وَأَتُوا مِنْ ذَهَبِ الْأَدَبِ بِمَا يَثْرَى بِهِ كُلُّ غَرِيمٍ، وَخَلَطُوا بَيَانَهُمْ بِالْمَخَارِقِ فَجَاءُوا بِسِحْرِ عَظِيمٍ.

وَحَدَّثَنِي أَنَّهُ كَتَبَ لِأَبِي عَلِيٍّ عُمَرُ بْنُ السُّلْطَانِ أَبِي سَعِيدٍ، وَأَنَّهُ غَمَرَهُ بِإِحْسَانٍ مَا عَلَيْهِ مَزِيدٌ، وَبَقِيَ مَعَهُ حَتَّى ظَفَرَ بِهِ أَخُوهُ السُّلْطَانُ أَبُو الْحَسَنِ عَلِيٌّ وَأَسْكَنَهُ قَيْدَ ثَلَاثَةِ أَدْرُعٍ فِي الْبَيْدِ، وَأَمْسَكَ الْعَقِيلِيَّ هَذَا وَاعْتَقَلَهُ وَثَقَّفَهُ بِالْحَدِيدِ، ثُمَّ أَمَرَ بِتَسْرِيجِهِ، وَأَطْلَقَهُ مِنْ مُعْتَقِلِ ظَنِّهِ بَاطِنَ ضَرْيَجِهِ، وَأَطْبَقَهُ فِي التُّرَابِ تَحْتَ صَفِيحِهِ، ثُمَّ أَسْتَكْتَبَهُ فِي إِنْشَائِهِ، وَاسْتَصْحَبَهُ لِقَرَبِ قَلْبِهِ وَطَوِيلِ رَشَائِهِ، لِأَنَّهُ رَجُلٌ خُلِقَ مِنْ أَدَبٍ لَا يَتَكَلَّفُهُ، وَلَا يَعِدُ مَوْعِدًا فَيُخْلِفُهُ، وَحَضَرَ مَعَهُ فَتَحَ تِلْمِسانَ وَكَتَبَ فِي بَشَائِرِهَا، وَأَتَى بِغَرَائِبَ فِي عَجَائِبِ بِلَادِهَا وَعَشَائِرِهَا، ثُمَّ خَرَجَ حَاجًّا وَرَكِبَ ثَبَجَ الْبَحْرِ فَغَرِقَ مَا مَعَهُ وَنَجَا بِيَدَيْهِ، وَأَتَى وَلَا شَيْءَ مَعَهُ، سِوَى فَنُونٍ أَفْنِيهِ، وَأَوَّلَ

(16) لم أقف على ترجمته وإنما وقفت على أبي عبد الله محمد بن علي بن الصباغ العقيلي الغرناطي وأبي الحسن علي بن محمد بن عبد الحق بن محمد بن الصباغ العقيلي الغرناطي. انظر الكتيبة الكامنة : 228 ونفح الطيب 5 : 129، 6 : 257، وتشتمل هذه الترجمة على فوائد جديدة، وقد استفاد العمري كثيراً من هذا الكتاب المريني وروى عنه في المسالك أخباراً جغرافية وتاريخية وأدبية متفرقة.

مَا دَخَلَ الْقَاهِرَةَ أَتَى إِلَيَّ وَنَزَلَ فِي دَارٍ كَانَ فِيهَا جَارِي، وَتَرَدَّدَ عَلَيَّ لِسَمَاعِ
مَا بَلَغَهُ فِي الْمَغْرِبِ مِنْ أَشْعَارِي، وَكَانَ جَمَّ الاسْتِحْضَارِ، إِذَا حَضَرَ عَنِ الْحُضَارِ،
وَإِذَا سَابَقَ جَدَّ فِي الْإِحْضَارِ، مَعَ أَدَبِ طَرِي، كَأَنَّهُ بُرُودُ عَبْقَرِي.

وَكُتِبَ إِلَيَّ مَعَ قَصِيدَةٍ :

أُبْدِيْتُهَا أَعْلَى اللَّهِ قَدْرَكَ خَجَلًا، وَأَهْدَيْتُهَا عَجَلًا، وَفَضْلَكَ يُشْرِفُهَا بِالْقَبُولِ،
وَالِإِعْتِنَاءِ الْمَبْدُولِ، فَقَبُولُكَ لَهَا يُشْنِفُ آذَانَهَا، وَيُلْحِقُ بِزُهْرِ النُّجُومِ حَوْدَانَهَا، عَلَى
أَنِّي فِي وَصْفِ حُلَاكَ، وَنَشْرِ عِلَاكَ، كَمَنْ كَاثَرَ الْبَحْرَ بِصُبَابَةٍ وَكَابَرَ اللَّيْثَ بِذُبَابَةٍ،
لَكِنْ فَضْلَكَ يَصْنَحُ وَيُغْضِي وَيَسْمَحُ، أَبْقَاكَ اللَّهُ سَنًا لِلْمُتَّقِينَ، وَسَنَدًا لِلْمُعْتَفِينَ،
وَأَدَامَ غُلُوكَ، وَوَصَلَ ارْتِقَاءَكَ وَسُمُوكَ، وَالسَّلَامُ أَلْبَهَجُ الْبَشْرِ، الْأَرْجُ النَّشْرِ،
يَخْتَصِرُ كَمَالَكَ، وَيَعْتَمِدُ جَلَالَكَ مِنْ مُعْظَمِ قَدْرِكَ، وَمُنْظَمِ قَلَائِدِ فَخْرِكَ، فُلَانِ،
مَا أُعْرِبْتُ عَنْ لَيْنِ الْغُصْنِ حَرَكَاتِهِ، وَرَحْمَةِ اللَّهِ وَبَرَكَاتِهِ.

فَكَتَبْتُ جَوَابَ قَصِيدَتِهِ وَكَتَبْتُ مَعَهَا : أَنَحْفَتَنِي أَعَزَّكَ اللَّهُ بِعَقِيلَةٍ عَذْرَاءَ،
وَخَمِيلَةٍ غَرَاءَ، مَا اكْتَحَلَ طَرْفُ نَاطِرٍ بِمِثْلِهَا، وَلَا تَخِيلَ طَالِبٌ بِأَغْزَرَ مِنْ فَضْلِهَا،
وَشَيْ سَحَابٍ مُنْهَمِرٍ، وَدَرَّ حَابٍ مُقْتَدِرٍ، جَبَاهَا نَوْضٌ، وَجَنَاهَا رَوْضٌ، السَّحَرُ
حَشَوُ مُقْلَهَا، وَالْكُحْلُ فَاضِلُ كَحْلِهَا، جَاءَتْ مِنْ الْمَغْرِبِ، بِالْفَضْلِ الْمَغْرِبِ.

فَقُلْتُ : أَهْلًا بِأَسَدٍ غَضَنْفَرٍ جَاءَ مِنْ خَيْسِهِ، وَقُمْتُ آخِذٌ مِنَ الْغَرْبِ مَا أودَعَهُ
الْشَّرْقُ مِنْ دُرَرِ الْكَوَاكِبِ فِي كَيْسِهِ، وَطَفِقْتُ أُعْتَرِفُ لِلْغَرْبِ بِفَضْلِهِ، لِمَا رَأَيْتُ
مِنْ أَهْلِهِ، وَلَمَّا بَعَثَ تِلْكَ الْعَقِيلَةَ تَتَهَادَى فِي تَرْبِهَا، عَفَّرَ الْهِلَالَ جَبِينَهُ فِي تَرْبِهَا،
فَرَأَيْتُ أَكْبَرَ آيَاتِهَا وَلَا ضَيْرَ، وَطَلَعَتِ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا وَمَا تَمَّ إِلَّا الْخَيْرُ.

قُلْتُ : وَلَقَدْ أَضْرَبْتُ عَنْ آيَاتِ الْقَصِيدَتَيْنِ إِذْ كَانَتْ قَصِيدَتُهُ تَتَضَمَّنُ فِي
مِنَ الْمَدْحِ، مَا لَوْ أُثْبِتَتْ لَمْ آمِنْ فِي مِنَ الْقَدَحِ، فَمَا تَرَكُهَا هِيَ وَجَوَابُهَا لِقُصُورِ
فِيهِمَا، وَلَا لِشَيْءٍ بِسَبَبِهِ أُخْفِيهِمَا، إِلَّا لِمَا قَالَ فِي قَصِيدَتِهِ فِي مِنَ الْمَدِيحِ، وَإِنِّي
لَا أَقْنَعُ مِنَ الزَّمْرِ بِرِيحٍ، فَهَذِهِ حَالُ قَصِيدَتِهِ، فَأَمَّا قَصِيدَتِي فَإِنَّهَا جَوَابُ، وَإِيرَادُهَا
مِمَّا لَا يَقْتَضِيهِ الصَّوَابُ، عَلَى أَنَّهُ غَيْرُ بَدْعٍ إِذَا سَتَرْتُ عَوَارِي وَكُنْتُ لَهُ أُوَارِي.
ثُمَّ نَعُودُ إِلَى ذِكْرِ الْبَيْرِي فَنَقُولُ : وَمِنْ نَثْرِهِ قَوْلُهُ : وَكِتَابُنَا هَذَا إِلَيْكُمْ وَجَانِبُ

هَذَا الْأَمْرِ قَدْ اتَّسَعَ مَجَالُهُ، وَنُصِرَتْ أَنْصَارُهُ وَرِجَالُهُ وَالْعَدُوُّ قَدْ بَدَتْ أَوْجَالُهُ، وَدَنْتَ بِعَوْنِ اللَّهِ آجَالُهُ، وَالْفَتْحُ الْمُبِينُ قَدْ خَفَقَتْ أَعْلَامُهُ، وَسَيْفُ اللَّهِ قَدْ رَاعَ الْأَعْدَاءَ ائْتِسَامُهُ، وَالْمَنْحُ قَدْ لَذَّ ائْتِسَامُهُ، وَالِدَوْلَةُ قَدْ تَوَلَّى اللَّهُ رَفَعَ مَنَارِهَا، وَارْتِفَاعُ نَارِهَا، وَإِشْرَاقُ أَنْوَارِهَا.

وَقَدْ عَلِمْتُمْ أَنَّا كُنَّا [تَوَجَّهْنَا] نَحْوَ بِلَادِ دَرْعَةَ حَرَسَ اللَّهُ سَاحَتَهَا، وَعَمَرَ بِالْعَافِيَةِ مِسَاحَتَهَا، لِنُتَمَتَّعَ فِيهِمْ نَوَاطِرَ طَرْفِهَا الشَّوْقِ، وَنَجْبَرَ مِنْهُمْ قُلُوبًا أَذْنَفَهَا إِلَيْنَا الشَّوْقِ، وَقَصَدْنَا تَدْوِيخَ الْبِلَادِ السُّوسِيَةِ كَيْ نُقَرَّ أَمْرَهَا فِي نِصَابِهِ، وَنُتَرِّعَ حَقْنَا فِيهَا مِنْ أَيْدِي غُصَّابِهِ، أَخَذْنَا نَسْتَجْلِبُهُمْ بِأَتَمِّ وَجْهِهِ الاسْتِجْلَابِ، وَنُحْضُّهُمْ عَلَى الْجَمَاعَةِ الَّتِي هِيَ رَحْمَةٌ وَنُحَذِّرُهُمْ مِنَ الْفُرْقَةِ الَّتِي هِيَ عَذَابٌ، إِلَى أَنْ أَنْقَادَ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ لِلطَّاعَةِ عَصِيَّتُهُمْ، وَالْقَيْتِ دُونَ الْقِتَالِ حِبَالُهُمْ وَعِصِيَّتُهُمْ، وَقُرْبَ دَانِيهِمْ وَقَصِيَّتُهُمْ، صُنْعًا مِنَ اللَّهِ كَرِيمًا، وَفَضْلًا مِنْ لَدُنْهِ عَظِيمًا، ﴿ذَلِكَ الْفَضْلُ مِنَ اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ عَلِيمًا﴾، ثُمَّ عُدْنَا بِالْجَيْشِ الْمُوقِرِ، وَالْجَمْعِ الْمَنْصُورِ الْمُظْفَرِ، بِمَا يَرُوقُ رُوءَاءَ، وَيَحْسُنُ فِي نُصْرَةِ اللَّهِ غَنَاءً.

وَمِنْهُ قَوْلُهُ : «وَعَرَّسْنَا بِوَادِيهِ، وَخَيَّمْنَا بِنَادِيهِ، فَالْجَانَانُ إِلَى حِصْنِهِ الَّذِي يَعْتَصِمُ بِذُرُوتِهِ، وَيَمْتَنِعُ بِصَهْوَتِهِ، فَالْفَيْنَاءُ قَدْ فَتَحَ مِنَ الْكِبَرِ الَّذِي أَتَى عَلَيْهِ مِنْهُ أَكْبَرُ بَابٍ، وَوَشَجَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الشَّقْوَةِ ائْتِسَابُ، وَهَيْهَاتَ هَيْهَاتَ مِمَّنْ لَمْ يَرُغْهُ أَوْعَارُ الْجِبَالِ وَلَا أَقْتِحَامُ الْبِحَارِ وَلَا آغْتِسَافُ الْيَابِ، فَسَاعَةً وَصُولُنَا نَاصِبِنَاهُ الْقِتَالِ، وَزَحْفُنَا إِلَى جِلَادِهِ بِالْخَيْلِ وَالرِّجَالِ، وَأَسْغَنَاهُ، زُعَافَ الْقِرَاعِ وَالنِّصَالِ، فَتَفَقَّتْ يَوْمَئِذٍ سَوْقُ الْآجَالِ، وَازْدَحَمَتْ فِيهِ الرِّجَالُ عَلَى الرِّجَالِ، وَالنِّصَالُ عَلَى النِّصَالِ، وَكَثُرَ الْقَذْفُ بِالْحِجَارَةِ وَالرَّمْيُ بِالنَّبَالِ، وَفِي كُلِّ ذَلِكَ لَمْ يَمَسَّ أَوْلِيَاءَنَا قَرْحٌ، وَلَا تَخْطَى صَفْقَتُهُمْ رِبْحٌ، بَلْ كَانَ النَّصْرُ مِنْ أَوَّلِ صَدْمَةٍ صَدَمَوْهَا، وَالظَّفَرُ لِأَوْلِيَانَا عَلَى الْعَادَةِ الَّتِي أَلْفَوْهَا وَعَلِمَوْهَا، وَنَاجَزْنَا الشَّقِيَّ غَيْرَ بَعِيدٍ، وَأَرَيْنَاهُ الْعَذَابَ مِنْ غَيْرِ وَعِيدٍ، وَأَذَقْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ حَرَّ الْحَدِيدِ، وَأَنْزَلْنَاهُ بِهِمْ بِأَسَهِ الشَّدِيدِ، فَلَمَّا رَأَى مِنْ أَمْرِ اللَّهِ مَا رَاعَهُ وَهَالَهُ، وَضَاعَفَ حُزْنَهُ وَأَوْجَالَهُ، لَمْ تَجِدْ فِي التَّمَسُّكِ مَطْمَعًا، وَلَا قَالَ قَائِلٌ لَهُ مِنْ عَثَرَتِهِ لَعَا، فَقَالَ بِلِسَانِ حَالِهِ لِنَفْسِهِ الْخَبِيثَةِ : أَيَّتُهَا

النَّفْسُ أَجْمَلِي جَزَعًا، فَغَصَّتْ لَهَوَاتُهَا بِالْحِمَامِ، وَقَرَعَتْ ظَنَابِيهَ حُبِّكَ الْحُسَامِ،
وَوَطِئَتْ بِلَدَّهُ الْجَيْشُ الْعَرَمَرَمَ، وَشَفَى أَوَامَهُ مِنْهُمْ... اللَّهُدَمَ، وَحَصَلْنَا الذَّخَائِرَ
وَالْأَمْوَالَ، وَالْعُدَدَ وَالْأَثْقَالَ، وَالْقَنَاطِيرَ الْمُقَنْطَرَةَ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ، وَالْخَيْلِ
الْمُسَوِّمَةِ وَالْأَنْعَامِ مِمَّا ضَيَّقَ عَلَى رَحْبِ الْمَكَانِ أَرْضَهُ، وَفِي أُسْرَعٍ مِنْ كَسْرِ
الطَّرْفِ، لَا بَلْ أَقْرَبَ مِنْ لَمَحِ الطَّرْفِ، مَلَأَ اللَّهُ الْأَيْدِيَ مِنْ طَارِفِهِمْ وَتِلَادِهِمْ
وَأَعَادَ إِلَى الْقِلَّةِ وَالذَّلَّةِ وَافَرَ أَعْدَادِهِمْ، فَاقْرَأُوا هَذِهِ الْبُشْرَى فِي نَوَادِيكُمْ، وَابْعَثُوا
مِنْهَا نُسخًا إِلَى بَوَادِيكُمْ، وَاشْكُرُوا اللَّهَ عَلَى هَذَا الْفَتْحِ الَّذِي نَظَّمَ شَمْلَ الْبَشَرِ،
وَنَثَرَ سَلَكَ الْمَكْرِ وَالشَّرِّ، فَالشُّكْرُ مِفْتَاحُ الْمَزِيدِ، وَعُنْوَانُ الْخَيْرِ الْعَتِيدِ، وَتَيَقَّنُوا
أَنَّ حَبْلَ اللَّهِ هُوَ الْأَقْوَى، وَأَنَّ الْعَاقِبَةَ لِلتَّقْوَى.

وَمِنْهُ قَوْلُهُ :

وَأَمَرْنَا أَنْ تَأْخُذُوا فِي مَحْوِ هَذَا الْحِصْنِ مِنْ دِيْوَانِ الْوُجُودِ، وَأَنْ تُنْزَلَ بِهِ أُمَّ
الْمَنَآيَا السُّودِ، ثُمَّ إِذَا أَتَمَمْنَا بِمَنْ آلَهِ هَذَا الْعَمَلِ، الْمُقْضِي بِقُوَّةِ اللَّهِ إِلَى بُلُوغِ
الْأَمَلِ، نَأْخُذُ فِي الْإِيَابِ وَنُسْرِعُ فِي الْإِنْقِلَابِ.

11 — أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ مُحَمَّدٍ

ابْنِ أَبِي الْبَرَكَاتِ السَّلَاجِيِّ⁽¹⁷⁾

قَدِمَ مِصْرَ وَأَوَى إِلَيَّ، وَثَوَى حَوَالِيَّ، وَبَقِيَ بُرْهَةً أُنَيْسَ وَخَدَتِي، وَجَلِيسَ
مَوَدَّتِي، وَكَانَ ظَرِيفًا فِي هَيْئَتِهِ، لَطِيفًا بِخِلَافِ فِتْنَتِهِ.
وَكَانَ الْمَوْسِيقِي جُلًّا مَا يَعْرِفُهُ، وَقَلَّ أَنْ لَا يَأْلُفُهُ، قَالَ لِي : إِنَّهُ مِنْ أَهْلِ بَيْتِ

(17) لا توجد له ترجمة في مصدر آخر وهو من البيت السلاجبي المشهور كان بفاس، وقد روى
عنه العمري مراراً في المسالك وتحرف اسمه في المطبوع والمخطوط من هذا الكتاب وقد تحدثت
عنه في بحث لي حول المصادر الشفوية المغربية في كتاب مسالك الأبصار.

ثَوَارِثُهُ بَنُوهُ، وَتَدَبَّرُهُ بَعْدَ جَدِّهِ أَبُوهُ، وَأَتَتْهُمْ أَهْلُ انْقِطَاعٍ، مَا فِيهِمْ مَنْ خَدَمَ السُّلْطَانَ فِي مَنْصِبٍ، وَلَا نَالَ مِنْهُ جَنَى مُجْدِبٍ وَلَا مُخْصِبٍ.

أَتَى حَاجًّا وَقَضَى نُسْكَهَ، وَمَضَى عَلَى أَثَرِهِ فِيمَا اسْتَطَاعَ أَنْ يَسْلُكَهُ، فَأَقَامَ بِالْقَاهِرَةِ ثُمَّ تَعَرَّفَ بِي، ثُمَّ تَحَوَّلَ إِلَى قُرْبِي، وَتَأَكَّدَتْ بَيْنَنَا الْمَعْرِفَةُ حَتَّى صَارَتْ صُحْبَةً، ثُمَّ سَارَتْ بِهِ قَدَمُهُ إِلَى حَيْثُ قَضَى نَحْبَهُ.

بَلَغَنِي أَنَّهُ مَاتَ بِقَابِسَ، وَحَبَسَهُ بِهَا لِلْمَنِيَّةِ حَابِسَ.

وَكَانَتْ لَهُ فِي الْأَدَبِ مُشَارَكَةٌ مَا قَصُرَ فِيهَا وَلَا طَالَ، وَلَا وُصِفَ فِيهَا سَحَابُهُ بِجَهَامٍ وَلَا هَطَالٍ.

وَكَتَبَ إِلَيَّ : رَضِيَ اللَّهُ عَنِ السِّيَادَةِ السَّنِيَّةِ، وَالْمَجَادَةِ السَّرِيَّةِ، الْمَطِيرَةِ السَّحَابِيَّةِ، الْخَطِيرَةِ الشَّهَابِيَّةِ، الْعَلِيَّةِ الْعُمَرِيَّةِ، نَسَبٌ يَجُرُّ عَلَى الْمَجَرَّةِ ذَيْلُهُ، وَيُجْرِي فِي مَيْدَانِ الْإِفْتِخَارِ نُجْبُهُ وَخَيْلُهُ، فَازَ مُجَلِّيًا خِصَالِ سَبْقِهِ، وَجَارَ مُوَالِيًا أَكَارِمَ غَرْبِهِ وَشَرْقِهِ، وَمَنْ ادَّعَى الْجَمْعَ فَفَارُوقُهُ سَمَى عَلَى تَحْقِيقِ فَرْقِهِ، عِلْمٌ وَأَدَابٌ، يُرَى عَلَى الزُّهْرِيِّ ابْنِ شِهَابٍ،.....

وَبَعْدُ، فَلَمَّا تَنَسَّمَ عَبْدُكُمْ نَسَمَاتِ هَذِهِ الْخَمَائِلِ، وَتَعَرَّفَ مِنْ شَمَائِلِهَا مَا أَشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ مِنْ لَطَافَةِ تِلْكَ الشَّمَائِلِ، أَرَادَ اللَّهُ أَنْ نَتَقَرَّبَ بِمَدْحَةٍ مُسْكِيَةٍ نَسَمَائِهَا، شَمْسِيَّةٍ قَسَمَائِهَا، أُعْطَافُهَا أَغْصَانٌ، وَأَرْدَافُهَا كُثْبَانٌ، وَوَجَنَائِهَا لَجَنَى الْقُطُوفِ بُسْتَانٌ، يَمْدَحُ بِهَا فَتَى قُرَيْشٍ وَابْنُ كَهْلِهَا، وَوَاحِدُ الدُّنْيَا وَابْنُ وَاحِدِهَا هَكَذَا جَدًّا بَعْدَ جَدٍّ بَيْنَ أَهْلِهَا، وَأَكْمَلِهَا جُودًا، وَأَسْعَدِهَا جُدُودًا، وَمَا أَنَا يَا سَيِّدِي أَدَامَ اللَّهُ نَصْرَكَ، وَأَعْلَى قَدْرَكَ، إِلَّا كَجَالِبِ الثَّمَرِ إِلَى هَجَرٍ وَلَكِنِّي رَدَدْتُ الْبِضَاعَةَ لِمُبْضِعِهَا، وَالْأَمَانَةَ لِمَوْضِعِهَا، إِنْ أَحْسَنْتُ فِإِرتِضَاؤُكُمْ يُظْهِرُهُ وَيُيَدِّدُهُ، وَإِنْ أَسَأْتُ فِإِغْضَاؤُكُمْ يَسْتُرُهُ وَيُخْفِيهِ.

وَكَتَبَ مَعَهَا إِلَيَّ قَصِيدَةً وَمِنْ غَزَلِهَا مِمَّا افْتَحَهَا بِهِ مِنْ أَوَّلِهَا :

بَادِرْ إِلَى الرُّوضِ الْأَنِيقِ الزَّاهِرِ	وَاسْرُخْ بِلَحْظِكَ فِي رِيَاضِ الزَّاهِرِ
فَالطَّلُّ مِنْ فَوْقِ الْغُصُونِ كَأَنَّهُ	دُرٌّ يُنْظَمُ فِي عُقُودِ جَاذِرِ
وَبَنْفَسُجُ الرُّوضِ النَّضِيرِ كَأَنَّهُ	زُرْقُ الْعُيُونِ بَدَتْ لِعَيْنِ النَّاطِرِ

مَعَ سَوَسَنِ رَاقِ النَّهْيِ كَأَنَّمِ لَمْ
أُقِظْ نَدِيمَكَ مِنْ كَرَاهِ وَعَاطِهِ
مِنْ كَفِّ أَحْوَرِ بَابِلِي لَحْظُهُ
إِنْ كَانَ يَجْحَدُ سَفَكَ سَيْفِ جُفُونِهِ
قَبَضَتْ عَلَى تَبْرِ بِهَا مُتَنَائِرِ
كَأَنَّ الْحُمَيَّا كَالصَّبَاحِ السَّافِرِ
يَسْبِي الْعُقُولَ لَهُ بِطَرْفِ سَاحِرِ
فَبِخْدِهِ أَثَرٌ يَبِينُ لِنَاطِرِ
(13 : 186)

12 — أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدٌ ابْنُ الصَّائِغِ الْقُرَشِيُّ الْأُمَوِيُّ⁽¹⁸⁾

أَغْزُرُ مَنْ أَعْرِفُ أَدَبًا، وَأَكْثُرُ فِي تَخْصِيلِهِ دَأْبًا، وَأُنْقَدُ مَنْ رَأَيْتُ لِمَعْنَى، وَأَوْقَدُ
مَنْ رَضِيَتْ ذَهْنًا، هُوَ فِي أَلْفَةِ إِمَامٍ مُبَرِّزٍ، لِجَمِيعِ كَلَامِ الْعَرَبِ مُخْرِزٍ، مَعَ نَحْوِ
مَا تَرَكَ مِنْهُ شُعْبًا، وَلَا خَلَى مِنَ الْعَرَبِيَّةِ ذُلُولًا وَلَا صَعْبًا، مَلَكٌ نَوَافِرِ الْمَلِكِ حَتَّى
اِقْتَادَ جَوَامِحَهَا، وَارْتَادَ مَسَارِحَهَا، وَسَدَّ فِي الْعُرُوضِ خَلَلَ الْخَلِيلِ، وَبَرَزَ عَلَى
التَّبْرِيزِ فِي مُصَنَّفِهِ الْجَلِيلِ وَطَرَفَ قُدَّامَهُ ابْنُ الْحَاجِبِ حَاجِبًا، وَانْقَطَعَ ابْنُ
الْقَطَّاعِ وَمَا أَدَّى وَاجِبًا، وَرَكِبَ بُحُورَهُ وَلَمْ يَخْشَ الْغَرَقَ، وَأَتَى بِقَوَائِمِهِ وَمَا
أَزْعَجَهَا فِي أَمَاكِنِهَا الْفَلَقَ، وَلَهُ فِي الصَّنَاعَتَيْنِ مَا فَاقَ الدَّرَرَ، أَدَبٌ وَلَدَيَّ، وَبَثَّ
فَرَائِدُهُ لَدَيَّ، طَالَمَا آجَتْنِي مِنْهُ ثَمَرًا، وَاخْتَلَيْتُ قَمَرًا، وَاجْتَلَيْتُ مِنْهُ بِالْمُذَاكِرَةِ
سَمَرًا، وَهُوَ مِمَّنْ يَأْوِي بِالْمَرِيَّةِ إِلَى بَيْتِ عَرِيقٍ، وَأَصْلُ مَرَوَانِي أَيْنَعُ لَهُ غَصْنٌ
وَرِيقٌ، ذَكَرَ أَنَّهُ مِنْ وَلَدِ هِشَامِ ابْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ، وَأَنَّهُ مِنَ النَّسَبِ الْأُمَوِيِّ فِي السَّنَامِ
لَا فِي الْوَرِكِ، وَهِيَ الْآنَ بِالْقَاهِرَةِ أَحَدُ أَعْلَامِهَا، الْمَطِيبُ لِسِقَامِ آلِهَا وَالْمُطِيبُ
فِي مَحَاسِنِ كَلَامِهَا، وَمَا النَّيْلُ مِنْ خَلَائِقِهِ الْحُسْنَى بِأَعْدَبِ، وَلَا الْمَغْنَاطِيسُ مِنْ
إِبْدَاعِهِ بِأَجْدَبِ، وَمِنْ نَثَرِهِ قَوْلُهُ :

وَقَفَ الْحَجَّاجُ وَوَقَفْنَا دُونَ مَا عَهْدَ إِلَيْنَا

(18) له ترجمة جيدة في الوافي بالوفيات 3 : 375-378 وقد أثبت له الصفدي قصيدة لزومية طويلة تدل على قدرته الشعرية العالية، وترجمته أيضا في الدرر الكامنة 3 : 484-486، والكتيبة الكامنة 88-90 والإحاطة 2 : 433-442.

وَسَعُوا وَسَعِينَا فِيمَا تَعُودُ لِأَيْمَتُهُ عَلَيْنَا

وَقَوْلُهُ :

تَفَرُّوا وَانْقَلَبْنَا بِالْوِزْرِ عَنِ الْاِزْتِكَاضِ
وَأَفَاضُوا وَأَفْضُنَا بِقِدَاحِ الْقَدَحِ فِي الْأَعْرَاضِ

وَقَوْلُهُ :

رَانَ آلْهَوَى عَلَى الْقَلْبِ فَفَسَدَ
وَسَرَى الْحَسَدُ فِينَا سَرَى الرُّوحِ فِي الْجَسَدِ

وَقَوْلُهُ :

قَسَتْ الْقُلُوبُ فَمَا تَتَأَثَّرُ لَزَجِرٍ زَاجِرٍ
وَحَضَرَتْ مَجَالِسُ الذِّكْرِ وَكَأَنِّي لَسْتُ بِالْحَاضِرِ

وَقَوْلُهُ :

اسْتَيْقِظُوا فَقَدْ لَاحَ نُورُ الصَّبَاحِ
وَأَجِيبُوا فَقَدْ حَيَّعَلَ دَاعِي الْفَلَاحِ
وَأَصْلِحُوا أَحْوَالَكُمْ فَقَدْ فَازَ بِالْجَنَّةِ أَهْلُ الْفَلَاحِ

وَقَوْلُهُ :

وَاضْرَعُوا إِلَى اللَّهِ فِيمَا يُنْجِيكُمْ
وَتَوَسَّلُوا إِلَيْهِ يُطْمِعْكُمْ فِيمَا لَدَيْهِ وَيُرْجِيكُمْ

وَمِنْ شِعْرِهِ قَوْلُهُ :

بَرْقُ الثَّيِّبَةِ أَمْ ثَنَائِكَ الَّتِي	خُطِفَ الْفُؤَادُ بِبَرَقِهَا الْخَطَافِ
مَرَّكَ بُسْتَانِي وَذِكْرُكَ مُطْرِبِي	وَهَوَاكَ سُكْرِي لَا كُؤُوسِ سُلَافِ
سَلْسَالُ وَرْدٍ لَوْ يُيَاخُ لِظَامِيءِ	وَرِيَاضُ وَرْدٍ لَوْ دَنَتْ لِقَطَافِ
عَارَتْ فَعَارَتْ مِنْهُ أَقْمَارُ الدُّجَى	لَمَّا آنَجَلَى فِي فَرْعِ لَيْلٍ صَافِي
تَقْسُو عَلَيَّ وَمَا بِهَا لَوْ أَنَّهَا	رَقَتْ لِرِقَّةِ قَلْبِي التَّرْجَافِ
سَائِلُ رِيَاضِ الْحُسْنِ مِنْ وَجَنَاتِهَا	مَا أَثْبَتَ الْأَغْصَانُ فِي الْأَخْفَافِ

وَقَوْلُهُ :

بُعْدُ الْمَزَارِ وَلَوْعَةُ الْمُشْتَقِ حَكْمًا بِفَيْضِ مَدَامِعِ آلَمَاقِ
 أُمُغْلِي أَنْ التَّوَاصُلَ فِي غَدِ مَنْ ذَا الَّذِي لِعَدِ فَدَيْتَكَ بَاقِ
 عُجْ بِالْمَطِيِّ عَلَى الْحِمَى سَقِي الْحِمَى صَوْباً كَصَيْبِ دَمْعِي الرَّقَرِاقِ
 فِيهِ لِذِي الْقَلْبِ السَّلِيمِ وَدَادُهُ قَلْبٌ سَلِيمٌ مَا لَهُ مِنْ رَاقِ
 قَلْبٌ غَدَاةً فِرَاقُكُمْ فَارْقَتْهُ لَا كَانَ فِي الْآيَامِ يَوْمُ فِرَاقِ
 (47-44)

13 — مُحَمَّد بن محمد بن عبد الرحمن

آبَنُ يُوسُفِ الْإِمَامِ الْعَلَامَةِ الْمُتَّقِنِ جَامِعُ أَشْتَاتِ الْفَضَائِلِ رُكْنُ الدِّينِ أَبُو عَبْدِ
 اللَّهِ ابْنُ الْقُوبَعِ الْقُرْشِيِّ⁽¹⁹⁾ الْهَاشِمِيُّ الْجَعْفَرِيُّ الْمَالِكِيُّ التُّونُسِيُّ لَبِيبٌ مُبْصِرٌ لَا
 يَخَافُ مِنْهُ التَّخْبِيطُ، وَطَبِيبٌ مُكْثِرٌ لَا يُوتَى عَلَيْهِ مِنَ التَّخْلِيطِ، أَثَقَنَ الْعِلْمَ إِثْقَانًا
 وَدَرَبَ الْعَمَلَ إِذْ كَانَ لَا يَغِبُّ لَهُ اتِّبَانَا هَذَا إِلَى فَضْلِ مُتَسَعٍ وَسَيْفِ وَرَاهُ كُلِّ
 مُتَّبِعٍ جَدِّ فِي الطَّلَبِ حَتَّى كَانَ جَدِيلَهُ الْمُحَكَّكَ وَغُذَيْقَةَ الْمَرْجَبِ لَا يُشَكَّكَ، وَكَانَ
 حِينَ وَخَطَ الْمَشِيبُ غَارِضَهُ وَاسَكَّتْ مُعَارِضَهُ أَشَدَّ مَا كَانَ غَارِضَةً وَأَشَدَّ مُعَارِضَةً
 لَمْ يَمْتَدِّ مَعَهُ لِمَجَادِلِ نَفْسٍ وَلَا رَفَعَ رَأْسَهُ نَحْوَ مُنَاطِظٍ إِلَّا نَكَسَ لثَاقِبَ فِكْرَةٍ حُطَّ
 عَنْهَا قَنَاعُهَا وَكَثُرَ لِكُلِّ قَرِيعٍ الْخَزْمُ قِرَاعُهَا فَتَقَهَّرَ كُلُّ مُتَقَدِّمٍ عَنْ مَكَانِهِ وَعَلِمَ
 أَنَّ دُونَهُ مَا فِي امْكَانِهِ لَمْ أَرْ لَهُ نَظِيرًا فِي مَجْمُوعِهِ وَاتِّقَانِهِ وَاسْتِحْضَارِهِ وَاطْلَاعِهِ
 كَانَ مُجِيدًا فِي الْأُصُولِ وَالْحَدِيثِ وَالْفِقْهِ وَالْأَدَبِ وَاللُّغَةِ وَالنُّحُو وَالْعُرُوضِ
 وَأَسْمَاءِ الرِّجَالِ وَالتَّارِيخِ وَالشُّعْرِ يَحْفَظُ لِلْعَرَبِ وَالْمَوْلَدِينَ وَالْمُتَأَخِّرِينَ غَايَةَ فِي الطَّبِّ
 وَالْحِكْمَةِ وَمَعْرِفَةِ الْخُطُوطِ خُصُوصًا خُطُوطَ الْمَغَارِبَةِ قَدْ مَهَّرَ فِي ذَلِكَ وَبَرَعَ وَإِذَا
 تَحَدَّثَ فِي شَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ كُلِّهِ تَكَلَّمَ عَلَى دَقَائِقِهِ وَغَوَامِضِهِ وَنُكْتِهِ حَتَّى يَظُنَّ سَامِعُهُ
 إِنَّمَا أَفْنَى عَمْرَهُ فِي ذَلِكَ الْفَنِّ قَالَ شَيْخُنَا الْعَلَامَةُ قَاضِي الْقُضَاةِ أَبُو الْحَسَنِ
 السُّبُكِيِّ⁽²⁰⁾ وَهُوَ مَا هُوَ مَا اعْرِفَ أَحَدًا مِثْلَ الشَّيْخِ رُكْنِ الدِّينِ أَوْ كَمَا قَالَ وَقَدْ

(19) له ترجمة موسعة في الوافي بالوفيات 1 : 238-247 والدرر الكامنة 4 : 181-184.

(20) هو والد مؤلف طبقات الشافعية، انظر تعريف ولده به في الطبقات 10 : 139-339.

رَأَى جَمَاعَةً مَا أَتَى الزَّمَانُ لَهُمْ بِنَظِيرٍ بَعْدَهُمْ مِثْلَ الشَّيْخِ وَحَكَى أَبُو الْفَتْحِ ابْنَ سَيِّدِ النَّاسِ (21) أَنَّهُ لَمَّا قَدِمَ إِلَى الدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ وَهُوَ شَابٌّ حَضَرَ سَوْقَ الْكُتُبِ وَابْنُ النُّحَاسِ (22) شَيْخَ الْعَرَبِيَّةِ حَاضِرٌ وَكَانَ مَعَ الْمُنَادِي دِيَوَانَ ابْنِ هَانِي الْمَغْرِبِيِّ فَأَخَذَهُ الشَّيْخُ رُكْنَ الدِّينِ وَأَخَذَ يَتَرَنَّمُ بِقَوْلِ ابْنِ هَانِي :

فَتَكَاتَ لِحْظُكَ أَمْ سَيْوَفُ أَيْبِكَ وَكُؤُسُ خَمْرِكَ أَمْ مَرَاشِفُ فَيْبِكَ
وَكَسَرَ النَّاءَ وَفَتَحَ الْفَاءَ وَالسَّيْنَ وَالْفَاءَ فَالْتَفَتَ إِلَيْهِ ابْنُ النُّحَاسِ وَقَالَ لَهُ مَاذَا إِلَّا نَصَبْتُ كَثِيرٌ فَقَالَ لَهُ الشَّيْخُ رُكْنَ الدِّينِ بِتِلْكَ الْحِدَّةِ الْمَعْرُوفَةِ مِنْهُ وَالْمَعْرِفَةِ أَنَا مَا أُعْرِفُ الَّذِي يَرِيدُ مِنْ رَفْعِ هَذِهِ الْأَشْيَاءِ عَلَى أَنَّهَا أَخْبَارُ لِمَبْتَدَأَاتٍ مَقْدَرَةٌ أَيْ أَهْذِهِ فَتَكَاتَ لِحْظُكَ أَمْ كَذَا أَمْ كَذَا وَأَنَا الَّذِي أَقُولُهُ أَغْزَلُ وَتَقْدِيرُهُ أَقَاسِي فَتَكَاتَ لِحْظُكَ أَمْ أَقَاسِي سَيْوَفُ أَيْبِكَ وَأَرَشَفُ كُؤُسِ خَمْرِكَ أَمْ مَرَاشِفُ فَيْبِكَ فَأُخْجِلُ ابْنَ النُّحَاسِ وَقَالَ يَا مَوْلَانَا فَلَمْ لَا تَتَصَدَّرُ وَتُشْغِلُ النَّاسَ فَقَالَ اسْتِخْفَافًا بِالنَّحْوِ وَاحْتِقَارًا وَإِيشَ هُوَ النَّحْوُ فِي الدُّنْيَا أَوْ كَمَا قَالَ حَكَى أَيْضًا قَالَ كُنْتُ أَنَا وَابْنُ الْإِكْفَانِي نَأْخُذُ عَلَيْهِ فِي الْمُبَاحِثِ الْمَشْرِقِيَّةِ فَأَبِيتُ لَيْلَتِي أَفْكَرُ فِي الدَّرْسِ الَّذِي تُصَبِّحُ نَأْخُذُهُ عَنْهُ وَاجْهَدُ قَرِيبَتِي وَأَعْمَلُ بِعَقْلِي وَفَهْمِي إِلَى أَنْ يَظْهَرَ لِي فِيهِ شَيْءٌ أَجْزَمُ بِأَنْ الْمُرَادُ بِهِ هَذَا فَإِذَا تَكَلَّمَ الشَّيْخُ رُكْنَ الدِّينِ كُنْتُ أَنَا فِي وَادٍ وَهُوَ فِي وَادٍ أَوْ كَمَا قَالَ وَحَكَى الْمُرَاكُشِيُّ قَالَ قَالَ لِي الشَّيْخُ رُكْنَ الدِّينِ لَمَّا أَوْقَفَنِي ابْنُ سَيِّدِ النَّاسِ عَلَى السَّيْرَةِ الَّتِي عَمَلَهَا عَلَّمْتُ فِيهَا عَلَى مِائَةٍ وَأَرْبَعِينَ مَوْضِعًا أَوْ سِتَّةَ وَعِشْرِينَ السَّهْوِ مَنِي أَوْ كَمَا قَالَ وَلَقَدْ رَأَيْتُهُ مَرَّاتٍ يُوَاقِفُ ابْنَ سَيِّدِ النَّاسِ فِي أَسْمَاءِ رِجَالٍ وَيَكْشِفُ عَلَيْهَا فَيُظْهِرُ مَعَهُ الصُّوَابَ قَالَ أَبُو الْصَّفَا (23) وَكُنْتُ يَوْمًا أَنَا وَهُوَ عِنْدَ ابْنِ سَيِّدِ النَّاسِ فَقَالَ قَالَ الشَّيْخُ تَقِي الدِّينِ ابْنَ تَيْمِيَّةَ (24) عَمِلَ ابْنُ الْخَطِيبِ أَصُولًا فِي الدِّينِ الْأَصُولَ أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ إِلَى آخِرِهَا فَتَفَرَّقَ الشَّيْخُ رُكْنَ الدِّينِ وَقَالَ قُلْ

(21) له ترجمة مطولة في الوافي بالوفيات 1 : 289-311.

(22) انظر ترجمته في بغية الوعاة 1 : 13-14.

(23) هو خليل بن أيبك الصفدي.

(24) هو أشهر من أن يعرف به.

لَهُ يَا عُرَّةَ عَمَلِ النَّاسِ وَصَنَعُوا وَمَا افكروا فيكَ ونهض قائماً وَوَلَّى مُغَضِباً قَالَ
وَأَخْبَرَنِي الشَّيْخُ فَتَحَ الدِّينَ قَالَ جَاءَ إِلَيْهِ إِنْسَانٌ يَصْحَحُ عَلَيْهِ فِي أُمَالِي الْقَالِي فَأَخَذَ
الشَّيْخُ رُكْنَ الدِّينِ يُسَابِقُهُ إِلَى الْفَاطِطِ الْكِتَابِ فَبَهَتْ ذَلِكَ الرَّجُلُ فَقَالَ لِي نَحْوُ
عِشْرِينَ سَنَةً مَا كَرَّرْتُ عَلَيْهَا وَكَانَ إِذَا أُنْشِدَهُ أَحَدٌ شَيْئاً فِي أَيِّ مَعْنَى أُنْشِدَ فِيهِ
جَمَلَةٌ لِلْمُتَقَدِّمِينَ وَالْمُتَأَخِّرِينَ كَأَنَّهُ كَانَ يُكْرَرُ عَلَيْهِ تِلْكَ اللَّيْلَةَ؛ وَتَوَلَّى نِيَابَةَ الْحُكْمِ
لِلْقَاضِي الْمَالِكِيِّ بِالْقَاهِرَةِ مُدَّةً ثُمَّ تَرَكَهَا تَدِيناً مِنْهُ وَقَالَ يَتَعَذَّرُ فِيهَا بِرَأْيَةِ الذُّمَّةِ
وَكَانَ سِيرَتُهُ فِيهَا حَسَنَةً مَرْضِيَّةً وَكَانَ يَدْرُسُ فِي الْمَدْرَسَةِ الْمُنْكَتَمِرِيَّةِ بِالْقَاهِرَةِ
وَيَدْرُسُ الطَّبَّ بِالْبِمَارِسْتَانِ الْمَنْصُورِيِّ وَيَنَامُ أَوَّلَ اللَّيْلِ ثُمَّ يَسْتَفِيقُ وَقَدْ أَخَذَ رَاحَةً
وَقَدْ أَخَذَ كِتَابَ الشِّفَاءِ لِابْنِ سِينَا يَنْظُرُ فِيهِ لَا يَكَادُ يَخْلُ بِذَلِكَ قَالَ الشَّيْخُ فَتَحَ
الدِّينَ قُلْتُ لَهُ يَوْمَ يَا شَيْخَ رُكْنَ الدِّينِ إِلَى مَتَى تَنْظُرُ فِي هَذَا الْكِتَابِ فَقَالَ إِنَّمَا
أُرِيدُ اهْتِدَايَ وَكَانَ فِيهِ سَامَةٌ وَمَلَلٌ حَتَّى فِي لَعِبِ الشَّطْرَنْجِ يَكُونُ فِي وَسْطِ الدَّسْتِ
وَقَدْ نَفَضَهُ وَقَطَعَ لَذَّةَ صَاحِبِهِ وَيَقُولُ سِئِمْتُ سِئِمْتُ وَكَذَلِكَ فِي بَعْضِ الْأَوْقَاتِ
فِي بَحْثٍ وَقَدْ حَرَّرَ لَكَ الْمَسْأَلَةَ وَكَادَتْ تَنْضَجُ فَيَتْرَكُ الْكَلَامَ وَيَمْضِي وَكَانَ حَسَنَ
التَّوَدُّدِ يَتَوَدَّدُ إِلَى النَّاسِ وَيُهْنِيهِمْ بِالشُّهُورِ وَالْمَوَاسِمِ مِنْ غَيْرِ حَاجَةٍ إِلَى أَحَدٍ لِأَنَّهُ
كَانَ مَعَهُ مَالٌ لَهُ صُورَةٌ مَا يُقَارِبُ الْخَمْسِينَ أَلْفَ دِرْهَمٍ وَكَانَ يَتَصَدَّقُ سِرّاً
عَلَى نَاسٍ مَخْصُوصِينَ وَلِشَغْتِهِ بِالرَّأْيِ قَبِيحَةٍ يَجْعَلُهَا هَمَزَةً وَكَانَ إِذَا رَأَى أَحَدًا يَضْرِبُ
كَلْباً أَوْ يُؤْذِيهِ يُخَاصِمُهُ وَيَنْهَرُهُ وَيَقُولُ لَهُ لِمَ تَفْعَلُ هَذَا أَمَا هُوَ شَرِيكَكَ فِي الْحَيَوَانِيَّةِ
وَكَانَ خَطُّهُ عَلَى وَضْعِ الْمَغَارِبَةِ وَلَيْسَ بِحَسَنِ وَسَمِعَ بِدَمَشَقَ سَنَةً إِحْدَى وَتِسْعِينَ
وَسِتْ مِائَةً عَلَى الْمُسْنَدِ تَقِي الدِّينِ ابْنِ الْوَاسِطِيِّ وَاسْتَجَزَتْهُ سَنَةً ثَمَانٍ وَعِشْرِينَ
وَسَبْعَ مِائَةٍ بِالْقَاهِرَةِ بِاسْتِدْعَاءٍ فِيهِ نَثْرٌ وَنَظْمٌ فَأَجَابَ وَأَجَازَ وَأَجَادَ نَثْراً وَنَظْماً
أُنْشِدَنِي لِنَفْسِهِ إِجَازَةً :

جَوَى يَتَلَطَّى فِي الْفُؤَادِ اسْتِعَارُهُ	وَدَمَعٌ هَتُونٌ لَا يَكْفُ انْهِمَارُهُ
يَحَاوِلُ هَذَا بَرْدَ ذَاكَ بِصَوْبِهِ	وَلَيْسَ بِمَاءِ الْعَيْنِ تُطْفَأُ نَارُهُ
وَلَوْعاً بِمَنْ حَازَ الْجَمَالَ بِأَسْرِهِ	فَحَازَ الْفُؤَادَ الْمُسْتَهَامَ اسَارُهُ
كَلِفْتُ بِهِ بَدْرِي مَا فَوْقَ طَوْقِهِ	وَدَ عَصِيٍّ مَا يُشْنِي عَلَيْهِ إِزَارُهُ
غَزَالَ لَهُ صَدْرِي كَنَاسٌ وَمَرْتَعٌ	وَمِنْ حَبِّ قَلْبِي شَيْخُهُ وَعَرَارُهُ

جَرَى سَابِحاً مَاءَ الشَّبَابِ بِرَوْضِهِ
يَشِبُّ ضِرَاماً فِي حَشَايَ نَعِيمِهِ
وَيَنْظُمُ دَمْعِي مِنْهُ نَظْمَ مُوشِرٍ
يُعَلِّ بَعْدَ مِنْ بَرُودِ رُضَابِهِ
وَيَسْهَرُ أَجْفَانِي بَوَسْنَانَ أَدْعَجِ
حِكَايِي ضَعْفاً أَوْ حَكِي مِنْهُ مَوْثِقاً
مُعْنَى بَرْدِي لَا يَنْوُءُ بِثِقَلِهِ
تَالَفَ فِي هَذَا وَذَا غُصْنَ بَانِهِ
زَلَالٌ وَلَكِنْ أَيْنَ مِنِّْي وَرُودُهُ
وَسِلْسَالُ رَاحٍ صَدَّ عَنِّي كَاسُهُ
دَنَا وَنَايَ فَالْدَّارِ غَيْرَ بَعِيدَةٍ
وَحِينَ دَرَى أَنْ شَدَّ أَسْرِي حَبَّهُ

مِنْهَا :

حَكْتُ لَيْلَتِي مِنْ فَقْدِي النَّوْمَ يَوْمَهَا
كَتَمْتُ الْهَوَى لَكِنْ بِدَمْعِي وَزَفَرَتِي
ثَلَاثَ سَجَلَاتٍ عَلَيَّ بِأَنْسِي
أُرْوِي بِنَظْمِي فِي الْعِذَارِ وَتَارَةً
وَجَلَّ الَّذِي أَهْوَى عَنْ الْحُلَى رُبَّةً
أَرَاخَةَ قَلْبِي كَيْفَ مِنْكَ عَذَابُهَا

فَازْهَرَ فِيهِ وَرْدُهُ وَبَهَارُهُ
فَيَبْدُو بِأَنْفَاسِ الصَّعَادِ شَرَارُهُ
كَنُورِ الْأَقَاحِي حَفَّهُ جُلْنَارُهُ
تَفَاوَحَ فِيهِ مَسْكُهُ وَعَقَارُهُ
يَحْيِرُ فِكْرِي غُنْجَهُ وَاحْوَرَارُهُ
وَيُخْصِرُ نَحِيلًا غَالِ صَبْرِي احْتِضَارُهُ
فِيَا شَدَّ مَا يَلْقَى مِنَ الْجَارِ جَارُهُ
تَوَافَتْ بِهِ أَزْهَارُهُ وَثِمَارُهُ
وَعُصْنٌ وَلَكِنْ أَيْنَ مِنِّْي اهْتِصَارُهُ
وَعُودِرَ عِنْدِي سُكْرُهُ وَخَمَارُهُ
وَلَكِنْ بَعْدَ صَدُّهُ وَنَفَارُهُ
أَحَلَّ بِي الْبَلْوَى وَسَاءَ اقْتِدَارُهُ

كَمَا قَدْ حَكَى لَيْلِي ظَلَاماً نَهَارُهُ
وَسُقْمِي تَسَاوَى سُرُّهُ وَجَهَارُهُ
أُمَامَ غَرَامٍ قَلَّ فِيكَ اسْتِتَارُهُ
بِمَنْ أَنْ يُغْنِي الْقُرْطَ اصْغِي سَوَارُهُ
وَلَمَّا يَقَارِبُ أَنْ يَذُبَّ عِذَارُهُ
وَجَنَّةَ قَلْبِي كَيْفَ مِنْكَ اسْتِعَارُهُ

وَتُوفِي الشَّيْخُ رُكْنَ الدِّينِ الْمَذْكُورَ بِالْقَاهِرَةِ فِي تَاسِعِ ذِي الْحِجَّةِ سَنَةِ ثَمَانٍ وَثَلَاثِينَ
وَسَبْعِ مِائَةٍ وَاعْتَلَّ يَوْمِينَ وَمَضَى إِلَى رَحْمَةِ رَبِّهِ الرَّحِيمِ وَمَوْلَدُهُ سَنَةِ أَرْبَعٍ وَسِتِينَ
بِتُونِسَ وَلَهُ مِنَ التَّصَانِيفِ الَّتِي دَوَّنَهَا تَفْسِيرُ سُورَةِ ق فِي مَجْلَدَةٍ وَلَمَّا تَوَلَّى الْإِعَادَةَ
فِي الْمَدْرَسَةِ النَّاصِرِيَّةِ عَمَلَ دَرْساً فِي قَوْلِهِ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لِلَّذِي بَيَّكَتُهُ
مُبَارَكاً وَعَلَّقَى مَا أَمْلَأَهُ فِي ذَلِكَ وَكَانَ رَحِمَهُ اللَّهُ قَدْ قَرَأَ النَّحْوَ عَلَى يَحْيَى بْنِ
الْفَرَجِ بْنِ زَيْتُونِ وَالْأَصُولَ عَلَى مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ قَاضِي تُونِسَ وَقَدِيمَ مِصْرَ
عَامَ تِسْعِينَ وَسَمِعَ بِدَمَشَقَ مِنْ آبِنِ الْوَاسِطِيِّ وَابْنِ الْقَوَّاسِ .

ماحق

مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ

أَبُو عَبْدِ اللَّهِ النَّخَوِيُّ الْمَزْدَغِيّ الْفَاسِيّ⁽¹⁾، يُنسَبُ إِلَى مَزْدَغَةَ، وَهِيَ قَبِيلَةٌ مِنَ الْبَرْبَرِ، كَانَ أَدِيباً نَحْوِيّاً فَاضِلاً عَارِفاً بِالْأَدَبِ وَالْعَرَبِيَّةِ، قَرَأَ عَلَى أَبِي ذَرٍّ مُصَنَّبِ ابْنِ مُحَمَّدٍ الْجَيَّانِيِّ، وَأَخَذَ عِلْمَ الْأُصُولِ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ الْكَتَّانِيِّ الْفَاسِيِّ وَقَرَأَ عِلْمَ النَّخَوِيِّ عَلَى أَبِي الْقَاسِمِ بْنِ زَانِيفٍ، وَتَمَيَّزَ فِي الْعُلُومِ، وَتَصَدَّرَ لِإِفَادَتِهَا وَكَانَتْ لَهُ يَدٌ طَوَّلَى فِي عِلْمِ التَّفْسِيرِ وَالْقِرَاءَاتِ وَالْآدَابِ وَغَيْرِ ذَلِكَ.

وَلَهُ شِعْرٌ حَسَنٌ، وَمِنْهُ مَا أُنْشَدَنِي الصَّاحِبُ الْإِمَامُ أَبُو الْقَاسِمِ عُمَرُ بْنُ أَحْمَدَ ابْنِ هَبَةَ اللَّهِ بْنُ أَبِي جَرَادَةَ الْفَقِيهَ الْحَنْفِيَّ أَيَّدَهُ اللَّهُ تَعَالَى قَالَ : أُنْشَدَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ يَوْسُفَ الْمَرَّاكَشِيَّ بِسِيَوَاسٍ، قَالَ : أُنْشَدَنِي أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ الْمَزْدَغِيَّ لِنَفْسِهِ فِي أَخَوَيْنِ : أَحَدُهُمَا جَمِيلُ الصُّورَةِ وَالْآخَرُ أُحْدَبُ طَوِيلُ السَّاقَيْنِ كَانَا يَحْضُرَانِ مَعَنَا الْحَلَقَةَ عِنْدَهُ :

فِي ابْنِي عَلِيٍّ إِنْ نَظَرْتَ عَجَائِبَ أَخَوَانِ : ظَبْيِي أَخَوْرٌ وَحُورٌ
فَمِنْ الْجَمَالِ بُوْجِهْ ذَاكَ مُحَاسِنٌ وَمِنْ الْجَمَالِ بَظَهْرِ ذَا آثَارُ⁽²⁾

(7 : 396)

(1) ترجمته ومصادرها في الذيل والتكملة 8 : 365.

(2) روى ابن عبد الملك المراكشي أنهما لابن عابد الفاسي، الذيل والتكملة 8 : 335.

فهرس الآيات

الآية	رقمها	السورة	الصفحة
— أ —			
إن سألتك عن شيء بعدها فلا تصاحبني قد بلغت من لدني عذرا	76	الكهف .	74
إنك لن تستطيع معي صبرا	67	الكهف .	74
— ت —			
ترجف الأرض والجبال وكانت الجبال كثيبا مهيلا	14	المزمل ..	109
— خ —			
خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملا .	2	الملك ...	106
— ذ —			
ذلك الفضل من الله وكفى بالله عليما	70	النساء ..	217
— س —			
سنة الله التي قد خلقت من قبل، ولن تجد لسنة الله تبديلا	23	الفتح ...	106
— ق —			
قال إني عبد الله أتاني الكتاب وجعلني مباركا أين ما كنت	31-30	مريم	107
— ف —			
فما أتاني الله خيرا مما آتاكم بل أنتم بهديتكم تفرحون	36	النمل	89

الآية	رقمها	السورة	الصفحة
— لا —			
لا علم لنا إلا ما علّمتنا	32	البقرة ..	173-174
— و —			
وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض حنيفا وما أنا من المشركين	79	الأنعام ..	88
فربكم أعلم بمن هو أهدى سبيلا	84	الإسراء .	107
وكان الشيطان للإنسان خذولا	29	الفرقان .	106
والمطلقات يتربصن بأنفسهن ثلاثة قروء	228	البقرة ..	132
— ي —			
يا أيها النفس المطمئنة ارجعي	27	الفجر .	74
يا سماء اقلعي	44	هود ..	74

فهرس الأعلام

— أ —

- آدم : 85.
إبراهيم : 90.
إبراهيم الخليل : 88.
الأتراك : 11.
بنو الأثير : 207، 208.
إحسان عباس : 8.
أحمد بن عبد الواحد بن أبي الأصبغ : 27.
أحمد بن مسعود بن محمد القرطبي : 28، 29، 30.
أحمد بن يوسف الجياني : 31.
أحمد بن يوسف الفرياني : 30.
إدريس المتأيد بن يحيى المعتلي الحسني : 210.
أبو إسحاق إبراهيم بن عبد الله بن إبراهيم الأسكندري : 161.
أبو إسحاق إبراهيم بن محمد الساحلي المعروف بالطويجن : 207.
أبو إسحاق إبراهيم بن يعقوب الكائمي : 25، 26، 27.
أبو إسحاق بن خفاجة الجزيري : 185.
أبو إسحاق بن عبد المومن : 175.
إسماعيل بن عبد الله بن إسماعيل البياسي : 54.
- الأشرف الأيوبي : 21.
ابن الأشيري : 6.
الأصفهاني : 5.
ابن أبي أصيبعة : 3.
ابن الأكفاني : 223.
الإمام الشافعي : 70، 81، 197، 209.
الأندلسيون : 8، 12، 21، 72، 104.
أهل البيت : 85، 173.

— ب —

- الباخري : 4.
البحتري : 4.
أبو بحر صفوان بن إدريس : 37.
البربر : 101، 153.
البرشوني : 188، 189.
أبو البركات بن المستوفى : 11، 20، 21، 22، 23، 31، 38، 45.
82، 104، 145، 148، 150، 168.
أبو البسام موسى بن عبد الله بن الحسين : 76.
ابن بطوطة : 6.
أبو بكر بن السراج : 102.

أبو بكر يزيد بن صقلاب المريسي
الأندلسي : 39.

أبو بكر بن يوسف بن عبد المؤمن بن علي :
16، 128.

بنات الروم : 130.

بهاء الدين أبو المحاسن يوسف بن رافع بن
تيم الموصللي : 167.

بهاء الدين أبو محمد الحسين بن إبراهيم بن
الخشاب : 78.

— ت —

تاج الدين أبو الحسين محمد بن أحمد بن
علي القرطبي : 97، 99.

التبريزي : 220.

التر : 6، 7، 117، 172.

ابن تغري بردي : 3.

تقي الدين ابن تيمية : 223.

تقي الدين أبو المناقب عمر بن شاهنشاه بن
أيوب بن شاذي : 59، 60.

تقي الدين ابن الواسطي : 224، 225.

— ج —

ابن الجزري : 3.

أبو جعفر : 110.

أبو جعفر أحمد بن عطية : 12، 13.

أبو جعفر أحمد بن محمد ابن خولة
السلمي : 178.

جعفر بن محمد بن عبد العزيز : 210.

أبو جعفر المنصور : 67.

ابن جني : 18.

— ح —

ابن الحاجب : 220.

الحافظ الذهبي : 3.

أبو حامد بشر بن حامد التبريزي : 120.

أبو الحجاج يوسف بن محمد الأندي :
122.

أبو الحجاج يوسف بن محمد الأنصاري
المنصفي : 162، 163.

ابن حجر العسقلاني : 3.

ابن الحداد : 159.

أبو الحسن ثابت بن ثابت الكلاعي :
184.

أبو الحسن رضا بن أحمد المالقي الهمداني :
183.

أبو الحسن السبكي : 222.

أبو الحسن علي : 215.

أبو الحسن علي بن أحمد الإشبيلي : 8.

أبو الحسن علي بن أحمد الحرالي التجيبي
الأندلسي : 189، 190.

أبو الحسن علي بن أحمد بن فشتال : 14،
15.

أبو الحسن علي بن أحمد ابن حريق : 39،
53، 54، 202.

أبو الحسن علي بن إيداش : 52.

أبو الحسن علي بن خمير السبتي : 59.

أبو الحسن علي بن سعيد بن حمادة
الصنهاجي التلكاتي : 62.

أبو الحسن علي شماس الصاحب : 172.

أبو الحسن علي بن عبد الجبار القيرواني :
64.

— خ —

- ابن خروف : 42.
 خزعل بن عسكر النحوي : 61.
 أبو الخطاب بن دحية : 7، 12، 18،
 75، 76، 78، 79، 82،
 83، 84.
 ابن الخطيب : 223.
 الخطيري : 4.
 خلف بن عبد العزيز بن محمد بن خلف بن
 خلف القبتوري الإشبيلي :
 210.
 ابن خلكان : 3، 11، 12، 18.
 الخليل : 220.
 خليل بن أيك الصفدي : 3، 223.
 أبو الخير بدل بن أبو المعمر : 172،
 192، 193.
 أبو الخير بن أبي عمر : 46.
 أبو الخير معاذ بن علي بن يونس بن المنصور
 المغربي الصنهاجي : 173.

— د —

- داود بن يوسف : 165.
 ابن الديبشي : 178.
 بنو دحية الكلبي : 79.

— ر —

- أبو الربيع سليمان الموحددي : 12، 18،
 32، 34.
 ابن رشيد : 7.

- أبو الحسن علي بن عبد الرحمن بن أحمد بن
 علي المراكشي : 59.
 أبو الحسن علي بن فياض بن علي المغربي
 الحلبي : 62.
 أبو الحسن علي بن يوسف بن إبراهيم
 القفطي : 62.
 أبو الحسن علي بن يوسف بن محمد بن
 الصفار المارديني : 30، 197،
 198.
 أبو الحسن مطرف : 181، 182.
 الحسين : 77.
 أبو الحسين بن حنيفة الزواوي : 158،
 159، 160، 161.
 أبو الحسين محمد بن أحمد ابن جبير :
 112، 113، 114.
 أبو الحسين محمد بن أحمد القرطبي : 60.
 أبو الحسين يحيى بن الصايغ السبتي :
 128.
 أبو الحسين يحيى بن معطي بن عبد النور
 المغربي النحوي : 103.
 ابن الحصين : 16، 167، 168.
 أبو حفص عمر بن الخضر بن اللمش بن
 ألدزمش التركي الدنيسري :
 199.
 أبو حفص عمر بن كرم بن الحسن
 الدينوري : 124.
 ابن حمويه : 13، 14، 15، 32، 110،
 115.
 أبو حيان الغرناطي : 7، 210، 211،
 212، 213.

رشيد الدين محمد بن الحافظ عبد العظيم
المنذري : 202.

أبو الرضي أحمد بن طاهر : 117.

رضي الدين الشاطبي : 18.

رضي الشيبني : 22.

ركن الدين : 128.

ركن الدين محمد بن محمد بن عبد
الرحمن : 222، 223، 224،
225.

أبو الروح عيسى بن محمد التاكرني
القرطبي : 8، 18، 38، 79،
103، 104، 168، 179.

الروم : 178، 202.

— ز —

أبو زكريا يحيى بن أحمد بن يوسف بن
أحمد الحسني الأندلسي :
177.

أبو زكريا يحيى بن أبي بكر بن مكى :
147.

أبو زكريا يحيى الحشني : 11، 145.

الزهري ابن شهاب : 219.

ابن زيدان : 42.

أبو زيد الفازي المراكشي : 176.

زين الدين عبد الله بن عبد الرحمن الأسدي
الحلي : 106.

— س —

السخاوي : 3.

ابن السراج : 176.

سزكين : 4.

أبو السعادات أحمد بن محمد بن يوسف
الهامي الواسطي : 160.

أبو السعادات المبارك بن حمدان الموصلي :
198.

أبو سعد قيس بن عمر بن عمرو الغرابيلي
الدمشقي : 160.

أبو سعيد عثمان بن عبد المومن : 112.

أبو سعيد كوكبوري بن علي بن بكتكين :
11، 12، 18، 76، 77،
145، 173، 177، 188.

السفراء : 15.

سلمان : 126.

ابن السميل : 65.

ابن سناء الملك : 8.

سهل بن محمد بن أيوب بن مالك : 35.
سيبويه : 59.

السيد أبو الحسن : 15.

السيد أبو يحيى : 143.

— ش —

ابن شاعر الكتيبي : 3.

ابن الشجري : 4.

الشديد بن عمر القفصي : 51، 52.

ابن شرف : 183.

ابن الشعار : 4، 5، 7، 8، 10، 11،

13، 14، 15، 16، 17،

18، 19، 20، 21، 22،

23.

شمس الدين محمود بن قليج الحلبي : 166 .
شهاب الدين القوصي : 49 .

— ص —

أبو الصفا = خليل بن أيلك .
ابن صقر : 90 .

صلاح الدين أبو المظفر يوسف بن موسى
ابن يوسف بن أيوب بن
شادي : 46 ، 51 ، 52 ، 62 ،
164 .

— ط —

أبو طالب بن يوسف : 117 .
أبو طاهر بن أبي الركب : 171 .

— ع —

أبو العباس أحمد بن أبي القاسم
الإسكندري : 177 .

أبو العباس أحمد بن محمد الشريشي
المراكشي : 191 .

أبو العباس أحمد بن محمد بن علي الأسدي
البيغي : 144 .

أبو العباس أحمد بن المستضيء لأمر الله :
82 .

أبو العباس أحمد بن مسعود السبتي : 36 .
أبو العباس أحمد بن مسعود الأنصاري :
197 ، 198 ، 199 .

أبو العباس أحمد بن يوسف التيفاشي :
199 ، 200 ، 201 ، 202 .

أبو العباس بن الشريسي : 27 .

أبو العباس الفقيه : 103 .
عبد الحق : 159 .

عبد الرحمن بن علي : 42 .

عبد الرحمن بن محمد الجزولي : 34 .

عبد الرحمن بن يخلفتن : 41 .

عبد السلام بن عبد الرحمن : 45 .

عبد الكريم بن إبراهيم بن عبد الكريم بن
عبد الرحمن النفزي الشاطبي
القصار : 91 .

أبو عبد الله : 204 .

عبد الله بن أحمد بن يوسف الفرياني
اللخمي : 78 ، 83 ، 92 ،
147 .

عبد الله بن جحش : 87 .

عبد الله بن حاتم الطائي : 127 .

أبو عبد الله الحسين بن علي بن أبي طالب :
163 .

أبو عبد الله الديثي : 117 .

أبو عبد الله الرصافي : 186 .

أبو عبد الله السبتي : 184 .

عبد الله بن عمرو الجويني الدمشقي : 25 .

عبد الله المأمون : 85 .

أبو عبد الله محمد بن إبراهيم بن يوسف
الطنجي : 177 ، 178 .

أبو عبد الله محمد بن أحمد بن سليمان
الزهري الأندلسي : 117 ،
171 ، 172 .

أبو عبد الله محمد بن إدريس ابن مرج
الكحل : 182 .

أبو عبد الله محمد بن موسى بن عمران بن
سليمان القيسي : 175.

أبو عبد الله محمد بن يحيى بن معنصر :
125، 190.

أبو عبد الله محمد بن يحيى المغربي : 27.
أبو عبد الله محمد بن يعقوب بن عبد
المومن : 192.

أبو عبد الله محمد بن يوسف بن محمد
البرزالي الغرناطي : 154،
155، 174.

أبو عبد الله محمد بن يوسف بن محمد
المنصفي الأنصاري : 163.

عبد الله بن مسلمة : 40.

أبو عبد الله النفزي : 183.

ابن عبد الملك : 17.

عبد المنعم بن عمر الجلياني : 46، 49،
50، 51، 52، 95.

عبد المومن : 12، 13، 173، 174.

بنو عبد المومن : 102، 147.

عبد الواحد التميمي المراكشي : 6.

عبد الوهاب بن علي المالقي : 182.

العجم : 171، 174.

ابن العديم =

العرب : 53، 132، 153.

عرب برقة : 200، 201.

ابن عربي الحاتمي : 7، 16، 202.

ابن العريف : 204.

العزفي : 5.

أبو عبد الله محمد بن الحسن بن محمد
الفاسي : 168.

أبو عبد الله محمد بن سعد بن مردنيش :
128.

أبو عبد الله محمد بن سعيد بن زرقون
الأنصاري : 128، 171.

أبو عبد الله محمد بن سعيد الواسطي :
117.

أبو عبد الله محمد بن الصائغ الأموي :
220.

أبو عبد الله محمد بن عبد الظاهر بن هبة
الله بن اليمنى : 120.

أبو عبد الله محمد بن أبي العباس أحمد بن
علي القسطلاني : 203.

أبو عبد الله محمد بن عبد العزيز بن
الإدريسي : 118.

أبو عبد الله محمد بن عبد القاهر بن هبة
الله بن النصيبي : 84، 95.

أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن أحمد بن
علي بن عبد الواحد السبتي :
59، 60، 163.

أبو عبد الله محمد بن عبد الواحد العقيلي
البيري : 215، 216.

أبو عبد الله محمد بن علي بن عبد الله بن
أبي العافية البلنسي : 38،
122.

أبو عبد الله محمد بن محمد بن أبي البركات
السلالجي : 218.

أبو عبد الله محمد بن محمود بن الحسن
البغداددي : 49.

أبو علي عمر بن السلطان أبو سعيد :
215.

أبو علي عمر بن عبد المجيد بن عمر
الأزدي : 186.

علي بن محمد بن أحمد المعروف بابن البياني
الغرناطي : 67.

علي بن محمد بن يوسف بن مسعود
القرطبي القيسي القبذاقي
المعروف بابن خروف : 63،
64، 65.

أبو علي بن المهدي : 117.

العماد الأصفهاني : 22.

العماد الحنبلي : 3.

عماد الدين عثمان بن يوسف بن أيوب :
73.

العماد الكاتب : 14، 58.

العماد بن النوري : 166.

عمر : 52.

أبو عمران الموحدي : 18.

العمرى : 22.

عمر بن الخطاب : 122.

عمر بن عبد التور بن ماخوخ بن يوسف
اللزني البجائي الصنهاجي : 89،
90.

عمر بن يوسف بن أبي بكر المعروف بابن
التنسي : 95.

أبو عمرو بن غياث الأندلسي الشريسي :
181، 182.

عيسى بن سليمان بن عبد الله الرعيني
الرندي : 96، 97، 99.

بنو عصرون : 70.

بنو عطية : 13.

عقيل بن أبي طالب : 215.

عكاشة بن محسن : 87.

علي بن أحمد بن فشتال : 58.

علي بن أحمد بن محمد الإشبيلي المعروف
بالقسطار : 8، 60.

علي بن أبي بكر (عتيق بن محمد بن علي بن
خلف بن أيوب الأنصاري) :
70.

أبو علي بن الحداد : 171.

أبو علي حسن بن علي بن شماس الإربلي :
192.

أبو علي الحسن بن المبارك بن محمد
الزبيدي : 124، 192.

أبو علي الحسن بن محمد بن الحسن بن عبد
الله بن عبد الواحد بن عبد
السيد : 188.

أبو علي الحسن بن أبي محمد عبد الصمد
ابن الحسين بن عبد الحلیم بن
يوسف الماجري الدكالي :
193.

أبو علي الحسين بن أحمد الحداد : 17.

علي بن سعيد بن حمادة التلكاتي : 61.

أبو علي ابن سينا : 105.

علي بن عبد الجبار بن محمد القيرواني
المعروف بابن الزيات : 71.

علي بن عبد الرحمن بن إبراهيم الغطار :
165.

علي بن عبد الله ابن ورياش : 55، 56.

عيسى بن عبد العزيز بن يلبخت
اليزدكتي : 101، 103،
159.

— غ —

غازي بن يوسف : 16.
أبو الغنائم بن المهدي : 117.
غياث الدين غازي بن يوسف بن أيوب :
63، 167.

— ف —

فتح الدين : 224.
أبو الفتح ابن سيد الناس : 223.
أبو الفتح محمد بن بدل التبريزي : 67،
150.
أبو الفتح مسعود بن أبي الفضل النقاش
الجلي : 29، 197، 198.
الفتح بن موسى بن حماد : 7، 10، 105.
أبو الفتح نصر الله بن أبي العز ابن أبي
طالب الصفار الشيباني : 56.
أبو الفتح يونس بن أبي الغنائم بن أبي بكر
البغدادى : 49.
أبو الفرج عبد القاهر بن عفيف بن عبد
القاهر بن سكرة الحلبي
الاسرائيلي : 64، 65.
أبو الفرج عبد المنعم بن عبد الوهاب بن
كليب : 117.
أبو الفضل بن أبي الحجاج الأعلم : 184.
أبو الفضل عبد السلام بن بكران : 192.
أبو الفضل عبد السلام بن عبد الله بن أحمد

بن بلال الداهري : 105،
124.

أبو الفضل عمر بن علي بن محمد بن
عبيرة : 121.

فلك الدين أبو القاسم عبد الرحمن بن هبة
الله بن علي المسيري : 105.
ابن فهد : 90.

— ق —

أبو القاسم بن أبي جعفر بن عطية : 13،
14، 110.

أبو القاسم بن الحصين : 117.
أبو القاسم خالد بن كامل الخفاف : 117.
أبو القاسم خالص بن أحمد بن خالص بن
أبي العباس الغافقي : 202،
203.

أبو القاسم الزمخشري : 7، 105.
أبو القاسم عبد الرحيم بن أحمد بن علي بن
طلحة الأنصاري السبتي : 41.
أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله بن
عساكر : 173.

أبو القاسم عمر بن أحمد بن هبة الله ابن
القديم : 51، 95، 103،
155، 159.

أبو القاسم محمد بن محمد بن إبراهيم بن
الحسين بن سراقه الأنصاري :
123، 192.

أبو القاسم محمد بن محمد الشاطبي : 54.
أبو القاسم بن أبي النجيب بن أبي زيد
التبريزي : 89.

أبو المحاسن يوسف بن رافع بن شداد
الموصلي : 94.

محمد ﷺ : 76، 77، 87، 89.

أبو محمد : 152.

محمد بن إبراهيم بن أمية بن علي بن خلف
العبدري : 141.

محمد بن إدريس القللوسي : 212.

محمد بن أحمد بن إبراهيم الصديقي الإشبيلي :
211.

محمد بن أحمد بن حسن بن عامر التجيبي :
213.

محمد بن أحمد بن سليمان الزهري
الأندلسي : 117، 118.

محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله بن
سحمان البكري الشريسي :
140.

محمد بن أبي بكر بن أيوب : 78.

أبو محمد الحريري : 159.

أبو محمد بن حزم : 184.

محمد بن الحسين الطغراني : 16.

محمد بن خالد الصديقي التلمساني : 131.

أبو محمد عبد الخالق بن عبد الوهاب ابن
الصابوني : 117.

محمد بن عبد الرحمن : 225.

أبو محمد عبد الرحمن بن بركات بن
شحاتة : 52.

أبو محمد عبد الصمد بن محمد التوزري :
213.

أبو محمد عبد العزيز بن الحسين بن عبد

القاضي الفاضل : 14، 58.

القاضي أبو القاسم : 79.

القالبي : 224.

القرطبي الدمشقي : 99.

قريش : 219.

ابن القطاع : 220.

القفطي : 3.

القنجايري : 17.

ابن القواس : 225.

قضيبي البان : 204.

القيسي : 178.

— ك —

الكردي : 59.

الكساد الإشبيلي : 212.

كسرى : 85.

كمال الدين أبو المعالي موسى بن يونس :
90.

ابن الكويك : 207، 208.

— ل —

ابن لهيب : 64.

لؤلؤ بن عبد الله : 111.

— م —

مالك بن أنس : 39، 59، 124، 140.

المتنبي : 18.

أبو المتوكل الهيثم بن جعفر الإشبيلي
الأندلسي : 187.

- العزیز ابن ہلالۃ المغربی
الأندلسی : 172.
- محمد بن عبد العزیز بن أبی القاسم بن
جمود : 119، 120.
- أبو محمد عبد القادر الرهاوی : 171.
- أبو محمد عبد اللطیف بن یوسف
البغدادی : 200.
- أبو محمد عبد الله بن أحمد بن أبی بکر
الشاطبی : 53.
- أبو محمد عبد الله الأنصاری السلاوی :
174، 175.
- أبو محمد عبد الله بن بری : 102، 159.
- محمد بن عبد الله بن عبد الله بن مالک
الطائی : 7، 126.
- أبو محمد عبد الله بن عبید الله الحجری :
128.
- أبو محمد عبد الواحد بن عمر : 13،
110.
- أبو محمد بن عربد النحوی : 199.
- محمد بن علی البنسی : 8.
- محمد بن علی بن محمد بن أحمد العربی
الحاتمی الطائی : 127، 130،
132، 133.
- محمد بن علی بن محمد بن علی القرمونی
الأندلسی : 121.
- محمد بن عمر العماری المیورقی : 118.
- محمد بن قاسم بن عبد الکریم الفاسی :
128.
- محمد بن محمد بن محمد الطائی القفصی :
209.
- أبو محمد المراكشي : 91، 92، 95.
- محمد بن المفرض المصري : 179.
- المرزباني : 4.
- مسعود بن عبد الله التكروري : 172.
- المشاركة : 5، 8، 13.
- المظفر تقي الدين بن شاهنشاه : 62.
- مظفر الدين أبو الفتح موسى بن أبی بکر
ابن أيوب : 150.
- أبو المظفر المبارك بن طاهر الخزاعي :
171.
- أبو المظفر منصور بن سلم بن منصور
الاسكندري : 111.
- أبو المعالي محمد بن أبی بکر بن أيوب :
200.
- المعتلي : 120.
- المعتمد بن عباد : 21، 149.
- ابن معط الزواوي : 7.
- أبو المعمر بن إسماعيل التبريزي : 124.
- المعمر أبو عيسى لب بن محمد : 185.
- المغاربة : 5، 6، 7، 8، 10، 11، 12،
13، 18، 22، 224.
- المقري : 15.
- المقريزي : 3.
- ابن مقلة : 94.
- الملك الزاهر : 165، 166.
- ملوك الأندلس : 53.
- ملوك المغرب : 15.
- أبو المنصور ظافر بن الحسين المالكي
المصري : 102.

محمد بن سعيد : 5 ، 20 ،
201.

نور الدين أبو القاسم محمد بن زنكي بن
أقسنقر : 62.

— ه —

ابن هانيء المغربي : 223.
هاشم بن حبيب البيغي : 143 ، 144.
هاشم بن عبد الملك : 220.
ابن هود : 188.
الهيثم بن جعفر : 145.

— و —

وجيه الدين الأسكندري : 59.
أبو الوفاء الحسن بن علي بن الموصلي :
104.
أبو الوليد إسماعيل بن عبد الله بن إسماعيل
البياسي : 113.
أبو الوليد محمد بن الحسين الطغرائي :
167.
أبو الوليد يونس بن موسى السلاوي : 9.

— ي —

ياقوت الحموي : 12.
أبو يحيى : 19 ، 189.
يحيى : 79.
يحيى بن إسحاق الميورقي : 146.
يحيى بن سليمان بن شأول الحريري :
148 ، 149 ، 150.

المنصور الموحدى : 11.

ابن منقذ الاسكندري : 111.

المهدي بن تومرت : 17.

المهذب بن الدخوار الدمشقي : 64 ، 66.

الموحدون : 6 ، 13 ، 14 ، 110.

أبو موسى : 101.

أبو موسى الجزولي : 7 ، 17.

أبو موسى عيسى بن سلامة الاسكندري :
112.

أبو موسى عيس بن يونس الغساني : 183.

المولى إدريس : 3.

مؤيد الدين أبو نصر إبراهيم بن يوسف بن
إبراهيم الشيباني : 156.

— ن —

ناصر الدين أبو المعالي محمد بن أبي بكر بن
أيوب : 76 ، 83 ، 159.
ناهض بن إدريس الوادي آشي : 19 ،
143.
أبو النجا الأندلسي : 203 ، 204.
نجم الدين أبو الفتح يوسف بن الحسين ابن
المجاور الدمشقي : 73.
نجم الدين أبو الفضل إلياس الإربلي :
127.
أبو النجم فرقد بن عبد الله بن ظافر بن عبد
الواحد الكناني الاسكندري :
167.
ابن النحاس : 223.
نور الدين أبو الحسن علي بن موسى بن

- يحيى بن عبيد الواحد بن عمر بن يحيى
الھنتائي : 152.
- يحيى بن غانم الخزرجي : 154.
- يحيى بن الفرّج بن زيتون : 225.
- يحيى بن محمد بن علي بن مازن بن مالك :
156.
- يحيى بن معطى : 158.
- يزيد بن صقلاب المري : 168.
- ابن اليسع : 6.
- أبو اليمن زيد بن الحسين الكندي : 80،
- 159، 200.
- يهودا الحريزي : 20، 21.
- يوسف : 72.
- يوسف بن رافع بن تميم الموصلي : 76.
- يوسف بن محمد ابن المثلّم : 165.
- أبو يوسف يعقوب بن عبد المومن : 14،
25.
- يونس بن موسى الأنصاري السلاوي :
166، 167.

فهرس الأماكن

— أ —

— ب —

- آمد : 104 ، 200 .
 إربل : 5 ، 7 ، 8 ، 10 ، 11 ، 12 ، 18 ، 20 ، 41 ، 45 ، 67 ، 76 ، 104 ، 105 ، 112 ، 122 ، 124 ، 125 ، 148 ، 150 ، 160 ، 171 ، 173 ، 174 ، 176 ، 179 ، 188 ، 190 ، 192 ، 193 ، 198 .
 أرزن : 104 .
 أسفي : 193 .
 الاسكندرية : 112 ، 113 ، 116 ، 153 ، 159 ، 200 ، 214 .
 إشبيلية : 9 ، 117 ، 174 ، 211 .
 أصبهان : 117 ، 171 .
 أغمات : 14 ، 58 ، 78 .
 افريقية : 74 ، 95 ، 152 ، 199 ، 200 .
 البيرة : 165 ، 166 .
 أم القرى : 86 .
 الأندلس : 4 ، 8 ، 11 ، 14 ، 17 ، 21 ، 46 ، 58 ، 63 ، 70 ، 78 ، 79 ، 97 ، 112 ، 120 ، 140 ، 141 ، 147 ، 153 ، 172 ، 178 ، 182 ، 183 ، 185 ، 188 ، 189 ، 193 ، 212 ، 213 .
 باب أجياد : 131 .
 باب الحزورة : 131 .
 بادية سبتة : 42 .
 بجاية : 147 ، 158 .
 بخارى : 7 .
 برجة : 183 .
 بروجرد : 117 ، 172 .
 بشقير : 97 .
 البصرة : 173 .
 بصرى : 85 ، 87 .
 بعلبك : 161 .
 بغداد : 5 ، 42 ، 59 ، 79 ، 117 ، 118 ، 128 ، 140 ، 171 ، 178 ، 192 .
 بلاد التكرور : 207 .
 بلاد الجبل : 117 .
 بلاد درعة : 217 .
 بلاد الروم : 128 .
 بلاد المغرب : 5 ، 6 ، 32 ، 52 ، 56 .
 بلّش : 213 .
 بلmale : 97 .
 بلنسية : 70 ، 162 ، 182 .
 بونت : 39 .
 بياسة : 55 .

البيت الحرام : 214.

البيت العتيق : 210.

بيت المقدس : 46، 52.

بيرة : 188.

بيسان : 52.

بيغو : 143.

بیمارستان دمشق : 65.

البيمارستان المنصوري : 224.

— ت —

تاكرنا : 104، 179، 183.

ترمد : 7.

تلمسان : 15، 153، 156، 215.

تنس : 95.

تونس : 72، 153، 225.

تيفاش : 199.

— ج —

جبل قاسيون : 126، 128.

جرجرا : 158.

الجزائر : 159.

جزولة : 101.

الجزيرة الخضراء : 105.

جزيرة شقر : 185، 202.

جزيرة فوة : 204.

جليانة : 46، 52.

جيان : 126.

— ح —

حارة روبة : 113.

الحجاز : 140.

حلب : 5، 15، 16، 20، 50، 54،

60، 62، 63، 64، 70،

79، 84، 92، 95، 103،

104، 106، 113، 120،

126، 129، 131، 141،

144، 147، 148، 154،

156، 161، 164، 167،

168، 197، 198، 202،

204.

حماة : 61.

— خ —

خراسان : 18، 76.

خوارزم : 173.

— د —

دار الحديث : 175، 176.

دار السلام : 67.

داريا : 56.

دانية : 78.

دجلة : 72.

دمشق : 5، 16، 32، 46، 49، 55،

56، 60، 67، 97، 98،

99، 113، 114، 121،

126، 128، 159، 160،

164، 167، 173، 200،

203، 204، 207، 224،

225.

دمياط : 109.

دنيسر : 5، 28، 197، 199.

ديار بكر : 104.

ديار مصر : 97 ، 140 ، 159 .

— ر —

رأس عين : 105 .

رية : 187 .

— س —

سبته : 12 ، 36 ، 78 ، 79 ، 163 .

سجلماصة : 32 .

سلا : 15 ، 105 ، 166 ، 174 ، 175 .

سمرقند : 178 .

سميساط : 164 ، 165 .

السند : 88 .

السودان : 25 ، 32 .

السوس الأقصى : 72 .

سوسة : 71 .

— ش —

شاطبة : 39 ، 40 ، 123 ، 192 ، 193 .

الشام : 6 ، 9 ، 15 ، 42 ، 56 ، 63 ، 72 ،

76 ، 79 ، 85 ، 97 ، 115 ،

140 ، 159 ، 164 ، 204 ،

207 .

شتل : 10 ، 100 .

الشرق : 6 ، 21 ، 87 ، 193 .

شقر : 182 .

— ص —

صنعاء : 87 .

الصين : 6 .

— ط —

طبرية : 164 .

طيرة : 172 .

طليطلة : 5 ، 20 ، 148 .

طنجة : 10 .

— ظ —

ظاهر حلب : 29 .

— ع —

العراق : 6 ، 76 ، 204 .

عمان : 87 .

— غ —

غانة : 25 ، 32 .

الغرب : 87 ، 120 .

غرناطة : 19 ، 36 ، 46 ، 143 ، 144 ،

145 ، 154 ، 178 ، 179 ،

181 .

غزنة : 178 .

الغور : 178 .

— ف —

فاس : 42 ، 105 .

فريانة : 30 .

— ق —

قابس : 218 .

القاهرة : 78 ، 189 ، 200 ، 201 ،

202 ، 209 ، 213 ، 216 ،

201 ، 200 ، 153 ، 78
مصر : 6 ، 8 ، 73 ، 78 ، 79 ، 101 ،
102 ، 207 ، 208 ، 209 ،
210 ، 213 ، 215 ، 218 ،
225
المغرب : 5 ، 6 ، 14 ، 15 ، 21 ، 25 ،
32 ، 61 ، 74 ، 102 ، 124 ،
126 ، 147 ، 153 ، 159 ،
166 ، 173 ، 174 ، 176 ،
216

المغرب الأقصى : 153
مقبرة الجامع العتيق : 72
مكة : 85 ، 117 ، 131
ملطية : 128
المنصف : 162

الموصل : 5 ، 11 ، 72 ، 90 ، 161 ،
204
مينارة : 175
ميورقة : 141 ، 146 ، 188 ، 189

— ن —

نسا : 7
نشاوور : 171
نيسابور : 173

— ه —

هراة : 178 ، 179
الهند : 6 ، 88 ، 178 ، 197

— و —

وادي آش : 19 ، 143
ودان : 146
وهران : 55

225 ، 224 ، 220 ، 218
قرطبة : 16 ، 104 ، 128 ، 179
قزوين : 7
قسطنطينة : 125
قسطنطينة الهواء : 190
القصر الكبير : 7 ، 10
قصر كتامة : 105
قفصة : 199 ، 200 ، 201
قونية : 128
القيروان : 30

— ك —

كرمان : 178
الكعبة : 160

— م —

مالقة : 10 ، 96 ، 97 ، 100
المدرسة البدرية : 72
المدرسة الشهابية : 197 ، 199
المدرسة المنكنمرية : 224
المدرسة الناصرية : 225
المدرسة النظامية : 7 ، 105
المدينة : 204

مدينة السلام : 105 ، 111 ، 124
مراكش : 13 ، 14 ، 25 ، 32 ، 41 ،
59 ، 78 ، 101 ، 102 ،
108 ، 110 ، 193

مرسية : 127 ، 202
المرية : 52 ، 102 ، 168 ، 184
المسجد الأقصى : 86
المسجد الحرام : 86
المشرق : 6 ، 7 ، 12 ، 14 ، 15 ، 21

فهرس الأشعار

26	إبراهيم بن يعقوب الكاظمي	البسيط	3	—	شرف	—	ما بعد
26	إبراهيم بن يعقوب الكاظمي	الطويل	2	—	اعجم	—	سمعت
26	إبراهيم بن يعقوب الكاظمي	البسيط	4	—	صبر	—	غيري
26	إبراهيم بن يعقوب الكاظمي	البسيط	2	—	هاجي	—	وقائل
26	إبراهيم بن يعقوب الكاظمي	الوافر	2	—	حجاب	—	أزال
27	ابن الشريسي	الطويل	8	—	ودليلها	—	يكلفني
28	ابن الشريسي	الكامل	2	—	مقيم	—	يا غائباً
28	ابن الشريسي	مخ البسيط	2	—	تمادا	—	عمر ك
29	أبو العباس القرطبي	الكامل	5	—	العشاق	—	وقع
29	أبو العباس القرطبي	الطويل	8	—	بمغناكم	—	أرى
29	أبو العباس القرطبي	الطويل	4	—	خمرا	—	أعانقه
30	أبو العباس القرطبي	مخ البسيط	2	—	واجد	—	راض
30	أبو العباس القرطبي	الوافر	2	—	عجيب	—	وفي
30	أبو العباس القرطبي	الرجز	2	—	الأجل	—	يا ظبي
31	أبو العباس أحمد الفرياني	البسيط	2	—	والصحف	—	أما
31	أبو محمد الجياني	الطويل	8	—	عميد	—	أحبات
33	.	أبو الربيع سليمان بن عبد الله	الكامل	19	—	الطلع	—	هبت
34	.	أبو الربيع سليمان بن عبد الله	الوافر	14	—	جديداً	—	لقاؤك
35	.	أبو الربيع سليمان بن عبد الله	الكامل	8	—	مشغولا	—	يا سائلي
36	سهل بن مالك	الكامل	3	—	حاله	—	لما
36	سهل بن مالك	مخ البسيط	3	—	بيّن	—	يا من
36	.	ابن أبي الحسن سهل بن مالك	مخ البسيط	3	—	زين	—	يا واحد
38	صفوان بن إدريس	الكامل	13	—	حركاته	—	يا حسنه
39	صفوان بن إدريس	السريع	2	—	سلماً	—	سلم
39	البونتي	الخفيف	5	—	نظاما	—	ما حبيب
40	عبد الله بن مسلمة	المتقارب	2	—	حضر	—	غدا

40	عبد الله بن مسلمة	—	2	—	المتقارب	—	وليتا	—	أشبهت
41	أبو زيد الفازازي	—	10	—	الطويل	—	الوجد	—	أزید
42	..	عبد الرحمن بن علي الغماري	—	14	—	البسيط	—	فائز	—	وافى
43	..	عبد الرحمن بن علي الغماري	—	7	—	الطويل	—	الصبح	—	سرت
43	..	عبد الرحمن بن علي الغماري	—	26	—	الكامل	—	نواره	—	عبث
45		عبد السلام بن عبد الرحمن الفرياني	—	12	—	الوافر	—	الغرور	—	رويدك
46	عبد المنعم بن عمر الجلياني	—	41	—	الطويل	—	المتأبدا	—	لقد
48	عبد المنعم بن عمر الجلياني	—	6	—	غ البسيط	—	محكم	—	يا ساهراً
48	عبد المنعم بن عمر الجلياني	—	4	—	الوافر	—	الرجال	—	عجبت
49	عبد المنعم بن عمر الجلياني	—	3	—	الكامل	—	متعرض	—	قالوا
49	عبد المنعم بن عمر الجلياني	—	4	—	المتقارب	—	داء	—	أشد
49	عبد المنعم بن عمر الجلياني	—	4	—	البسيط	—	ورغ	—	قالوا
49	عبد المنعم بن عمر الجلياني	—	2	—	البسيط	—	والآراء	—	إن
50	عبد المنعم بن عمر الجلياني	—	2	—	الطويل	—	ذائب	—	وصفراء
50	عبد المنعم بن عمر الجلياني	—	2	—	الكامل	—	أولاً	—	حاول
50	عبد المنعم بن عمر الجلياني	—	9	—	الطويل	—	فلان	—	وقائلة
50	عبد المنعم بن عمر الجلياني	—	8	—	البسيط	—	الفندا	—	قالت
51	عبد المنعم بن عمر الجلياني	—	10	—	الكامل	—	عزيز	—	قالوا
52	عبد المنعم بن عمر الجلياني	—	5	—	المتقارب	—	لباسا	—	وقائلة
53	عبد المنعم الجلياني	—	6	—	الخفيف	—	الهيام	—	عبروني
54	ابن حريق	—	2	—	الخفيف	—	وأسنى	—	لم
54	ابن حريق	—	2	—	الرجز	—	تكلم	—	وكاتب
54	ابن حريق	—	3	—	الكامل	—	بالمشرق	—	يا ويح
54	ابن حريق	—	3	—	غ البسيط	—	دهري	—	يا ليلة
55	ابن حريق	—	8	—	الكامل	—	الأدمع	—	يا صاحبي
56		علي بن عبد الله ورياش الوهراني	—	3	—	البسيط	—	شنام	—	أصبحت
56		علي بن عبد الله ورياش الوهراني	—	4	—	الوافر	—	طليق	—	أما
56		علي بن عبد الله ورياش الوهراني	—	3	—	الطويل	—	يتفلق	—	ويوم
57		علي بن عبد الله ورياش الوهراني	—	4	—	الطويل	—	فلسين	—	علي
57		علي بن عبد الله ورياش الوهراني	—	2	—	البسيط	—	ذهبه	—	وراهب
57		علي بن عبد الله ورياش الوهراني	—	2	—	البسيط	—	يرتقص	—	لله

هبت	— وصبا	— 13 — البسيط	— علي بن عبد الله ورياش الوهراني	57
رأيتُ	— غد	— 2 — الطويل	— علي بن أحمد بن فشتال	58
خَلَعْتُ	— الخلع	— 9 — الطويل	— علي بن عبد الرحمن المراكشي ..	59
إذا	— المكرم	— 7 — الطويل	— ابن خمير السبتي	60
سقاني	— أشربُ	— 2 — الطويل	— القسطار	60
يا سائلي	— سكتا	— 3 — البسيط	— القسطار	60
جرت	— متعينُ	— 3 — الكامل	— القسطار	61
لهفي	— العدا	— 6 — الكامل	— القسطار	61
ولابسة	— ومسكنا	— 5 — الطويل	— علي بن سعيد بن حمامة	62
غنى	— لهبا	— 6 — البسيط	— علي بن سعيد بن حمامة	63
باتا	— الأشقر	— 2 — الكامل	— علي بن سعيد بن حمامة	63
ابن	— النبيه	— 2 — المجتث	— أبو الحسن علي بن خروف	64
بهاء الدين	— والحسب	— 4 — مج الوافر	— أبو الحسن علي بن خروف	64
إن	— والعملا	— 4 — البسيط	— أبو الحسن علي بن خروف	65
ما أعجب	— أدواحُ	— 3 — البسيط	— أبو الحسن علي بن خروف	65
أنت	— طبّا	— 1 — غخ البسيط	— أبو الحسن علي بن خروف	65
أيا	— الرثاث	— 3 — الوافر	— أبو الحسن علي بن خروف	65
مولاي	— والحتوف	— 2 — السريع	— أبو الحسن علي بن خروف	65
ومنوع	— لباسيه	— 4 — الكامل	— أبو الحسن علي بن خروف	65
لله	— وصدّاح	— 5 — البسيط	— أبو الحسن علي بن خروف	66
يا من	— الفروخا	— 2 — غخ البسيط	— أبو الحسن علي بن خروف	66
أنا	— روحُ	— 2 — مج الرمل	— أبو الحسن علي بن خروف	66
تجر	— نجلة	— 2 — الوافر	— أبو الحسن علي بن خروف	66
لك	— واللهم	— — الكامل	— أبو الحسن علي بن خروف	67
حرمُ	— مسلم	— 53 — الكامل	— ابن البياني	67
ثق	— ويرشدُ	— 20 — الكامل	— أبو الحسن الأنصاري	70
يا جامع	— تجمعُ	— 3 — الكامل	— أبو الحسن الأنصاري	71
أبطرفه	— حريقه	— 14 — الكامل	— ابن الزيات	72
منعت	— يحجبا	— 23 — الكامل	— ابن الزيات	73
شفق	— ربيعُه	— 9 — الكامل	— ابن الزيات	75
وأغيد	— صواحبه	— 3 — البسيط	— ابن الزيات	75

77	ابن دحية	الكامل	11	—	مخايل	ملك
80	ابن دحية	الطويل	5	—	دما	ففرجسها
80	ابن دحية	البسيط	3	—	وليث	لما
81	ابن دحية	الكامل	25	—	ومقيد	هذا
82	ابن دحية	الكامل	3	—	العباس	ترتاح
82	ابن دحية	مج الكامل	16	—	ما وهموا	لولا
83	ابن دحية	البسيط	—	—	الوان	ألا
83	ابن دحية	الطويل	—	—	براكب	بفتحك
84	ابن دحية	الوافر	—	—	ذراكا	فديتك
84	ابن دحية	الطويل	—	—	أقصد	فوالله
84	ابن دحية	المديد	11	—	يتبع	أيها
90	عمر بن عبد النور	الكامل	2	—	الخيلا	وبعقرب
90	عمر بن عبد النور	الطويل	2	—	صدا	كستني
90	عمر بن عبد النور	الكامل	2	—	أزهر	هبنني
90	عمر بن عبد النور	الطويل	2	—	يرام	أليس
90	عمر بن عبد النور	الطويل	3	—	يطمع	كال
91	عمر بن عبد النور	الوافر	3	—	والرسوم	تجر
91	عمر بن عبد النور	الطويل	13	—	المتواقيح	أأغراك
92	أبو محمد عبد الكريم بن إبراهيم	البسيط	55	—	السمر	يا من
95	أبو محمد عبد الكريم بن إبراهيم	الكامل	7	—	الكساب	اصبر
96	ابن التنسي	الطويل	11	—	أصغرا	وقائلة
97	عيسى بن سليمان المالقي	الطويل	31	—	فاعل	لك
98	عيسى بن سليمان المالقي	البسيط	14	—	واخترعوا	قل
99	عيسى بن سليمان المالقي	الكامل	4	—	سنان	من
100	عيسى بن سليمان المالقي	البسيط	8	—	والوطني	هذا
100	عيسى بن سليمان المالقي	الوافر	9	—	شقا	أهيم
100	عيسى بن سليمان المالقي	الطويل	15	—	يجدي	خليلي
103	أبو موسى الجزولي	السريع	8	—	مستكبر	أقول
105	الفتح بن موسى بن حماد	الكامل	5	—	وقرار	يا إربل
107	الفتح بن موسى بن حماد	البسيط	37	—	ولا تعد	ما شئت
109	الفتح بن موسى بن حماد	البسيط	21	—	والصلب	الله

112	محمد بن أحمد بن جبير	—	الرمل	— 14	—	منى	يا وفود
113	محمد بن أحمد بن جبير	—	الوافر	— 2	—	بذار	أراك
113	محمد بن أحمد بن جبير	—	الوافر	— 2	—	وشابا	ينيل
113	محمد بن أحمد بن جبير	—	الكامل	— 7	—	أهواه	يا زائرا
114	محمد بن أحمد بن جبير	—	المتقارب	— 1	—	نابا	صحت
114	محمد بن أحمد بن جبير	—	المتقارب	— 2	—	وتأبى	أقصر
114	محمد بن أحمد بن جبير	—	المتقارب	— 11	—	اعتذار	خلعت
114	محمد بن أحمد بن جبير	—	الوافر	— 7	—	الحداد	بني
118	محمد بن سعيد الواسطي	—	الطويل	— 5	—	الزهري	إذا
118	أبو عبد الله الزهري	—	الطويل	— 7	—	والخير	أيا
120	أبو جعفر الحسني	—	البسيط	— 3	—	إبليس	كل
121	أبو جعفر الحسني	—	الكامل	— 5	—	الاسلام	بدلائل
121	محمد بن علي اليحصبي	—	مج الكامل	— 9	—	أبا الحسن	يا طالبا
122	...	أبو عبد الله البلنسي العمري	—	الكامل	— 7	—	فتكائه	ومفهف
123	...	أبو عبد الله البلنسي العمري	—	الكامل	— 9	—	متيم	يا سيدا
124		محمد بن محمد بن سراقه الشاطبي	—	الطويل	— 5	—	لا تقضى	إلى
124		محمد بن محمد بن سراقه الشاطبي	—	طويل	— 13	—	حبور	لقاؤك
125	محمد بن يحيى القسطنطيني	—	الكامل	— 5	—	يريني	إن
126	محمد بن يحيى القسطنطيني	—	الكامل	— 2	—	عنادي	لو
126	ابن مالك	—	البسيط	— 2	—	مرتقبا	يغر
126	ابن مالك	—	الكامل	— 2	—	فحرام	ما
127	ابن مالك	—	الخفيف	— 4	—	فعل	اسم
127	ابن مالك	—	الطويل	— 2	—	يعرب	عجبت
127	ابن مالك	—	المجث	— 5	—	ظنونا	وفتية
127	ابن مالك	—	بسيط	— 2	—	بيستان	قالت
127	ابن مالك	—	الكامل	— 4	—	صدره	الاعتراف
128	ابن مالك	—	الطويل	— 2	—	مخلدا	هبوط
128	ابن مالك	—	الطويل	— 3	—	وجودها	خلوت
129	ابن مالك	—	الطويل	— 7	—	أشجاني	ألا
130	ابن مالك	—	مج الرمل	— 4	—	ملكوا	ليت
132	ابن مالك	—	طويل	— 9	—	يلملم	خليلي

133 ابن مالك	— طويل	6 —	— يسلم	سلام
133 ابن مالك	— طويل	8 —	— معتجرات	وزاحمني
134 ابن العربي	— الكامل	11 —	— البلقع	قف
134 ابن العربي	— مج الرجز	20 —	— الأجرع	بين
135 ابن العربي	— الوافر	4 —	— الشجون	أطارح
135 ابن العربي	— الكامل	3 —	— الغيد	عند
135 ابن العربي	— طويل	3 —	— معتجرات	ثلاث
136 ابن العربي	— البسيط	8 —	— والحجر	نفسى
136 ابن العربي	— بسيط	14 —	— حرب	بين
137 ابن العربي	— السريع	5 —	— الفضأ	جماعة
137 ابن العربي	— الرجز	13 —	— بالمدرج	يا حادي
138 ابن العربي	— الطويل	8 —	— العهد	ألا
139 ابن العربي	— متقارب	15 —	— الساحر	لطيفة
140 محمد البكري الشريسي	— البسيط	5 —	— وتنثرها	ما إن
140 محمد البكري الشريسي	— طويل	4 —	— قائم	لقد
140 محمد البكري الشريسي	— الكامل	13 —	— جملا	هلا
141 محمد البكري الشريسي	— الكامل	15 —	— وسريه	عج
142 محمد البكري الشريسي	— طويل	11 —	— هبا	سلام
142 محمد البكري الشريسي	— الطويل	2 —	— عتابه	أشم
143 محمد البكري الشريسي	— الطويل	7 —	— مطلعا	خليلي
143 ناهض بن إدريس الواداشي	— طويل	4 —	— أقواس	ألا
144 أبو الوليد هاشم بن حبيب	— الكامل	5 —	— مناما	بان
145 الهيثم بن جعفر	— بسيط	2 —	— العار	بأرض
145 الهيثم بن جعفر	— الخفيف	3 —	— بن رشد	هل
146 يحيى بن أحمد بن يوسف	— بسيط	6 —	— هتان	يا دوحة
146 يحيى بن اسحاق	— الخفيف	1 —	— نعالاً	حفيت
147 يحيى بن أبي بكر بن مكى	— البسيط	3 —	— وتفترض	يا خامس
147 يحيى بن أبي بكر بن مكى	— طويل	10 —	— ما أهدي	بكيت
149 يحيى بن سليمان بن شؤول	— طويل	16 —	— سري	أما
150 يحيى بن سليمان بن شؤول	— الكامل	9 —	— نصول	بسيوف
150 يحيى بن سليمان بن شؤول	— الكامل	27 —	— قضبانها	ارض

153	— يحيى بن سليمان بن شأول ...	— الخفيف	4 —	— الذهب	وضعت
153	— يحيى بن سليمان بن شأول ...	— الطويل	9 —	— مضرماً	حنانك
154	— يحيى بن غانم	— الطويل	12 —	— مطلب	خليلي
155	— يحيى بن غانم	— البسيط	10 —	— وراحتة	الحمد
155	— يحيى بن غانم	— الكامل	12 —	— بالدون	لولا
156	— أبو زكريا الخزرجي	— الطويل	21 —	— عصيم	سرورك
157	— أبو زكريا الخزرجي	— الكامل	6 —	— وبهائه	ومنزّه
158	— أبو زكريا الخزرجي	— الكامل	3 —	— والذبل	ومفهف
158	— أبو زكريا الخزرجي	— الطويل	2 —	— فيرسم	أنامله
158	— أبو زكريا الخزرجي	— الطويل	2 —	— مراسها	وباكية
158	— أبو زكريا الخزرجي	— الكامل	2 —	— بنفسج	كل
160	— يحيى بن معطى	— الطويل	4 —	— جفاكا	ولما
160	— يحيى بن معطى	— الطويل	3 —	— نقابها	ولما
160	— يحيى بن معطى	— الطويل	2 —	— خدودنا	نزلنا
160	— يحيى بن معطى	— الطويل	2 —	— أقرب	رأي
160	— يحيى بن معطى	— الرجز	16 —	— عبد النور	يقول
161	— يحيى بن معطى	— الكامل	17 —	— البهي	ذهب
163	— محمد بن يوسف المنصفي	— الرمل	22 —	— فتكات	بين
164	— يوسف بن الملم	— البسيط	2 —	— لهم	قالوا
165	— يوسف بن الملم	— البسيط	4 —	— وعلي	لا
165	— يوسف بن الملم	— مج الكامل	4 —	— يُجمل	شوقي
166	— يوسف بن الملم	—	2 —	— وذرية	يا ملك
166	— يوسف بن الملم	— السريع	4 —	— بالطبع	قل
166	— أبو الوليد الأنصاري	— البسيط	22 —	— وتفنيدي	أملت
168	— أبو الوليد الأنصاري	— السريع	4 —	— تشعر	قل
168	— يزيد بن صقلاب	— الكامل	2 —	— فما	أهدى
171	— أبو طاهر ابن أبي الركب	— الكامل	4 —	— تبختر	جاءتك
172	— أبو عبد الله الزهري	— المتقارب	2 —	— وخيما	اتيت
173	— الفقيه الصنهاجي	— الكامل	2 —	— إلهي	يا ذا
175	— أبو محمد عبد الله الأنصاري ...	— الطويل	2 —	— لديكم	أحباب
176	— أبو عبد الله السلاوي	— الطويل	4 —	— المحاجر	ألا

176 أبو زيد الفازازي	— الطويل	7 —	— الصَّب	لعمرى
177 الواعظ المغربي	— البسيط	6 —	— هتان	يا دوحة
177 المغربي الطنجي	— البسيط	3 —	— كانا	يا طنجة
178 المغربي الطنجي	— الطويل	3 —	— ويحسن	تركت
178 ابن خولة	— الوافر	4 —	— واكتئاب	إذا
179 ابن المفرض	— الكامل	1 —	— تحكيه	بركات
179 أبو الروح	— الكامل	3 —	— فيه	هذا
180 أبو الروح	— البسيط	2 —	— وأسحارا	إن
180 أبو الروح	— الكامل	4 —	— سميعا	أوصيت
180 أبو الروح	— البسيط	2 —	— والقمر	يا رب
180 أبو الروح	— البسيط	5 —	— حلكا	سفرت
180 أبو الروح	— الكامل	2 —	— قرار	يا قلب
181 أبو الروح	— البسيط	4 —	— يشهره	وزائر
181 ابن غياث	— الطويل	3 —	— الصبا	صوت
181 ابن غياث	— السريع	3 —	— في أضلعي	أودع
181 مطرف الغرناطي	— الخفيف	2 —	— جواد	أنا
182 مطرف الغرناطي	— السريع	4 —	— تسجع	وفي فروع
182 عبد الوهاب المالقي	— المتقارب	2 —	— أخضر	كأن
182 ابن مرج الكحل	— الوافر	3 —	— مدام	وعندي
182 ابن مرج الكحل	— الوافر	2 —	— ريشي	أبا
183 غانم المالقي	— السريع	2 —	— الوقار	الصبر
183 غانم المالقي	— البسيط	2 —	— للمحبين	صير
183 ابن شرف	— الطويل	2 —	— اليأس	مواعيدكم
183 ابن شرف	— الكامل	3 —	— وتكرم	صنم
184 أبو الفضل الأعلم	— الكامل	2 —	— خذّه	وعشية
184 ابن حزم	— الطويل	2 —	— الهند	أنم
184 أبو عبد الله السبتي	— المنسرح	9 —	— عين	يخبرك
185 ابن خفاجة	— الكامل	3 —	— وتدمث	وعشي
185 ابن خفاجة	— السريع	2 —	— دارا	يدير
185 ابن خفاجة	— الخفيف	2 —	— الغمام	كلما
185 ابن خفاجة	— الطويل	6 —	— السكر	تعلقته

186	الرصافي البلنسي	— الكامل	2 —	— لقائه	ومهفهف
186	الرصافي البلنسي	— الطويل	2 —	— ذيول	بدا
186	الرصافي البلنسي	— الكامل	3 —	— لصفائه	ومرقرق
186	الرصافي البلنسي	— الطويل	3 —	— صفر	عذيري
187	الهيثم الاشبيلي	— البسيط	2 —	— العار	بأرض
187	الهيثم الاشبيلي	— الخفيف	3 —	— رشد	هل
187	أبو الروح التاكرني	— الطويل	3 —	— العمر	سلم
188	أبو الروح التاكرني	— الكامل	3 —	— سعود	يا ماجداً
189	أبو علي الأندلسي	— الكامل	7 —	— فتنجلي	يا ماجداً
189	الحرالي	— الكامل	7 —	— توحشا	وهويت
190	الحرالي	— الخفيف	4 —	— صد	بأبي
190	التلكاتي	— الكامل	7 —	— يبريني	إن
191	التلكاتي	— الكامل	2 —	— عنادي	لو
191	الشريشي	— الكامل	2 —	— ماجد	لو
191	الشريشي	— الطويل	8 —	— ودليلها	تكلفني
192	ابن سراقه	— الطويل	5 —	— لا تقضى	إلى
192	ابن شماس	— الخفيف	1 —	— نعم	تلك
192	ابن سراقه	— الخفيف	3 —	— تعمى	بأبي
192	ابن سراقه	— الطويل	13 —	— حبور	لقاؤك
194	أبي علي الدكالي	— الطويل	14 —	— عجائب	ألا
194	أبو علي الدكالي	— الطويل	1 —	— المراميا	يقيم
197	أحمد بن مسعود القرطبي	— الطويل	4 —	— خمرا	أعانقه
198	أحمد بن مسعود القرطبي	— الطويل	3 —	— عهدنا	أبا الفتح
198	أحمد بن مسعود القرطبي	— الوافر	2 —	— عجيب	وفي الوجنات
198	أحمد بن مسعود القرطبي	— الرجز	2 —	— الأجل	يا ظبي
198	أحمد بن مسعود القرطبي	— غم البسيط	2 —	— واجد	راض
201	التيفاشي	— الخفيف	4 —	— سعيد	سعد
201	التيفاشي	— البسيط	10 —	— الشجر	يا طيب
202	ابن حريق	— غم البسيط	5 —	— دهري	يا ليلة
203	ابن خالص	— الطويل	6 —	— جاهد	سرت
203	ابن خالص	— الوافر	3 —	— هين	لا هل

208 الساحلي	— الكامل	7 —	— الأهداق	والخال
208 الساحلي	— البسيط	18 —	— مضطرم	تألق
210 محمد القفصي	— المتقارب	2 —	— الجارية	سقى
210 القبتوري	— البسيط	2 —	— وآمال	واحسرتا
211 جعفر الإدريسي	— البسيط	2 —	— نصبا	يا أهيل
211 الصدي الاشيلي	— البسيط	3 —	— آخره	ما بي
212 الكساد	— البسيط	4 —	— الشعر	كان
212 القلوسي	— البسيط	2 —	— والفكر	لا تنكرن
213 محمد التجيبي	— الكامل	2 —	— شيآن	أحوى
219 السلاجي	— الكامل	7 —	— أزاهر	بادر
221 ابن الصائغ	— الكامل	6 —	— الخطاف	برق
222 ابن الصائغ	— الكامل	5 —	— الآماق	بعد
223 ابن هانيء	— الكامل	1 —	— فيك	فتكات
224 ابن القوبع	— الطويل	23 —	— انهماره	جوى

فهرس الكتب

— أ —

التنوير في مولد السراج المنير : 18، 76،
77.

الابتهاج في أحاديث المعراج : 78.
الأحكام : 120، 159.

— ج —

جمع العلوم الكميات في قوله الأعمال
بالنيات : 78.
الجمهرة : 159.

الأخبار في علم الأخبار : 18.
الاختيار في علم الأخبار : 197.
آداب ما وجب في بيان وضع ما ورد في
رجب : 78.

— ح —

حلية السرين من خواص الدنيسريين :
199.

الارتقا إلى أفضل الرقي : 78.
الاشادة : 5.

الحنين إلى الأوطان الغالب على النفس هواه
والهوى سلطان : 9، 97، 99.

الاشارات : 7، 105.
أمالى القالى : 224.

— خ —

خريدة القصر : 4.

الآيات البينات فيما خص الله تعالى به
أعضاء نبيه من المعجزات : 78.
الإيضاح : 172.

— د —

الدرة الألفية : 160.
الدرة الفائقة في محاسن الأفارقة : 152،
200.

— ب —

بستان الألباب : 89.
البسيط : 192.

— ر —

الروضة الأنيقة : 20.
الروض المطور في أوصاف الخمور وما
يتعلق بها من الشذور : 8،
122.

— ت —

تاريخ النقد العربي : 8.
تحفة الوزراء : 4.
تفسير سورة ق : 225.
تقريب المطالب والقوانين في أصول الدين :
18.
التلقين : 140.

— ز —

زناد المقتبس في ملح أهل الأندلس : 62.
زينة الدهر : 4.

— ش —

الشافي في علم العروض والقوافي : 122.
الإيضاح : 117.
شرح الجمل : 159.
شرح اليميني : 117.
الشفاء : 224.

— ص —

الصحاح : 159.
صحيح مسلم : 79.

— ع —

العُتبي اليميني : 172.
العلم المشهور في فوائد الأيام والشهور :
77، 80.

— غ —

الغاية في النحو : 159.

— ف —

الفتوحات المكية : 127.
الفصيح : 159.

— ق —

القبس في علم العروض : 159.

— م —

مرج البحرين في فوائد المشرقين والمغربين :
76، 77.

المطرب في أشعار أهل المغرب : 78.
معجم الشعراء : 4.

المغرب : 201.

المفصل : 7، 105.

المقامات : 20، 148.

المقدمة الجزولية : 105.

المستوفى في شرف المصطفى : 78.

منادح الممادح وروضة المآثر والمفاخر من
خصائص الملك الناصر : 51.

من ألقم الحجر إذ كذب وفجر : 78،
79.

الموطأ : 79.

— ن —

النبراس في تاريخ خلفاء بني العباس : 77،
82.

نثر الدرر في فضل من تمسك بسنة سيد
البشر : 78.

نفائس الأعلام في مآثر العشاق : 62.

النكت العربية في شرح الجزولية : 122.

— ه —

الهندي إلى ضلال الكندي : 78.

— و —

وهج الجمر في تحريم الخمر : 78.

— ي —

يتيمة الدهر : 4، 8.

مراجع المقدمة والتحقيق

- أبو المطرف ابن عميرة، دراسة جامعية لمحمد بن شريفة، نشر المركز الجامعي للبحث العلمي، الرباط 1966.
- الإحاطة، في أخبار غرناطة لابن الخطيب 4 أجزاء، نشر محمد عبد الله عنان، ط. القاهرة 1973.
- اختصار الأخبار، عما كان بسبته من سني الآثار للأنصاري، تحقيق عبد الوهاب بنمنصور، الرباط، الطبعة الثانية.
- اختصار القُدح المعلّى لابن سعيد، تحقيق إبراهيم الأبياري، القاهرة 1959.
- أزهار الرياض للمقري، ط. القاهرة 1939-1942.
- الاستقصا للناصري، ط. دار الكتاب، الدار البيضاء 1954.
- إعتاب الكتاب لابن الأبار، تحقيق د. صالح الاشر، دمشق 1961.
- أعلام مالقة لابن عسكر وابن خميس (مصورة خاصة).
- أعمال الأعلام لابن الخطيب، ط. دار المكشوف، بيروت 1956.
- أمثال العوام في الأندلس 1-2 دراسة وتحقيق د. محمد بن شريفة، مطبعة جامعة محمد الخامس، فاس.
- برنامج شيوخ الرعيني، تحقيق إبراهيم شيوخ، ط. دمشق 1962.
- بغية الطلب لابن العديم، إصدار فؤاد سزكين.
- بغية الملتمس للضبي، ط. مجريط.
- بغية الوعاة للسيوطي 1-2، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم.
- البيان المغرب لابن عذارى، قسم الموحدين.

- تاريخ إربل لابن المستوفى.
- تاريخ الدولتين للزر كشي، ط. تونس 1966.
- تحفة القادم لابن الأبار، تحقيق الدكتور إحسان عباس.
- التكملة لابن الأبار 1-2، نشر الحسيني.
- التكملة لابن الأبار 1-2، ط. مجريط.
- الحلة السراء 1-2، تحقيق د. حسين مونس، مصر 1963.
- الدرر الكامنة لابن حجر، ط. مصر 1966.
- ديوان ابن خفاجة، تحقيق السيد غازي، دار المعارف 1960.
- الذخيرة لابن بسام، تحقيق الدكتور إحسان عباس.
- الذيل والتكملة لابن عبد الملك 1-2-8، تحقيق د. محمد بن شريفة.
- الذيل والتكملة لابن عبد الملك 4-5-6، تحقيق د. إحسان عباس.
- رايات البرزين لابن سعيد، تحقيق د. النعمان 1973.
- الروض المعطار للحميري، تحقيق د. إحسان عباس.
- زاد المسافر لأبي بحر التجيبي، تحقيق ع. محداد، بيروت 1939.
- صلة الصلة لابن الزبير، الرباط 1937.
- صلة الصلة لابن الزبير، نشر وزارة الأوقاف.
- طبقات الحفاظ للسيوطي، القاهرة 1973.
- عنوان الدراية للغبريني، ط. الجزائر 1910.
- غاية النهاية لابن الجزري، ط. القاهرة 1932-1933.
- الغصون الياقة لابن سعيد، تحقيق إبراهيم الأبياري.
- الفارسية لابن قنفذ، الدار التونسية للنشر 1968.
- فهرسة ابن خير، ط. بيروت 1963.
- فوات الوفيات لابن شاكر، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد.

- قلائد الجمان لابن الشعار، إصدار فؤاد سزكين 1990.
- مسالك الأبصار للعمري، إصدار فؤاد سزكين.
- المطرب لابن دحية، تحقيق الأبياري ومن معه، القاهرة 1954.
- معجم البلدان لياقوت الحموي.
- نفع الطيب للمقري، تحقيق الدكتور إحسان عباس.
- الوافي بالوفيات، نشر جمعية المستشرقين الألمانية.
- وفيات الأعيان، تحقيق الدكتور إحسان عباس.

فهرس التراجم والفهارس

3 تقديم	(
25 إبراهيم الكائمي	(1
27 ابن أبي الأصبغ الشريشي	(2
28 ابن مسعود القرطبي	(3
30 أبو العباس الفرياني	(4
31 أبو محمد الجياني	(5
32 أبو الربيع الموحدي	(6
35 سهل بن مالك	(7
37 صفوان بن إدريس	(8
39 أبو محمد الشاطبي البونتي	(9
40 أبو محمد الشاطبي	(10
41 أبو زيد الفازازي	(11
42 عبد الرحمن الغماري	(12
45 عبد السلام الفرياني	(13
46 عبد المنعم الجلياني	(14
53 أبو الحسن ابن حريق	(15
55 أبو الحسن الوهراني	(16
58 أبو الحسن ابن فشتال	(17
59 أبو الحسن المراكشي	(18
59 أبو الحسن ابن خمير	(19
60 أبو الحسن القسطار	(20
61 أبو الحسن ابن حمامة	(21
63 ابن خروف القرطبي	(22

67	ابن البياني الغرناطي	(23)
70	أبو الحسن الأنصاري البلنسي	(24)
71	ابن الزيات القيرواني	(25)
75	ابن دحية الكلبي	(26)
89	ابن ماخوخ البجائي	(27)
91	أبو محمد القصّار المراكشي	(28)
95	ابن التنسي القفصي	(29)
96	عيسى بن سليمان الرعيني	(30)
101	أبو موسى الجزولي	(31)
103	أبو الروح التاكربي	(32)
105	الفتح بن موسى الكتامي	(33)
110	أبو القاسم ابن عطية	(34)
111	لؤلؤ الرومي المغربي	(35)
112	ابن جبير	(36)
117	أبو عبد الله الزهري	(37)
118	العماري الميورقي	(38)
119	أبو جعفر الإدريسي	(39)
121	أبو عبد الله القرموني	(40)
122	أبو عبد الله البلنسي العمري	(41)
123	ابن سراقه الشاطبي	(42)
125	أبو عبد الله القسنطيني	(43)
126	ابن مالك الطائي	(44)
127	الشيخ محيي الدين ابن العربي	(45)
140	ابن سحمان الشريشي	(46)
141	أبو عبد الله العبدري الميورقي	(47)
143	ناهض الوادي آشي	(48)
143	أبو الوليد البيغي	(49)

145	الهيثم الاشبيلي	(50)
145	أبو زكرياء الخشني الواعظ	(51)
146	الأمير أبو زكرياء الميورقي	(52)
147	أبو زكرياء التميمي الكاتب	(53)
148	أبو زكرياء الحريري اليهودي	(54)
152	الأمير أبو زكرياء الهنتاتي	(55)
154	أبو زكرياء الخزرجي الغرناطي	(56)
156	أبو زكرياء التلمساني	(57)
158	ابن معطى النحوي	(58)
162	أبو الحجاج المنصفي	(59)
164	يوسف المثلث	(60)
166	أبو الوليد الأنصاري السلاوي	(61)
168	يزيد بن صقلاب	(62)
171	أبو عبد الله الزهري	(63)
172	ابن هلاله الطبري	(64)
173	أبو الخير الصنهاجي	(65)
174	البرزالي	(66)
174	أبو محمد الأنصاري السلاوي	(67)
175	أبو عبد الله السلاوي	(68)
177	أبو زكرياء الغرناطي الواعظ	(69)
178	ابن خولة السلمي	(70)
179	أبو الروح التاكرني	(71)
188	أبو علي الحسن البيري	(72)
190	أبو عبد الله القسنطيني	(73)
192	ابن سراقه الشاطبي	(74)
193	أبو علي الدكالي الماجري	(75)
197	أبو العباس الأنصاري القرطبي	(76)

199 أبو العباس التيفاشي	(77)
202 ابن خالص الاشبيلي	(78)
203 أبو النجا الأندلسي	(79)
207 إبراهيم الساحلي	(80)
209 محمد الطائي القفصي	(81)
210 خلف القبتوري	(82)
210 جعفر الإدريسي	(83)
211 الصدي الاشبيلي	(84)
212 الكساد الاشبيلي	(85)
212 القلّوسي	(86)
213 التجيبي البلشي	(87)
213 عبد الصمد التوزري	(88)
215 أبو عبد الله العقيلي البيري	(89)
218 أبو عبد الله السلاجي	(90)
220 ابن الصائغ الأموي	(91)
222 ابن القوبع التونسي	(92)
225 محمد بن علي المزدغي	(93)



الايداع القانوني رقم : 1996/1370
ردمك 4 - 2 - 9943 - 9981

هذا الكتاب

مجموع يشتمل على نحو مائة من أعلام المغرب والأندلس، جلهم ممن رحلوا في القرن السابع الهجري إلى المشرق، وقد انتقوا من مصادر مشرقية خطية ؛ والمجموع يحفل بكم ضخمة من الأخبار والأشعار الأندلسية والمغربية التي لم يسبق نشرها، وهي تنفع الباحث في الأدب والتاريخ بالأندلس والمغرب، ويعتمد عليها المهتم بالتواصل بين المغرب والمشرق.